

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة حسيبة بن بو علي - الشلف -

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية



أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه

الشعبة : التاريخ

التخصص : تاريخ الجزائر الحديث

الاعتبارات الجغرافية في رسم العلاقة بين السلطة العثمانية والقبائل الجزائرية: الولاء والرفض
أواخر الحكم العثماني (1730 م - 1830 م)

إعداد الطالب :

طالبي علي

إشراف :

أ.د. حليلي بن شرقي

أعضاء لجنة المناقشة :

- شوبوب محمد

- بن شرقي حليلي

- بلعالية ميلود

- بوتشيشة عبد القادر

- هزرشي بن جلول

- دليوح عبد الحميد

الرتبة

أستاذ التعليم عالي

أستاذ التعليم عالي

أستاذ تعليم عالي

أستاذ محاضر أ.

أستاذ تعليم عالي

أستاذ تعليم عالي

الجامعة

جامعة الشلف

جامعة الشلف

جامعة الشلف

جامعة الشلف

جامعة الجلفة

جامعة الجزائر -2-

رئيسا

مشرفا ومقررا

ممتحنا

ممتحنا

ممتحنا

ممتحنا

السنة الجامعية : 2024/2023

1443هـ / 1444هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إذا قيل

لكم تفسحوا في المجلس فافسحوا يفسح الله

لكم وإذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله

الذين آمنوا منكم و الذين أوتوا العلم

درجات والله بما تعملون خبير »

سورة المجادلة (الآية) (11)

شكر و عرفان

"وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب " الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وبرحمته تنزل البركات ، وبذكره تطمئن القلوب، وبرحمته تغفر الذنوب، والصلاة و السلام على حبيبنا المصطفى سيد المرسلين وخاتم النبيين عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم بعد إتمام هذا العمل المتواضع أتقدم بجزيل الشكر والإمتنان بداية بالأستاذ المشرف الدكتور حليلي بن شرقي الذي رافقني من بداية البحث إلى غاية الإنتهاء منه نظير ملاحظاته القيمة، ونصائحه السديدة ، وتوجيهاته البناءة والمهادفة، وكذا تشجيعه لنا في المضي قدما على تجاوز العراقيل والصعاب التي اعترضتنا . وكذا الشكر موصول لزملائي الأساتذة الذي زودوني بمعلومات قيمة وثرية حول البحث كما أوجه خالص شكري إلى كل موظفي مركز الأرشيف الوطني والمكتبة الوطنية بالجزائر العاصمة ،والمكتبات العمومية على ما قدموه لنا من مساعدات في إنجاز علمنا . وأتمنى أن تكون هذه المساهمة في خدمة تاريخنا الوطني خاصة الفترة الحديثة منه.

إهداء

. أهدي باكورة هذا المجهود العلمي المتواضع

إلى والدي حفظه الله وأطال في عمره

إلى روح أمي الطاهرة الغالية رحمها الله

إلى زوجتي التي أعانتني على إنجاز هذه الأطروحة بمشاقها ومتاعبها

إلى جميع إخواني

إلى اصدقائي طلبة الدكتوراه من جامعة الشلف وخارجها

إلى كل من ساهم في هذا العمل من قريب أو بعيد ولو بكلمة طيبة

شحذ بها الهمة وقوى بها العزيمة .

المختصرات

تحقيق	تح
تعريب	تع
تعليق	تع
تقديم	تق
الجزء	ج
دون تاريخ	د ت
دار الحكمة	د ح
دون طبعة	د ط
دار القصة للنشر	د ق ن
دون سنة	د س
قبل الميلاد	ق م
ط: طبعة	ط: طبعة
طبعة خاصة	ط خ
ميلادي	م
مجلد	مج
صفحة	ص
صفحات متتالية	ص ص
عدد	ع
هجري	هـ

-abreviation

A.N.E.P	Agence National d 'édition et Publicité
B.N.A	Bibliothèque National d'Algerie
Ed	Edition
Ibid	dans le meme ouvrage
N°	Numéro
O .P.U	office des publications universitaires
Op cit	Ouvrage précédemment cité
P	Page
P P	plusieurs pages
R.S.A.C	Recueil Des Notices et Mémoire De la Société Archéologique De la Provence De Constantine
R. A	Recueil des noticed et mémoires de la société archéologique de la province de cons
T	Tome
TRad	Traduire
VOL	Volume

المقدمة

مقدمة

تعتبر فترة الوجود العثماني في الجزائر من أهم الفترات التاريخية، ونقطة تحول في تاريخ الجزائر حيث أسس فيها لنظام حكم متميز ومختلف عما سبق، فقد ساهمت السلطة في عديد التغييرات والتحويلات التي شملت جميع جوانب الحياة، وعرفت الإيالة أواخر الحكم العثماني نظام الدايات كأطول فترات الحكم ، فقد تمتعت فيه البلاد بنوع من الاستقلال الذاتي عن الدولة العثمانية، واكتملت مظاهر ومقومات السيادة حتى نهاية الوجود العثماني، وفي خضم الحديث عن العلاقة بين السلطة المركزية والقبائل الجزائرية التي استوطنت الأرياف ، ونجد انها شكلت نسيجاً بشرياً مختلطاً وخريطة جغرافية محدودة، وفق جماعات سكانية مختلفة، متعددة ومصنفة، تحكمت في تكوينه العديد من الظروف والمتغيرات، وبذلك أصبحت هذه القبائل طرفاً أساسياً وفاعلاً مهماً في معادلة السلطة والرعية، كما أنها احتلت مكانة هامة في سياسة الحكام العثمانيين بالإيالة، إذ أولت لها السلطة أهمية بالغة في سياستها الداخلية من خلال عديد المشاريع ووسائل الجذب، والعمل على ربطه بالسلطة، كل هذا خدمة لمطامح الدايات في بسط سيطرتهم وتوسيع نفوذهم داخل الإيالة وفي الأرياف، والحفاظ على مصالحهم واستمرارية قيام الحكم العثماني و الإيالة.

وقد تأثرت العلاقة بين السلطة والقبائل الجزائرية بالعديد من العوامل المختلفة سواء السياسية والعسكرية أو الاقتصادية و الاجتماعية، والتي نالت قسطاً وافراً من اهتمامات المؤرخين والباحثين في التاريخ الجزائري غير أن المتصفح لهذه الكتابات يجدها قد أهملت العامل الطبيعي والجغرافي في نسج علاقة الود والعداء بين السلطة والرعية، والذي يعتبر عاملاً حيوياً ومهماً و أساسياً، حتى وإن وجدت بعض التلميحات أو الجزئيات والإشارات إلا أنها قليلة أفردتها هذه الكتابات.

يتشكل العامل الجغرافي بصفة عامة من موقع مواطن للقبائل الريفية، والذي يتضمن ميزتي القرب والبعد عن السلطة ومؤسساتها، والمساحات الشاسعة، ومظاهر السطح المختلفة

التي على رأسها الجبل بمرتفعاته ومنخفضاته وأنواعه المختلفة والسهول والهضاب والصحراء بمظاهرها المتنوعة والوديان والأحراش والمسالك البرية وغيرها، وعامل المناخ الملائم وغير الملائم من درجة الحرارة وتساقط الأمطار، والتربة الخصبة، كما لا ننسى أن الأرض هي محور الحياة والنشاط للسكان، وكل هذه المعطيات الجغرافية لها علاقة بالنمط الحياتي للقبائل والنشاط الممارس لها سواء أكانت مستقرة أو متحركة وفق أسلوبها الخاص بها .

وفي هذا الإطار يندرج موضوع دراستنا الموسوم بـ الاعتبارات الجغرافية في رسم العلاقة بين السلطة العثمانية والقبائل الجزائرية: الولاء والرفض أواخر الحكم العثماني (1730 م – 1830 م) وقد ارتأيت في نظري التطرق فيه باعتباره من المواضيع المهمة والجديرة بالبحث والدراسة، وذلك لما يحتويه من مفاهيم وتساؤلات عديدة يجب على الباحث لتاريخ الجزائر في هذه المرحلة الخوض فيها والإجابة عنها من أجل أخذ فكرة شاملة وكاملة عن العوامل الجغرافية وأثرها في رسم علاقتي الولاء والتمرد بين الجانبين .

فهو موضوع تاريخي ذو طابع جغرافي، إذ يبحث في خضم هذا التأثير أي دور المعطيات الجغرافية السابقة في التأثير على السلطة والقبائل خاصة وأن الجزائر تتميز بموقع استراتيجي متميز بالتنوع والاختلاف في المجال والإطار الجغرافي والطبيعي عبر أنحاءها الأمر الذي جعل القبائل تتفاعل وتتأثر به من خلال نمطها المعيشي والحياتي وتبني علاقتها مع السلطة، أما السلطة المركزية فجعلت تعاملها وسياستها وفق الموقع الجغرافي والنشاط الاقتصادي للقبيلة وكذلك التصنيف الخاص الذي أمدته هذه المعطيات، وقد لجأت بعض القبائل إلى التمرد والامتناع في مختلف أشكاله بعيدا عن الخضوع والسيطرة للسلطة والعيش بمنأى عنها، فكانت خطرا حقيقيا لوجودها واستمراريتها من خلال مظاهر رفض وتمرد عليها، وهناك قبائل أخرى فضلت الولاء والتأييد للسلطة لعدد الاعتبارات خاصة القرب والمصالح المشتركة وضمان تواجدها وتأثيرها في المنطقة، وتعدت ذلك في مظاهر تقارب ودعم للسلطة

عوامل اختيار الموضوع:

يرجع اختياري لهذا الموضوع الاعتبار الجغرافية في رسم العلاقة بين السلطة العثمانية والقبائل الجزائرية: الولاء والرفض أواخر الحكم العثماني (1730 م - 1830 م) ومنها:

أ/ العوامل الذاتية :

- الميول الشخصي إلى الدراسة في تاريخ الجزائر العثماني .
- باعتباره عملا غير مكتمل ولا يحظى باهتمام الدراسات التاريخية السابقة التي ركزت على الجوانب الأخرى، فكان لزاما علينا إعطاء نظرة شاملة عنه بمزيد من التعمق والبحث التاريخي.
- المساهمة في تزويد المكتبة الوطنية ببحث من شأنه معالجة موضوع مهم وحيوي عن هذه الفترة .

ب/ العوامل الموضوعية:

- قلة الدراسات التاريخية التي كتبت في هذا الموضوع بالذات وبشكل خاص أي ربط المعالم الجغرافية بعلاقة السلطة والرعية
- تقديم دراسة تحليلية في صلب هذا الموضوع
- إعادة القراءة في الكتابات التاريخية التي خصت تاريخ الجزائر الحديث
- دراسة الإطار والواقع الطبيعي والجغرافي للجزائر بغية التعرف على المظاهر المختلفة المكونة لها وأخذ نظرة شاملة لعلها تفيدنا في موضوعنا انطلاقا من موقعها الجغرافي الاستراتيجي .
- توضيح مدى تأثير العامل الجغرافي في العلاقة الكامنة بين الخضوع والتمرد _إبراز التفاعل بين القبيلة والسلطة في مظاهر عدة ومقارنتها.
- محاولة تقديم نظرة متكاملة عن مختلف الجوانب الطبيعية والجغرافية.

الإطار الزمني والمكاني للدراسة:

الفترة الزمنية المحددة لهذه الدراسة تمتد من سنة 1730م إلى سنة 1830م أواخر الحكم العثماني، أي دراسة قرن من الزمن لنهاية الحكم العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي لأرض الجزائر سنة (1830م-1246هـ) وإنهاء الوجود العثماني بها، أما الإطار المكاني لهذه الدراسة فهو إيالة الجزائر بأريافها.

الأهمية العلمية للموضوع:

تكمن أهمية هذا الموضوع من خلال ما يعالجه حيثيتنا و لفترة من فترات تاريخ الجزائر الحديث، وبالضبط أواخره، فقد وصفت بالمؤثرة والحساسة من الحكم العثماني بالإيالة، و ما عرفته من أحداث تاريخية هامة أثرت في جميع أنحاء ميادين و مجالات الحياة.

فالموضوع في حد ذاته دراسة تاريخية جغرافية يتم فيها تسليط الضوء على علاقة القبائل الريفية الجزائرية بالسلطة العثمانية، من جانب العوامل الجغرافية والطبيعية المؤثرة على العوامل الأخرى، أي دراسة نوعية في هذا الجانب، وكذلك تحليل وتفسير دورها في خاصيتي التمرد والولاء، كما يتم التطرق إلى الإطار الجغرافي لإيالة بغرض دراسة الخصائص والمميزات الطبيعية المختلفة والمتنوعة، والتعريف بأهم القبائل الريفية المصنفة حسب علاقتها بالسلطة إضافة إلى العوامل المتنوعة خاصة الطبيعية حيث أن لكل قبيلة مجال جغرافي تتكيف وتتأقلم معه، فهي تحدد وفقها النشاط الاقتصادي الممارس وعلاقتها بالسلطة الحاكمة.

أهداف الدراسة:

- التعرف على الأوضاع العامة الداخلية والخارجية لإيالة الجزائر والتي وصفت بالسيئة في عديد الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية خاصة.

- التطرق إلى معرفة الأوضاع العامة الداخلية والخارجية التي وصفت بالسيئة وأظهرت ضعف وتخاذل السلطة وفسادها في عديد الميادين، الخطر الاوربي عليها والتحرشات الإقليمية ومحاولة ضربها من الداخل، كما أنها شهدت اضطرابات وثورات تمردية شعبية بكثرة عمت ربوع الإيالة قادها رجال زوايا وشيوخ .
 - محاولة منا ربطها بالعوامل الجغرافية والطبيعية، وفي أواخر الحكم نجد اتساع الهوة بين الرعية والسلطة الأمر الذي دفع إلى ظهور بوادر الانحطاط و التلاشي.
 - التركيز على ديناميكية الخضوع أو التمرد القبلي للسلطة، ومعرفة دوافعه وظروفه ورد فعل السلطة إيجابيا وسلبيا.
 - دراسة وقائع وأحداث تاريخية هامة ضمن فترة الدايات التي شهدت شبه استقلال عن الخلافة الإسلامية من جميع الجوانب.
- الإشكالية العامة للدراسة:**

جاءت هذه الدراسة لتبحث في الإشكالية التالية:

كيف ساهمت الاعتبارات الجغرافية لإيالة الجزائر في تحديد طبيعة العلاقة بين السلطة العثمانية والقبائل الجزائرية أواخر الحكم العثماني؟

التساؤلات الفرعية:

وتتفرع عن هذه الإشكالية العديد من التساؤلات أهمها:

- فيما تتمثل الخصائص الجغرافية لإيالة الجزائر أواخر الحكم العثماني؟
- مما تتشكل التركيبة القبلية السكانية لإيالة الجزائر؟ وما هي أهم نشاطاتها ؟
- كيف ساهمت التضاريس والمناخ بإيالة الجزائر في رسم علاقة الرفض بين السلطة والقبائل الجزائرية ؟ وما هي مظاهر هذا العداء؟
- كيف ساهمت العوامل الجغرافية (التضاريس، المناخ، التربة، والمسطحات المائية) في رسم علاقة الولاء بين الجانبين ؟ وما هي مظاهر هذا الولاء؟

- كيف كان موقف السلطة من رفض القبائل الجزائرية للولاء؟ وما هي الأساليب والآليات التي اتبعتها لإخضاع هذه الأخيرة؟

المنهج المتبع

نظرا لخصوصية هذا الموضوع، فقد اتبعت المنهج التحليلي التاريخي لأنه الأنسب والأقرب للتعرف على مظاهر الجانب الطبيعي وأثره في تحديد هذه العلاقة، فهناك أحداث ومجريات تاريخية لا بد من تحليلها للوصول إلى المفهوم والمعنى وربطها بالجانب الطبيعي، وأيضا التدقيق والتحليل ونقد المعطيات التاريخية من أجل الوصول إلى الحقيقة التاريخية.

وكذلك اعتمدنا على المنهج التاريخي الوصفي الذي يهتم بسرد الأحداث التاريخية واستعراضها في إطار زمني مناسب، وكذا وصف لبعض الأحداث بطريقة منتظمة وهادفة في إطار إعداد لهذا الموضوع وربطه بنمط السلطة في علاقتها مع القبائل الريفية الجزائرية المختلفة.

الدراسات السابقة

واعتمدت في بحثي هذا على مجموعة من الدراسات الأكاديمية إلا أنها اقتصرت على علاقة القبائل الريفية الجزائرية بالسلطة العثمانية في خاصيتي الرفض والولاء من جانب العوامل والمعطيات السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية، والتطرق إلى موقف السلطة وردود أفعالها من هذه العلاقة، كما أنها ركزت على منطقة معينة أو بايلك من البياليك الأربعة فيذكر أحداثه التاريخية وعلاقته بالسلطة، والتركيز على بعض القبائل المؤثرة في توضيح موقفها من السلطة وأسباب تمردا ونتائجها، أما العامل الجغرافي موضوع بحثنا فقد كان غائبا في هذه الأعمال إلا ما نجده في بعض الإشارات أو التلميحات القليلة ومن أهم هذه الدراسات نجد

:

رسائل الدكتوراه هي:

- 1- بن عتو بلبروات في أطروحته المدينة و الريف بالجزائر أواخر العهد العثماني (1519م_1830م)، جامعة وهران، وقد نوقشت في موسم (2007-2008)
- 2- نصر الدين عبد الغفور في أطروحته القبيلة و السلطة في الجزائر القرن 19م، جامعة محمد الأمين دباغين بسطيف، ونوقشت في الموسم (2005-2006)

رسائل الماجستير؛

- 1- عقاد سعاد مذكرة الفلاحون الجزائريون والسلطة العثمانية في الجزائر (1519م_1830م) جامعة وهران، نوقشت في الموسم (2013-2014)
- 2- بوعزيز جهيدة، الصراعات الداخلية و أثرها على المجتمع الريفي في بايلك الشرق أواخر العهد العثماني (1771م_1837م)، جامعة الجزائر، نوقشت في الموسم (2011م-2012م)

هيكل الدراسة

وللإجابة عن هذه التساؤلات تم تقسيم هذه الدراسة إلى مقدمة وأربعة فصول وخاتمة.

فقد خصصت الفصل الأول : لدراسة الأوضاع العامة لإيالة الجزائر داخليا وخارجيا في الفترة العثمانية قيد الدراسة أواخر الحكم العثماني والتي تطرقت فيها إلى الضعف والتقهقر الذي أصابها ومس جميع مجالات الحياة من سياسية وعسكرية و اقتصادية و اجتماعية وثقافية كلها أثرت على العلاقة بين السلطة المركزية والرعية، الأمر الذي أدى إلى انعدام الثقة، فالفساد السياسي طغى على الدولة وتدخل المؤسسة العسكرية خاصة في شؤونها عجل بتدهورها وتلاشيها، وما يعبر أكثر عن ذلك بالسخط الشعبي في كثرة الثورات و التمردات، ليوثر بدوره عن الوضع الخارجي المتأثر بالظروف والمتغيرات الدولية، وهو ما سمح بالتكالب الأوربي الصليبي على الجزائر في كثرة الحملات والتحرشات، ناهيك عن التحرشات الإقليمية من الجارتين تونس والمغرب الأقصى كل هذا أدى إلى أن تكون ضعيفة

مقهورة أمام المحنل الفرنسي سنة 1830م الذي وجد المناخ ملائما ومناسبا لاحتلالها وإنهاء الوجود العثماني.

وفي الفصل الثاني تناولت الإطار الجغرافي العام للجزائر من خلال دراسة للمظاهر والمعطيات الطبيعية المتنوعة تنوع الأقاليم والمناخ، وهو ما يعكس موقع الجزائر وجغرافيتها المتميزة، والتي أثرت على التركيبة القبلية المتنوعة والمصنفة، فلكل قبيلة إطار جغرافي متباين تميزت به ونشاط اقتصادي انفردت به، ونمط معيشي حياتي خاص ترك الأثر الأكبر في تعامل السلطة معها.

وفي الفصل الثالث سلطت الضوء على أثر العوامل الجغرافية السابقة الذكر في رسم علاقة الرفض القبلي للسلطة ولجوءها إلى خاصية التمرد ، فلكل عامل جغرافي أثر بالغ الأهمية في عصيان السلطة ورفض مطالبها، وتجلى في عديد المظاهر التي شكلت خطرا عليها مما راحت تجابهه بوسائل وأساليب متنوعة للحد من ذلك أو جذبها إليها في إطار زيادة نفوذها.

أما الفصل الرابع فقد ارتأيت إلا أن أعالج فيه دور العوامل الجغرافية في رسم علاقة الولاء القبلي للسلطة من خلال العوامل السالفة الذكر، وهو ما سمح بانتشار مظاهر التقارب والدعم والتعاون القبلي لها ، وهو الشيء الذي قابلته السلطة بمواقف وردود إيجابية حفاظا على مصالحها ونفوذها وضمان دعم وولاء القبائل لها.

و أشرت في الخاتمة التي كانت على شكل حوصلة واستنتاجات لما سبق مبرزا موضحا في أن واحد النتائج التي هي إجابة عن عديد التساؤلات السابقة الذكر ، فحاولت فيها إمطة الغموض حول ماهية العوامل والعناصر الجغرافية وأثرها في رسم علاقتي التمرد والولاء بين السلطة العثمانية والقبائل الجزائرية بذكر العوامل على حدى وتأثيرها السلبي والإيجابي مع إبراز مظاهر الولاء والرفض القبلي، مع التأكيد على موقف السلطة من الميزتين باتخاذ عديد الوسائل والأساليب و الأليات الممكنة من سياسية و اقتصادية و اجتماعية وعسكرية وغيرها.

المصادر والمراجع

وقد اعتمدنا على عدد من المصادر والمراجع التاريخية المحلية والأجنبية المختلفة المعاصرة للفترة أو المتأخرة عنها خاصة تلك المهمة من كتب الرحلات والقناصل والأسرى والجغرافيين وعلماء الطبيعة والمستكشفين كمصادر هامة في تزويدنا بالمعلومة التاريخية، وعند التطرق إلى الدراسات السابقة في فلك الموضوع فقد أهملت العامل الطبيعي الذي لم ينل قسطا وافرا واهتماما كبيرا مثل ما نالته الجوانب السياسية والعسكرية و الاقتصادية والاجتماعية، وكذلك اهتمامها بواقع العلاقات العامة بين التجاذب أو النفور بين الطرفين خاصة ما تعلق بالثورات الشعبية وموقف السلطة الإيجابي والسلبي من ذلك.

وأثناء بحثي وتعمقي في ذلك، فقد وجدت بعض التلميحات والإشارات والدلائل عن الطابع الجغرافي التي انطلقنا منها في تحليل وبناء موضوعنا، ومن أهم الكتب نجد:

-المصادر المطبوعة المترجمة إلى العربية:

1- ج. أو. هابنسترايت رحلة العالم الألماني إلى الجزائر وتونس وطرابلس، والذي تحدث في كتابه عن القبائل الريفية التي زارها في رحلته خاصة تلك الجبلية منها، وكذا نمط حياتهم المعيشي وتقاليدهم وعاداتهم مركزا على بايلك التيطري، وكذلك عن علاقتهم بالسلطة، وزودنا ببعض الملاحظات القليلة عن المسالك البرية الوعرة من خلال سيره وما صادفه في طريقه.

2- وليام شالر، مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر عالج القنصل في كتابه حياة سكان الريف خاصة الحبايلية ونمط معيشتهم وتنقلهم وأفكارهم التحررية الاستقلالية، ونشاطاتهم المتنوعة، وعن علاقة السلطة بهم، كما اهتم عموما بالنشاط الفلاحي عند القبائل الريفية.

3- هاينريتش فون مالتسان، ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا، حيث أشار إلى مظاهر السطح المختلفة، وعن سكان المناطق الجبلية و نمط حياتهم ومعيشتهم، وعلى رفضهم للسلطة العثمانية وامتناعهم عن أداء المطالب المخزنية

4- فندلين شلوصر : قسنطينة أيام أحمد باي (1832م-1837م) سلط الضوء على الطابع التضاريسي لبعض القبائل خاصة الجبل لما له من دور في عملية التمرد وفرار السكان إليه، معرجا أيضا على موقف السلطة وود فعلها.

المصادر المحلية:

1- أحمد بن هطال التلمساني رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري، والذي تناول فيه رحلته ككاتب للباي المذكور وصف فيها المظاهر الطبيعية والجغرافية من تضاريس ومسالك وأحراش خصت، مناطق أولاد نايل و الأغواط في رحلة طويلة وشاقة من معسكر ، فكانت منفذا وملجأ للسكان من غضب السلطة، وعرج على دور السلطة في الحد من التمرد والعصيان.

2- حمدان بن عثمان خوجة ، المرأة، فقد تطرق في كتابه إلى القبائل الريفية انطلاقا من النمط المعيشي وتنقلها، ليعرج في جزئيات على الجانب الطبيعي مشيرا إلى علاقتهم بالسلطة.

المصادر الأجنبية:

1- TOMAS SHAW, VOYAGE DANS PLUSIEURS PROVINCES DE LA BARBARIE :

تناول في كتابه القيم والثري طبيعة البلاد جغرافيا وسياسيا حيث تعمق في دراسة التاريخ الطبيعي من مناخ لمقاطعة الجزائر والغطاء النباتي، استطعنا بفضل ذلك من الوصول عبر الملاحظات الدقيقة في عملنا إلى العوامل الطبيعية وأثرها في علاقة الرفض والولاء من خلال السهول والجبال وغيرها

2- TOMAS SHAW, VOYAGE DANS LA REGENCE DALGER OU DESCRIPTION GEOGRAPHIE :

أشار في كتابه إلى القبائل الممتنعة ونمط حياتها، مشيرا إلى العوامل الجغرافية وأثرها في ذلك، وكذا تحدث عن الثورات الشعبية وموقف السلطة منها.

3 -LOUIS RINN, LE ROYAUME DALGER SOUS LE DERNIER DAY

تحدث في كتابه عن القبائل الريفية أواخر الحكم العثماني بالتدقيق والتفصيل بلغة الأرقام مقسما إياها إلى 4مجموعات مصنفة، وعن موقف السلطة منها

. 4-GEORGE VOISIN, L'ALGERIE POUR LES ALGERIEN

أشار المؤرخ في كتابه إلى القبائل الراضية للسلطة ودور التضاريس من جبال وصحراء في علاقة التمرد ورفض المطالب المخزنية، وكذا أفكارهم التحررية الاستقلالية

5- VENTUR DE PARADIS, TUNIS ET ALGER AU XVIIIEME SIECLE

تطرق فيه إلى دور الطابع الجبلي أي المناطق الجبلية في الرفض والقطيعة وحماية القبائل الممتعة التي تفر إليه خاصة في بلاد جرجرة من السلطة.

المراجع المعتمدة:

ألاحظ أنها قد تنوعت ما بين الكتب والمقالات والرسائل وكلها هادفة في دراستها حيث قدمت معلومات وحقائق تاريخية عن ما نتساءل عنه إلا أننا افتقدنا ما نلمح إليه كما سبق وأن تطرقنا إليه، وكذلك اهتمامها بمنطقة على أخرى أو عامل طبيعي على بقية العوامل الطبيعية الأخرى، وبذلك استطعنا أن نقوم بالتحليل والبحث والاستنتاج.

واعتمدنا على ما يلي :

كتب ناصر الدين سعيدوني منها:

1- وراقات جزائرية وكذلك تاريخ الجزائر في العهد العثماني وبلية ولايات المغرب العثمانية الجزائر وتونس وطرابلس الغرب، وكذا الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثمانية الجزائر وتونس وطرابلس الغرب وغيرها، حيث تحدث عن العلاقة الكامنة بين السلطة والرعية والمتأرجحة بين الرفض والولاء من خلال تصنيف القبائل الريفية

المختلفة بمسمياتها وتصنيفاتها ونمط معيشتهم وتقلهم، كما أشار إلى أساليب وإجراءات السلطة في الرد عليها، وعن ثورات القبائل التي شكلت خطرا على السلطة، ودور هذه الأخيرة في كبحها ومقاومتها والحد من خطرهما، وقد لمح ناصر الدين سعيدوني إلى بعض المعطيات الطبيعية التي ساهمت في عمليتي الخضوع والتمرد.

2- أرزقي شويتم، نهاية الحكم العثماني وعوامل انهياره تطرق فيه إلى دور القبائل باختلافها وتأثيرها الإيجابي والسلبي، ولمح أيضا إلى العامل الطبيعي في الموقع والتضاريس التي بنت عليها السلطة علاقتها بها بمعية النشاطات الأخرى خاصة الاقتصادية .

3- ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ العهد العثماني تناول الكتاب الأوضاع العامة لإيالة الجزائر خاصة أواخر الحكم العثماني، والتي وصفها بالسيئة، كما أشار إلى القبائل الريفية المكونة للمجتمع الجزائري بالشرح والتفصيل والتدقيق، وعن علاقتها بالسلطة.

4- عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام في جزأيه الثالث والرابع، والذي أشار إلى بعض العوامل والمظاهر الجغرافية وأثرها في علاقة الرفض للقبائل الممتنعة، وعن مظاهر ولاء القبائل المخزنية والرعية للسلطة معرجا على أهم الثورات و التمردات التي عرفتة الإيالة عبر ربوعها .

5- زيد بن قاسمي، قيادة سيباو وتاريخ منطقة القبائل في العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي، أشار فيه إلى تاريخ المنطقة أي بلاد جرجرة وأهم العوامل المؤثرة في نسج العلاقة بين المنطقة والسلطة العثمانية، مركزا على العوامل الطبيعية والجغرافية بالأساس تليها بقية العوامل الأخرى، رغم أنها كذلك فقد أخذت جزءا قليلا من التعمق والبحث والدراسة، وقد ركز على جغرافية المنطقة من جانب الموقع والتضاريس وأثرها في التمرد.

6- خليفة حماش، كشاف وثائق تاريخ الجزائر في العهد العثماني من خلال ما تناوله من وثائق أرشيفية خاصة، تلك المتواجدة بالمكتبة الوطنية الجزائرية في مراسلات بين الحكام أو السلطة وشيوخ القبائل تلك الموالية، وذكر نماذج في العلاقة المتأرجحة بين الطرفين
ومن المقالات نجد :

1- نصر الدين عبد الغفور وفارس كعوان، تأثير التضاريس في علاقة القبائل الممتعة تم التركيز في هذا المقال على عامل الجبل الأكثر تميزا وخطرا فهو الأكثر مظهر تضاريسي، وقد جمع بين ميزتين كرفض وعصيان للسلطة في حماية أفراد القبائل منها، وأيضا عامل تقارب معها وذلك لحاجة السلطة في التزود بموارد الجبل وثرواته في تطوير اقتصاد الإدارة المركزية.

الصعوبات

في مستهل هذا العمل لا بد أن نشير إلى أنه قد اعترضت سبيلنا عدة صعوبات نذكر منها:

- قلة المصادر والمراجع التي تتناول الموضوع
- عدم وجود كتابات متخصصة في الجغرافيا السياسية ذات الطابع الجغرافي وسياسة الدول خاصة، ما تعلق بالجزائر العثمانية.
- صعوبة التحكم في الموضوع باعتباره موضوعا واسعا ومعلوماته تحتاج إلى تحليل وتدقيق .
- صعوبات منهجية متعلقة بإثراء الموضوع، والتطرق إليه وصعوبة الوصول والحصول على وثائق جديدة غير مدروسة تثري هذا الموضوع.
- تشابك جزئيات الموضوع المعالج وتداخلها مما صعب علينا من مهمة الفصل بين عناصره، لارتباطها الشديد ببعضها البعض .
- صعوبة التنقل إلى الأماكن بحثا عن المعلومات.

ورغم هذه الصعوبات فقد أمضينا في عملنا هذا وبمساعدة الأستاذ المشرف البروفيسور "حليلي بن شرقي" وتوجيهاته البناءة، والهادفة التي تركت أثرا ملموسا في إنجاز هذه الأطروحة، وأخيرا وليس آخرا في ختام هذه المقدمة أمل أن أكون قد وفقت إلى حد ما وأن أكون عند حسن ظن الأستاذ المشرف والسادة أعضاء لجنة المناقشة، وعلى أتم الاستعداد للقيام بكل التصويبات والتصحيحات في هذا العمل المتواضع.

الفصل الاول

الأوضاع العامة لإيالة الجزائر أواخر الحكم العثماني (1730م-1830م)

المبحث الأول : الأوضاع الداخلية للإيالة

- 1- الأوضاع السياسية
- 2- الأوضاع الإدارية
- 3- الأوضاع العسكرية
- 4- الأوضاع الإقتصادية والمالية
- 5- الأوضاع الإجتماعية والصحية
- 6- الأوضاع القضائية والثقافية

المبحث الثاني : الأوضاع الخارجية للإيالة

- 1- مع الدولة العثمانية
- 2- إقليميا (تونس والمغرب الأقصى)
- 3- أوربيا (تحديد نماذج)
- 4- الولايات المتحدة الأمريكية

توطئة :

ارتأيت في هذا الفصل أن أتناول فيه دراسة عامة لأوضاع الجزائر أواخر الحكم العثماني في الإطارين الداخلي والخارجي، وركزت على جميع الجوانب والبياديين الداخلية منها السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها، فنجدها قد تأثرت بطبيعة وخصائص نظام الحكم العثماني ففي القرن الثامن عشر شهدت الإيالة نوعا من الإستقرار والإزدهار بفضل مجموعة من العوامل والمتغيرات، وفي بداية القرن التاسع عشر عم الفساد والضعف الذي دب في أركان النظام مما جعلها تشهد تقهقرا وضعفا أثر على بقية المجالات، وهو ما انعكس سلبا على تواجدها.

أما في الإطار الخارجي وبحكم أن الجزائر أصبحت شبه مستقلة عن الدولة العثمانية ومنتعة بالسيادة، مما كون لها علاقات عرفت في أغلب الفترات توترا وتصعيدا مع بعض الدول الأوروبية والإقليمية نتيجة الأطماع والتوسعات والتدخل في الشؤون الداخلية للإيالة، وفي بعض الفترات الإستقرار والمودة للتقارب وتبادل المصالح بين الطرفين.

الأوضاع السياسية :

عرفت إيالة الجزائر في أواخر الحكم العثماني، مرحلة حكم أطلق عليها نظام الدايات كتجربة سياسية وهي أطول نظام حكم دام مدة قرن و 59 سنة، وذلك على غرار ما شهدته البلاد من نظام حكم البايالربايات والباشوات والأغوات، وقد أطلق على نظام حكم الدايات عصر القوة العسكرية، وبرزت فيه شخصية الداوي¹ الذي له مكانة مرموقة ومرتبة عالية بين ملوك ورؤساء الحكومات، فهو يعتبر نفسه خليفة للباب العالي.

وقد تمتع الداوي بصلاحيات مطلقة وامتيازات لم يشهدها الحكام الأوائل من قبل، فكان يعقد المعاهدات باسم الجزائر، ويعلن الحرب والسلم،² ويدير العلاقات الداخلية والخارجية له عملة خاصة وميزانية مستقلة كما يتفاوض مع سفراء الدول الأجنبية.³

وفي هذا الصدد أشار المؤرخ الألماني سيمونوف إلى أن حكام الجزائر هم نتاج المؤسسة العسكرية⁴ بشقيها البري والبحري، كما أن علاقتها بالخلافة هي علاقة اسمية فقط⁵، ويتضح لنا جيدا من خلال ذلك أن إيالة الجزائر انتقلت من مرحلة التبعية المباشرة للدولة العثمانية إلى مرحلة التبعية الاسمية فقط أي الاستقلالية في القرار، كما نلمح أيضا سيطرة المؤسسة العسكرية واحتكارها للسلطة، وهنا يؤكد أكثر فأكثر ما أشار إليه المؤرخ الفرنسي دوغرامون أن الديوان هو صاحب القرارات والأوامر، حيث أنه يتمتع بالسيادة ويعلن الحرب ويعقد السلم، ويمضي معاهدات، ويقيم أحلافًا، وهذه القرارات المتخذة لم تكن تخضع لسياسة

¹ - تعريف الداوي : هي كلمة تركية أصلها "داوي"، ونقصد بها الخال أي أخ الأم أو الكافل أو الزعيم أو الرئيس، وللمزيد أنظر أحمد الشريف الزهار، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، نقيب أشرف الجزائر، أثار الأستاذ أحمد توفيق المدني، دار البصائر الجزائر 2009، ص 60 أنظر أحمد الجزائري، كيف دخل الفرنسيون الجزائر وصف شاهد عيان، نشره وقدم له صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، 1962م، ص 37..

² - عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962م، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2005م، ص 61.

³ - عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج3، ط10، شركة دار الأمة، 2010م، ص 89

⁴ - جمهورية عسكرية: الكثير من الكتابات التاريخية تحدثت على أن نظام الحكم أصبح عبارة عن شبه جمهورية عسكرية شبه مستقلة عن الدولة العثمانية يربطها بها العامل الديني فقط للمزيد أنظر، عبد القادر نور الدين، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها على انتهاء العصر التركي، نشر كلية الأدب الجزائرية، مطبعة البعث، قسنطينة، ص 21.

⁵ - عبد الرحمان الجيلالي، نفسه، ج3 ص 94.

الفصل الاول : الأوضاع العامة لإيالة الجزائر أواخر الحكم العثماني (1730م-1830م)

الباب العالي¹. وهناك من يشير إلا أن الحكم عرف ازدواجية متمثلة في عسكرية مدنية، فكان نظاما ممزوجا^{2,3}.

وانطلاقا مما قاله دوغرامون، فإن الدولة العثمانية كان وجودها شكليا من خلال الدعاء للسلطان العثماني في صلاة الجمعة والأعياد الدينية، وهذا يدل على الارتباط الديني في نوعية العلاقة والاعتراف بمراسيم التعيين وضرب السكة باسمه، وكذا إرسال الهدايا له والتعاون العسكري من خلال مساعدة الأسطول الجزائري لها في عديد المعارك البحرية خاصة في أوروبا مع صراعها ضد القوى المسيحية المتحالفة ضدها هذا من جهة، ومن جهة أخرى ما أرسلته الدولة العثمانية من جنود انكشاريين ومعونات مالية وأسلحة وسفن حربية لتعزيز الأمن والاستقرار وهو دعم بشري ومادي للإيالة⁴.

كما أن فترة الدايات تميزت بعدم الاستقرار في الحكم نتيجة اهتمام الحكام بجمع الثروة والحفاظ على المنصب لمدة أطول، واهمال متطلبات السكان وحاجياتهم مما أدخل الإيالة في فوضى عارمة وسوء تسيير⁵، وهذا ما أكده العنتري في حديثه عن الأتراك بأنهم في بداية حكمهم للبلاد تميزوا بالعدل والإحسان للرعية، لكن حين تمكنهم وبقائهم في السلطة تحولوا إلى مستبدين وظالمين⁶.

¹ - عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، المرجع السابق، ج3، ص94.

² - نظاما ممزوجا: ويشير إلى ذلك توماس شو الذي أكد أن نظام الحكم جمهوري من جهة وعسكري من جهة أخرى، فهو يؤكد بأنه جمهوري من خلال الانتخابات التي تدور في مجلس الديوان وتعيين الحاكم الجديد، والذي سيظل لمدة أطول حتى يتم تحيته أو قتله، وعندما يشير إلى أنه ذو نمط عسكري في أنه من إختيار المؤسسة العسكرية صاحبة القرار والسلطة الفعلية والحكم النهائي، وفي حالة خروج الحاكم عن طاعة الجيش وتقاليده الحكم فسيتم تصفيته، و للمزيد أنظر

tomass chaw, voyage Dans laRégence d'Alger ou description géographique, physique philologique, etc, traduit de l'anglais par, j, mac carthy chez marlin ,editeur paris 1830 ,p152

³ - وقاد محمد، ظاهرة التهرب الضريبي ضد السياسة الجبائية العثمانية في الجزائر أواخر العهد العثماني (1700م-1830م)، مجلة الإبراهيمي للآداب والعلوم الإنسانية، المجلد 2، العدد 1جانفي 2021م، ص 95 .

⁴ - عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ، الجزائر الخاصة ما قبل التاريخ إلى 1962م، ج2، دار المعرفة، الجزائر، 2009م، ص 132.

⁵ - جون باتيست وولف، الجزائر وأوروبا، (1500م_1830م)، ترجمة وتعليق الدكتور أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة، دار الرائد، طبعة خاصة، 2009م، ص 389.

⁶ - محمد الصالح العنتري، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم. على أوطانها أو تاريخ قسنطينة،مراجعة وتقديم وتعليق الدكتور يحي بوعزيز، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، طبعة خاصة، الجزائر، 2009م، ص103.

الفصل الاول : الأوضاع العامة لإيالة الجزائر أواخر الحكم العثماني (1730م-1830م)

كما شهدت الإيالة في أواخر القرن الثامن عشر 18م اضطرابات داخلية بسبب عوامل عديدة خاصة انتفاضة الجيش الانكشاري ضد نظام الحكم واحتكاره للسلطة والتنافس عنها، وانتشار الفساد والرشوة مما أدى إلى إتساع الهوة بين السلطة والرعية التي أرهقت بضرائب وغرامات منتظمة وغير منتظمة في إطار نظام ضريبي جائر ومجحف.¹

وتشير بعض التاريخية إلى تعرض بعض الدايات للقتل والتصفية من طرف المؤسسة العسكرية تحت طائلة من المبررات المجحفة، وبعد مؤامرات وخيانات داخلية حيث تشير الاحصائيات المقدمة إلى أنه من سنة (1790م/1204هـ) إلى غاية سنة (1830م/1246هـ) تولى الحكم ثمانية دايات تعرض منهم ستة للتصفية على أيدي الجنود العسكريين بطرق مختلفة كالخنق أو الإعدام أو تناول السم أو القتل بالرصاص وذلك في قصر الجنيينة،² وهذا دلالة على عدم الاستقرار في الحكم وتسلب الجيش³ والدايات الذين تعرضوا للقتل هم :

الداي مصطفى باشا⁴ سنة 1805م/1220هـ - الداوي أحمد⁵ سنة 1808م/1223هـ -

¹ - يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر (1+2) الجزائر القديمة والوسيطه والجزائر الحديثة، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م، ص 43.

² - قصر الجنيينة: ويطلق على مقر إقامة الحاكم عدة تسميات كدار السلطان ودار الملك ودار السعادة، ويلقب الحاكم بالداي لأن السكان يستشيرون الحاكم في عديد الأمور للمزيد أنظر إنتر عزيز سامح، الأتراك في شمال إفريقيا، ترجمة عبد السلام أدهم، ج2، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ص ص 116_117.

³ - حنيفي هلايلي، بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني، دار الهدى، ط1، الجزائر، 2007م، ص 101 .

⁴ - الداوي مصطفى باشا(1798م-1805م): تميز عهده بتضاعف نفوذ اليهود وكثرة الرشاوي والفساد السيئة الذي دمر الدولة، ولقب بحامي اليهود نظير ما قدمه لهم من امتيازات وصلاحيات واكب ثورة ابن الأحرش الدرقاوي، وكذا ابن الشريف الدرقاوي في الجهتين الشرقية والغربية للبلاد، وفشل في القضاء عليهم إلا بعد مرور 4سنوات، وفي عهده قام الأسطول بعديد الحملات البحرية فحصد الغنائم الكثيرة بفضل قوته، وقام بأعمال خارجية كمساعدة الأسطول العثماني في حربه ضد فرنسا سنة 1800م، وتم قتله سنة 1805م مع الخزناجي مصطفى أغا بسبب دعمهم لليهود واستبدادهم للرعية وللمزيد أنظر محمد بوشنافي، الداوي مصطفى باشا وعصره (1798م-1805م)، مجلة عصور جديدة، الرشد للطباعة والنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، ع 7-8، السنة (2012م-2013م)، ص ص 159-160.

⁵ - الداوي أحمد بن عثمان خوجة (1805م-1808م) : في عهده عرفت الأيالة عديد الثورات والتمردات التي استهدفت السلطة خاصة في الشرق الجزائري، كما عرفت الحملات البحرية تطورا وازديادا على السواحل والسفن الأوربية، وهو ما أجبرها على عقد اتفاقيات سلم وأمن مقابل دفع مبالغ مالية، كما حدث خلاف بين الإياليين تونس والجزائر، وللمزيد أنظر طارق بولودنين، موسوعة حكام الجزائر من الفتح الإسلامي إلى الإحتلال الفرنسي، دط، دس، ص 220.

الفصل الاول : الأوضاع العامة لإيالة الجزائر أواخر الحكم العثماني (1730م-1830م)

الداي محمد- الداي علي الغسال¹ سنة 1809م / 1224هـ - الداي الحاج علي² سنة 1809م - 1224هـ - الداي الداوي محمد سنة 1814م - 1229هـ - الداوي عمر أغا³ سنة 1817م - 1232هـ.⁴

وما يمكن ملاحظته في هذه الفترة المدروسة أواخر الحكم العثماني أي القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، أنها لم تكن كلها فترة ضعف وانحطاط ، وهو ما يؤكد الباحث ناصر الدين سعيدوني عندما أشار إلى أنه ما بين (1770م - 1800م) (1184هـ - 1215هـ) عرفت الجزائر في هذه الفترة رخاءا ونموا نسبيا ، ويقصد هنا بعض المناطق التي شهدت ازدهارا اقتصاديا ونمو ديمغرافي ظرفي عائد لأسباب مختلفة، وقد دام لفترة زمنية قصيرة، ومع ذلك ساهمت إلى حد قليل في تحسين الأوضاع رغم الظروف الصحية السيئة من أوبئة خطيرة، وأمراض فتاكة،⁵ كما عرفت الفترة مابين (1750م - 1800م) (1164هـ - 1215هـ) حالة استقرار في الحكم بتولي أربع دايات فقط زمام السلطة .

وتعرض العديد من حكام البايات خاصة في المقاطعتين الشرقية والغربية إلى الاغتيال من طرف الدايات أو بأوامر منهم لأسباب مختلفة منها ماتعلق بالأمن والجباية، لأن همهم الوحيد هو البقاء في السلطة طويلا، وجمع المال والثروة، فدب الفساد والانحلال الخلقي،

¹ - الداوي علي باشا الغسال: حكم سنة 1808م اشتهر بأنه كان يغسل الموتى ،ويقال أيضا بأنه كان يغسل الملابس القديمة والرتة ،وتميز بضعف الشخصية والسياسة الفاشلة وسيطرة الجند الاتراك على الحكم، مما جعل مدة حكمه قليلة، حتى تم شنقه للمزيد أنظر طارق بولودنين، المرجع السابق، ص 221.

² - الداوي الحاج علي باشا (1809م_1815م): اشتهر بالفساد واستبداد الرعية وقتله لهم، كما أقدم على قتل باي الغرب بوكابوس بعد رفضه للمشاركة في الحملة العسكرية ضد الإيالة تونس، واواستولى على العديد من السفن الأوربية بفضل حنكة وشجاعة القائد الرايس حميدو، وفي أواخر حكمه انقض عليه مجموعة من جند الحراسة حيث قاموا باغلاق باب الحمام عليه حتى الاختناق ثم دخلوا عليه فقتلوه، للمزيد أنظر طارق بولودنين، المرجع السابق، ص 222_223

³ - الداوي عمر باشا (1815م_1818م): عرفت الإيالة، في عهده عديد الاضطرابات والتمردات داخليا وخارجيا، مما أدى إلى عدم الإستقرار وكثرة التحرشات الأوربية الهادفة للحد من سيطرتها على البحر المتوسط خاصة التحالف الانكليزي الهولندي، وتعرض للإغتيال من طرف الجند للمزيد أنظر طارق بولودنين، المرجع السابق، ص 223.

⁴ - ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ 4(العهد العثماني)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص41.

⁵ - ناصر الدين سعيدوني، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثمانية (الجزائر، تونس، طرابلس الغرب) (من القرن 16م إلى القرن 19م والقرن 10هـ إلى القرن 14هـ) ، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الحولية 31، قسم التاريخ، جامعة الكويت، 2010م. ص49.

الفصل الاول : الأوضاع العامة لإيالة الجزائر أواخر الحكم العثماني (1730م-1830م)

والفسق، وعدم الإهتمام بأمور الرعية وهو ما يؤكد العنتري في قوله: "التباغض والصلف، وظهر فيهم البغض والضعف".¹

ويشير العنتري في هذا الصدد بأنهم في أواخر حكمهم، تميزوا واشتهروا بالمظالم الكثيرة ونبذهم لحقوق الرعية وتهميشهم لها، وكذا اضطهادهم خاصة بعد وفاة الداوي محمد بن عثمان باشا، واعتبر سنة 1794 م/1209 هـ بداية تسلط وتقهقر الأتراك في الجزائر.²

كما أن البايات لاحقتهم لعنة الإعدامات والقتل، ففي الشرق الجزائري نجد في الفترة ما بين (1793م-1208 هـ إلى غاية 1820 م-1235 هـ) تم اغتيال حوالي 14 بايا أولهم الباوي ابراهيم الذي أعدم سنة 1792م-1207 هـ في عهد الداوي حسن، وآخرهم الباوي ابراهيم سنة 1820م-1235 هـ.³

أما بايلك الغرب بوهران، وذلك بعد تحريرها سنة 1791م-1206 هـ، فنجد عدد البايات الذين قتلوا أربع بايات في الفترة ما بين (1797م-1817م) (1212 هـ-1232 هـ).

وأولهم الباوي محمد الكبير⁴ الذي تشير بعض الكتابات التاريخية أنه مات مسموما سنة 1797م-1212 هـ في عهد الداوي حسن باشا، وآخرهم الباوي قارة باغلي سنة 1817م-1232 هـ في عهد الداوي علي خوجة.⁵

¹ - محمد الصالح العنتري، فريدة منسية، المصدر السابق، ص58.

² - نفسه، ص51.

³ - بن عتو بلبروات، المدينة والريف بالجزائر أواخر العهد العثماني، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر (2007 م-2008م)، جامعة وهران، ص5.

⁴ - الباوي محمد بن عثمان الكردي أو الباوي محمد الكبير: يعتبر من الذين ساهموا في كتابة التاريخ العثماني بالإيالة أواخر القرن الثامن عشر ميلادي حكم بايلك الغرب من سنة (1779 إلى 1797)، وتميز عن بقية البايات بأعماله التي عبرت بوضوح عن طموحه لمشروع حضاري، ولد بمليانة وتشير أغلب الدراسات التاريخية أن مولده ما بين سنتي (1734 و1939)، تربي في البلاط العثماني واشتغل بالمصالح الإدارية ليرتقي إلى منصب قائد قبيلة فليئة سنة 1765م، ودامت قيادته إلى نهاية سنة 1769 ليتولى منصب خليفة الباوي بمساعدة الديوان ولكفأته وصلاحه وعلمه حكم بايلك الغرب الجزائري في الفترة ما بين (1779 إلى غاية 1797)، وأهم أعماله تحرير وهران من الإسبان المحتلين سنة 1792، وتوطيد الأمن الداخلي توفي سنة 1797، وللمزيد عن شخصية الباوي محمد الكبير انظر عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ج3، ص225 و أيضا، ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص40.

⁵ - المزاربي بن عودة، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن 19م، تحقيق ودراسة الدكتور يحي بوعزيز، ج1، دار البصائر، طبعة خاصة، الجزائر، 2009م ج1، ص ص34-347.

الفصل الاول : الأوضاع العامة لإيالة الجزائر أواخر الحكم العثماني (1730م-1830م)

أما الملاحظ على بايلك التيطري أنه لم يشهد مثل هذه الاغتيالات نظرا للمكانة المرموقة التي حظي بها بايات التيطري بالمدينة، خاصة وقربهم من من إقليم دار السلطان بالعاصمة مركز القرار والسلطة وتحكمهم في الأوضاع العامة وتقربهم من الرعية، ومع ذلك قامت السلطة بعزل الباي مصطفى الوزناني سنة 1799م - 1214هـ، وقامت بقتل الباي محمد فريزا الذي تم تعيينه بعده سنة 1799م - 1214هـ.

إن الأوضاع المتردية والسيئة الداخلية التي ميزت إيالة الجزائر أواخر الحكم العثماني، وكذا تعدد الأطماع الخارجية، ونقص ذلك فترة الدايات كأخر فترة حكم قد أكدها النظام السياسي الفاسد والإستبداد المطلق الذي أثر كثيرا على مستقبل البلاد واستقرار جهاز الحكم بمظاهر سلبية أهمها اهتمام الحكام بجمع المال والثروة وشراء المناصب، فأهملوا مصالح البلاد والعباد¹ فضلا عن ذلك الصراع المستمر بين الحكام وأفراد الإنكشارية، وهو ما يعرف بالتدخل في شؤون وأمور البلاد والعباد، وهو ما انجر عنه كثرة الاغتيالات في صفوف الحكام من الدايات والبايات،² وكذلك نجد تعدد وتنوع الثورات والتمردات الشعبية التي اختلفت في أسبابها وظروفها وحيثياتها قادها رجال الصوفية والطرقية من المرابطين وشيوخ الزوايا أو من أيدوا وباركوا هذه الثورات بدعمهم من بعيد، وكذا انتفاضات من أفراد قبائل دفعتهم ظروف إجتماعية وإقتصادية للدفاع عن أنفسهم والتي عمت ربوع الإيالة من جهات الشرق والغرب والوسط والجنوب استهدفت السلطة، وخلقت الفوضى والإضطرابات مؤثرة في ذلك على جميع الميادين خاصة السياسية والإقتصادية، وعبرت عن فقدان الثقة بين السكان والسلطة التي تحولت إلى نقمة، فكانت خطوة سلبية لصالح فرنسا الإستعمارية، وأوشكت على أن تنهي الحكم العثماني فضلا عن ذلك كانت عاملا حاسما في زواله وانهاره، وتمهيدا

¹ - محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، نق وتحت الدكتور محمد بن عبد الكريم، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م، ص 15، وللمزيد، أنظر بن عتو بلبروات، المرجع السابق، ص ص 1-2.

² - شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية من البدء إلى الفتح الإسلامي 647 م، تعريب محمد مزالي، البشير بن سلامة، مؤسسة تاوالت الثقافية، 2011م، ص 357.

الفصل الاول : الأوضاع العامة لإيالة الجزائر أواخر الحكم العثماني (1730م-1830م)

للاحتلال الفرنسي الغاشم سنة 1830م_1246هـ¹ وهذه الثورات حركت الأطماع الخارجية إتجاه الجزائر، وذلك في ظل التنافس الأوربي عليها من طرف فرنسا وبريطانيا خاصة أن الاولى انتهزت الفرصة لتنفيذ مشروعها وتجسيده على أرض الواقع.²

كما أن تراجع الموارد المالية والعائدات من الأسطول البحري ونقص الخزينة، وزيادة غلاء الأسعار ونقصها المتزامن مع ذلك، والكوارث الطبيعية والأوبئة الفتاكة و الأمراض المعدية أثرت على السلطة تأثيرا سلبيا، فلجأت كحل بديل للمشكلة المالية إلى جيوب السكان البسطاء المعدومين خاصة من أهل الأرياف وهو مايسمى بالضرائب التي أثقلت كاهلهم باختلافها وتنوعها من منطقة لأخرى، وبحسب عديد الشروط منها خاصة الجانب الطبيعي والجغرافي، وهو الشيء الذي سمح بزيادة الغضب الشعبي على الحكم³، وهو ما يؤكد المؤرخ التونسي ابن أبي الضياف عندما أشار إلى تفكك الجبهة الداخلية لإيالة الجزائر موضحا في هذا الصدد بأن السكان قد سئموا وملوا من ظلم وقهر السلطة لهم، ولم يجدوا حلا إلا القيام بثورات وانتفاضات دفاعا عن الأرض والعيش بحرية، حتى أن منهم يضيف المؤرخ من كان ينتظر نهايتهم والتعجيل بالقضاء عليهم بمساندة القوى الخارجية.⁴

وعند الحديث عن الأوضاع السياسية أواخر الحكم العثماني، فإنه يجدر بنا الحديث عن آخر الدايات وهو الداوي حسين (1818م-1830م) الذي خلف الداوي علي خوجة (1817م-1818م)، فقد شهدت البلاد في عهده استقرارا سياسيا في فترة حكم دامت 12 سنة، حيث قام فيها بتنظيم أمور الدولة وتحقيق الأمن والإستقرار، والقضاء على الثورات والتمردات والفتن الداخلية خاصة الثورة التيجانية في الجنوب الجزائري بعين ماضي منطقة

¹ - حنيفة هلايلي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، دار الهدى، الجزائر، 2008م، ص22، أوللمزيد أنظر جميلة معاشي، الإنكشارية والمجتمع ببايك قسنطينة في نهاية العهد العثماني، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة منتوري قسنطينة، السنة (2007 م - 2008م)، ص232.

² - محمد بن ميمون، التحفة المرضية في الدولة البكداشية، المصدر السابق، ص 17.

³ - شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، المرجع السابق، ص ص 48-49، وللمزيد أنظر عمار بوحوش، المرجع السابق، ص ص 79-80.

⁴ - أحمد بن أبي الضياف، إتحاف أهل الزمان في أخبار ملوك تونس وعهد الأمان، ج2، تونس، 1963م، ص 217.

الفصل الاول : الأوضاع العامة لإيالة الجزائر أواخر الحكم العثماني (1730م-1830م)

الأغواط،¹ ومع ذلك شهد الداي محاولتي اغتيال وتصفية استهدفته من طرف أفراد الجيش الإنكشاري، فالأولى أثناء إشرافه على مراقبة عملية التحصينات لحصن القبة، ولحسن الحظ تواجد أفراد من فرقة زاوية لحراسته، وهذه دلالة على ثقته في أفراد وفرسان القبائل التي يقودها الأغا يحي،² والمحاولة الثانية³ كانت أثناء التحضير لمواجهة الحملة الفرنسية قبل قدوم الفرنسيين، فاتفق خوجات الترك على قتله، وقد تولى القيادة مصطفى خوجة،⁵ وهدفهم يتمثل في التفاوض مع فرنسا، ومنع فتيل الحرب.

أما بايلك التيطري، فقد شهد استقرارا نسبيا قبل الإحتلال الفرنسي بقيادة الباي مصطفى بومرزاق الذي تولى حكمه سنة 1819م-1234هـ.

¹ - عائشة غطاس وأخريات، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، ط خاصة ، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر، 2007م، ص 60.

² - الأغا يحي : هو يحي بن مصطفى تعود أصوله إلى منطقة قارادانيز بالروملي، قدم إلى الجزائر كجندي بسيط أي يولداش ليترقى عبر الرتب العسكرية، صاهر الداي حسين وتزوج ابنته الكبرى، قاد العديد من الحملات العسكرية للقضاء على التمردات والثورات الداخلية خاصة قبائل فليسة وأخرى، يعود له الفضل في استتباب الأمن و السلم تم إعدامه سنة 1828م أي قبل قدوم المحتل الفرنسي بعد وصول تقارير زائفة محتواها القيام بانقلاب عسكري يستهدف الداي حسين، وللمزيد أنظر دريدي ريمة، شخصية يحي أغا قائد الجيش الجزائري (1818م-1830م)، مجلة الدراسات التاريخية والعسكرية، جانفي 2020م، ص 83.

³ - سيمون بفايفر، مذكرات جزائرية عشية الإحتلال، تر وتق وتتح أبو العيد دودو، دار هومة، الجزائر، 2009م، ص ص 73_74.

⁴ - ويشير سيمون بفايفر عن المحاولة الثانية لقتله أنها كانت بمناسبة الإحتفال بعيد الأضحى، حيث يدخل كل جندي صبيحة العيد لتهنئة الداي، وتقبيل يده حاملا معه خنجر ومسدس صغير، إلا أن أحد الجنود سرعان ما أبلغ القيادة بهذا المخطط، وهو أفضل العملية، وعلى إثر ذلك قام الداي بإلقاء القبض على رؤوس الفتنة والخديعة والمؤامرة . إن هذه العملية أسفرت عن نتائج تمثلت في :

- زيادة السخط والغضب على بعض أفراد المؤسسة العسكرية، وانعدام الثقة فيها ،لهذا وجب التغيير، وللمزيد أنظر سيمون بفايفر، المصدر السابق، ص 77، أو أنظر محمد بن يوسف الزباني، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تق وتتح المهدي البوعبدلي، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1979م، ص 208.

_ تقريب الداي للعلماء والشرفاء والمرابطين ومنحهم صلاحيات ومكاسب وهدايا، وتعزيز أفراد الحراسة والحماية له من طرف أفراد القبائل الموالية .

وفي هذه المحاولة الثانية لإغتيال الداي يشير أحمد الشريف الزهار إلى أن مكان الإتفاق لقتله هو ضريح سيدي بنور بجبل بوزريعة وللمزيد أنظر أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق ، ص 169.

⁵ - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 169.

الفصل الاول : الأوضاع العامة لإيالة الجزائر أواخر الحكم العثماني (1730م-1830م)

واستطاع أن يكسب ثقة السكان وودهم. وكذا عرف بتسييره المحكم وإدارته للمقاطعة¹. أما بايلك الشرق، فقد شهد عديد الثورات والتمردات التي اندلعت ضد السلطة خاصة ثورة ابن الأحرش الدرقاوي التي سنتحدث عنها في الفصول المقبلة، ومع قدوم الحاج أحمد باي آخر بايات الشرق الجزائري (1826م-1837م)² الذي تميز حكمه بالعدل والإنصاف ومحبته للرعية كما يؤكد محمد الصالح العنترى بأنه قضى على الظلم والقهر الذي عان منه سكان المقاطعة، فاعتمد الحاج أحمد باي على سياسة تقوم باللين والرفق³، ولكن هذا لا يؤكد أنه في عهده استمرت التمردات والانقاضات ضده نتيجة كثرة الضرائب واعتماده على سياسات تسلطية استبدادية في ضرب القبائل ببعضها البعض ومحاباة قبيلة على أخرى، مما خلق له أعداء ساندوا المحتل الفرنسي في احتلال قسنطينة .

أما بايلك الغرب، فقد تولى حكمه الباي حسن بن موسى سنة (1816م-1831م) كأخر البايات، وعرفت فيه المقاطعة نوعا من الإستقرار والهدوء خاصة بعد طرد الإسبان المحتلين من المنطقة، كما قضى على التمردات والإضطرابات التي شهدتها⁴.

وقد شهدت العلاقات الفرنسية الجزائرية أواخر الحكم العثماني منعرجا خطيرا بسبب الأطماع الفرنسية الإستعمارية في احتلال البلاد خاصة في الفترة الأخيرة من (1820م-1826م) في شنها للعديد من الحملات العسكرية البحرية الفاشلة، وحقدتها الدفين في المؤتمرات الدولية على الجزائر خاصة مؤتمر فيينا بالنمسا سنة 1815م-1230هـ، ومؤتمر إكس لاشابيل⁵ في يوم 30 سبتمبر 1818م⁶، لذا قامت باختلاق العديد من الأزمات والمؤتمرات المدبرة للنيل منها، لتجسيد مشروعها الإستعماري الإستيطاني، ووفق ذلك تقوم

1 - صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي (1514م-1830م)، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 2012م، ص 292
2 - حيث في عهده انتشرت التمردات كالثورتين الدرقاوية والتيجانية و المجاعات والأوبئة، ينظر صالح عباد، نفسه، ص 227-228.

3 - محمد الصالح العنترى، فريدة منسية، المصدر السابق، ص 90.

4 - صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي، المرجع السابق، ص 229.

5 - إكس لاشابيل : مدينة تقع في جنوب ألمانيا احتضنت مؤتمرا أوربيا لحل مشكلة القرصنة والقضاء على ممارسة الرق من الجانب الجزائري، وللمزيد أنظر حنيفي هلايلي، العلاقات الجزائرية ونهاية إيالة (1518-1830)، ط1، دارالهدى، عين مليلة، الجزائر، 2007م، ص 4.

6 - حنيفي هلايلي، نفسه، ص 4.

الفصل الاول : الأوضاع العامة لإيالة الجزائر أواخر الحكم العثماني (1730م-1830م)

بحملة عسكرية عليها ومحاصرتها، فكان افتعالها لحادثة المروحة الشهيرة في يوم 29 أبريل 1827م -1243هـ بين الداي حسين والقنصل الفرنسي بيير دوفال،¹ وفحواها أن الداي حسين،³ وبمناسبة عيد الفطر في الأول من أيام شهر شوال⁴ كان يتلقى التبريكات والتنهاني والهدايا من الممثلين الدبلوماسيين من ربوع العالم وزراء وسفراء وقناصلة وغيرها خاصة أوروبا وأمريكا، فانتهاز فرصة حضور القنصل الفرنسي لتذكيره بخصوص مسألة الديون المتراكمة، وعدم الرد على رسائله، فهذه القضية أبعادها إقتصادية و تجارية، حيث قام دوفال بعرقلة عمل الوكالة التجارية الإفريقية في تسيير الإمتيازات في الجزائر، وأكثر من ذلك وضع عقبات أمامها مما أدى إلى تصعيد خطير، كما عمل على تسليح المنشآت الفرنسية في مدينتي القالة وعنابة، وهذا العمل يعتبر تطورا خطيرا لأنه خرق لمعاهدة سنة 1818م-1233هـ،⁵ وكان قد أرسل الداي رسالة إلى فرنسا عن طريق وزير خارجيتها دودا ماس في 26 اوت 1826م -1242هـ) غرضها تصفية قضية الديون المترتبة والمتأخرة، وأرسل رسالتين في 29 أكتوبر 1826م -1242هـ)، ونتيجة لعدم التفاهم في بعض القضايا، وعدم الرد على رسائله،⁶ وكذا الإجابة الوقحة وغير المدروسة والمنتظرة من دوفال وجه له

1 - القنصل بيير دوفال :ولد في مدينة بييرا pera، يتمتع بخبرة سياسية كبيرة، اشتغل أبوه مترجم فرنسي في السفارة الفرنسية باسطنبول، ويتكلم دوفال اللغتين العربية والتركية لأنه زار الكثير من البلدان الإسلامية، وقد استغل مكانته ومرتبته لزراعة العلاقات الفرنسية الجزائرية، وكانت له علاقات مع اليهود خاصة بكري في إيالة الجزائر، وللمزيد أنظر شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص ص 48-49، أو أنظر كمال بن صحراوي، الدور الدبلوماسية لليهود الجزائر في أواخر عهد الدايات، ط1 بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م، ص 117.

2 - أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، لجزائر، ص 24.

3 - الداي حسين : هناك من يقول ولد سنة 1779م في مدينة دينزلي من عائلة شريفة قدم إلى الجزائر رفقة أخيه لينظم إلى الجيش النظامي الإنكشاري، وبترقى إلى خوجة خيل، وقبل وفاة الداي علي خوجة أوصى بإسناد منصب الداي له، وقد تمتع بصفات أهمها كان قوي الشخصية وعادلا وشجاعا وذكيا وطيبا ونزيها، وللمزيد أنظر حمدان بن عثمان خوجة، المرأة، تعريب وتحقيق الدكتور محمد العربي الزبيري، وزارة الثقافة، الجزائر، 2009م، ص 146.

وهناك من يقول بأنه ولد سنة 1767م في مكان يدعى ندلة، وهناك من يقول أنه ولد في سنة 1773م في أزميز، ونشأ في أسطنبول، وخدم في المدفعية، وأرسل إلى القسطنطينية لمزاولة دراسته بمدرسة خاصة كجندي بسيط، كما امتهن تجارة التبغ، وللمزيد أنظر أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية (1818م-1830م)، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1992م، ص 19.

4 - عمار حمداني، حقيقة غزو الجزائر، ط2، ترجمة لحسن زغدار، منشورات تالة، الجزائر، 2008، ص 142.

5 - جمال قنان، معاهدات الجزائر مع فرنسا (1619م-1830م)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1995م، ص 348.

6- شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 53.

الفصل الاول : الأوضاع العامة لإيالة الجزائر أواخر الحكم العثماني (1730م-1830م)

الداي ضربة أو ضربتين بالمروحة إعتبرتها فرنسا إهانة لشرفها حكومة وشعبا، فوجب ردع ذلك خاصة أن الحادثة كانت أمام جموع السفراء والقناصلة من دول العالم ويذكر في هذا الصدد سيمون بفايفر أن الداي سأل القنصل عما إذا قد وصلت من حكومته تعليمات أو أجوبة عن رسائله التي أرسلها لهم تخص عديد القضايا، وللد السيئ من طرفه قام الداي بضربه على رأسه بالمروحة التي كانت في يده يروح بها على نفسه،¹ ولتبرير احتلالها وحملتها العسكرية أمام بعض الدول الأوروبية وإقناع الرأي العام خاصة بريطانيا في أنها جاءت لتضع حدا لما تسميه بالقرصنة الجزائرية التي تستهدف السفن البحرية في الحوض المتوسط، كما أنها تمارس الإسترقاق والعبودية، وتضع حدا للقوة الجزائرية في غرب البحر الأبيض المتوسط²، ومدعية في نفس الوقت بأنها ستنتقد الدول الأوروبية من هذا الخطر المحدق، وكانت أولى الخطوات الممهدة للإحتلال هي فرض حصار بحري لمدة ثلاثة سنوات على مدينة الجزائر أي من سنة (1827م-1243هـ) إلى غاية سنة (1830م-1246هـ)،³ فهذه الأسباب وأخرى مختلفة كانت تمهيدا لأن يتمكن الجيش الفرنسي الإستعماري من محاصرة الجزائر، ومن ثم احتلال سيدي فرج يوم 14 جوان 1830 ثم العاصمة في 5 جويلية، ونفي الداي حسين مع عائلته إلى مدينة نابولي بإيطاليا، أما في الشرق الجزائري، فقد قام أحمد باي بعد سقوط قسنطينة عاصمة بايلك الشرق سنة 1837م-1253هـ بعد معركة طاحنتين، بمواصلة المقاومة في الجنوب الجزائري عند أخواله ببسكرة حتى استسلامه سنة 1848م⁴.

أما في بايلك التيطري، فقد فضل باي التيطري حاج علي مصطفى بومرزاق (1809م-1830م) الولاء لفرنسا بعد سقوط نظام الحكم العثماني، ليتمرّد عليها في حكم الجنرال كلوزيل، ونصب نفسه باشا على الجزائر طالبا من الحاج أحمد باي الخضوع له للدفاع عن البلاد، وفي بايلك الغرب عمد الباي حسن إلى دعم وولاء الفرنسيين لكبر سنه وضعفه،

1 - سيمون بفايفر، المصدر السابق، ص ص 33_34.

2 - شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 55.

3 - ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ، المرجع السابق، ص 46.

4 - أحمد بن المبارك بن العطار، تاريخ بلد قسنطينة، تح وتوق عبد الله حمادي، دار الفائز للطباعة، قسنطينة، الجزائر، 2011م، ص 83، وللمزيد أنظر بوعزة بوضرساية، أحمد باي رجل دولة ومقاوم (1830م-1848م)، رسالة ماجستير، جامعة بوزريعة، 1992م، ص 344.

الفصل الاول : الأوضاع العامة لإيالة الجزائر أواخر الحكم العثماني (1730م-1830م)

ليختار المنفى في الإسكندرية بمصر سنة (1831 م - 1247 هـ)، وبذلك طويت صفحة نظام الحكم العثماني في الجزائر وبداية الاحتلال الفرنسي للجزائر، وهو ما سنتطرق إليه في الفصول القادمة .

الأوضاع الإدارية : عرف عن التنظيم الإداري وتقسيمه¹ في الجزائر أنه شهد تطورا وما مرده في ذلك إلى الاعتماد على الأنظمة العثمانية من جهة، وتأثره بالظروف الاجتماعية والاقتصادية التي عرفتها البلاد والتقاليد المحلية التي تميزت بها الإيالة العثمانية لها فوجد من المقاطعات الإدارية أي البياليك مايلي :

بايلك دار السلطان: هو عبارة عن مقاطعة إدارية يتواجد بالجزائر العاصمة وضواحيها، يضم مقر الداي والإدارة المركزية.²

بايلك التيطري: ظهر بعد بايلك دار السلطان يقع جنوب العاصمة قاعدته المدية³ تأسس سنة 1540م/947هـ، وهو أصغر البياليكات مساحة.

بايلك الغرب : يعود تأسيسه إلى سنة 1553م-960هـ، وذلك خلال فترة حكم حسن بن خير الدين (1540م-1552م) (947هـ-959هـ) انتقلت عاصمته من مازونة ثم معسكر وأخيرا وهران، وذلك لظروف وعوامل منها ما تعلق بالاحتلال الإسباني لوهران حتى تحريرها، وطرد المحتل سنة 1792م-1206هـ لتكون وهران عاصمة له حتى قدوم الإحتلال الفرنسي للجزائر.

بايلك الشرق : تأسس سنة 1567م-975هـ عاصمته قسنطينة، وهو أكبرهم مساحة وكثافة سكانية ويعتبر موردا اقتصاديا هاما لخزينة الإيالة.⁴ وكل بايلك يتكون من مدن

¹ - عرفت الإيالة تقسيما إداريا مرتكزا على مقاطعات وهذا منذ ولاية حسن باشا الذي حكم الجزائر 3مرات الأولى ما بين (1544-1552) والثانية ما بين (1557-1561) والثالثة ما بين (1562-1567).

² - عمار بوحوش، المرجع السابق، ص 63.

³ - بايلك التيطري: تداول على حكمه من طرف البايات حوالي 18بايا، وللمزيد أنظر مولاي بلحميسي، مدينة المدية عبر العصور، الجزائر، منشورات وزارة الثقافة، 2005م، ص 328.

⁴ - Dr chaw Thomas, voyage dans le Règence d'Alger, traduit de l'Anglais par j,Mac carty 2^{ème} ed, Bouslama, Tunis,1980.p184.

الفصل الاول : الأوضاع العامة لإيالة الجزائر أواخر الحكم العثماني (1730م-1830م)

وفحوص وأوطان¹ في السهول وقيادات في الجبال كما به أعراش وقبائل إضافة إلى هذه البياليك نجد إقليم سيباو في بلاد القبائل الكبرى وهو عبارة عن برج يحكمه قائد، وليس له خليفة مثل الباي وموقعه بالقرب من زواويت.²

ويقوم الداى³ الذي هو أعلى المراتب الإدارية، وبعده الموظفون السامون من الكتاب الرسميين والقادة العسكريين الأغوات، ومن مهامه تعيين البايات على البياليك الأربعة بصلاحيات وامتيازات واسعة⁴، وله مهام عديدة، كما أن شخصية الداى تجمع بين وظيفتين هما الباشا كمنصب شرفي، فيه تشريف وتعظيم له، والداى هو المسؤول عن جهاز الحكم،⁵ وله مجلسان هما : مجلس الديوان الكبير ومجلس الديوان الصغير، فالديوان الكبير يضم الضباط الكبار والموظفين السامين وممثلي الأعيان والرياس، وعدد من العلماء الأفاضل، وفيه 24 ضابطا معيناً من الأوجاق، أما الديوان الصغير من حوالي 700 ضابطا معيناً وخادم إنكشاري، ويجتمعون أربع مرات في الأسبوع بقصر الباشوات،⁶ كما يحضر الاجتماع أعضاء من كبار العلماء.⁷

¹ - أوطان : ويقصد به مجموعة من القبائل تكون بمفردها أو مع غيرها مشكلة تجمعا إداريا، كما أنها متواجدة بمحيط الإقليم أو الدائرة أو المقاطعة، وللمزيد أنظر أبو القاسم محمد بن علي بن حوقل النصيبي، صورة الأرض، منشورات دار صادر، بيروت، 1938م، ص ص 77-78 ، وتتميز طبيعيا بتواجدها في المناطق الساحلية والجبلية، وبها كثافة سكانية معتبرة لتواجد عديد القبائل المتنوعة والمتعددة، وأيضا أنظر ودان بوغفالة، الوقف في الجزائر خلال العهد العثماني، دار كوكب العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، ص ص 145-149 .

² - عمار بوحوش، المرجع السابق، ص 150.

³ -الداى: كان منصب الداى يتولاها في أغلب الأحيان شخصيات بارزة في الإيالة مثل الخزناسي أو الأغا أو خوجة الخيل، وكان بإمكان الجندي البسيط أن يرتقي إلى منصب الداى، وللمزيد أنظر .

De paradis venture, Tunis et Alger au 18éme siècle, mémoire et observation rassemblé et présent par couq, sindebad , Paris,1783, p204.

⁴ - فالقاضي والمفتي يتم تعيينهما من طرف الداى، فهما تحت رقابته وسلطته، ويخضعان له من جانب الطاعة ومنحه الموافقة، وهو ما يفسر أن العدالة كانت على نهج وخطى المؤسسة العسكرية في خدمة أغراضها ومصالحها، كضرورة حتمية أن الداى مصدره منها، كما يبين من جهة أخرى أن تطور النظام القضائي بات بعيدا عن مقر الخلافة الإسلامية، وللمزيد أنظر، مصطفى عبيد، القضاء في الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة عصور جديدة، ع11_12، ص 212

⁵ - نور الدين عبد القادر، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر، المرجع السابق، ص 76.

⁶ - وليام سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب عبد القادر زيادية، دار القصة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2006م، ص 77.

⁷ - وليام سبنسر، نفسه، ص 78.

الفصل الاول : الأوضاع العامة لإيالة الجزائر أواخر الحكم العثماني (1730م-1830م)

وهناك مجالس أخرى كمجلس الكراسي، وتكمن مهمته في النظر لبعض الشؤون الداخلية ويضاف له رؤساء كمفتي الحنفية، ومفتي المالكية، وهناك مجلس آخر يسمى مجلس طائفة الرياس تتمثل مهمته في النظر في أمور النشاطات البحرية، وله نفوذ كبير في السلطة، أما قائد سفينة البحر، فيطلق عليه الرياس.¹

إن الحديث عن النظام الإداري وأهميته يجر بنا إلى التطرق للديوان الذي هو هيئة سياسية وتشريعية عليا تضم عددا من الموظفين السامين، كالضباط وكتاب الدولة والمفتيين والقاضيين المالكي والحنفي ويرأسه الداوي باعتباره السلطة العليا في البلاد، والأمين العام هو الباش كاتب الذي يتولى ويسجل جمع القرارات المتخذة من الديوان تحت إشراف الداوي،² وللديوان صلاحيات وامتيازات مطلقة خاصة في أواخر الحكم العثماني، وقد اعتمدت السلطة في تسيير شؤون وأمر البلاد على مجلس خاص متكون من خمس أعضاء رئيسيين هم :

- **وكيل الخرج** : من مهامه إدارة شؤون البحرية، وتحديد الرسوم المفروضة على السلع والبضائع بالموانيء، وقد وصفه المؤرخ دي برادي de pardis بالشخصية القوية والخبير بأمور البحرية.³

ويقوم بدور وزير العلاقات الخارجية، حيث يدير الشؤون البحرية وما يترتب عنها من أمور التجارة في الصادرات والواردات.⁴

- **الخبزاجي** : وهو بمثابة وزير المالية مهمته الإشراف على حراسة الخزينة، ووضع مصادر الدخل فيها أي مداخيلها، والإهتمام بالشؤون المالية و دفع رواتب وأجور الموظفين، ويتمتع بصلاحيات واسعة.

- **أغا العرب** : يتمتع بدرجة سامية ومرتبة عالية، فهو يقود الجيش البري الانكشاري كما يشرف على شؤون السكان المقيمين في المناطق التابعة لمدينة الجزائر العاصمة مقر دار السلطان.

¹ - نور الدين عبد القادر، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر، المرجع السابق، ص78.

² - عمار بوحوش، المرجع السابق، ص66.

³ - de pardis venture ,Tunis et Alger,op cit ,pp 161- 270.

⁴ - ipid , pp161-270.

الفصل الاول : الأوضاع العامة لإيالة الجزائر أواخر الحكم العثماني (1730م-1830م)

-**خوجة الخيل:** يعتبر منصب هام في الإدارة العثمانية، فهو المشرف على الأملاك الوطنية من أراضي زراعية وغيرها، كما يتولى مهمة جمع الضرائب والإشراف على المواشي، ويقوم خوجة الخيل بمصادرة الأملاك والأوقاف، كما له اختصاصات عديدة كإدارة الحارات والتصرف في الجمال لنقل الحبوس والعتاد الحربي .

-**البيت مالجي:** وهو الذي يشرف على مصادرة الأملاك وصيانة الأوقاف، ويدير أملاك الأموات عندما لا يكون هناك وريث لهم ويساعد هؤلاء الوزراء في مهامهم مجموعة من الخواجهات أو الكتاب،¹ ومنهم خاصة رئيس الكنية ويسمى المقطعجي الذي من مهامه الإشراف على سجل محاسبات السلطة، وسجل القوانين العسكرية الذي يحتوي بدوره على الأسماء والألقاب والدرجات المختلفة للأفراد.²

وعرف الديوان في أواخر حكمه ضعفا وسوء تسيير، وهو ما يؤكد وليام شالر في أن الديوان يمثل جهاز السلطة الفعلي حيث يعقد جلساته بانتظام ويتصرف في الأموال ويدعي الحق في مناقشة جميع الإجراءات الحكومية ويتخذ قرارات بشأنها إلا أنه في الفترة الأخيرة أصبح مجردا ومنزوعا من كل الصلاحيات.³

ويعين الداوي على رأس كل بايليك من البايالك الثلاثة بايا الذي يعتبر في أعلى هرم السلطة على مستوى المقاطعة، وعادة ما يكون البايات من الرجال المقربين للدايات، وقد كان بعض البايات يمتنون عدة أعمال، فمنهم من كان طباحا أو حارس حيوانات أو يمتنن وظيفة سامية في الإدارة.⁴

وللباي مهام عديدة يقوم بها منها تسيير شؤون الوضع العام على مستوى البايالك، وكذا جمع الضرائب والقضاء على التمردات والثورات المعادية للسلطة والمهددة للإستقرار والنظام

¹ -**خوجة الخيل:** يشرف على الأملاك الواقعة بدار السلطان وتموين موظفي السلطة بالمواد الغذائية، أنظر ناصر الدين سعيدوني، موظفوا الإيالة الجزائرية في القرن 19 م، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر 1987م، ص ص 30 - 31، أو عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ، المرجع السابق، ج2، ص 140.

² - ناصر الدين سعيدوني، موظفوا الإيالة الجزائرية، المرجع السابق، ص 258.

³ - ناصر الدين سعيدوني، وراقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار البصائر، الجزائر، 2009م، ص 177.

⁴ - ناصر الدين سعيدوني، نفسه، ص 177.

الفصل الاول : الأوضاع العامة لإيالة الجزائر أواخر الحكم العثماني (1730م-1830م)

ويصدر العقوبات ضد الأهالي، وله حق مصادرة الممتلكات والاعتناء بالمرافق العامة وتأمين الطرق للجيش في حالة حرب أو نزاع على الحدود، كما أن الباي من مهامه الأساسية أن يقدم تقارير مرة كل ثلاث سنوات إلى السلطة الرسمية عن أوضاع المناطق الخاضعة لنفوذه، ويقدم الإتاوة لخزينة الدولة (الدنوش الكبرى)، أما الدنوش الصغرى يقدمها خليفته ويتم عزل الباي أو تمديد حكمه أو حتى قتله فيم تعلق بتسيير حكمه لأمر السلطة أو التقاعس في دفع الضرائب في وقتها المخصص لها، وتقوم السلطة بدورها بتزويد الباي بالعدة والعتاد في الأمور العسكرية، وتقديم الدعم المادي له أثناء الأوبئة أو الكوارث الطبيعية أو الثورات والتمردات القوية¹.

وفي أواخر الحكم العثماني تداخلت عديد العوامل والاعتبارات في تعيين البايات، فمنها علاقة المصاهرة مع القبائل الداخلية لحفظ الأمن وكسب النفوذ، ويشير المؤرخ حمدان خوجة في هذا الصدد بأن منصب الباي صار يخضع لإمتميازات خاصة متعلق بالمصاهرة في نموذج أقارب أحمد باشا و تقديم الرشوة و الهدايا، فالمناصب على حد قوله تباع وتشتري².

ومنه نستنتج أن الدور الاجتماعي من خلال المصاهرة لعب دورا مهما في تولي منصب الباي، وانتشار الرشوة والمحاباة في تولي المناصب الهامة والعليا، وهذا يدل على الفساد السياسي الذي عم أواخر الحكم وكان النظام الإداري على مستوى البايك في المدن يخضع لنظام تسيير خاص، إذ يعين الباي حاكما عليها يعاونه في مهامه بعض الموظفين الأساسيين مثل الخزندار وقائد العيون وقائد الحامية، ولأهمية المدينة في التنظيم الإداري العثماني انفرد بعض الدايات بتعيين حكام المدن، فداسوا على صلاحيات البايات في ذلك، فكان اختيارهم بهدف تقليص صلاحيات البايات ومراقبتهم³.

أما في جهة الأرياف فكانت إدارته قائمة عن طريق الشيوخ الذين يتم اختيارهم من طرف المجلس ولهم صفات وأخلاق يتحلون بها في وسط قبيلتهم، ومن مهام الشيخ نجد مايلي :

1 - حنفي هلايلي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق، ص 147.

2 - حمدان بن عثمان خوجة، المرأة، المصدر السابق، ص 150-151.

3 - أرزقي شويتام، طبيعة الحكم العثماني في الجزائر (1519م-1830م)، مجلة التاريخ المتوسطي، مج 4، ع1، شهر جوان 2022م، ص 112.

الفصل الاول : الأوضاع العامة لإيالة الجزائر أواخر الحكم العثماني (1730م-1830م)

- نشر السلم والأمن بين السكان والقبائل.
 - الإشراف على الأسواق ومراقبتها.
 - تنفيذ اوامر البايات والموظفين الرئيسيين.
 - السهر على أمن الطرقات وتوزيع الأراضي المخصصة للحرث.¹
 - مراقبة موسم الحرث والحصاد وتخصيص المراعي.
 - ينظر في قضايا توزيع مياه الري.
 - إلزام السكان في حالة وقوع المخالفات، وتقدير الضرائب.²
 - يقوم بجمع فرسان القبيلة.³
 - اختيار مكان استقرار الدوار.
- ويكون الشيخ المعين من العائلات الكبرى، وكذا الأكبر سنا وشرفا، وهو المسؤول عن الدوار ويقسم البايك إلى عدة أجزاء تعرف بالأوطان، ويحتوي الوطن على مجموعة من القبائل والأعراش والدواوير ويختلف عدد الأوطان من بايك إلى آخر،⁴ ويعود التصرف في شؤون سكان الريف إلى أغا الصبايحية وهو الذي ينفذ العقوبة، كما نشير إلى أن شيوخ القبائل يأترون إلى أغا العرب أو قائد الحامية.

¹ -صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي، المرجع السابق، ص 298.

² -ناصر الدين سعيدوني، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، المرجع السابق، ص 277 .

³ - القبيلة : هي عبارة عن جماعات بشرية مختلفة تربط بين أفرادها عديد الروابط والصلات، وتتواجد في الأرياف يتحكم فيها شيخ معين من مجلس القبيلة أو من الباي، وتنقسم القبيلة إلى عدة فرق حيث يرأس كل فرقة شيخ والفرقة تقسم إلى دواوير وعلى كل دوار يتم تعيين شيخ يتمتع بمواصفات القيادة، وله مهام عديدة للمزيد أنظر : سفيان صغييري، العلاقات الجزائرية العثمانية خلال عهد الدايات في الجزائر (1671م-1830م)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الحاج لخضر باتنة، (2011م-2012 م) ، ص 16.

⁴ - أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري وفعالياته أثناء الوجود العثماني (1519م_1830م)، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2009م، ص ص 53-54.

الأوضاع العسكرية:

تواجد بالإيالة جيشان وهما : البري النظامي والغير نظامي¹ :

- **الجيش البري النظامي:** يعتبر الجيش الانكشاري عماد الجيش البري، وحمي حدود الإيالة، ومهد أمنها² واستقرارها، وقد شكل القاعدة التي بني عليها نظام الحكم في الإيالة، ويعتبر الأغا هو القائد العسكري الأعلى رتبة للجيش.

كما أصبح للمؤسسة العسكرية نفوذ ووزن كبير في اتخاذ القرارات السياسية التي تهم البلاد كيف لا وهي التي ظلت دائما في صراع مع رياس البحر على الحكم من خلال الأنظمة السابقة، وخاصة فترة الأغوات التي سيطرت فيها هذه المؤسسة، ولعبت دورا هاما في صنع القرار أواخر الحكم العثماني وتعددت مهامها وتنوعت، فهي لم تقتصر على الجانب العسكري بل تعدته إلى مهام وأدوار اقتصادية متمثلة في جباية الضرائب من الأرياف عن طريق الحملات العسكرية.³

وتواجد الجيش البري الانكشاري بوحدات الثكنات العسكرية بمدينة الجزائر وضواحيها، أما المدن الأخرى كانت عبارة عن مقار لحاميات عسكرية أو نوبات، وتتكون الحاميات من عدد من الصفرات (كتائب) يتم توزيعها على المدن والقلاع المختلفة كحصن العقبة وثكنة الخراطين وغيرها، ويشكل الأتراك والكراغلة⁴ جيش المشاة، أما العرب والبربر فهم الخيالة،

¹ - اعتمدت عليه السلطة منذ المنتصف الثاني من القرن 17م في مهمة ممثلة في ارساء قواعد الحكم والهيكل الإدارية والأوطان والفحوص باعتماد كلي على قبائل المخزن والأسر النافذة، فكانت السلطة بحاجة ماسة وملحة لإنشاء وتكوين قبائل في خدمتها لما توفره لها من فرسان ومشاة، وهو ما سنتحدث عنه لاحقا ضمن مظاهر الولاء القبلي للسلطة، وللمزيد أنظر محمد الصالح العنتري، فريدة منسية، المصدر السابق، ص 25، أو جميلة معاشي، الأسر المحلية الحاكمة في بابلك الشرق من القرن (10هـ إلى 16م)، ومن القرن (13هـ إلى 19م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2014م، ص 73.

² - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، دار البصائر، الجزائر، 2007م، ص 138.

³ - وليام شالر، مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر (1816م-1824م)، تعريب وتعليق وتقديم اسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م، ص 42.

⁴ - ويقدر عدده بهذا العدد المشكل من الأتراك والكرغليين فهم يشكلون فرق المشاة أما العرب يشكلون فرق الخيالة، وتقوم خدمتهم بالتناوب، وأكد شالر أن المؤسسة العسكرية تنقصها صفات النظام والطاعة والفعالية على حد قوله، وقد يكون صائبا في الهزات التي تعرضت لها المؤسسة بفشلها في الحد من الحركات التمردية والفساد الذي ينخر جسمها، واهتمامها بأمور الحكم فقط، وللمزيد أنظر، وليام شالر، المصدر السابق، ص 61.

الفصل الاول : الأوضاع العامة لإيالة الجزائر أواخر الحكم العثماني (1730م-1830م)

وينتشرون على الحاميات المستقلة أو المعسكرات المتنقلة ولهم مهام عديدة تمثلت في حفظ الأمن وجمع الضرائب وحماية الحدود من الأخطار الخارجية، والقضاء على الثورات والتمردات.

ولقد قدر القنصل الأمريكي شالر عدد قوات الجيش البري في الجزائر بحوالي 15 ألفاً من الجنود والضباط أغلبهم من الأتراك كمشاة.¹

وقدر المؤرخ دو تاسي De tassy عددهم بـ 12 ألف جندي² في الربع الأول من القرن التاسع عشر.

وفي نهاية حياة الجنديّة، وانتهاء المهمة العسكرية يتحول الفرد الإنكشاري إلى الجانب الإداري حيث يتولى عديد المناصب السياسية الرفيعة بالترقية،³ وقد عرفت المؤسسة العسكرية تناقصاً كبيراً في عدد الأفراد بسبب مجموعة من الأسباب والعوامل لعل أبرزها نجد:

- سياسة بعض الدايات كالداي علي خوجة (1817م-1818م) (1232هـ-1233هـ) الذي قضى على عصيان الانكشارية سنة 1817م-1232هـ، وذلك بالاستعانة ببعض فرسان وقبائل المخزن، فقتل منهم 1500 إنكشاري،⁴ وطرد البقية إلى جميع أنحاء الإيالة حسب ما ذكره الشريف الزهار،⁵ وقد نقل الداوي علي خوجة مقر الحكومة من قصر الجنيّة⁶ إلى قصر القصبّة، وذلك لارتباط القصر الأول بحالات كثرة الإعدام للدايات كما أشرنا سابقاً.

¹ - وليام شالر، مذكرات وليام شالر قنصل أميركافي الجزائر، المصدر السابق، ص 61.

² - Laugier De tassy , Histoire de royaume d'Alger,Ameserdam,chez Henri du sauzet et ,M DCC,xxv.,1725 .p 204.

³ - جيور ميلودية، ظاهرة الإغتيال السياسي في نظام الحكم العثماني بالجزائر (1519م-1830م)، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث للدولة والمجتمع، جامعة وهران، 2015م، ص 38.

⁴ - عرف عليه محاربتة للفساد وللميليشيا العسكرية وتوفي بالطاعون، أنظر حمدان خوجة، المصدر السابق، ص ، 153، أو أنظر وليام شالر، المصدر السابق، ص 176 .

⁵ - عمار عمورة ، المرجع السابق، ج2، ص137.

⁶ - سبب نقل قصر الدايات من قصر الجنيّة إلى القصبّة سنة 1817م في عهد الداوي علي خوجة لأنها تتواجد في المدينة السفلى معرضة لهجمات الإنكشارية وبذلك أصبحت مدينة محصنة، وللمزيد أنظر عمار عمورة، المرجع السابق، ج2، ص94، ويقع القصر في أكبر نهج بمدينة الجزائر يمتد من باب عزون إلى باب الواد، ويسمى بالتركية باشا قابوسي أي باب باشا .

الفصل الاول : الأوضاع العامة لإيالة الجزائر أواخر الحكم العثماني (1730م-1830م)

- الدور القاتل الذي لعبته الأوبئة الفتاكة التي عصفت بالبلاد وأثارها السلبية، فأهلكت الكثير من أفراد الانكشارية.

- الثورات الداخلية التي عصفت بالبلاد خاصة تلك التي عمت مناطق كثيرة كابن الشريف الدرقاوي في الشرق الجزائري سنة 1804م- 1219هـ، ودرقاوة في الغرب الجزائري سنة 1805م- 1220هـ أواخر الحكم العثماني، وكانت علاقة الجنود الانكشاريين بالرعية¹ نهاية الحكم مبنية على التعالي والغرور فيقول حمدان خوجة: "تلك الميليشيا المسلحة التي لا مبدأ لها صارت ترتكب المخالفات ضد البدو والقبائل"²، وذلك أثناء القيام بحملات عسكرية إما تأديبية أو جمع الضرائب، فقد رافقتها أعمال وحشية كالقتل والنهب والسلب وغيرها، ويذكر الورتلاني بأنهم تمردوا وطغوا وجعلوا جميع الخطط الشرعية لهم ظلما،³ فهذه دلالة على توغل المؤسسة العسكرية داخل الحكم وفرض واقعها وأفكارها فضلا عن صنع القرار وعموما تميزت المؤسسة العسكرية بتنظيم خاص وقوانين محكمة ومضبوطة.

الجيش البحري النظامي :

يعتبر الجيش البحري النظامي حلقة أساسية ومهمة في القوة العسكرية لإيالة الجزائر، فكان قوة ضاربة بالدرجة الأولى⁴ بفضل تطوره وامتلاكه لبحارة أكفاء وأسطول قوي أعطى للجزائر أسطورة عالمية، وقد أجمعت الكتابات التاريخية خاصة الأجنبية على أن القوة البحرية كانت تتميز بالتنظيم والدقة ومهمتها الرئيسية هي الدفاع عن الإيالة من الأخطار الخارجية بالتصدي للحملات العسكرية الأوربية البحرية القادمة خاصة من فرنسا وإسبانيا وانكلترا، وقدر عدد البحارة في الاسطول نحو 3 آلاف بحار إلى 6 آلاف بحار،⁵ وعند منتصف القرن الثامن عشر عرفت القوة البحرية الجزائرية مرحلة ضعف وانكماش إلى غاية بداية

¹ - لقد تجلت علاقة وطيدة ومتماسكة بين الجند والطرق الصوفية في شيوخ الزوايا والمرابطين أي رجال الدين، فكان بعض الجند يكونون احتراماً لهم، فعند فرارهم يلجأون إليهم للإختباء، وهو مازاد من تعلقهم وتمسكهم بالعبادة والسلوك الديني السوي وللمزيد أنظر ، op sit, p257, ventur de paradis

² - حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 149.

³ - أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، المرجع السابق، ج1، ص 225.

⁴ - جبور ميلودية، ظاهرة الإغتيال السياسي، المرجع السابق، ص 24.

⁵ - بن عتو بلبروات، المدينة والريف بالجزائر، المرجع السابق، ص9.

الفصل الاول : الأوضاع العامة لإيالة الجزائر أواخر الحكم العثماني (1730م-1830م)

القرن التاسع عشر، لتشهد في الربع الأول من القرن التاسع عشر نوعا من الاستقرار والهدوء، لعوامل عديدة أبرزها وأهمها ما قام به الراجس حميدو الذي أضاف عدة تحسينات من خلال زيادة عدد السفن ورجال البحرية فأعاد تنظيم البحرية الجزائرية، مما مكنه من تحقيق انتصارات ضد القوى المسيحية في عديد المعارك، ولكن هذا التطور لم يلبث طويلا حتى أصابه التقهقر والانحطاط، حيث تضاءلت مداخيل البحرية مما ولد نقصا في الخزينة، وكذا تناقص عدد السفن البحرية التي أصبح عددها 12 سفينة، وفي هذا الصدد بالذات يحضرنى ما أشار إليه الأستاذ مولاي بلحميسي حول أسباب التقهقر والانحطاط في كتابه تاريخ البحرية الجزائرية في قوله: "الحملات الاسبانية على مدينة الجزائر لسنوات متعددة، والهجوم الانجليزي الهولندي على مدينة الجزائر سنة 1816م"¹، وعلى إثر هذا الضعف تقلصت الموارد الخارجية التي كان الأسطول يجني ثمارها، وقد انعكس ذلك سلبا على جميع المجالات الاقتصادية والاجتماعية خاصة العسكرية، وما هو معروف أن الأسطول الحربي قد خاض عدة حروب إلى جانب الدولة العثمانية في إطار الرابط الديني والجهادي وعامل الدفاع والتعاون بين الجزائر والدولة العثمانية خاصة الحرب الروسية سنة 1787م-1201هـ، ومعركة نافارين الشهيرة سنة 1827م-1241هـ التي وضعت حدا لأسطورة القوة البحرية وعهد القوة والسيطرة لمدة ثلاثة قرون.

الجيش الغير نظامي :

كتعريف له هو بمثابة الجيش الاحتياطي عبارة عن قوة عسكرية، اهتمت بتشكيله وترتيبه واعداده السلطة، وقد لجأت إليه كحل لمشكلة قلة عدد الجنود النظاميين، وكذا كثرة الثورات والتمردات الشعبية التي عرفتها الإيالة بسبب ظروف متعددة، وكخطة منها لضبط الأمور، وفرض سيطرتها، والعمل على استعادة الأمن والاستقرار،² وكذلك لتعزيز دور الحاميات العسكرية التركية، وأوكلت لها مهام عسكرية وإدارية خاصة تحصيل وجباية الضرائب

¹-Moulay Belhamissi, Histoire de la marine algérienne (1515-1830), entreprise national du livre,Alger, 1983.p64.

² - عبد المنعم ابراهيم الجمعي، دراسات في تاريخ المغرب العربي، الاسكندرية، سبتمبر 2011م، ص 26.

الفصل الاول : الأوضاع العامة لإيالة الجزائر أواخر الحكم العثماني (1730م-1830م)

والمداخل عبر كافة مناطق الإيالة خاصة المناطق الوعرة والصعبة كالجبلية والصحراوية، ومعاقبة المتمردين وارساء الأمن والاستقرار في ربوع البلاد.¹

وعرف عن الجيش الاحتياطي بأنه يملك مؤهلات وصفات جعلت السلطة تميزه بعدد الامتيازات والصلاحيات، وهو ما يؤكد المؤرخ ناصر الدين سعيدوني في حاجة السلطة الملحة إلى الاستعانة بالمتطوعين من جموع العشائر المحيطة بالمدن، والاعتماد على القبائل الحليفة مع أن السلطة تقدم لهم مزايا وحقوق كالأراضي والاعفاء من الضرائب وغيرها،² ومن القوى المشكلة للجيش الاحتياطي نجد :

- **قبائل المخزن** : أشار الأستاذ ناصر سعيدوني إلى أنها تشكل حلقة وصل بين السكان والسلطة، لما لها من دور كبير في تدعيم وترسيخ الحكم العثماني، فخدمت مصالح الحكام على حساب السكان لها مهام إدارية وعسكرية في استخلاص الضرائب، وقمع القبائل المتمردة، وقد تواجدت حول الأبراج والحصون الريفية وعند مخارج المدن والقناطر والممرات الصعبة وبجوار الأسواق الأسبوعية وتتواجد بالبايلكات، وسنتحدث عنها بصورة عامة ومفصلة في الصفحات المقبلة عند التطرق لأنواع القبائل وعلاقتها بالسلطة.³

- **فرق الزواوة** : وهي عبارة عن فرقة عسكرية خصصت لدعم ومساندة الجيش الانكشاري، وهم أفراد قادمون من القبائل الموالية للبايلك، ومن مهامهم نجد الدفاع عن السيادة من الأخطار الخارجية المحدقة بالإيالة أو ردع القبائل العاصية أو مساعدة فرق المحلة العسكرية في خروجها لجباية الضرائب من القبائل المختلفة.⁴

فرق الزمول: وهي قبائل محلية أنشأتها السلطة لخدمة مصالحها، وضمان بقائها، ويطلق على قائدها قائد الزمال، وقد استقرت بالقرب من المقاطعات وعرفت بالدواير، واستطاعت بفضل ما تقدمه من خدمات وأعمال متمثلة في ضمان الامن والهدوء وتحصيل الغرامات المالية إلى امتيازات وصلاحيات، كالاستفادة من الأراضي الزراعية الخصبة الواسعة

¹ - نصرالدين عبد الغفور و فارس كعوان، تأثير التصاريح في علاقة القبائل الممتعة بالسلطة في الجزائر خلال العهد العثماني الجبل أنموذجا (1700م-1830م)، مجلة عصور جديدة، مج 10، ع1، مارس 2020م_1441هـ، ص 282.

² - ناصر الدين سعيدوني، وراقات جزائرية، المرجع السابق، ص 208.

³ - ناصر الدين سعيدوني، وراقات جزائرية، المرجع السابق، ص 206.

⁴ - صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي، المرجع السابق، ص 318.

الفصل الاول : الأوضاع العامة لإيالة الجزائر أواخر الحكم العثماني (1730م-1830م)

والأموال وإعفائهم من الضرائب ما عدا الزكاة والعشور، إضافة إلى امتلاك المنازل والعقارات بعدد المناطق.¹

الصبايحية: ويطلق هذا الاسم على الجنود الخيالة، وهما قسمان:(صبايحية أتراك، وصبايحية محلي) هذه الأخيرة يأترون تحت حكم أغا العرب.²

الکراغلة: وهم المولودون من آباء أتراك وأمهات جزائريات تعرضوا في البداية للتهميش والإقصاء، من الوظائف السياسية والعسكرية من طرف السلطة خوفا من التمرد عليهم إلا أن هذه الفئة وبازدياد عددها ففي مدينة الجزائر وحدها فقط قدر عددهم ب 6000 كراغلي، وفي البلاد كلها قدر عددهم شالر سنة 1825م/ 1240هـ ب 20 ألفا، وقد استطاعوا بفضل عديد الثورات خاصة ثورتي (1638م-1639م/1048هـ-1049هـ)³ببايلك الشرق قسنطينة المشاركة في النشاطين السياسي والعسكري، فكانت احدى أهم الوسائل وأدوات النظام العثماني التي استخدمت في إخضاع القبائل المتمردة والضغط على قبائل الرعية.

كما أنشأت السلطة ما يسمى بالسمول وهي جمع سمالا، والمقصود بها عبارة عن جماعات صغيرة من قبائل الرعية حظيت من بعض الأراضي الخصبة بغرض الإقامة، وممارسة النشاط الفلاحي فيها، وذلك مقابل خدمات مقدمة من طرفها للسلطة كحماية جنود المحلة والمسافرين من قطاع الطرق واللصوص أي تأمين المواصلات، وكذا المحافظة على الاستقرار والأمن في المناطق المحيطة بها.⁴

الأوضاع الاقتصادية:

شهدت الحياة الاقتصادية تدهورا كبيرا في نهاية الحكم العثماني، فالسلطة لم تهتم بتطوير البنية الاقتصادية ولا تشجيع مجالات الإقتصاد المحلي، ولا حتى تنشيط التجارة بنوعيتها،

¹ - جميلة معاشي، المرجع السابق، ص 153.

² - شهيناز بوحوص، الدور السياسي والاجتماعي والثقافي للقيادات العربية في الجزائر خلال القرن 19م، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجبلاي اليابس سيدي بلعباس، السنة (2019م_2020م) ، ص58.

³ - وليام شالر، المصدر السابق، ص 56.

⁴ - عبد المنعم ابراهيم الجمعي، دراسات في تاريخ المغرب العربي، المرجع السابق، ص27.

الفصل الاول : الأوضاع العامة لإيالة الجزائر أواخر الحكم العثماني (1730م-1830م)

وذلك على الرغم من تزخر به البلاد من إمكانات وخيرات متنوعة وموارد أولية فلاحية ومعدينية عبر ربوع البلاد، وعند الحديث عن الأوضاع الإقتصادية فلا بد من التطرق إلى :
الزراعة: تشير أغلب الدراسات التاريخية إلى أن المجتمع الجزائري يغلب عليه النشاط الفلاحي، حيث قدرت نسبة السكان في الأرياف بـ95%، وقد عانت الزراعة أواخر الحكم من عديد المشاكل أهمها :

- قساوة الطبيعة والظروف المناخية المتقلبة
- ضعف وسائل الإنتاج فكانت الأدوات المستعملة تقليدية وبدائية جدا كالمنجل والمحراث والمدرة والمذارة والعربة والمجرفة،¹ وكثرة الأوبئة الفتاكة والطاعون والمجاعات وغزو الجراد²
- كثرة الديون التي أرهقت كاهل الفلاحين البسطاء.
- الإنتقال إلى تربية الماشية والرعي والتخلي عن الزراعة .
- الهجرة إلى المدن بحثا عن العمل أو إلى المناطق الحدودية بعيدا عن أعين السلطة ومراقبتها وأعوانها، فكانت هجرة داخلية وخارجية بسبب السياسة السلبية المسلطة عليهم.
- اعتماد الفلاحين على نظام الدورتين واستغلال فضلات الحيوانات كأسمدة لجعل التربة غنية وصالحة للزراعة.
- عدم توفر الخزانات والقنوات الاروائية .

لقد كان الهدف الحقيقي للزراعة هو تأمين وضمان حاجيات الأفراد أي موجهة للاستهلاك المحلي، فهي مورد أساسي لمعيشة السكان³ خاصة أواخر العهد، وقد اهتم سكان الجبال والسهول بزراعة الخضروالفواكه والحبوب من قمح وشعير وتربية الماشية، وتميزت مناطقهم

¹ - صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي، المرجع السابق، ص 335 .

² - وما ذكره ابن الفكون في قوله : ".....وقد ورد علينا جراد سد الأفاق بكثرة وكسا السهل والجبل...."، وهذه إشارة واضحة منه إلى حجم الخطر الذي أحدثه الجراد بعدده الكثير أي غزو لكل الأماكن، فهو لم يترك شئ أمامه إلا وهاجمه، فكانت له آثار وجوانب سلبية، وللمزيد أنظر أحمد بن المبارك بن العطار، تاريخ بلد قسنطينة، المصدر السابق، ص50.

³ - لقد ساعد تنوع التضاريس من جبال وسهول وهضاب وأودية، وكذا المناخ حسب كل إقليم، و منطقة جغرافية معينة . إضافة إلى خصوبة الأراضي والتربة خاصة التربة التلية المنتشرة، وكذا نمط العيش المختلف بين القبائل إلى وفرة أنواع مختلفة من المحاصيل الزراعية، فكان لكل منطقة إنتاج معين من المحاصيل الزراعية، وللمزيد أنظر أرزقي شويتام نهاية الحكم العثماني وعوامل انهياره (1800م-1830م)، دار الكتاب العربي، 2011م، الجزائر، 2011م، ص 56، أو، أنظر وليام شالر، المصدر السابق، ص 58.

الفصل الاول : الأوضاع العامة لإيالة الجزائر أواخر الحكم العثماني (1730م-1830م)

الجبلية بكثرة الغابات وتنوع الأخشاب فيها من أشجار الصنوبر والزان والفلين، وكذا الأشجار المثمرة، مما أدى إلى تقلص المساحات¹ المزروعة لإنعدام الأمن وسياسة الضرائب المجحفة. كما لعب الأندلسيون دورا كبيرا في تطوير الزراعة حيث أدخلوا زراعات متنوعة، ونظام سقي متطور كما شجع بعض البايات الفلاحين² على الزراعة بتحفيظهم ودعمهم ماديا خاصة باي الشرق الجزائري صالح باي في انشاء المطامير وإقامة المخازن لحفظ المواد الزراعية من التلف، ونصب المطاحن الهوائية والمائية³ وبالنسبة للأراضي الزراعية فقد امتلكت طائفة البرجوازيين ملكيات زراعية في السهول، وقاموا بتوظيف الكثير من الخماسين القادمين من المناطق الجبلية، أما الرعية فقد امتلكوا قطعا أرضية بالهضاب العليا متباعدة عن الملكيات الزراعية، وامتلك الإقطاعيون ملكيات كبرى، أما سكان الصحراء والسهوب فنمط حياتهم اعتمد على التنقل والترحال عبر رحلات في الصيف والشتاء بحثا عن الكأ والماء لماشيتهم فالنمط المعيشي تحكم في النمط الحياتي لهؤلاء الرحل، وقدرت عشية الاحتلال الفرنسي سنة 1830م/ 1246هـ حسب الإحصائيات الفرنسية أن 359,040 هكتار من المساحة المستغلة زراعيًا، وقدرت قطعان الماشية ب7 ملايين رأس،⁴ وهو ما يؤكد وليام في أن سهول و هضاب الإيالة الخصبة تمتاز بأجود أنواع الخضر و الفواكه والأشجار،⁵ كما يعيب عدم إهتمام السلطة بالفلاحة وتطوير الفلاح الجزائري .

الصناعة :

تميزت الصناعة في إيالة الجزائر بكونها بدائية تقليدية، وضعيفة رغم ما تحتويه البلاد من موارد معدنية، وهذا لا يجعل من ظهور عديد الصناعات المتنوعة في ربوع الوطن بإمكانات قليلة من طرف السكان الذين جابهوا عديد الصعوبات والعراقيل لبيع منتوجهم أو تصديره، وفي أواخر الحكم العثماني عرفت الصناعة ركودا كبيرا نتيجة المنافسة الأجنبية، وثقل الضرائب على الرعية التي أنهكتهم، كما اعتمد الحكام على العمالة الأجنبية، وتفضيل

¹ - محمد خير فارس، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الإحتلال الفرنسي، ط1، مكتبة دار الشرق، دمشق، 1969م، ص 106 .

² - صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي، المرجع السابق، ص 336.

³ - بن عتو بلبروات، المدينة والريف بالجزائر، المرجع السابق، ص 14.

⁴ - ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ، المرجع السابق، ص55.

⁵ - وليام شالر، مذكرات وليام شالر فنصل أمريكا في الجزائر، المصدر السابق، ص30.

الفصل الاول : الأوضاع العامة لإيالة الجزائر أواخر الحكم العثماني (1730م-1830م)

المنتجات الأجنبية مما أدى إلى انخفاض الإنتاج،¹ فالصناع الجزائريون قاموا على إثر ذلك برفع الأسعار لتسديد الضرائب المتراكمة عليهم في حين أقبل الحكام على المصنوعات الأوربية مما أثر سلبا على الإنتاج المحلي وتراجعته وخلق منافسة كبيرة وفي الأسواق التجارية،² وقد قسم العمل الحرفي جغرافيا حيث كان لكل طائفة صناعة خاصة لها تحتكرها، فبني ميزاب مثلا احتكروا المخابز مثلا وسكان القبائل البناء،³ ويقدمون إنتاجهم للبايك مقابل مبالغ زهيدة لأنه هو الذي يحدد سعر بعض المصنوعات، وقد فرضت عليهم ضرائب وأجبرتهم على تسديدها.

وقد ظهرت مجموعة من الصناعات في الريف والمدينة، ففي الريف كانت القبائل تصنع من المواد الأولية المنتجات الصوفية من خيام وزرابي وبرانيس وصناعة الخيوط النباتية، أما سكان المناطق الجبلية فهم يصنعون الأدوات الفلاحية والأسلحة⁴، وهو ما يؤكد حمدان خوجة في كتابه عن الصناعة بأنها متواجدة في عديد القرى كجبال فليسة وزواوة وبني عباس ووادي بجاية، وتوجد مصانع للأسلحة النارية تصنع فيها على نحو ما في الجزائر أساتين البنادق المرصعة بالغصّة، كما يصنع فيها البلاطين و السكان بدورهم يعرفون طريقة استخراج حامات الحديد ومناجم الرصاص وملح البارود.⁵

أما المدن فهي الأخرى عرفت عديد الصناعات ذات الجودة العالية، ويجتمع أصحاب الحرفة الواحدة في مكان واحد، ويشرف عليهم الأمين المكلف بهذه الصناعة، والذي بدوره يشرف عليه شيخ البلد، ومن أهم الصناعات في البلاد عموما نجد :

¹ -عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ، المرجع السابق، ج2، ص 268.

² - ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ، المرجع السابق، ص63.

³ - إضافة إلى البسكرة والجيجليين الذين اشتغلوا في نشاطات عديدة، أنظر ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، نفسه، ص62.

⁴ - صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي، المرجع السابق، ص 337.

⁵ - حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص67.

الفصل الاول : الأوضاع العامة لإيالة الجزائر أواخر الحكم العثماني (1730م-1830م)

الصناعة المعدنية : انتشرت في الأرياف والمدن ومنها صناعة المدافع والقذائف والبنادق والأقفال وبعض الأسلحة كالسكاكين والسيوف، وبعض الأدوات الفلاحية كالمحراث والفؤوس والمناجل، وقد اشتهرت كل من قبيلة فليسة وجبال الأطلس وجبال بجاية وزكار وقسنطينة.¹

صناعة السفن : اهتمت السلطة بها حيث أنشأت ورشات لصناعتها مع كثرة الغابات خاصة في القل وجيجل وبعض مناطق القبائل، كجاية تم استغلال أشجارها المتنوعة من الصنوبر الحلبي والعرعار والزيتون الجبلي والعرعر الفينيقي.²

الصناعة الفخارية: هي بدورها انتشرت بدورها في المدن والأرياف بكثرة نظير الاستعمال اليومي في مجالات الطهي والشرب، فوجد الكثير من الأواني الفخارية المستعملة.³

الصناعة الخشبية: استعملت من المادة الأولية المتوفرة الخشب⁴ في المناطق التي تم ذكرها سابقا وشملت كل من الأواني الأثاث المنزلية والأدوات الفلاحية.

صناعة الجلود : انتشرت في أنحاء الأيالة لتوفرها على المادة الأولية الحيوانية الجلد وبرزت منطقة القل التي كانت من أكبر الأسواق لهذه المادة في الشرق الجزائري، وقد أشار وليام شالر لصناعة الجلود ودبغها التي امتاز بها سكان الإيالة،⁵ والتي شبهها بصناعة الجلود المدبوغة والمصبوغة في المغرب إلا أن صناعتها بالجزائر تميزت بالجودة والنوعية،⁶ وقد اهتمت نساء الريف بصناعة الجلود خاصة في منطقة القبائل وقسنطينة، حيث تفنن في

¹ -ناصر الدين سعيدوني، ورفقات جزائرية، دراسات وأبحاث، المرجع السابق ، ص188.

² - أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري وفعالياته، المرجع السابق ، ص 329.

³ - وكذلك في مواد البناء كالقرميد والأجر والزليج ، ويعود الفضل في انتشارها للأندلسيين، وللمزيد أنظر أرزقي شويتام، نفسه ، ص328 .

⁴ - وقد عمدت السلطة من أجل ضمان التمويل الدائم والمستمر بهذه المادة المهمة والحيوية على إحداث نظام الكراسته والمقصود بها لوحة الخشب باللغة العثمانية، وقد حدد مركزه بمنطقة مجانية بالشرق، ويديره موظف يعرف بقائد الكراسته مهمته تمويل الإيالة بالخشب لإستعماله في عديد الأغراض، وللمزيد أنظر عزيز سامح إتر، الأترك في شمال إفريقيا، المرجع السابق، ص 412.

⁵ - peyssonnel et Desfontaines, voyages dans Les Régence de Tunis et d'Alger, librairie de Gide, Paris, 1838, to1, to2. p206.

⁶ - وليام شالر، المصدر السابق، ص94.

الفصل الاول : الأوضاع العامة لإيالة الجزائر أواخر الحكم العثماني (1730م-1830م)

تطريزها بإتقان ومهارة بأنواعها السوداء والحمراء والصفراء والبنفسجية التي ازدهرت كثيرا، ويصنع منها لوازم الخيول كالسروج والأجمة، وكذا الأحذية ومحافظ الأوراق.¹

صناعة المستحضرات والعقاقير :

تواجدت في الأرياف كصناعة تقطير ماء الورد وتحضير الصابون، وانتشرت بكثرة في تلمسان وبلاد القبائل.

صناعة الصابون : ظهرت في بعض المدن كبوسعادة وتلمسان وجرجرة، وتم تحضيره من نفايات الزيتون ورماد شجرة الدفلة، والأشجار الدائمة في سفوح الجبال كالفلين والبلوط والسنديان الأخضر وغابات الأشجار النفضية كالردار والبطوم والحر الأبيض والعفصية وشجر الكاد.

صناعة الزيت : ظهرت بكثرة في المناطق الجبلية خاصة سطيف وصناعات الفحم والقطران خاصة في قبيلة ريغة مادتها الأولية من الأشجار، وصناعة الملح من الجبال والوديان، وكذلك صناعة الشاشية من الحرير وصناعة الخمر.

والملاحظ أنه في أواخر الحكم العثماني حقق المجتمع الجزائري الاكتفاء الذاتي في مجال المصوغات التقليدية، خاصة من أهم صناعات النشاط الحرفي التي أعطت للتنظيم الإقتصادي دورا مهما، كما تميز بال إتقان والتنظيم المحكم.²

النشاط الرعوي :

لقد اهتم ساكنة المناطق الجبلية الوعرة الصحراء الشاسعة والسهول الواسعة والهضاب العليا وهم سكان الريف بتربية الحيوانات، وأولو لها اهتماما خاصا ورعاية مستمرة، فامتلكوا قطعانا كثيرة من الماعز والغنم والجمال مما أدى إلى تكوين ثروة حيوانية، وكذا وفرة المواد الأولية كالصوف والشعر والجلد والوبر والحليب³، وقد تضررت الثروة الحيوانية خاصة أواخر

¹ - ناصر الدين سعيدوني، تاريخ الجزائر في العهد العثماني ويلييه ولايات المغرب العثمانية، دار البصائر للنشر والتوزيع ، الجزائر، 2013م، ص ص 191- 192 ، وأنظر أيضا بن عتو بلبروات، المدينة والريف بالجزائر، المرجع السابق، ص15.

² - بن عتو بلبروات، المدينة والريف، المرجع السابق، ص15.

³ - أرزقي شويتم، المجتمع الجزائري وفعالياته، المرجع السابق، ص 313.

الفصل الاول : الأوضاع العامة لإيالة الجزائر أواخر الحكم العثماني (1730م-1830م)

الحكم بسبب الحملات العسكرية للمحلة على القبائل الريفية في عديد من أنحاء الإيالة، حيث تم الإستيلاء على كثير من رؤوس الماشية، إضافة إلى هجرات السكان في فصلي الشتاء والصيف بقطعانهم بحثاً عن الكأ والماء مما تسبب في نقصان عددهم.

وما يلاحظ أن النشاط الرعوي انتشر بين سكان الأرياف الذين فضلوه على النشاط الزراعي لاعتبارات عديدة أهمها التهرب الضريبي من السلطة، وسهولة التنقل، وتوفر المساحة المخصصة لذلك عبر الجبال والهضاب.

كما أن موارد الخزينة قد تعددت فنجد الضرائب باختلافها شرعية منتظمة، وغير شرعية غير منتظمة وسنتحدث عنها بالتفصيل والتدقيق في الفصول المقبلة، والغنائم التي هي نوعان غنائم البحر، وغنائم البر أما البحر فقد تضاءلت وتقهقرت أواخر الحكم بتحطم الأسطول البحري كما هناك إتاوات الدول الأجنبية والهدايا القنصلية، فمثلا دفعت فرنسا سنة 1816م-1231هـ إلى خزينة الجزائر مبلغ 200000 فرنك فرنسي،¹ ورغم تعدد مصادر الخزينة فإن في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر تدهورت وتراجعت مداخيلها المختلفة أكثر نتيجة لضعف السلطة والفساد السياسي والإداري وانعدام الثقة بين الرعية والسلطة، وكذلك فرض نظام ضريبي سلبي جديد لتغطية العجز الواقع، وهو تحول إقتصادي من طرفها كبديل لعائدات غنائم الأسطول البحري، كما نذكر تسلط الدول الأوربية على الإيالة ورفضها لدفع الاتاوات وهو ما أدى إلى تردي الوضع الإقتصادي الذي بدوره أدى إلى ثورة إجتماعية قادها شعب ناظم عن الوضع السيئ وبرز فيها رجال الدين من الزوايا والمرابطين.²

وكما أشرنا سابقا إلى دعم بعض الحكام للنشاط الإقتصادي وازدهاره نجد أن الباي صالح كان مولعا بال عمران والاقتصاد، فاهتم بتنظيم مدينة قسنطينة من خلال أسواقها وضبط السلع والمحاصيل الزراعية وكذلك الباي أزرق العين (1754م-1756م) (1167هـ/1169هـ) الذي اهتم بجمع البيانات والاحصاء عن الأسعار سواء ماتعلق بانخفاضها أو

¹ - عمار عمورة ، الجزائر بوابة التاريخ، المرجع السابق، ج2، ص 170.

² - عثمان سعدي، الجزائر في التاريخ، شركة دار الأمة، الجزائر، 2012م، ص421.

الفصل الاول : الأوضاع العامة لإيالة الجزائر أواخر الحكم العثماني (1730م-1830م)

ارتفاعها وإنتاج المحاصيل في الأسواق التجارية وتنظيم الأنشطة الصناعية والتجارية والعقارية.¹

التجارة : وتميزت بنوعيتها الداخلية والخارجية

التجارة الداخلية:

برزت التجارة الداخلية بين الريف والمدينة من خلال المبادلات الفلاحية والصناعية أي سلع وبضائع² وكانت تتم في الأسواق الأسبوعية والسنوية وأكثرها في الريف، وهي مراقبة ومنتظمة من طرف السلطة والتي تخضع لرسوم ضريبية في ذلك.³

وفي هذه الأسواق⁴ يتم تبادل المنتوجات الصحراوية بمنتجات النمل والمناطق الجبلية والسهول والهضاب أين كانت تتم بين مناطق الشمال والجنوب والشرق والغرب، فكانت في صورة اختلاف المنتج وتنوعه أو تباين الإنتاج الزراعي والصناعي بين الريف والمدينة، وهو ما يساعد أكثر فأكثر تنوع وتوسع النشاط التجاري ومن أشهر الأسواق الأسبوعية نجد أسواق بوفاريك وأولاد مختار وأولاد الأكراد بالشلف والحراكتة وغيرها وفي بلاد القبائل الكثير من الأسواق حيث قدرت سنة 1830م/ 1246هـ ب 68 سوقا وبها أهم البضائع من الحبوب

¹ - محمد سحر ماهود، الموظفون العثمانيون في إيالة الجزائر (دراسة في أوضاعهم الاجتماعية و الاقتصادية)، مجلة

التراث العلمي العربي، كلية التربية للبنات جامعة بغداد، ع2، السنة 2015م، ص412.

² - إن تنوع المحصول الزراعي واختلاف نمط المعيشة من منطقة لأخرى أدى إلى تنشيط التبادل التجاري بين المناطق المختلفة وعبر أنحاء الأيالة خاصة بين مناطق الهضاب و الصحراء، أنظر ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص73

³ - صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي، المرجع السابق، ص 339.

⁴ - اشتهرت الأسواق بين العروش والقبائل بتبادل السلع والمنتجات المحلية بالمستوردة، وفي الصحراء اعتمد السكان على المبادلات ذات الشكل البدائي بأسلوب المقايضة، ومايلاحظ أنه نادرا ماأستعملت النقود في التجارة ومن أشهر الأسواق نجد: في بايلك التيطري: سوق أولاد عنان وسوق الربيع جنوب المدينة والعداورة .

في بايلك الغرب: سوق أولاد عباد وأولاد الأكراد بالشلف وسوق الجعفرية بسعيدة .

- بايلك الشرق: سوق أولاد عبد النور والحراكتة وتلاغمة، وللمزيد أنظر محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق

الجزائري في الفترة مابين (1792_1830)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، لجزائر، 1972م، ص 109

الفصل الاول : الأوضاع العامة لإيالة الجزائر أواخر الحكم العثماني (1730م-1830م)

والفواكه والخضر والعسل والحيوانات والجلود وغيرها،¹ ونجد الدكاكين المتنوعة الموجودة بكثرة والتي ساعدت بدورها في تعزيز النشاط التجاري.²

لعبت القوافل التجارية القادمة من كل الاتجاهات دورا كبيرا في تنشيط التجارة الداخلية والمحملة بالسلع المتنوعة، واستعملت الأسواق التجارية لأغراض أخرى منها حل المشاكل والنزاعات وعقود الزواج وتناقل الأخبار، وأكثر من ذلك حتى للجوسسة وإقامة التمردات على السلطة مما أصبحت الأسواق تشكل خطرا على وجودها.³

التجارة الخارجية :

تعتبر مصدرا هاما وأساسيا في تنمية موارد خزينة الدولة، وقد تميزت أواخر الحكم بالضعف والجمود لعوامل عديدة نذكر منها :

- منافسة البضائع الأوربية للسلع الجزائرية كما أشرنا إليه سابقا في إقبال الحكام على المصنوعات الأجنبية مما أدى إلى المنافسة، وتراجع الإنتاج المحلي الذي اقتصر دوره على تلبية الحاجيات المحلية أو الإكتفاء الذاتي مما أدى إلى عجز في الميزان التجاري،⁴ وتقهقر الاقتصاد.

- وقوف أوروبا في وجه حركة التجارة الجزائرية

- عدم اهتمام السلطة بتطوير الموانئ وإنشاء أساطيل تجارية خاصة ودعم المنتجين الحرفيين

- تخلي الصناع الجزائريين عن أنشطتهم الصناعية بسبب المنافسة القوية والضرائب الثقيلة وغياب سياسة الدعم مما أثر سلبا على الاقتصاد عموما.

¹ - عبد القادر فلوح، العلاقات الجزائرية العثمانية (1233هـ_1246هـ) (1818م_1830م)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر 2، الموسم (2009م_2010م)، ص 23.

² - توفيق دحماني، الضرائب في الجزائر (1792م -1865م)، دراسة مقارنة، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، الموسم (2007م_2008م)، ص ص 104-105.

³ - نصر الدين عبد الغفور ، القبيلة والسلطة، المرجع السابق، ص 107.

⁴ - التجارة الخارجية : مصلحة الجمارك، ويشير حمدان خوجة إلى وجود مصلحة الجمارك والتي كانت تفرض رسوما على الصادرات والواردات من خلال المبادلات التجارية، والمقدرة بنسبة 5% من قيمة السلع والبضائع، وللمزيد أنظر حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 71.

الفصل الاول : الأوضاع العامة لإيالة الجزائر أواخر الحكم العثماني (1730م-1830م)

وكانت للإيالة علاقات تجارية مع كل من تونس والمغرب برا وبحرا من خلال الطرق التجارية مع تلمسان وقسنطينة، وأكثر المبادلات التجارية تمت مع تونس فكانت القوافل التجارية ترحل يوميا من قسنطينة والواحات الجزائرية (وادي سوف وتقرت وورقلة) متجهة إلى المدن التونسية،¹ كما نذكر التبادل التجاري مع غدامس عن طريق القوافل التجارية العابرة من المناطق الصحراوية، الذي شمل تبادل المنتجات الفلاحية والصناعية،² كما تعاملت مع المشرق العربي وأيضا نجد أنها تعاملت مع الدول الحدودية الجنوبية كمالى والنيجر حيث كانت القبائل الصحراوية هي التي تتولى ممارسة التجارة مع هذه الأقطار، فأنشأت عدة محطات تجارية هامة عبر الصحراء،³ وكذلك تعاملت مع أوربا التي كانت التجارة معها تخضع لمراقبة السلطة ونشير في هذا الصدد لدور فرنسا في التعاملات التجارية فهي المتحكمة في نقل السلع والبضائع بين الإيالة وباقي دول أوربا، لأن الجزائر لم تكن تملك أسطولا تجاريا مما حتم عليها الإستعانة بالسفن الأوربية التجارية.

فكانت تستورد الجزائر الحديد من فرنسا والحريز من روسيا والرخام من إيطاليا، كما أن التيطري قام بتصدير 8000 قنطار من الصوف لأوربا، ونحو 25 ألف من الجلد سنويا من مرسى مدينة الجزائر،⁴ وفي سنة 1788م/ 1202هـ تم تصدير من مراسي مدينة الجزائر وعنابة وأرزيو ما يقارب 150 ألف حمولة من الحبوب قمح وشعير.⁵

وعموما كانت تصدر الإيالة تصدر المنتجات الفلاحية و من حبوب وأصواف وجلود وقرمز وزيت وكذلك الشمع الأحمر والمرجان وريش النعام والخضر والفواكه والزيتون والتمر، وفي مقابل ذلك كانت تستورد التجهيزات الحربية من قذائف وبارود، واستوردت الأيالة أيضا

1 - أرزقي شويتام، نهاية الحكم العثماني، المرجع السابق، ص 66 .

2 - صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي، المرجع السابق، ص 340.

3 - ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1979م، ص 67.

4 - أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر (1766م_1791م)، المؤسسة الوطنية للنشر، الجزائر، 1986م

، ص 202.

5 - أحمد توفيق المدني، نفسه، ص 203.

الفصل الاول : الأوضاع العامة لإيالة الجزائر أواخر الحكم العثماني (1730م-1830م)

السكر والبن والورق والحديد وغيرها والعقاقير وأدوات الزينة والسجاد والأقمشة والخناجر خاصة من المشرق.¹

إن عدم وجود سفن تجارية حتم على السلطة الاستعانة بوكلاء لتسهيل العمليات التجارية وهنا سنتحدث عن سيطرة اليهود على التجارة الخارجية والداخلية للإيالة بداية من القرن التاسع عشر ميلادي بموافقة الحكام خاصة في عهد الداوي حسن (1791م-1798م) (1205هـ-1212هـ)، وخليفته الداوي مصطفى (1798م-1805م) (1212هـ-1219هـ)، كما تحكّموا في عديد الصناعات الحرفية الاستراتيجية وما تمتعت به الشركة اليهودية من إمتيازات إقتصادية منها تحديد قيمة الضريبة وأسعار السلع، فسيطروا على أمور الاقتصاد ودواليبه والحركة التجارية وتعدتها إلى أمور السياسة والحكم.²

كما لعبت الموانئ التجارية بمدن العاصمة ووهران وعنابة دورا رئيسيا في تنشيط الحركة التجارية من خلال حركة التصدير والاستيراد ونقل البضائع والسلع وتخزينها.

وقد شهد الميزان التجاري في أواخر الحكم العثماني عجزا قدر بـ937000 دولار حسب ما ذكره القنصل الأمريكي وليام³ شالر سنة 1822م-1237هـ، وهو ما أدى إلى اختلال كبير بسبب الصعوبات المالية ونقص الإنتاج المحلي والسياسة الأوربية وفي هذا الجانب، وهو مادفع بالسلطة إلى اللجوء لسياسة جديدة ضريبية تستهدف السكان.⁴

¹ - صليحة جبار، الجزائر في عهد الداوي علي باشا (1754م-1766م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر 2، الموسم (2010م-2011م)، ص 24.

² - حنيفي هلايلي، أوراق في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 19.

³ - ويقول القنصل الأمريكي شالر حول الزراعة في الإيالة و تأثرها بالمناخ: "أن الفلاحة كانت مزدهرة خاصة في السهول كمنتجة التي امتازت بالمناخ والموقع وخصوبة التربة، وعدد لا يحصى من الينابيع التي تنزل من الجبال المجاورة وتسقيها بمياهها، فهي توفر الغذاء وملئنة بالبساتين والحقول والزراعات المروية حول المدن التي تعرف بالفحوص، وللمزيد أنظر وليام شالر، المصدر السابق، ص 106.

⁴ - ناصر الدين سعيدوني، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، المرجع السابق، ص 27.

الأوضاع المالية :

عرف على العملة¹ التي كانت متواجدة بداخل الإيالة أنها مكونة من النحاس والفضة والذهب واليورب وهو من النحاس مستدير الشكل، وضربت العملة المحلية بدار النقود والمعروفة بدار السكة الواقعة بالقرب من قصر الداوي، وذلك غير بعيد عن جامع كتشاوة، وفي سنة 1817م - 1232هـ قام الداوي علي خوجة بتغيير مكانها إلى القصبه، وهي ملحقة بالخرزينة العمومية وضربت باسم السلطان العثماني.²

أما عن العملة الأجنبية، فقد امتازت بتنوع أصنافها وتعدد مصادرها، والسبب في وجودها يعود إلى تعامل السلطة مع الشركات الأجنبية، وكذا تحصيل الهدايا والإتاوات من الدول الأوروبية خاصة اسبانيا والتعامل التجاري مع دول الجوار، وهو ما جعل النقود الأجنبية تتوفر في البلاد وتصبح رائجة ومن أهم العملات نجد:

العملة الاسبانية تواجدت في العاصمة وضواحيها، والعملة التونسية انتشرت في الشرق الجزائري ببايلك الشرق قسنطينة، وذلك نظرا للتعامل التجاري القائم مع القبائل الحدودية. والعملة المغربية انتشرت في الجهة الغربية بمقاطعة بايلك الغرب لقربها جغرافيا أيضا، كما نجد أنه تم التعامل بالنقود العثمانية.³

لقد عمل حكام الإيالة على بناء دور الضرب لسك عملات جزائرية بمختلف الأصناف والأشكال من ذهبية وفضية ونحاسية كما حافظوا على تداول عملات مختلفة، وقد تعددت تسميات النقود الجزائرية وقيمتها من فترة لأخرى، وذلك حسب الظروف السياسية التي

¹ - العملة في أواخر الحكم العثماني، عرفت تذبذباً بسبب الظروف التي شهدتها السلطة، فقد كان ميزان الصرف مستقراً قبل سنة 1815م، ليعرف بعدها تراجعاً كبيراً بسبب عدم وجود سياسة نقدية واضحة، ولما عرفته البلاد من أوبئة ومجاعة أثرت سلباً على إقتصاد البلاد، إضافة سيطرة اليهود على الشركات التجارية واحتكارهم لها، وللمزيد أنظر مؤيد محمود حمد المشهداني وسلوان رشيد رمضان، أوضاع الجزائر خلال الحكم التركي (1518م - 1830م)، مجلة الدراسات التاريخية، مج5، ع2013، ص 423 أو أنظر : Lemnouar Merouche , recherche sur l'Algerie A : l'époque othmane, mémoire prix et revenus (1520-1830) édition bouchene Paris 2000,p 151.

² - نصر الدين براهيم، علي تابلت، تاريخ مدينة الجزائر في العهد العثماني، منشورات تالة، الجزائر، 2010م، ص 187.

³ - صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي، المرجع السابق، ص 355.

الفصل الاول : الأوضاع العامة لإيالة الجزائر أواخر الحكم العثماني (1730م-1830م)

عرفتها ويعد الدينار السلطاني من الدنانير الذهبية التي سكت بمدينة الجزائر باسم السلطان العثماني وهناك قطع ذهبية أخرى تدعى بالنصف السلطاني والربع السلطاني وهي أجزاء للدينار السلطاني،¹ وقد شكلت قطع النقود الفضية التي لها وحدات في الإيالة الوحدة الأساسية، ولها أنواع وأسماء عديدة مثل البوجو أو الريال بوجو، وتسمى أيضا ريال صغير الضرب وقطعة زوج بوجو التي بدأ سكها في القرن التاسع عشر ميلادي ومن أسمائها نجد: البوجو المضاعف أو ضعف الريال بوجو ودور والجزائر، وهي التي استعملت كثيرا في المعاملات التجارية.²

كما توجد قطعة نصف ريال درهم وهي سدس بوجو، وكذلك يوجد الدرهم أو الأسبر الفضي³ الذي هو قطعة نقدية فضية مربعة الشكل كبير الحجم، ومن النقود النحاسية تسميات مختلفة منها الخروب التي هي قطعة خليط من النحاس والفضة مقسمة على شكل مربعات غير منتظمة، وهناك قطعة أخرى تدعى زوج دراهم شيك صغار مصنوعة من النحاس تشبه في شكلها قطعة خروب وقطعة خمسة دراهم صغار إضافة إلى الصايمة، وهي قطعة نقدية نحاسية.⁴

وقد تميزت العملة بعدم ثباتها وصعوبة تحديد قيمتها بسبب سوء الأحوال الاقتصادية والسياسية وضعف القدرة الشرائية،⁵ وقد اتبع نظام الأوزان والأطوال والمقاييس والمكاييل العثمانية مثل القنطار والأفة والأوقية والدرهم والمئقال الذهبي والذراع القياسي، وأهم ما ميز أواخر الحكم العثماني بروز ظاهرة تزوير النقود خاصة في بعض المناطق كبنو عباس ووادي بجاية وبنو جنات وغيرها، وقد ساعدهم في ذلك عامل البعد جغرافيا وتوفر المواد

¹ - صدام رزيم، عبد القادر فكايير، تداول النقود التونسية في الشرق الجزائري خلال العهد العثماني (1519م-1830م)

الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، مج 14، ع1، السنة 2022م، ص96.

² - ناصر الدين سعيديوني، النظام المالي للجزائر، المرجع السابق، ص194.

³ - ناصر الدين سعيديوني، نفسه، ص193.

⁴ - صدام رزيم، عبد القادر فكايير، المرجع السابق، ص96.

⁵ - إضافة إلى ندرة المعادن الثمينة وغلاء الأسعار وأعمال التزوير التي عرفت أكثر المناطق خاصة جهة القبائل، وللمزيد أنظر مؤيد محمود المشهداني وسلوان رشيد رمضان، أوضاع الجزائر خلال الحكم التركي، المرجع السابق، ص

الفصل الاول : الأوضاع العامة لإيالة الجزائر أواخر الحكم العثماني (1730م-1830م)

الخام في الجبال، إلا أن السلطة قامت باتخاذ اجراءات من شأنها الحد من عملية التزوير وانتشارها في باقي المناطق¹.

أما فيم يتعلق بالمصادر المالية للخزينة الجزائرية فيمكن تقسيمها إلى مصدرين رئيسيين هامين هما :

المصادر الداخلية: وهي المتمثلة أساسا في الضرائب والرسوم والتي تمس عامة الإنتاج الزراعي والحيواني والصناعي والتجاري تطورت كثيرا أواخر الحكم العثماني لأسباب وظروف مختلفة، وهي ضرائب شرعية منتظمة وغير شرعية غير منتظمة ومن الضرائب الشرعية نجد ضريبة الزكاة على الماشية والحبوب،² وضريبة العشور التي أخذت من إنتاج أراضي الملكية الخاصة، وهي عشر المحاصيل ضريبة اللفة التي هي ضريبة عينية ونقدية تحصل بصفة منتظمة نسبيا من القبائل، والغرامة التي تؤخذ من القبائل الممتعة البعيدة والمتواجدة في المناطق الوعرة الجبلية والصحراوية،³ والخطية تفرض على أفراد القبائل المتمردة أو النائرة بصفة فردية تستهدف الأفراد أو جماعية أي القبيلة ككل، وقد اختلفت في فرضها حسب الموقع الجغرافي والنشاط الاقتصادي للممارس للمنطقة كما عرفت بالتعدد والتنوع.

المصادر الخارجية: والمتمثلة أساسا في غنائم الجهاد البحري وإتاوات الدول الأجنبية والهدايا القنصلية التي عرفت ازدهارا في بداية الحكم العثماني إلا أنه في أواخر القرن الثامن عشر ميلادي بدأت تنقلص رغم فترة الازدهار والتطور خاصة في بداية القرن التاسع عشر ميلادي، ويعود ذلك إلى جهود قادة الأسطول البحري والظروف الدولية الملائمة خاصة ما بين سنتي (1805م-1815م) (1220هـ-1230هـ).⁴

¹ - يمينة درياس، السكة الجزائرية في العهد العثماني، ج1، دار الحضارة، الجزائر، ص ص372-373.

² - ناصر الدين سعيدوني، الملكية والجبابة في الجزائر أثناء العهد العثماني، ط2، دار البصائر، الجزائر، 2013م، ص ص153-154.

³ - وتدفع الخطية نقدا أو عينا ويتولى أعيان المنطقة جمعها وتوزيعها، وقد تكون على شكل تعويضات عن الأضرار المترتبة أو الناجمة عن الإضطرابات أو المشاكل التي تحدث في السوق، وللمزيد أنظر ناصر الدين سعيدوني، نفسه، ص172.

⁴ - ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر، المرجع السابق، ص107.

الفصل الاول : الأوضاع العامة لإيالة الجزائر أواخر الحكم العثماني (1730م-1830م)

أما فيم يخص الإتاوات والهدايا فقد كانت تدفع الدول الأوروبية وكذا الولايات المتحدة الأمريكية للزمة التي هي إلتزام تعاقدى مقابل السلم أو عدم تعرض الرياس للسفن التجارية للبلد، وحمائته من الاعتداءات الخارجي، كما أن هناك التزامات تجارية أوهدايا تقدم بمناسبة تعيين القناصل أو عند المناسبات المختلفة،¹ وما يلاحظ أنه في نهاية الحكم العثماني ركزت السلطة على الضرائب بإنشاء نظام ضريبي بوضع قوانين جديدة لجباية الضرائب ولجأت إليه السلطة مع تراجع النشاط البحري ونقص الموارد البحرية مما أثر سلبا على الخزينة، وهو ما أدى إلى عدم استقرار اقتصادي ومالي .

الأوضاع الاجتماعية :

تعددت الدراسات التاريخية الأجنبية والمحلية في تدوين احصاء دقيق حول عدد السكان في الجزائر أواخر الحكم العثماني، حيث نجد اختلافا واضحا في تحديد وتقدير عددهم بالضبط فالقنصل شارل وليام قدر عددهم حوالي مليون نسمة وفي نهاية الحكم 3 ملايين نسمة²، ويشير المؤرخ حمدان بن عثمان خوجة إلى عدد سكان الجزائر بقوله: "...يسكن إيالة الجزائر 10ملايين نسمة وتتكون الإيالة من المدن والأرياف غير أن الجزء الأكبر الذي هو قاعدتها ومصدر ثروتها يوجد خارج المدن"³، وهناك من يشير أن عددهم وصل إلى 2,3 ملايين نسمة نهاية العهد⁴ كما أنه من الصعب تحديد سكان إيالة الجزائر⁵ لاعتبارات عديدة منها خاصة عدم وجود عدم استقرار السكان بين حياة التنقل والترحال، والهجرات المختلفة إلى المدن والدول الحدودية والمشرق وحتى أوروبا، وعدم اهتمام السلطة بتنظيم واحصاء

¹ - صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي، المرجع السابق، ص351.

² - رشيد مريخي، ملامح من الحياة الثقافية في الجزائر أواخر العهد العثماني، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، المجلد 5، العدد12، ديسمبر 2017م، ص106.

³ - حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 51.

⁴ - مؤيد محمود المشهداني وسلوان رشيد رمضان، أوضاع الجزائر خلال الحكم التركي، المرجع السابق، ص 421.

⁵ - لا توجد إحصائيات دقيقة عن عددهم، ويعود ذلك أساسا إلى الأوقات الطبيعية خاصة أواخر الحكم العثماني من زلازل وأوبئة ومجاعات انتشرت عبر ربوع الإيالة أدت إلى إنخفاض كبير في عدد السكان إضافة إلى الهجرات المتتالية، وأيضا تقنقر إلى إحصاء مدروس وممنهج أو مضبوط، الشيء الذي أدى إلى إختلاف كبير وشاسع بين المؤرخين كما أشرنا إليه، فمثلا الجنرال بيجو يشير إلى 8 ملايين نسمة، والمؤرخ فونتير دي بارادي أشار إلى 50 ألفا من السكان منهم 3000 تركي و 6000 كرجلي و 32000 عربي، وللمزيد أنظر عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ج3، ص ص 481-483.

الفصل الاول : الأوضاع العامة لإيالة الجزائر أواخر الحكم العثماني (1730م-1830م)

السكان، كما أن عدد السكان كان في حالة إطراد بسبب الأوبئة القاتلة والأمراض الخطيرة التي عصفت بهم، ويؤكد المؤرخ ناصر الدين سعيدوني أنه في بداية القرن التاسع عشر بلغ عدد سكان إيالة الجزائر ما بين 3500000 و4000000 ملايين¹، وهناك من يشير إلى أن عددهم وصل إلى 2,3 مليون نسمة²، وقد ذكر المؤرخ أبو القاسم سعد الله بأن عدد سكان الجزائر بلغ أواخر الحكم خمسة ملايين نسمة وعدد العثمانيين 12 ألف نسمة³، وبلغ عدد سكان مدينة الجزائر في القرن الثامن عشر 18م حسب المؤرخ فانتو رادي 50 ألفا وعند بداية الاحتلال 30 ألفا⁴، واختلفت نسبتهم بين سكان المدن والأرياف، فنسبة ساكنة المدن قدرت بـ5% أما ساكنة الريف فقدرت النسبة بـ95% من عديد القبائل الموزعة بين مخازنية ورعية ومستقلة ومتحالفة، وسنتحدث عن هذه القبائل بالتفصيل في الفصول المقبلة.

عرف على المجتمع الجزائري بأنه مزيج من فئات مختلفة ومتعددة فهو نوعين، وذلك حسب نمط الحياة والتنوع العرقي والديني والتوزيع الجغرافي، وعليه نجد سكان المدن والأرياف .

سكان المدن : تقدر نسبتهم بما يقارب 5% وهم :

الأتراك: وهم طائفة حاكمة منعزلة عن المجتمع مذهبهم حنفي ولغتهم التركية تواجدوا وتمركزوا في المدن لتوفرها على المؤسسات والمرافق⁵، تمتعت هذه الطائفة بالنفوذ والقوة والسيطرة على الوظائف المدنية والعسكرية واستعلائهم على الرعية لم يتجاوز عدد أفرادها 20 ألف نسمة، وقدر عددهم الجاسوس الفرنسي بوتان BUTIN سنة 1808م/ 1223هـ بـ10 آلاف نسمة⁶، ووصل عددهم سنة 1830م/ 1246هـ بـ6 آلاف نسمة⁷ .

1- ناصر الدين سعيدوني، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، المرجع السابق، ص 51.

2- صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي، المرجع السابق، ص 356.

3- بن عتو بلبروات، المدينة والريف بالجزائر، المرجع السابق، ص 18.

4- محمد خير فارس، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي، المرجع السابق، ص 105.

5- صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي، المرجع السابق، ص 357.

6- رشيد مريخي، ملامح من الحياة الثقافية في الجزائر، المرجع السابق، ص 106.

7- عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ، المرجع السابق، ج2، ص 243.

الفصل الاول : الأوضاع العامة لإيالة الجزائر أواخر الحكم العثماني (1730م-1830م)

الکراغلة: لم تكن لهم امتيازات في بداية الحكم ولا وظائف أو مناصب بسبب إهمال السلطة لهم، وفي أواخر الحكم استطاعوا أن يتولوا وظائف عليا حكومية مدنية وعسكرية كالقائد والباي والمستشار، وتميز الكراغلة بأن لهم ثروات وملكيات كثيرة تواجدوا في المدن والأرياف،¹ وقدر عددهم الجاسوس بوتان سنة 1808م - 1223هـ بـ6 آلاف كرغلي،² وأكد شالر أن عددهم 20 ألف سنة 1825م - 1241هـ،³ وقارب عددهم 9 آلاف نسمة أوائل القرن التاسع عشر، وقدر عددهم أواخر الحكم العثماني بـ 6 آلاف نسمة.

الأندلسيون: لم تكن لهم وظائف عليا حكومية⁴ حيث تم إبعادهم عن المشاركة في السلطة واكتفوا بشغل وممارسة وظائف في المجالس العلمية والقضائية، كما تولوا مهمة النشاط التجاري والصناعي والزراعي، فهم الذين أنشأوا مصانع الملح والمجوهرات والصوف والحريز، وبرعوا في بعض العلوم والفنون والعمران⁵ التي استطاعوا نقلها من بلادهم للجزائر، وقد تواجدوا بالمدن خاصة الساحلية.

اليهود⁶: تمتعوا بالقوة والنفوذ خاصة أواخر الحكم العثماني لدى بعض الدايات والبايات حتى أصبح لهم شأن في القضايا والأمور السياسية والاقتصادية، فسيطروا على صناعة القرار لفترات من الزمن واستحوذوا على التجارة وبعض الصناعات المختلفة، وخاصة ضرب

1 - صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي، المرجع السابق، ص 358.

2 - رشيد مريخي، ملامح من الحياة الثقافية في الجزائر، المرجع السابق، ص 106.

3 - وليام شالر، مذكرات وليام شالر، المصدر السابق، ص 56.

4 - عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر، المرجع السابق، ص 75.

5 - عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ، المرجع السابق، ج2، ص 245.

6 - اليهود : قدر عددهم مولاي بلحميسي في القرن الثامن ميلادي بأكثر من 800 يهودي في مدينة الجزائر وللمزيد أنظر

Moulay (B), Alger, l'Europe, et la guerre secrète, (1518-1830), ed, ANEP, Alger, 2009, p 38

ويقول لوجي دوتاسي "de tassy"، فكثير من هؤلاء اليهود قد مارسوا عدة أنشطة ثانوية غير مريحة، فنجدهم تجار متجولين، أو حدادين، أو خياطين وما شابه ذلك"، وللمزيد أنظر بن عتو بلبروات، المهاجرون والمهجرون إلى الجزائر العثمانية بين الإنعزال والاندماج الاجتماعي، مجلة المواقف، ع4، الرشد، معسكر، ديسمبر 2009م، ص 65.

ويؤكد شالر وليام القنصل الأمريكي أن التركي عقوبته من الجريمة أن يخنق سرا، وذلك بعيدا عن السكان في سرية تامة، أما من جانب اليهود، فيتم شنقه بقطع رأسه أو حرقه حيا إذا ما ارتكب جريمة كبرى، وإذا كانت جنحة فيتم تعريمه بمبلغ مالي أو تعرضه للجلد، أو القيام بأعمال شاقة مقيدا بالسلاسل، وللمزيد أنظر وليام شالر، المصدر السابق، ص 46.

الفصل الاول : الأوضاع العامة لإيالة الجزائر أواخر الحكم العثماني (1730م-1830م)

العملة في مدينة الجزائر،¹ كما تولوا الوساطة بين السلطة والدول الأوربية في المعاملات الاقتصادية والتجارية،² وقدر عددهم سنة 1830م - 1246هـ بـ 4000 يهودي³.

المسيحيين الأحرار: هم الذين تم أسرهم أثناء عملية الغزو البحري يعملون في المنازل والحدائق وتسيير السفن الكبيرة بالمجاديف، وبلغ عدد الأسرى سنة 1816م - 1232هـ بـ 1642 سجين، وفي سنة 1830م - 1246هـ وصل عددهم إلى أكثر من 122 سجين،⁴ وفي المقابل إذا أسلموا يتحصلون على حقوق وامتيازات تصل بهم إلى حد الحرية .

العبيد: وهم أجانب عن البلد أي دخلاء يتم تشغيلهم في الحانات والسجون و البساتين والحدائق والأشغال العمومية، وكذا تنظيف البيوت،⁵ وقدر عددهم سنة 1830م - 1246هـ بـ 2000.⁶

طائفة البرانية: وهم الذين هاجروا إلى المدن قادمين من الأرياف في إطار البحث عن العمل والاستقرار تحت ظروف مختلفة، ونجد منهم أهالي بسكرة والأغواط وبنو ميزاب وجبل والقبائل ولكل منهم في المدينة حرفة يمتنها، فأهل جبل عملوا في المطاعم والمخابز، وأهل بسكرة امتهنوا الأعمال الشاقة.⁷

سكان الأرياف : شكل ساكنة الريف في الإيالة ما نسبته 95% كما وسبق أن تطرقنا إليه ويتواجدون في السهول العليا والمناطق الجبلية والصحراوية الشاسعة والهضاب العليا، وعرف عليهم التنظيم القبلي الذي ييسر شؤونهم ويراعي متطلباتهم اليومية⁸، وقد تميزت حياتهم بالتنقل والترحال تارة والاستقرار تارة أخرى، وذلك لظروف تحكم فيها النمط المعيشي والحياتي خاصة ماتعلق بتربية الحيوانات وممارسة الزراعة ولو بشكل قليل، وانتجاع مناطق

¹ - صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي، المرجع السابق، ص 362.

² - صالح عباد، نفسه، ص 361.

³ - عمار عمورة، المرجع السابق، ج 2، ص 250.

⁴ - عمار عمورة، نفسه، ج 2، ص 264.

⁵ - صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي، المرجع السابق، ص 361.

⁶ - وقدم العبيد السود من السودان عن طريق الواحات الصحراوية للعمل في المدن لصالح الأثرياء والفئات الحاكمة خاصة في المنازل من أجل لقمة العيش في الحدائق والتنظيف، للمزيد أنظر صالح عباد، نفسه، ص 251.

⁷ - ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص 99.

⁸ - عمار عمورة، المرجع السابق، ج 2، ص 227، أو للمزيد أنظر صالح عباد، المرجع السابق، ص 362.

الفصل الاول : الأوضاع العامة لإيالة الجزائر أواخر الحكم العثماني (1730م-1830م)

للرعي مناسبة، ولعب العامل الجغرافي دورا كبيرا فيها من خلال الطقس والمناخ والأمطار وتوفر الغطاء النباتي بالسهول المنبسطة والغنية، وطريقة التعامل مع السلطة وفق ظروف كل قبيلة.

وينقسم سكان الريف إلى قسمين وهما:

قسم يسمى عرب حقيقيون سكنوا السهول والصحراء¹ استطاعوا التكيف مع الظروف المحيطة بهم وقسم يسمى بالبرابرة أو القبائل سكنوا الجبال والأماكن الوعرة، واستطاعوا التكيف مع ظروفها المحيطة بها، ولكل قسم لهجة وعادات ولغة يتميز بها عن الآخر، وقد تعددت تسمية الوحدات الريفية التي يقطنونها، فنجد العرش والقبيلة والصف والدفرة والدوار والعشيرة ومهما اختلفت المسميات إلا أن الأسرة أو العائلة هي الوحدة الاجتماعية لسكانة الأرياف،² وقد لعب شيخ القبيلة دورا كبيرا في تولي الحكم والمسؤولية على الريف، ويعين الشيخ عندما تتوفر فيه عديد الصفات والأخلاق الحميدة ويثبت من طرف البايات كما أنه يتمتع بسلطة أبوية ويساعد شيخ القبيلة في أداء مهامه وأعماله مجلس القبيلة وعمله الجماعي.

وكانت علاقة سكان الريف بالمدينة عبارة عن علاقة تبادل منافع ومصالح، فكل بيئة خصوصيتها فالريف يقدم منتجات فلاحية وصناعية إلى سكان المدن في إطار البيع والشراء بالأسواق المنتشرة وسكان المدن الذين يقدمون بدورهم أدوات مصنوعة محليا أو مستوردة من الدول السابقة الذكر، ما أن سكان الريف لجأوا في العديد من المرات إلى الهجرة نحو المدينة بحثا عن العمل أو الهروب من دفع الضرائب للسلطة³.

¹ - الطيب يوسف ، الحضور الاجتماعي والسياسي للطرق الصوفية في الجزائر العثمانية، رسالة ماجستير في التاريخ

الحديث والمعاصر، جامعة الجبالي اليايبي سيدي بلعباس، الموسم (1435هـ_2014م) (1436هـ_2015م)، ص114

² - بن عتو بلبروات، المدينة والريف بالجزائر، المرجع السابق، ص 18.

³ - valensi lucette , le Maghreb Avant la prise d, Alger, (1790-1830), France, Flammarion, 1969, p 49 .

الأوضاع الصحية :

تعرضت الجزائر في أواخر الحكم العثماني لسلسلة من الأوبئة الفتاكة والأمراض الخطيرة والمعدية والمجاعات بالإضافة إلى الكوارث الطبيعية المدمرة، وقد تسببت في وضع معيشي سيئ، فساءت حالة السكان ونقص عددهم.

والملاحظ حول الأوبئة أن السلطة لم تهتم بتطوير المنظومة الصحية ولا توفير المؤسسات العلاجية وبناء المصحات الطبية والصيدليات التي توفر الدواء، وقد اقتصر العلاج على أساليب وطرق تقليدية خاصة ما أحضره سكان الأندلس بفضل خبراتهم في التداوي بالعلاج الشعبي¹، واعتمد السكان في علاجهم أيضا على الأعشاب التقليدية والجن والأرواح، أما الحكام فقد لجأوا في العلاج إلى خبرة الأطباء الأجانب الذين هم من جماعة الأسرى الأوربيين² ويمارسون عملهم على مستوى المؤسسات الإستشفائية المحدودة وأصولهم من فرنسا واسبانيا خاصة.

كما تشير إلى أنه لم تكن هناك نصوص قانونية ثابتة تعمل على تنظيم وتشجيع الجانب الصحي³، ورغم ذلك انتشرت الأمراض والأوبئة خاصة الطاعون والسل والجذري والتيتانوس والتيفوس والكوليرا⁴ مما أدى إلى إرتفاع الوفيات .

ففي مدينة عنابة سنة 1785م - 1199هـ شهدت انتشارا عاما للطاعون، وقد قدرت الإصابات بـ 103 في اليوم الواحد لشهر ماي، وتم خلالها عزل المنطقة عن باقي المناطق وإقامة حزام صحي وقائي حول المدينة، وفرض رقابة صارمة على المناطق المصابة لتشهد انخفاضا في عدد الإصابات، ويعود سبب انتشار الوباء إلى اختلاط الناس في الأسواق وأثناء الحج وغيرها⁵.

1 - عثمان سعدي ، الجزائر في التاريخ، المرجع السابق، ص424.

2 - مؤيد محمود المشهداني وسلوان رشيد رمضان، أوضاع الجزائر خلال الحكم التركي، المرجع السابق، ص 434.

3 - فاطمة الزهراء طوبال، النخبة الثقافية والسلطة في الجزائر في عهد الدايات (1671م_ 1830م)، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة وهران، الموسم (1440هـ_2019م)(1441هـ-2020م)، ص 170.

4 - فاطمة الزهراء طوبال، نفسه، ص 171.

5 - ناصر الدين سعيدوني، وراقات جزائرية، المرجع السابق، ص 461.

الفصل الاول : الأوضاع العامة لإيالة الجزائر أواخر الحكم العثماني (1730م-1830م)

والدليل على أن الوباء¹ كان منتشرا بصورة كبيرة ما نقله الرحالة الزباني في قوله: "... وكان عاما من العمائر التي بينها (يقصد تلمسان والجزائر)، فما نزلنا منزلا إلا وجدنا أهله يدفنون موتاهم"، وفي مقولة أخرى: "... مررنا به من الجزائر إلى قسنطينة من المدن كله خراب....."².

ومن أهم الأوبئة وبياء سنة 1817م-1232هـ الذي دام 3 سنوات، وعم جميع البلاد فكثر عدد القتلى³، ويقول عمار عمورة بأن الوباء أهلك الداوي علي خوجة سنة (1818 م-1233هـ)⁴ وهذا له دلالة على أن حكام السلطة لم يسلموا هم أيضا من هذا الوباء وحتى الجنود مسهم، فكان منتشرا بسرعة ومس جميع شرائح المجتمع.

إن هذه الأوبئة أدت إلى انتشار البؤس والفقر والحرمان والتأثر النفسي، وكذا الهجرة إلى المناطق الآمنة والحدودية، فكان الناس يموتون في الشوارع من شدة وطأتها.⁵

كما نجد ظاهرة المجاعة التي أصابت الكثير من مناطق الأيالة خاصة في سنوات (1740م- 1753م-1754م) (1153هـ-1166هـ-1167هـ)، وقد شهدت مدينة الجزائر العاصمة مجاعة كبرى بعدما غزاها الجراد سنة 1764م-1178هـ⁶، والمجاعة التي عرفتها تلمسان سنة 1805م-1221هـ، وقد اشتدت أكثر فأكثر ما بين سنتي (1816م-1232هـ و1819م- 1235هـ) محدثة الفتن والقحط.

وهو ما أشار إليه حمدان بن عثمان خوجة أنه في سنة 1800م-1216هـ تعرضت الإيالة لمجاعة كبرى، فانتشر الفقر والجوع والمرض بين الرعية ليتدخل الداوي مصطفى باشا (1798م-1805م)، ويأمر بتموين البلاد وبالذهاب إلى موانئ البحر الأسود لشراء

¹ - كما أدى وباء سنة 1787م إلى وفاة 16721 نسمة، بينما أدى وباء سنتي (1817م-1818م) إلى هلاك أكثر من 14000 نسمة من سكان مدينة الجزائر، وللمزيد أنظر عمار عمورة، المرجع السابق، ج2، ص104.

² - مولاي بلحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1981م، ص 40.

³ - حنفي هلايلي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق، ص 165.

⁴ - يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر (1+2)، المرجع السابق، ص 103.

⁵ - ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ، المرجع السابق، ص169.

⁶ - صليحة جبار، الجزائر في عهد الداوي علي باشا، المرجع السابق، ص 27.

الفصل الاول : الأوضاع العامة لإيالة الجزائر أواخر الحكم العثماني (1730م-1830م)

القمح¹، وهذا يدل على حجم الضرر والمعاناة التي تعرض لها السكان الذين لم يجدوا ما يأكلوه أي انقطاع القوت لارتفاع أسعار المواد الاستهلاكية وجشع وطمع بعض التجار، فقد أهلكت المجاعة البلاد والعباد ونجد من مواقف السلطة ما قام به الداوي مصطفى باشا سنة 1800م- 1216هـ الذي لجأ إلى استيراد الحبوب بعدما انتشرت المجاعة والتي من أهم أسبابها الجراد الذي عرفته الإيالة في الفترة ما بين 1798م- 1213هـ إلى 1804م- 1220هـ، فالجراد قضى على الأخضر واليابس²، ولم يترك الزرع ولا الثمار والأشجار كما أشار صالح العنتري للمجاعة وأثارها السلبية بقوله: "...حصلت للناس الشدة والمجاعة فقد أشرف فيها الضعفاء على الهلاك.....حتى صاروا يقتاتون الدم والميتة وغير ذلك."³، ومن خلال هذا الوصف الدقيق يتبين لنا مدى التأثير الذي وصل إليه السكان من أثر المجاعة التي أصابت البلاد، واستغرقت فترات طويلة وتكررت في فترات أخرى وعجز السلطة في إيجاد حلول لها، وعامل الجفاف الذي لعب دورا كبيرا لقلّة الأمطار مما أثر على الإنتاج الزراعي.

ومن الكوارث الطبيعية نجد الزلازل التي هي بفعل التكوين الجيولوجي والطبيعة الطبوغرافية، وما خلفته من خسائر في الأرواح والممتلكات سنوات (1737م-1742م) (1150هـ- 1155هـ)، وقد تعرضت مدينة الجزائر إلى هزات أرضية من سنة 1731م- 1144هـ إلى 1754م- 1168هـ، وزلزال وهران الذي حدث سنة 1790م- 1204هـ، ومن أثاره السلبية أنه قضى على ألف شخص، ودفع بالكثير للهجرة والفرار نحو البساتين والحدائق المفتوحة⁴، وكذلك نجد زلزال عنابة سنة 1810م- 1225هـ والبليدة سنة 1825م- 1240هـ⁵، وهو ما أشار إليه أحمد الزهار أنه في سنة 1825م- 1240هـ تعرضت البليدة لزلزال عنيف مات فيه جمع كثير من السكان وذلك يوم الأربعاء، فأمر الداوي السكان بالبحث عن الناس وانقاذهم، وهذه تعتبر⁶ إشارة واضحة إلى حجم الدمار والضرر الذي أحدثه الزلزال

1 - حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 106.

2 - أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر، المرجع السابق، ص 117.

3 - محمد الصالح بن العنتري، فريدة منسية، المصدر السابق، ص ص 33-34.

4 - صليحة جبار، الجزائر في عهد الداوي علي باشا، المرجع السابق، ص 24.

5 - أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر، المرجع السابق، ص 120.

6 - أحمد توفيق المدني، نفسه، ص 81.

الفصل الاول : الأوضاع العامة لإيالة الجزائر أواخر الحكم العثماني (1730م-1830م)

في حصد للأرواح والممتلكات، وقد التطرق الأستاذ أحمد توفيق المدني إلى ظاهرة الزلازل وموقف السلطة منها عندما أشار إلى أن الباشا يحي أغا أرسل مساعدات عاجلة، وقام بوضع أسس المدينة الجديدة وتقديم الدعم والمساعدة للسكان المتضررين.

وقد أدت هذه الكوارث المختلفة إلى تناقص عدد السكان ليصل في منتصف القرن الثامن عشر إلى 50000 نسمة، ويشير ناصر الدين سعيدوني إلى أنه بلغ عدد سكان مدينة الجزائر عشية الاحتلال سن 1830م - 1246هـ بتعداد قدره 45 ألف نسمة،¹ كما كان لها تأثير سلبي على الوضع الديمغرافي والاقتصادي.

الأوضاع القضائية:

عرفت إيالة الجزائر خلال الحكم العثماني سياسة قضائية لم تكن مستقلة عن السلطة التنفيذية، حيث أشرف الداوي الذي هو أعلى سلطة في البلاد على السلطة السياسية والقضائية فقد تواجد قاضيان لحل مشاكل الناس² داخل المحكمة والصلح بينهم وهما:

القاضي الحنفي: ويعين من طرف السلطان³ العثماني ويمثل الأقلية من الأتراك والكراغلة

القاضي المالكي: يعين من طرف الداوي ويمثل سكان الجزائر وهم الأغلبية القاطنة بها .

ولهما مجلس يسمى مجلس الشريف،⁴ كما يعقد القاضيان جلسات يومية للحكم في القضايا المعروضة ويساعد القاضيان في مهامهم عدد من الأعوان مثل : الباشا عدل، والعدل، والكتاب، والمحضرون والشواش.⁵

¹ - ناصر الدين سعيدوني، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، المرجع السابق، ص 51.

² - كما كانت المحاكمة تقام في المسجد الكبير، ويجتمع القضاة كل خميس لمناقشة القضايا إذا كانت القضية صاحبها مسلماً أما الطوائف الأخرى الغير مسلمة، وأقصد هنا كاليهود والمسيحيين وغيرهم، فإن محاكمتهم تكون خارج المسجد، كما كان يوم الثلاثاء يوم عطلة بالنسبة للقضاء، ويصف المؤرخ دو بارادي أنشطة الجامع الكبير بقوله: "إن المفتيين والقاضيين كانوا يجتمعون للحكم في القضايا المهمة التي لم يستطع الحاكم العام الفصل فيها" وللمزيد أنظر. de paradis op cit p p 106-107 "ALger au ..op cit p p 106-107".

³ - عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ، المرجع السابق، ج2، ص 190 .

⁴ - هو بمثابة المجلس الكبير أعلى سلطة قضائية يتألف من قاضيين حنفيين وقاضيين مالكيين ومفتي ومجموعة من العلماء ويتخصص في قضايا الإستئناف من شكاوي السكان، ويعقد جلساته كل خميس في مدينة الجزائر، وللمزيد أنظر ، venture de paradis, op cit, p254

⁵ - أرزقي شويتام، طبيعة الحكم العثماني في الجزائر، المرجع السابق، ص 109.

الفصل الاول : الأوضاع العامة لإيالة الجزائر أواخر الحكم العثماني (1730م-1830م)

وأشار المؤرخ عثمان سعدي إلى أن هناك قاضي إياضي في بني ميزاب يعينه الباي.¹ كما أن لكل طائفة محاكم خاصة كاليهود والمسيحيين، وإذا حدثت خصومات بينهم فإن الداوي هو صاحب الفيصل والكلمة الأخيرة في مثل هذه القضايا²، وفي القضايا المدنية ويكون القاضي هو الأمر والنهي، وقد لقب بعدة ألقاب كالعالم والصدر والنزيه ويستخلص أحكامه من القرآن والسنة والعادات.³

أما بالنسبة للمسائل الجنائية، فهي من اختصاص الداوي أو الباي إذا كانت شائكة أما الخزناجي وأغا العرب والقياد يعالجون جرائم القتل والجنح السياسية والإدارية والمالية،⁴ وأما القضايا البسيطة فهي تفوض للقياد والشيخ لمعاقبتهم، وكان خوجة الخيل يحاكم العرب والاندلسيين بدورهم يحاكمهم الكيخيا، والأتراك يحاكمون من طرف الأغا، وعرف عن العقوبات بأنها اختلفت حسب التهمة المنسوبة من الإعدام بالشنق والحرق لليهود والمسيحيين، وكذلك السجن⁵ كما نذكر بأن السلطة قد سمحت لليهود بممارسة طقوسهم الدينية الخاصة بهم في معابد بنيت لهم، وكذلك المسيحيين خصصت لهم كنائس للتعبد فيها، وهو ما أكدته الكاتبة مورقان (Morgan) في هذا الصدد عندما أشار إلى أن كل الديانات العقائدية مسموح بها في الإيالة وأن الأجانب مهما كانوا عبيدا أو أحرارا، فهم يتمتعون بحرية ممارسة عقائدهم الدينية.⁶

وتواجد في البلاد مفتيان وهما الحنفي والمالكي، فالمذهب الحنفي هو المذهب الرسمي المعتمد في البلاد لأنه يمثل السلطة الحاكمة أو ما نسميه مذهب الدولة، ورغم قلة عدد منتسبيه مقارنة مع الشرائع الأخرى إلا أن المفتي الحنفي هو الشخصية الدينية الأولى فضلا على أنه يحتل مكانة هامة في الترتيب الاجتماعي أما المفتي المالكي، فيسمى شيخ الإسلام.⁷

1 - عثمان سعدي، الجزائر في التاريخ، المرجع السابق، ص 419 .

2 - عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر، المرجع السابق، ص ص 70-71.

3 - صليحة جبار، الجزائر في عهد الداوي علي باشا، المرجع السابق، ص 60.

4 - بن عتو بلبروات، المدينة والريف بالجزائر، المرجع السابق، ص 13.

5 - عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر، المرجع السابق، ص ص 70-71.

6 - ناصر الدين سعديوني والمهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص ص 22-23.

7 - عمار عمورة، المرجع السابق، ج2، ص 190.

الفصل الاول : الأوضاع العامة لإيالة الجزائر أواخر الحكم العثماني (1730م-1830م)

وهناك قضاة كثيرون منهم قاضي شؤون الميراث وقاضي الأحبار خاص باليهود،¹ وأهم ما ميز النظام القضائي² أواخر الحكم العثماني كثرة التشريعات الإدارية والامتيازات الممنوحة للقضاة والمفتين مما سمح بظهور أفات كالرشوة والفساد والمحاباة، فكانت القضايا تباع وتشتري مما أدى إلى كثرة الإختلاس والسرقة والتعدي،³ وفي المناطق الريفية كالجبال والصحراء لعب الشيوخ والمرابطون ورجال الدين عامة دورا كبيرا في أمر القضاء، حيث تمتع الشيوخ بالثقة والاحترام من طرف السكان، ويستند في اصدار الأحكام إلى العادات وبعض الأعراف الموروثة وذلك بمساعدة مجلس مكون من أعيان القبيلة.⁴

فبرز الشيوخ ورجال الدين الذين نالوا الحظوة والمرتبة في أوساط قبائلهم في حل الخلافات والخصوم بين أفراد القبيلة الواحدة أو القبائل فيم بينها حول مشاكل الأراضي والرعي والسقي والسرقة...⁵، كما تعرض عليهم قضايا اجتماعية كالزواج والطلاق وتوزيع الأراضي والتركات خاصة معالجة الثأر والانتقام التي هي مشكلة كبيرة في الأرياف، ويتم اختيار هؤلاء الشيوخ من الأشخاص العقلاء والنزهاء، ولم يتخل هؤلاء عن العمل بم جاء به القرآن الكريم من أمر ونهي وترغيب وترهيب وحق وباطل وما جاءت به سنة نبينا الكريم من أحكام الشريعة الإسلامية .

وفي أواخر الحكم محل دراستنا نشير إلى أن مؤسسة الأوقاف لعبت دورا كبيرا في النهوض بعدد المجالات خاصة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، عرفت بدورها ازدهارا

¹ - عمار عمورة، المرجع السابق، ج2، ص 168.

² - وأشار شالر إلى فساد النظام القضائي بكثرة الرشاوي والمحاباة والنفوذ في تسليط وإقرار الحكم القضائي حيث أن المتهم إذا كان لديه أيادي خفية نافذة، فحتما سينجوا من العقوبة، للمزيد أنظر وليام شالر، المصدر السابق، ص 46، وكما أشار الورتيلاني إلى انتشار ظاهرة الرشوة بين المفتين والقضاة بقوله: ".....إن القاضي والمفتي لا يتولى فيها إلا بارتشاء لديهم...."وللمزيد أنظر فاطمة الزهراء طوبال، النخبة الثقافية والسلطة في الجزائر، المرجع السابق، ص 174.

فالمناصب تباع وتشتري لمن يدفع أكثر، وكذلك الترقية، وتمنح الرشوة للوزراء والموظفين الكبار، أنظر أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص 153، وهو ما انعكس سلبا على أغلب القضاة أواخر الحكم العثماني حيث غلب عليهم الجهل و انعدام الكفاءة والنزاهة والأمانة في تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية، وأكثر من ذلك انغمسوا في الإستبداد وارتكاب المظالم في حق الرعية، وللمزيد أنظر، حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 129.

³ - حنفي هلايلي، أوراق في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 177.

⁴ - Mouloud kaid, l'algerie sous les turcs, 2éme édition MiMou Ni, Alger, p202.

⁵ - ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ المرجع السابق، ص 23.

الفصل الاول : الأوضاع العامة لإيالة الجزائر أواخر الحكم العثماني (1730م-1830م)

وانتشارا من خلال تزايد الأملاك الموقوفة بداخل المدن وخارجها، فأوقاف الجامع الأعظم وصل عددها إلى 543 وقفا وأوقاف عبد الرحمن الثعالبي 82 وقفا، وما مرد ذلك إلا لتزايد نفوذ الزوايا والطرق الدينية، وكثرة المصادرات والتغريم وكثرة المظالم من جانب السلطة، خاصة أن أغلب أفراد الحامية التركية ليس لهم من يرثهم بحكم حياة العزوبية وتسجيل عائداتها خاصة في المدن.¹

كما برزت شخصية أخرى حظيت بالمكانة المرموقة في أوساط المجتمع الجزائري، وهي شخصية نقيب الأشراف التي أعطت لها السلطة أهمية بالغة حيث أن نقيب الأشراف² يحضر الاجتماعات إلى جانب علماء المذهبين المالكي والحنفي في اجتماع الديوان، ويمضي إلى جانب امضاءات العلماء وأعضاء الديوان في التقرير الذي يرسله الباشا الجديد بمناسبة تعيينه إلى السلطان، وقد اندمجوا في جميع الشرائح المجتمع، فكان منهم العلماء والجنود والتجار وهناك منهم من اعتلى سدة الحكم كالداي حسين (1818م-1830م) (1233هـ-1246هـ) آخر حاكم لفترة دايات الجزائر، والذي تم عزله من قبل الاحتلال الفرنسي، ومن أشهر العائلات نجد:

عائلي المرتضي والزهار اللتان هما من العائلات المشهورة، فقد توارثت نقابة الأشراف، وآخر من تولى هذه الوظيفة هو أحمد الشريف الزهار،³ وكان آخر مفتي حنفي هو سيدي محمد بن العنابي والمفتي المالكي سيدي محمد بن الكبابطي اللذان انتقلا إلى مصر بعد عزلهم من طرف سلطات الاحتلال الفرنسي سنة 1830م-1246هـ في عهد الجنرال كلوزيل.⁴

¹ - ناصر الدين سعيدي والمهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص 23.

² - فالأشراف: في اللغة هو من الشريف والشرفة والشرف ظهرت هذه النخبة في القرن السابع عشر ميلادي، وبرز واتس نشاطها في عديد الحواضر العلمية، وللمزيد أنظر فاطمة الزهراء طوبال، المرجع السابق، ص 85 .

³ - خليفة إبراهيم حماش، العلاقات بين إيالة الجزائر والباب العالي من سنة 1798م إلى 1830م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الإسكندرية، الموسم (1408هـ-1988م)، ص ص 82-84.

⁴ - خليفة إبراهيم حماش، العلاقات بين إيالة الجزائر والباب العالي، المرجع السابق، ص 197.

الأوضاع الثقافية :

تميزت الحياة الثقافية أواخر الحكم العثماني بالبساطة والتنوع، فلم تشهد تطورا كبيرا فمالت إلى الركود لأن السلطة لم تكن تعمل على ازدهارها ولا تطويرها¹ وحتى تشجيعها، فكانت شبه مستقلة عن السلطة وعند الحديث عن التعليم، فقد تميز بالبساطة والانتشار والمجانية فكان تعليما حرا لم تتفق عليه السلطة سواء في الريف أو المدينة، وما لاحظناه أن الجزائر كانت تفتقر لمدارس عليا مثل الجارتين تونس والمغرب الأقصى، وهنا أقصد جامع القرويين وجامع الزيتونة، فوجود جامع بهذا الصرح يعطي للجزائر أكثر معاني وقيم سامية هادفة، وكانت المدارس الثانوية قليلة مع وجود مساجد كبرى منتشرة في بعض المدن، كما كثر العلماء في هذه الفترة وذاع صيتهم، ونذكر منهم:

أبي راس الناصري وعبد الكريم الفكون وأحمد البوني وسعيد المقري وأحمد بن سحنون الراشدي وعبد الرزاق محمد بن حمادوش (1696م-1783م) (1108هـ-1197هـ)، وغيرهم،² وهؤلاء برعوا في شتى العلوم كالطب والصيدلة والفلك والحساب والشعر،³ ومن أهم المراكز نجد:

الكتاتيب : خصصت لحفظ القرآن وتعليم القراءة والكتابة وبعض مبادئ الحساب تولى التدريس فيها المشائخ والفقهاء، وتواجدت بالمساجد أو بالقرب منها في المدن والأرياف، وقد عدد الكتاتيب القرآنية ب 3000 ألف.⁴

المساجد: انتشرت عبر الأحياء في المدن وكذا القرى أدت دورا كبيرا في خدمة المجتمع، وعرف عنها بأنها مكان للعلم والمعرفة و مركز للعبادة ومكان للإجتماع وحفظ القرآن الكريم وإقامة الصلاة، وكذا حل مشاكل الناس⁵ كالجامع الكبير بالعاصمة، ولعب المسجد دورا كبيرا في تنشيط الحياة الثقافية والعلمية من التعليم للصغار والكبار، وإقامة الشعائر الدينية، ونشر الوعي الديني والحفاظ على العقيدة الإسلامية، وقد قيل عن المسجد: "بأنه منارة العلم

1 - عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ، المرجع السابق، ج2، ص205.

2 - عثمان سعدي، الجزائر في التاريخ، المرجع السابق، ص 423.

3 - عثمان سعدي، نفسه، ص 435.

4 - رشيد مريخي، ملامح من الحياة الثقافية في الجزائر، المرجع السابق، ص 234.

5 - رشيد مريخي، ملامح من الحياة الثقافية في الجزائر، المرجع السابق، ص 235.

الفصل الاول : الأوضاع العامة لإيالة الجزائر أواخر الحكم العثماني (1730م-1830م)

والحضارة ومكان للعبادة ومجمع للمسلمين ومنشط لهم ومركز للحياة الدينية والعلمية والثقافية¹، وقد قام بعض البايات ببناء المساجد كجامع باي قسنطينة صالح² باي بعنابة إضافة إلى ما بناه بعض الأثرياء، وما قدموه من عمل تطوعي والدور الكبير الذي قامت به الجمعيات الخيرية الدينية والاجتماعية.³

المعمرات : هي مؤسسات ثقافية تشبه الزوايا مهمتها حفظ القرآن وتعليمه وتدريسه العلوم المختلفة ولها أحباس وقوانين داخلية، وقد انتشرت في المناطق الريفية خاصة منطقة جبال القبائل بالشرق الجزائري⁴ وتواجد بداخلها الطلبة والتلاميذ الذين جاءوا من عديد الزوايا المنتشرة، كما كانت تضم الفقراء والمساكين.

المدارس : كانت تضم ما بين 20 إلى 30 تلميذا يتعلمون القراءة والكتابة والحساب وحفظ القرآن ابتداء من سن 5 سنوات إلى 6 سنوات، ثم يدرسون مبادئ الدين الإسلامي حتى سن 14 سنة ليواصل دراسته في الثانوية، ثم يؤهل للتدريس أو ممارسة التجارة، وينتقل فيم بعد إلى المعاهد العليا، فيدرس اللغة العربية والعلوم الفقهية وقواعد النحو والبلاغة والمنطق، وبذلك انتشرت في العديد من مناطق الوطن في المدن والأرياف كعنابة وقسنطينة وتلمسان وندرومة والعاصمة ومازونة.⁵

الرباطات : من المراكز الثقافية التي لها دور كبير في التعليم والتربية أنشأت أغلبها في السواحل يمارس فيها طلبة العلم الجهاد والتدريس.⁶

1 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1500م-1830م)، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1998م، ص244

2 - ومن أهم وأبرز المدارس التي كان لها صدى وشهرة واسعة في قسنطينة نجد المدرسة الأخضرية التي أنشأها الباي صالح سنة 1778م والمدرسة الكتانية التي أنشأها الباي صالح سنة 1780م، كما قام الداوي حسين ببناء جامع القصبة وأيضاً ببناء جامع صفر، وللمزيد أنظر، عمار عمورة، المرجع السابق، ج2، ص 98.

وقام الداوي محمد بن عثمان خوجة (1766م-1792م) ببناء منشآت دينية كجامع السيدة الذي شيده بالقرب من قصر الجنية، وتم تحطيمه بداية الإحتلال الفرنسي سنة 1830م، وللمزيد أنظر، عمار عمورة، نفسه، ج2، ص98.

3- يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر (1+2) الجزائر، المرجع السابق، ص 210 .

4 - يحي بوعزيز، نفسه، ص 164.

5 - محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية، المصدر السابق، ص 59.

6 - رقية شارف، الكتابات التاريخية الجزائرية الحديثة خلال القرن 18م وبداية القرن 19م، دراسة تحليلية نقدية، دار الملكية، ط1، 2009م، ص 45.

الفصل الاول : الأوضاع العامة لإيالة الجزائر أواخر الحكم العثماني (1730م-1830م)

الزوايا: لها دور تعليمي وتربوي واجتماعي، حيث يتم فيها غرس الأخلاق الحسنة والمبادئ السمة ومن أهمها: حفظ القرآن وتعليمه وتدرّيس الفقهيات والعقائد وفوائد النحو والصرف والبلاغة والحديث، وتضم حوالي أكثر من 100 طالب لها نظام داخلي،¹ ويتم فيها تلقين الدروس واعدادها على المذهب المالكي أي ما جاء في القرآن والسنة النبوية الشريفة، وقد انتشرت بكثرة في بلاد الزواوة وقسنطينة وتلمسان ومعسكر وتشير احصائيات إلى تواجد 16 زاوية بقسنطينة و 12 زاوية بالعاصمة،² وعموما لعبت الزاوية دورا مهما في بعث وتنشيط الحياة العلمية والثقافية و الدينية، فكانت قلة للصغار والكبار ونشر الوعي الديني والحفاظ على مقومات الشخصية الوطنية وأكثر من ذلك مساعدة الفقراء والمساكين وعابري السبيل والصلح بين الناس.³

وما لاحظناه اهتمام بعض الحكام بالمجال الثقافي خاصة التعليمي، فقد اعتنوا بالمدارس وتشييدها وإقامة المساجد والكتاتيب والزوايا، فاهتموا بتطوير الحركة الأدبية والفنية من خلال نسخ الكتب وتقريب العلماء والأدباء، ومنهم الباي صالح باي الشرق الجزائري وباي الغرب الجزائري محمد الكبير،⁴ وهو ما أشار إليه أحمد الشريف الزهار في أن الباي صالح تميز بالرفق والعدل والرحمة مع السكان، والإحسان للفقراء وتقريبه للعلماء والصالحين.⁵

لعبت مصادر الوقف دورا كبيرا بتنوعها في تمويل التعليم،⁶ كأوقاف الجامع الأعظم وأوقاف مكة والمدينة وأوقاف سبل الخيرات وأوقاف الزوايا، فكانت تدير المنشأة الدينية والتعليمية والخيرية، وتتفق عوائدها على مرتبا الأئمة والمعلمين والمشرفين على المساجد وكذلك مساعدة المتعلمين، وتشيد المدارس والمساجد والزوايا والأضرحة⁷ كما لها دور مهم في المجالين الاقتصادي والاجتماعي.

1 - عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ، المرجع السابق، ج2، ص 202.

2 - رقية شارف، الكتابات التاريخية الجزائرية الحديثة، المرجع السابق، ص 45.

3 - عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ، المرجع السابق، ج2، ص 193.

4 - زبيدين قاسيمي، قيادة سيباو تاريخ منطقة القبائل في العهد العثماني وبداية الإحتلال الفرنسي (1720م_ 1857م)، دار الأمل، الجزائر، 2009م، ص 61.

5 - زبيدين قاسيمي، نفسه، ص 88.

6 - عثمان سعدي، الجزائر في التاريخ، المرجع السابق، ص 423.

7 - عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ، المرجع السابق، ج2، ص 195.

الفصل الاول : الأوضاع العامة لإيالة الجزائر أواخر الحكم العثماني (1730م-1830م)

كما شهد أواخر الحكم بانخفاض نسبة الأمية، وهذا ويدل على كثرة المؤسسات التعليمية وانتشارها في الأرياف والمدن، وكذا حاجة الفرد الجزائري للتعلم رغم الظروف الصعبة من فقر وحرمان، فتنقل بين الداخل والخارج لطلب العلم، وفي هذا ما تم نقله على شيمبر Chimber قوله: "لقد بحثت عن قصد عن عربي واحد يجهل القراءة والكتابة غير أنني لم أعثر عليه".¹ ومن جهة أخرى عن ظاهرة الجمود والركود يتحدث أبو القاسم سعد الله التي أشار إلى أنها كانت بارزة في العهد العثماني،² وهذا يدل على عدم العناية والاهتمام واللامبالاة من طرف السلطة بشؤون التربية والتعليم، وكذا إهمال الفئة المتعلمة والنخبة وتقريب العلماء والرفع من شأنهم³، وما يلاحظ على العثمانيين أنهم أظهرُوا محافظتهم على الدين الإسلامي وتشجيع الطرق الصوفية والأوقاف.

كما أنهم اهتموا بالعلوم النقلية أكثر من العلوم العقلية، وتحدث أيضا ابن سحنون الراشدي عن تفهقر اللسان العربي الفصيح وبلاغته إذ قال: "إن الأسنة غلبت عليها العجمة وارتفع منها سر الحكمة"⁴، وأمام هذا الضعف والركود والتفهقر اختار بعض العلماء والطلبة الهجرة إلى خارج البلاد لطلب العلم والمعرفة والاستقرار.

كما شهدت الإيالة أثارا فنية معمارية من خلال المساجد وما بني فيها من مآذن وقبب، وكذلك الحصون والقصور والحمامات والمنازل وقناطر المياه، ويعود ذلك إلى أدوات البناء والزينة، كما شغف الأتراك بالبناء والتعمير إضافة إلى ما يمتازون به من جودة وإتقان وزخرفة عالية، وكذا استعمال النقوش والرخام⁵، ومن أهم قصور أواخر الحكم العثماني نجد قصر حسن باشا القريب من جامع كتشاوة، والذي أنشأ سنة 1791م-1205هـ، وكذلك قصر الحمراء الذي شيد سنة 1800م-1216هـ في عهد الداوي حسين وقصر مصطفى

¹ - أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان (1830م-1855م)، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1، الجزائر، 1989م، ص13.

² - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1500م-1830م)، المرجع السابق، ج2، ص 13 .

³ - حنفي هلايلي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق، ص 265.

⁴ - سميرة طالي معمر، القوى المحلية في بابلك الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني (1792 م - 1831 م) (1206هـ - 1246 هـ)، رسالة لنيل شهادة الماجستير جامعة الجزائر، السنة (2009م-2010م)، ص 149.

⁵ - عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ، المرجع السابق، ج2، ص 221.

الفصل الاول : الأوضاع العامة لإيالة الجزائر أواخر الحكم العثماني (1730م-1830م)

باشا الذي تم بناؤه بعد سنة من تنصيبه 1799م-1215هـ،¹ ووجد دار الأغا بحيدرة التي أنشأت سنة 1799م-1215هـ، وهي ملك ليحي أغا وجامع صفر الذي تم إعادة بنائه سنة 1826م-1242هـ من طرف الداوي حسين،² كما اشتهر العثمانيون في فن الخزف من تذهيب المخطوطات وصناعة السجاد وفن الكتابة والخط.³

وقد برزت عدة حواضر ثقافية علمية كبرى كتلمسان وقسنطينة وبجاية ومعسكر ومازونة إضافة إلى الأسر العلمية التي أدت دورا كبيرا في النهوض بالفكر والثقافة وحظيت بمكانة خاصة لدى الحكام واحترام من طرف الرعية ، وقد شهدت تنافسا فيم بينها في تقلد المناصب والوظائف التي شملت التدريس والإفتاء والقضاء، ومن أشهر الأسر نجد أسرة بيت الطاهر المشرفي وعائلة العنابي والمجايي والبونوي وأسرة الفكون وغيرها.⁴

الأوضاع الخارجية لإيالة الجزائر :

إن الحديث عن العلاقات الجزائرية الخارجية أواخر الحكم العثماني يؤدي بنا إلى الخوض والتعمق في موضوع دراسة دولة لها سيادة وشبه استقلال، إن لم نقل استقلال فعلي في القرار والحكم عن الدولة العثمانية، وذلك منذ سنة 1711م-1123هـ، وبطبيعة الحال هذه السيادة تمثلت في دولة لها مبادئ وقيم تسييرها ومعاهدات ومراسلات واتفاقيات متعددة في جميع المجالات ومع عديد الدول الأوروبية وغيرها فضلا عن إعلان الحرب والسلم، وعندما نتكلم عن العلاقات الخارجية للجزائر فإننا نتطرق إلى العالم الإسلامي التي اختلفت العلاقة فيه من قطر إلى آخر حسب عديد الظروف والعوامل .

1- علاقة الإيالة مع الدولة العثمانية:

مالت العلاقة بين الجانبين إلى الصداقة والتعاون والمودة في إطار محاربة وصد العدوان والظلم من طرف الأعداء الأوربيين، فقد واجهتها تحديات كبيرة خاصة مع بداية القرن التاسع عشر، والتي عجلت بضعفها وتراجعها الشيء الذي سمح ب بروز القوة البحرية الجزائرية في

1 - عمار عمورة، نفسه، ص 230.

2 - عمار عمورة، المرجع السابق، ج2، ص 236.

3 - رشيد مريخي، ملامح من الحياة الثقافية في الجزائر، المرجع السابق، ص 243.

4 - فاطمة الزهراء طوبال، النخب الثقافية والسلطة في الجزائر، المرجع السابق، ص 41.

الفصل الاول : الأوضاع العامة لإيالة الجزائر أواخر الحكم العثماني (1730م-1830م)

شكل أسطولها الحربي ودعمه الكامل في حروبها الخارجية،¹ فنلمح من هذا التمسك بالروابط الدينية والمصالح المشتركة على غرار الشعور بالأخوة والإسلام السمة البارزة والغالبة على ذلك بينهما.

ومن أهم أشكال الدعم نجد:

الدعم العسكري: لعبت الجزائر بفضل أسطولها البحري القوي في الحوض المتوسط، وموقعها الجغرافي الممتاز دورا هاما في الدفاع عن الدولة العثمانية ضد التحالف الأوربي المسيحي كنوع من التضامن والجهاد المقدس والنصرة للإسلام والمسلمين، فالأسطول الجزائري لم يتوان عن ذلك ضد الأوربيين الصليبيين وتكتلاتهم، فقد وقف الأسطول الجزائري في الحرب الروسية العثمانية بين أعوام (1775م-1778م) (1189هـ-1192هـ)،² حيث أبلى بلاءا كبيرا ضدهم، كما قدم الأسطول البحري مساعدة عسكرية لمصر والباب العالي باعتبارها إيالة تابعة لها، وذلك على إثر تعرضها لحملة عسكرية من طرف الإمبراطور نابليون بونابارت سنة 1798م-1192هـ، في عهد الداوي مصطفى باشا (1798م-1805م) (1192هـ-1199هـ) الذي أوقف جميع التعاملات السياسية والعسكرية والاقتصادية معها خاصة بعد ثورتها الفرنسية وما تعرضت له من حصار أوربي عليها³، وكذلك في سنة 1824م-1240هـ قام الأسطول البحري الجزائري بمساعدة الدولة العثمانية في معركتها البحرية الفاصلة ضد الثوار اليونانيين بقيادة الرايس الحاج عبد الله صهر الرايس مصطفى، وفيها قدمت وحدات الأسطول هجوما مستميتا دفاعا عن المسلمين،⁴ كما برهنت الجزائر أنها السباقة في الدفاع عن الخلافة الإسلامية عندما شاركت بأسطولها في معركة نافارين سنة 1827م-1243هـ ضد التكتل الأوربي المتكون من بريطانيا وفرنسا والنمسا وروسيا، هذه

¹ - مولود قاسم نايت بلقاسم، شخصية الجزائر وهيبتها العالمية، قبل سنة 1830م، ج1، دار الأمة للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 2007م، ص ص 80-81.

² - رشيد مريخي، الجزائر في عهد الداوي مصطفى باشا (1798م-1805م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير جامعة الجزائر (2010م-2011م)، ص 34، أو للمزيد أنظر، ناصر الدين سعيدوني، وراقات جزائرية، المرجع السابق، ص 310

³ - جمال قنان، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث (1500م-1830م)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987، ص 55.

⁴ - يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر الحديثة، ط2، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، ج2، الجزائر، 2007م، ص ص 182-183.

الفصل الاول : الأوضاع العامة لإيالة الجزائر أواخر الحكم العثماني (1730م-1830م)

الأخيرة كانت تسعى جاهدة للتوسع نحو سواحل البحر الأسود¹، والتي نتج عنها عقد اتفاق صلح بين روسيا والدولة العثمانية، وما هو ملاحظ أن هذه المعركة كانت سببا رئيسيا في تحطم الأسطول الذي ذاع صيته لقرون طويلة على الحوض المتوسط بفقدانه لأجزاء هامة منه، وهو ما فتح ثغرة وفجوة كبيرتين في القوة العسكرية للإيالة التي أصبحت منهارة وأكثر عرضة للخطر الأوربي خاصة الفرنسي².

واستمرت الجزائر في دعمها العسكري³ للدولة العثمانية إلى غاية منتصف القرن التاسع عشر حتى فرض الحصار الفرنسي عليها سنة 1827م-1243هـ، ومن ثم الاحتلال الفرنسي لها سنة 1830م-1246هـ.

كما تميزت العلاقات بين الجانبين بتبادل الهدايا، كمظهر ارتباط بالدولة العثمانية بين السلطان وحكام الإيالة من خلال إرسال هدايا ثمينة للسلطين مرة كل ثلاث سنوات في المناسبات الخاصة، وذلك لضمان تقديم السلطان العثماني مساعدات ومعونات عسكرية واقتصادية ممثلة في العتاد الحربي كالمدافع والبارود والمراكب والسفن الحربية وغيرها⁴، وهذه الهدايا المتبادلة من شأنها تعزيز التعاون بينهما وتدعيم المجالين العسكري والاقتصادي، وتلقي الدعم الدبلوماسي والوقوف إلى جانبها في عديد الأزمات والقضايا⁵.

مغاريا :

تميزت العلاقات الجزائرية المغاربية مع تونس والمغرب الأقصى الحدوديتين أواخر الحكم العثماني بعدم الاستقرار والتذبذب، وهو ما لاحظته، فقد غلب عليها العداوة والصراعات من جهة، وفي بعض الفترات نجد السلم والأمن من جهة أخرى على شكل معاهدات واتفاقيات ومساعدات بينهما .

¹ - ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، المرجع السابق، ص 352.

² - مولود قاسم نايت بلقاسم، المرجع السابق، ج1، ص 81 .

³ - وفي الحديث عن الدعم العسكري الجزائري للأسطول العثماني في حروبه الخارجية ضد الدول الأوروبية المسيحية بغرض كسر شوكتها والتوسع في الأراضي على حسابها خاصة في سنوات 1759م _ 1763م _ 1774م، وللمزيد أنظر أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 29-30.

⁴ - محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية، المرجع السابق، ص 34.

⁵ - شالر وليام، المصدر السابق، ص 44.

1- إيالة تونس :

لقد اعتبرت تونس لوقت طويل تابعة الجزائر بحكم الضعف الذي كان ينتابها والمشاكل الداخلية التي عمتها على كافة الأصعدة، وضم إلى ذلك الخطر الخارجي، فالجزائر خلال الفترة الممتدة ما بين (1756م-1805م) (1169هـ-1220هـ) كانت تتدخل في تعيين البايات الذين يطلبون المساعدة منها في الوصول إلى الحكم أو استعادة حقهم المشروع نتيجة التنافس بينهم حول ذلك،¹ ومن الأمثلة ما قامت به السلطة في وتنصيب علي باشا (1740م-1756م) (1153هـ-1169هـ) بايا على تونس مقابل دفع ضرائب سنوية، إلا أنه أخل بهذه الشروط والإلتزامات المتفق عليها، وهو ما جعل من باي الشرق الجزائري قسنطينة الباي حسن أن يقدم على تنصيب أحد من أبناء الحسين بن علي وتتحية الباي علي مقابل عقد اتفاق مفاده فرض ضريبة سنوية عليها²، وكذلك عرفت العلاقات تصعيدا خطيراً في عهد الباي حمودة باشا (1782م-1814م) (1196هـ-1229هـ) الذي أراد التخلص من فكرة التبعية للجزائر بعدم التدخل في شؤونها منتهزا الظروف الصعبة التي تمر بها الجزائر داخليا خاصة الأمنية والاقتصادية والصحية وخارجيا من خلال التحرشات والغارات الأوربية على مدينة الجزائر، حيث شن حملة عسكرية فاشلة على قسنطينة التي حاصرها لمدة شهر سنة 1897م-1315هـ في عهد الداوي مصطفى باشا، ليضطر تحت ظروف قاسية للإسحاب³، وقد كان الفضاء الحدودي مفتوح بين الجانبين من خلال نشاط القبائل الريفية والبدوية كالحنانشة والنامشة والفراشيش التي لم تجد صعوبة في التنقل والترحال من مكان إلى آخر في أراضي الإيالتين لممارسة النشاط الإقتصادي خاصة الزراعة والرعي، كما شهدت احتضان قبائل هاربة من تسديد الضرائب بين الطرفين لجأت إليها لحمايتها من غضب السلطة، وهو ما شكل تهديدا لها⁴.

¹ - أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، السنة 1996، ص 321.

² - حنيفي هلايلي، أوراق في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص49.

³ - محمد خير فارس، المرجع السابق، ص111.

⁴ - ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي، المرجع السابق، ص 131.

الفصل الاول : الأوضاع العامة لإيالة الجزائر أواخر الحكم العثماني (1730م-1830م)

كما كان لحكام إيالة تونس أواخر الحكم أطماع توسعية في الأراضي الجزائرية بشن حملات على قسنطينة إلا أنها فشلت في مسعاها، كما شهدت نوعا من التجاذبات السياسية بسبب ظروف البلدين الصعبة ومواجهة الغزو الخارجي .

المغرب الأقصى:

تميزت العلاقة بين البلدين هي الأخرى بعدم الإستقرار نتيجة الأطماع التوسعية للمغرب الأقصى الذي كان يطمح إلى التوسع في الجنوب الغربي الجزائري أي تلمسان وجنوبها، فكان المغرب الأقصى يمارس سياسة التدخلات والتحرشات منتهزا الظروف الصعبة التي تمر بها الإيالة، كاشتغال الجند بالثورات والتمردات الداخلية، فوجد ثورة ابن الأحرش الدرقاوي في الشرق الجزائري، وثورة درقاوة في الغرب الجزائري والثورة التيحانية في الجنوب والغرب، واشتغال السلطة أيضا بثورة الأهالي في تلمسان سنة 1805م-1221هـ وحملة الباي حمودة على قسنطينة لاحتلالها، فانطلقت حملة عسكرية في عهد السلطان سليمان العلوي (1792م-1822م)(1208هـ-1238هـ) من فاس موجهة لاستهداف الجنوب الغربي من تلمسان ومنطقتي قورارة وعين توات سنة 1808م-1224هـ، وعلى إثر هذه الحملة قام باي وهران بإرسال حملة لصد العدوان المغربي إلا أنه فشل في ذلك، وأرغم على انتهاج سياسة التفاوض والجنوح إلى السلم.¹

أوريا:

تميزت العلاقة بين إيالة الجزائر والدول الأوروبية عموما بالعداء المستمر والتصعيد والتوتر العائد للأحقاد الدفينة والدسائس التي يكنها الأوروبيون بسبب ما وصلت إليه الجزائر من قوة كبرى وهيبة عالمية وسيطرتها على حوض المتوسط، فكانوا في خانة الخاضعين لها من تسديد للضرائب وحق الملاحة وحماية سفنهم العابرة من القرصنة، وماهو ملاحظ أنه تم شن العديد من الغارات والحملات الصليبية من جانب أحادي أو على شكل تحالف أوربي مشترك لضرب مدينة الجزائر بحجة واهية، وهي محاربة القرصنة على حد زعمهم والقضاء على ممارسة الرق، ويظهر تكالبهم من خلال مؤتمر فيينا سنة 1815م-1241هـ ومؤتمر إكس

¹ - أحمد بن خالد السلاوي أبو العباس الناصري، كتاب الإستقصاء في أخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق وتعريب محمد الناصري، دار البيضاء، دار الكتاب، 1956م، ص140.

الفصل الاول : الأوضاع العامة لإيالة الجزائر أواخر الحكم العثماني (1730م-1830م)

لاشاييل سنة 1818م-1234هـ Aix-la-Chapelle، وهما مؤتمراتان من أجل الحد من القرصنة والاسترقاق.

المنتهج من طرف الجزائر¹، ومع استمرار هذا النشاط المعادي وإقحام الجزائر في الحروب الخارجية مع الدولة العثمانية لنصرتها ودعمها تحطم الأسطول البحري في موقعة نافارين، فكانت الضربة القاضية لتدخل الجزائر مرحلة الضعف والانحطاط، وهو ما أدى إلى فقدان هيبتها وقوتها، ومع ذلك لم يمنع من وجود فترات سلم وأمن من خلال إبرام عديد المعاهدات والاتفاقيات بأنواعها مع بعض الدول الأوربية كالسويد وهولندا وانجلترا وفرنسا خاصة في المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية في شقها التجاري وذلك في عهد الداى محمد بكير باشا، والداى عثمان باشا اللذان عقدا معاهدات سلم وتحالف مع فرنسا وانجلترا، كما تحصلت على عديد الامتيازات والمكاسب المختلفة على التراب الجزائري، وعند التطرق إلى هذا التسابق بين الأوربيين في نيل مكاسب وامتيازات يدخل ضمن التقرب من إيالة الجزائر، واهتمامهم بمصالحهم الخاصة ومناطق نفوذهم للهيمنة على البحر الأبيض المتوسط، وجعله قاعدة ومركزا استراتيجيا هاما فضلا على أنه نقطة تحكم في الطرق الدولية.

وفي ظل هذه الظروف استمرت قوة الأسطول الجزائري في الحوض المتوسط وإدارته له، حيث واصل الحكام المتعاقبون أواخر الحكم رغم المشاكل والأوضاع السيئة على الاهتمام ببناء قوة عسكرية حربية نظرا للأخطار التي كانت محدقة بهم من جانب بعض الدول الأوربية، كما انتهزوا فرصة الحروب الأوربية لتجديد أسطولها البحري للحد من التحرشات والغارات وحماية الإيالة².

¹ - الميلي محمد مبارك، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1964م، ص 262، وللمزيد أنظر وليام شالر، المصدر السابق، ص146.

² - يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا، من تاريخ الجزائر والعرب، ج 1، دار الهدى 2009م، ص248.

وعند الحديث عن العلاقات الأوربية نستهلها بالتطرق إلى:

- إسبانيا: طغى على العلاقة بين الطرفين العداء والتوتر المتمثل في شكل حروب وتحرشات وغارات بسبب احتلالها لمدينة وهران على مرتين،¹ وكانت لها عديد الحملات البحرية على الجزائر حوالي 10 غارات، ونذكر منها حملة الدوق أوريللي سنة 1775م-1201هـ، إلا أنها فشلت أمام قوة وسمود الجزائريين، والتي أعطت صورة هامة في جانب التعاون بين القبائل والسلطة، وهذا لم يمنع من أن إسبانيا قد لجأت إلى استعمال الطرق والوسائل الدبلوماسية في علاقتها مع الجزائر حيث عقدت معاهدات صلح في شهر أوت 1785م-1211هـ أدت إلى عودة الهدوء والاستقرار ولو نسبيا،² وقد استمر الاحتلال الإسباني إلى غاية التحرير النهائية وطرد الإسبان من مدينة وهران سنة 1792م-1218هـ في عهد الداوي محمد بن عثمان باشا وإنقاذ بايلك الغرب والإيالة من احتلال استمر لفترة طويلة.

- إنجلترا :

تميزت العلاقة بين الجانبين بأنها كانت قائمة على تبادل المصالح والنفوذ في ظل صراع فرنسي انجليزي للاستفادة من امتيازات على الأراضي الجزائرية خاصة في المجال التجاري والصناعي³، فقد تميزت في أغلب الفترات بالسلم والاستقرار، ويعود ذلك إلى المعاهدات التي تم عقدها مع بعض الدول الأوربية، كما نرى بأنها اتخذت موقفا معاديا لها في بداية القرن 19م بهدف القضاء على الأسطول الجزائري الذي كان الشغل الشاغل ومصدر قلق الأوربيين،⁴ فأنجلترا قد شاركت في عديد العمليات الحربية والمؤامرات المحاكاة ضد الجزائر كمؤتمر فيينا الذي كان بطلب منها لوضع حد نهائي لأعمال القرصنة والرق للمسيحيين من طرف البحرية الجزائرية على مستوى البحر المتوسط، وكذلك إشرافها على إرسال حملة

¹ - يحي بوعزيز، المراسلات الجزائرية الإسبانية في أرشيف التاريخ الوطني لمريد (1748م_1780م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993م، ص 22.

² - يحي بوعزيز، نفسه، ص 38-44.

³ - وليام شالر، المصدر السابق، ص 140.

⁴ - ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ، المرجع السابق، ص 99.

الفصل الاول : الأوضاع العامة لإيالة الجزائر أواخر الحكم العثماني (1730م-1830م)

عسكرية بقيادة اللورد إكسموث exmouth، والتي امتدت من (26-30 أوت من سنة 1816م - 1232هـ) على مدينة الجزائر في عهد الداوي عمر باشا الذي رضخ لشروط الإنجليز.¹

- فرنسا :

عرفت العلاقات بين البلدين بالتصعيد والقطيعة من جهة والسلام و المودة من جهة أخرى، فنجد خلال الفترة من (1766م - إلى 1790م) (1182هـ - 1206هـ) قد تميزت بالهدوء والإستقرار والتقارب من خلال اعتراف الجزائر بالثورة الفرنسية سنة 1789م - 1204هـ ضد الأنظمة الرجعية الأوربية والاستبداد الملكي في عهد الداوي محمد بن عثمان باشا، فقدمت الكثير من المعونات والمساعدات الغذائية من قمح وشعير وغيرها دعما للثوار الفرنسيين والشعب الفرنسي في محنته خاصة وأن فرنسا كانت في ظل أزمة سياسية واقتصادية و اجتماعية ومالية وحصار أوربي عليها من طرف الأنظمة الملكية الرجعية التي تسعى للقضاء على الثورة الفرنسية أي النظام الجديد والحد منه ومنعه من الانتشار²، إلا أن هذا الوضع الجيد الذي ميز العلاقات لم يدم طويلا حيث تدهورت العلاقة في عهد الإمبراطور نابليون بونابرت سنة 1798م - 1214هـ عندما قام بحملة عسكرية على مصر التي رفضتها الجزائر رفضا قاطعا، فوقفت إلى جانب مصر ودعمتها عسكريا من خلال إرسال أسطولها البحري كما قطعت علاقاتها الدبلوماسية وطردت الممثلين عنها³.

وفي سنة 1800م - 1216هـ عادت العلاقة تدريجيا إلى السلم والتعاون بالتوقيع على عديد الاتفاقيات والمعاهدات التي تصب في صالح البلدين، وعرفت نشاطا اقتصاديا وتجاريا نشطا بينهما، إلا أنه في سنة 1815م - 1231هـ، وبسبب الأطماع الاستعمارية الفرنسية وسياسة التحرشات والمؤامرات التي حاكتها ضد الجزائر، فضلا عن مشاركتها في التكتلات والتحالفات الأوربية كما سبق الإشارة إليه، فانتهزت ضعفها وتراجع قوتها بتحطيم أجزاء من أسطولها، والمشاكل الداخلية لتنتهز فرصة باختلاق حادثة المروحة في عهد الداوي حسين

1 - ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ، المرجع السابق، ص46.

2 - محمد خير فارس، المرجع السابق، ص134.

3 - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 76.

الفصل الاول : الأوضاع العامة لإيالة الجزائر أواخر الحكم العثماني (1730م-1830م)

أخر دايات الجزائر كسبب رئيسي لإحتلال الجزائر التي سقطت في 5 جويلية 1830م-1246هـ، وقطع جميع السبل لكل من كان يطمح في احتلالها.¹

الولايات المتحدة الامريكية:

هي الأخرى تميزت بالسلم تارة والعداوة تارة أخرى، ويعود ذلك إلى التقلبات والأوضاع التي شهدتها الجانبان، فكانت الجزائر من البلدان السباقة إلى الاعتراف بها بعد حصولها على الاستقلال في 4 جويلية من سنة 1776م-1193هـ عن بريطانيا، وقدمت لها مساعدات متنوعة²، وعلى إثر ذلك قرر مجلس الشيوخ الأمريكي عقد معاهدة صلح وصداقة مع الجزائر.

وقد أبرمت معها الجزائر حوالي ثلاث اتفاقيات ومعاهدات صلح وصداقة في إطار تعزيز التعاون فالأولى كانت في 5 سبتمبر 1795م في عهد الداوي حسن، والثانية والثالثة كانت في سنة 1805م-1221هـ مفادها حرية الملاحة وحماية السفن الأمريكية في الحوض المتوسط وتنشيط التجارة بينهما، ومن جانب التصعيد والتوتر كانت تعمل الولايات المتحدة الامريكية مع الأوربيين في دسائسهم ومشاريعهم للقضاء على الأسطول الجزائري والحد منه، باعتبار أن أمريكا كانت متخوفة من قوة الجزائر وسيادتها على البحر المتوسط وأسطولها، فنجدها تحرض الأوربيين على القيام بذلك بحجة الضرائب وممارسة القرصنة على المسيحيين، وهو من شأنه تهديم الاقتصاد الأمريكي،³ وقد أعلنت الجزائر الحرب على أمريكا سنة 1785م-1201هـ بعد أن تم القبض على سفينتين أمريكيتين، وأسرت الكثير من أفرادها،⁴ وفي سنة 1812م-1228هـ توترت العلاقات الدبلوماسية بين البلدين مما أدى بالداوي إلى إعلان الحرب بسبب تأخر دفع الضرائب المترتبة عليها منذ سنة 1795م-1211هـ، إلا أن التطورات الحاصلة على الساحة في الحوض المتوسط فرضت نفسها خاصة ما تعلق ببيروز الولايات المتحدة، كقوة بحرية في البحر المتوسط ومنافستها للجزائر، وحتى الدول الأوربية

1 - عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ج3، ص 468.

2 - محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص42.

3 - جيمس ليندر كاتكارت، مذكرات أسير الداوي جيمس كاتكارت قنصل أمريكا في المغرب، ترجمة اسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م، ص165.

4 - ابو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ج1، ص 286 .

الفصل الاول : الأوضاع العامة لإيالة الجزائر أواخر الحكم العثماني (1730م-1830م)

لتفرض معاهدة جديدة تم عقدها في 30 جوان 1815م-1231هـ في عهد الداى عمر باشا(1815م-1817م)، والذي خلف الداى علي باشا كما تواجد أسطولها البحري فيه لغرض توفير الحماية والأمن للسفن التجارية العابرة على الحوض¹.

كما تم عقد اتفاقية في ديسمبر 1816م-1232هـ مع الداى عمر أغا الذي كان في مرحلة ضعف وتقهقر نتيجة التحرشات الأوربية، الأمر الذي جعله في موقف سيئ، فقد اضطر إلى قبول مواد الاتفاقية وأهم ما جاء فيها امتناع أمريكا عن دفع الضرائب السنوية لصالح الجزائر، وهو ما شجع وحفز الدول الأوربية في رفض الشروط التي فرضت عليها خاصة التخلص من الضرائب والإتاوات السنوية، واستمرت هذه الأوضاع إلى غاية الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830م - 1246هـ.²

إن تدهور الأوضاع العامة للإيالة في بداية القرن 19م بسبب عديد العوامل والظروف الداخلية والخارجية، قد أثرت سلبا على استقرار البلاد وأمنها، فشيوع وانتشار الفساد السياسي والإداري عجل بثورات وتمردات شعبية دينية من ربوع البلاد خاصة في الجهتين الشرقية والغربية أدت إلى انعدام الثقة بين الرعية والراعي، فكادت أن تعصف بتواجده بعدما هزت أركانه وهددت استقراره من جهة، وهو ما من شأنه من جهة أخرى أن مهد للكثير من الطامعين والحاquدين في خيرات البلاد خاصة المشروع الفرنسي لاحتلال الجزائر التي وجد من هذه الأوضاع أرضا خصبة ومناخا ملائما لتجسيد خطته في احتلالها سنة 1830م - 1246هـ.

¹ - وفي عهده شنت الولايات المتحدة حربا على الجزائر في ماي 1815م، قتل فيها الرئيس حميدو وتم أسر الكثير من البحارة، وعلى إثر ذلك امتنعت الولايات المتحدة عن دفع الضرائب وأملت شروطها عليها، ينظر شالر وليام، المصدر السابق، ص 147، أو ينظر فتيحة صحراوي، الجزائر في عهد الداى حسين (1818م-1830م)، دار كوكب العلوم للنشر والتوزيع والطباعة، الجزائر، 2016م، ص30.

² - عطية محمد، محن الجزائر في عهد الداى عمر (1815م-1817م) ومواقفه منها، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، العدد 13_20 جوان 2017م، ص ص 313-314.

الفصل الثاني

جغرافية إيالة الجزائر وتركيبها القبلي وأهم أنشطتها الاقتصادية

المبحث الأول: الخصوصية الجغرافية والطبيعية لإيالة الجزائر

1- دراسة الموقع الفلكي والجغرافي للإيالة

2- دراسة الخصائص الطبيعية

المبحث الثاني: دراسة طبيعية وجغرافية لبايلكات إيالة

1. بايلك دار السلطان

2. بايلك التيطري

3. بايلك الشرق

4. بايلك الغرب

المبحث الثالث: التركيبة القبليّة للجزائر العثمانية

1. قبائل المخزن

2. قبائل الرعية

3. قبائل المتحالفة أو المستقلة

4. قبائل ممتنعة أو متمرّدة

المبحث الرابع: النشاط الإقتصادي الممارس من طرف القبائل

1. نشاط الزراعة

2. نشاط الصناعة والحرف

3. نشاط الرعي

4. نشاط التجارة

توطئة :

في هذا الفصل سنحاول التطرق إلى دراسة طبيعية وجغرافية لإيالة الجزائر، وما تمتاز به من موقع إستراتيجي هام فضلا عن التنوع في المظاهر و الخصائص الطبيعية والمناخية والمعالم التضاريسية، وهو ما جعلها مركزا حيويا هاما في حوض البحر الأبيض المتوسط وتبوؤها لمكانة مرموقة دوليا، ويتعدد البايلاكات عبر الجهات الأربع، فقد انفرد كل بايلك بمعطيات جغرافية وطبيعية ومناخية ونشاط اقتصادي ميزه عن الآخر، كما أن هذا الإطار الجغرافي الممتد على مساحة شاسعة في ظل حدود غير ثابتة وتقسيم إداري وسياسي متطور شهد توزيعا عاما لقبائل وأعراش كثيرة ومتنوعة مصنفة على عدة عوامل ومعطيات، فلكل قبيلة نفوذها ومحيطها الجغرافي، وبذلك شكلت خارطة لمجتمع ريفي بالأساس بنت علاقتها بالسلطة من خلال الموقع الجغرافي بالأساس، وهو ما يخدم موضوعنا لمعرفة الإطار الجغرافي العام ثم النشاط الإقتصادي من زراعة ورعي وصناعة وتجارة ساهمت في تطور و إنعاش الحياة في البلاد .

الموقع الفلكي و الجغرافي لإيالة الجزائر :

تتميز الجزائر بموقع استراتيجي هام حيث تعتبر همزة وصل بين الدول المغاربية، ومنطقة عبور وملتقى للتجارة العابرة إلى أوروبا والصحراء إضافة إلى تحكمها في الحوض الغربي للبحر المتوسط،¹ كما أنها تقع فلكيا* وذلك وفق اعتماد خط غرينيتش الدولي بين خطي طول 9° غربا و 12° شرقا، وبين 18° شمالا و 38° شمالا خط الإستواء، ومنه يتضح لنا أنها تقع على إمتداد 2000 كلم، كما تقدر مساحتها ب741،381،2 كم مربع،² وعند التطرق إلى حدودها الجغرافية، فنجد ما تطرق إليه القنصل الأمريكي وليام شالر في وصفه الدقيق والمفصل لحدود ما سماها مملكة الجزائر، فمن الشمال يحدها البحر الأبيض المتوسط ومن الشرق تحدها مملكة تونس وغربا المغرب الأقصى أو مملكة فاس ومن جهة الجنوب نجد جبال الأطلس الصحراوي وفق مساحة مقدرة بـ30 ألف ميل مربع، كما تعتبر بوابة إفريقيا وتتوسط القارات الثلاثة أوروبا وإفريقيا وآسيا مما جعلها تتميز بموقع إستراتيجي هام ومتميز.³

وتتميز إيالة الجزائر بمنطقتين جغرافيتين أو نطاقين إقليميين طبيعيين متميزين ومختلفين عن بعضهما البعض من حيث عديد المظاهر التضاريسية والمناخ والتركيب الجيولوجي، وهما التل والصحراء اللذان يغلب عليهما الطابع الجبلي الممتد من الشرق إلى الغرب أي ما يعرفه الجغرافيون بمصطلحي الأطلس التلي أو الصغير والأطلس الصحراوي أو الكبير.

1- بومدين دباب، بايلك الغرب الجزائري خلال القرن 18 م، دراسة سياسية واقتصادية واجتماعية، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة الجيلالي اليايس سيدي بلعباس، الموسم 2016م -2017م، ص 9.

2- ناصر الدين والمهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ، المرجع السابق، ص 73.

*- ويشير القنصل الأمريكي شالر إلى الموقع الفلكي للإيالة في أن خطوط الطول تكون بحوالي 16 دقيقة من خط غرينيتش من الجهة الغربية، ويحددها ب 90° و 16 دقيقة طول شرقي الجهة، ويبلغ طولها حوالي 500 ميل هذا عن الطول، أما العرض فيشير إلى أنه لم يعثر على معلومات دقيقة لأي موقع فهي موضع شك ومبهما، وللمزيد أنظر شالر، المرجع السابق، ص 26.

3- ج أ و هابنسترايت، رحلة العالم الألماني ج ا هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس، ترجمة وتحقيق وتعليق، ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الاسلامي، تونس (1732 م -1145 هـ)، ص 25.

فالأطلس التلي هو سلسلة جبلية تقع بمحاذاة الساحل الجزائري الذي يمتد من الحدود الشرقية للإيالة إلى الحدود الغربية على طول مسافة قدرت بـ1200 كم به كتل جبلية غربية وشرقية وعرف الجانب الشرقي للأطلس التلي أكثر اتساعا من الأطلس الغربي¹ حيث تتواجد القمم الجبلية والأحواض² المغلقة وتساقط الأمطار، ومنه يتضح لنا أن الوعاء التضاريسي أكثر وضوحا وتطورا للجانب الشرقي من الجانب الغربي، وتتميز جبال الأطلس التلي³ بالإرتفاع وبأنها حديثة التكوين والتوائية ومنها نجد :

جبال سعيدة في الغرب وجبال الونشريس⁴ وجبال الظهرة⁵ التي ارتفاعها ميل، أما جبال زكار فيبلغ ارتفاعها بميل ونصف وجبال إيدوغ⁶ تبلغ ميل، وجبال التيطري تقع في شمال الإيالة وفي جنوب منطقة الأطلس التلي، فهي نقطة فاصلة بين الهضاب العليا والتل، وبين منعطف وادي الشلف⁷ إلى الغرب وسهل وادي الساحل، وإلى شمالها نجد سهول متيجة

¹ - فارس كعوان و نصر الدين عبد الغفور، تأثير التضاريس، المرجع السابق، ص 282.

² - أحواض جمع حوض : وهو سهل تحيط به الجبال أو التلال من عدة أقاليم ونواحي .

³ - الأطلس التلي: هو سلسلة جبلية تمتد وتتوسع أو تفتح عن السهول الشاسعة، كسهل المدية وسيدي بلعباس مثلا ويرتفع طولها إلى 2308م، ونقصد بها قمة لا لخديجة ببلاد جرجرة ببلاد القبائل، وفي الأطلس التلي جبال تلية غنية بها غابات كثيفة كما بها جبال متتالية ومتلاحقة من الشرق إلى الغرب كجبال سوق أهراس، وجبال البابور وجبال جرجرة، وجبال الونشريس، وللمزيد أنظر أحمد توفيق المدني، جغرافية القطر الجزائري الناشئة الإسلامية، دار البصائر الجديدة، الجزائر، 2012م، ص 15.

⁴ - جبال الونشريس : ونقصد بها سلسلة جبلية تتواجد بالشمال الغربي للجزائر، وقد تحدث عنه الوزان بقوله : ".....جبل شاهقوهو جيد التربة كثير العيون، وفي قمته الشديدة الوعورة، كما به كمية وافرة من معدن التوتيا أي الزنك"، وللمزيد أنظر الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، ج2، ط2، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م، ص 45.

⁵ - جبال الظهرة :وهي التي تمتد على ساحل البحر من تنس إلى مستغانم، وتتميز بكونها قليلة الإرتفاع بحوالي 877م .

⁶ -جبال إيدوغ: يتواجد بين منطقتي سكيكدة وعنابة الشرقيتين، ويتميز بوجود غابات الفلين والزيتون كما به مجاري مائية صغيرة كوادى الذهب وبوجمة مثلا، ويحتوي الجبل على ثروات معدنية كالحديد والنحاس والفضة، وللمزيد أنظر أحمد توفيق المدني، جغرافية القطر الجزائري، المرجع السابق، ص 71.

⁷ - وادي الشلف : يصفه شالر بأنه أعظم نهر، ولربما يعود ذلك للمساحة التي يغطيها، فمنابعه تقع في الصحراء جنوب بابلك التيطري، أي جبال عمور وفرندة ومجرى النهر به يقترب من مدينة الجزائر على مسافة 50ميلا منها، ليمر فيما بعد إلى جهة الغرب ويصب في البحر الأبيض المتوسط على مسافة 30ميلا غربي رأس تنس، أو 650كيلومتر، وللمزيد أنظر، وليام شالر، المصدر السابق، ص 31 أو أحمد توفيق المدني، جغرافية القطر، المرجع السابق، ص 22 .

وجبال جرجرة،¹ كما نجد سهول وأحواض داخلية ارتفاعها 500 م كسيدي بلعباس ومعسكر والشلف وسهول ساحلية كعنابة وبجاية ووهران، أما سلسلة الأطلس الصحراوي، فهي تقع في جنوب الأطلس التلي وتمتد من الشرق إلى الغرب، ويتميز بقاعدته الصحراوية وغطاءه النباتي المحدود وتضاريسه المختلفة من جبال وسهول وأودية التي تتميز بأنها كتل مترابطة متوازية للأطلس التلي نجد: جبل بني راشد وهو جبل عمور وجبال القصور وجبل أوراس وجبال الصحاري وأطولهم قمة شيليا.

الأطلس الصحراوي: عبارة عن كتل جبلية طولها 700 متر² ويمتد من فجيغ غربا حتى إقليم الزاب شرقا باتجاه الجنوب الغربي، كما له موقع بين الشمال والجنوب ويتميز بأن سفوحه الجبلية شديدة الإنحدار، أما الأودية الصحراوية وهي التي تجري إلى الجنوب من سلسلة الأطلس الصحراوي وتصب أحيانا في الشطوط، وتتميز بأنها عديمة الإنتظام كما أنها فجائية وعند الحديث عن الأودية الصحراوية نجد أهمها وادي جدي الذي منبعه من أفلو بالأغواط في جبال عمور³ ووادي عمور أيضا، والوادي الأبيض المنحدر من جبال الأوراس كلهم يصبون في شط ملغيغ ووادي سوف، وكذا وادي أرسن، وأطول وادي هو وادي الشلف بمسافة 725 كلم يمتد من الأطلس الصحراوي إلى البحر المتوسط، وتتحد الأودية من السفوح الجنوبية للأطلس الصحراوي⁴ متجهة من الشمال إلى الجنوب باستثناء وادي جدي

¹ - ج، او، هابسترايت، المصدر السابق، ص 49.

² -مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم وتصحيح محمد الميلي، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، ص ص 49-50.

³ - **جبل عمور** : ويطلق عليه أيضا اسم جبل راشد الذي يقع بين جبال أولاد نايل شرقا وجبال القصور غربا، فهو جزء من الأطلس الصحراوي يمتاز بالعلو حيث قمته طولها 100 كيلومتر وعرضها 60 كيلومتر، وفيه 100 عين جارية، كما ينبع منه واد الخير وأرضه صالحة للزراعة، وفيه أنواع الخشب وسكانه يربون الماشية، يمارسون التنقل والترحال كنمط معيشي، ويعتبر همزة وصل بين الشمال والجنوب، وللمزيد أنظر عبد القادر المشرفي، بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين بوهران من الاعراب كبني عامر، تح محمد بن عبد الكريم، لبنان، دار مكتبة الحياة، د ط، ص 25 أو أنظر أحمد توفيق المدني، جغرافية الجزائر، المرجع السابق، ص 39 أو بن عتو بلبروات، المدينة والريف بالجزائر، المرجع السابق، ص 212.

⁴ - **الأطلس الصحراوي:** هو عبارة عن جبال شاهقة فاصلة بين النجود والصحراء من الشرق إلى الغرب، ومن أهم الجبال نجد جبال النمامشة بالشرق الجزائري وجبال العمور والقصور، كما تعتبر قمة شلية 2327م هي أعلى قمة بالأطلس الصحراوي وللمزيد أنظر، أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 18.

الفصل الثاني : جغرافية إيالة الجزائر وتركيبها القبلية وأهم أنشطتها الاقتصادية

الذي يسير على طول السفوح الجنوبية لجبال الأطلس الصحراوي، أما أودية السفوح الجنوبية لجبال الأطلس الصحراوي التي تغوص في الرمال الصحراوية، فهي تتحول إلى مشكلة عيون طبيعية وأبار إرتوازية في الواحات الصحراوية¹، ويمتاز الإقليم الصحراوي بتواجد السهول التحاتية الواسعة والأحواض المغلقة والعروق الرملية والواحات.

للإيالة ثلاثة أقاليم مناخية متباينة وهي :

- إقليم البحر الأبيض المتوسط : وهذا الإقليم يسود المنطقة الشمالية لسلسلة الأطلس التلي ويمتد من تلمسان غربا حتى سوق أهراس شرقا أي يتواجد في المناطق الساحلية، ويتميز هذا الإقليم بالبرودة وغزارة الأمطار شتاء حار وجاف صيفا، وتنمو به أشجار ونباتات مختلفة كأشجار الصنوبر والبلوط والزيتون والفلين وغيرها، وبه جبال الباور وجرجرة والبليدة.²

- إقليم الإستبس أو القاري: يمتد إلى الجنوب من إقليم البحر الأبيض المتوسط يسود المناطق الداخلية السهبية والهضاب العليا، شتاؤه بارد وصيفه حار وجاف، ويمتاز بالرطوبة المنخفضة والأمطار القليلة، كما أن مناخه انتقالي بين مناخ الصحراء في الجنوب ومناخ البحر المتوسط في الشمال، وتسوده تربة فقيرة تفتقر للمواد العضوية، وحشائشه قصيرة وشجيراته قليلة أهمها الشيح والحلفاء، وأمطاره تتراوح ما بين 400 إلى 600 ملم سنويا، ويحد الإقليم جنوبا السفوح الجنوبية لسلسلة الأطلس الصحراوي وجبال الأوراس، كما تقدر مساحته بحوالي 140 ألف كيلو متر مربع ممتدة من الحدود المغربية غربا إلى الحدود التونسية شرقا وينتهي هذا الإقليم بانتهاء سلسلة جبال الأطلس الصحراوي.³

الإقليم الصحراوي:

يعتبر هذا الإقليم من أكبر الأقاليم المناخية مساحة حوالي 80% من المساحة الكلية، ويتميز بكثرة الجفاف ودرجة الحرارة المرتفعة وهبوب العواصف الرملية وندرة الحياة النباتية،

¹ - اسمهان لعربي، الحياة الإقتصادية في بايلك الشرق خلال العهد العثماني (1713م-1792م)، أطروحة دكتوراه، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، (2012م-2013م)، ص 83.

² - محمد الهادي العروق، أطلس الجزائر والعالم، دار الهدى عين مليلة، الجزائر، دت، ص ص 18-13.

³ - أحمد توفيق المدني، جغرافية القطر الجزائري، المرجع السابق، ص ص 32-34.

الفصل الثاني : جغرافية إيالة الجزائر وتركيبها القبلي وأهم أنشطتها الاقتصادية

وذلك بكثرة النباتات الشوكية القصيرة المقاومة للجفاف، وكذا ندرة الأمطار حيث لا تتجاوز كمية الأمطار 200 ملم سنويا، وكثافة سكانية قليلة متواجدة في الواحات فقط، أين يعيشون في قرى أهلة بهم لتوفر ضروريات الحياة حيث نجد الماء والكأ، والنشاط الممارس من طرف السكان هو الزراعة من خضر وفواكه وأشجارمختلفة، وكذا تربية الماشية و الإبل.¹

وينقسم الإقليم الصحراوي إلى قسمين هما :

- **المنخفض الشمالي الشرقي** : وهو حوض واسع يمتد من جبال النمامشة والأوراس إرتفاعه 300 م به عدة شطوط كشط ملغيغ تصب فيه الأودية .

- **الصحراء الشمالية** : وهي التي تمتد من هضاب ميزاب بغرداية إلى الجهة الغربية الشمالية لتندوف وتتميز بأنها ضمن نطاق مساحات شاسعة مليئة بالواحات والهضبات وينابيع المياه .

والجزائر مقسمة إلى أربعة شرائط متوازية متمثلة في ما يلي :

الشريط الأول : يحده الأطلس التلي وهي منطقة قليلة الإرتفاع عن سطح البحر، و تعرف بالسهول الساحلية ثم السهول الأكثر إرتفاعا، وتسمى السهول الداخلية التي هي على شكل أحواض إرتفاعها 500 متر.

الشريط الثاني : ويتمثل في سلسلة الأطلس التلي وقد أشرنا إليه سابقا.

الشريط الثالث : وهو ما يمثل منطقة الهضاب العليا والتي تنقسم إلى قسمين:

- **هضاب شرقية**: تمتد من الشرق إلى الغرب من جبال الحضنة بين الأطلسين ب800 متر

- **هضاب غربية** : وهي التي تمتد من الحضنة إلى الحدود المغربية وإرتفاعها من 650 متر إلى 1000 متر.

¹ - أحمد توفيق المدني، جغرافية القطر الجزائري، المرجع السابق، ص ص 44-47، أو أنظر سعاد عقاد، الفلاحون الجزائريون والسلطة العثمانية في الجزائر (1519م-1830م)، دار السلطان أنموذجا، رسالة لنيل شهادة الماجستير، (2013م-2014م)، جامعة وهران، ص142.

الشريط الرابع : فهو سلسلة الأطلس الصحراوي وقد أشرنا إليه سابقا.¹

أما المجاري المائية في الإيالة، فنجد بأنها تتحكم فيها أربعة عوامل أساسية هي: المناخ والتضاريس والتربة والنبات.

وتتميز المياه بالتذبذب حيث أنه في فصل الشتاء تكون الأمطار غزيرة فتمتلئ الأودية، أما في فصل الصيف، فتجف الأودية وتظهر فيها الرمال والحصى، وقد عرفت الإيالة عديد الأنواع من التربة وذلك لتنوع الظروف والعوامل الطبيعية والمناخية ومنها:

-التربة التلية: وهي خصبة صالحة للزراعة أمطارها سنوية تزيد عن 500 ملم وبها أنواع هي: التربة الفيضية: وتنتشر في السهول الشمالية والتلية خاصة في وهران ومتيجة وعنابة وعلى طول الأودية، وهي تحتوي على نسب عالية من المواد العضوية والمعدنية، و تصلح للزراعة ونمو الغطاء النباتي، وهي قريبة من مصبات وضايف الأودية كنهر الشلف،² كما تتواجد بالجبال والسهول خاصة تلك الممتدة بين جيجل وبجاية .

- التربة الجبلية: أو ما تسمى بالتربة الخفية، والتي تميزت بأنها فقيرة وتواجدت على سفوح الجبال وتتكون من صخور حصوية أو رملية مختلطة خاصة بالجلاميد، وهو نوع من الصخور.

- التربة الصحراوية: وهي أيضا غير غنية فقيرة بالمواد العضوية لا تصلح للزراعة³.

- النجود: ويقصد بها تلك المنطقة الممتدة من جبال التندارة غربا إلى منخفض الحضنة شرقا ويتسع بالأطلس التلي ويمتد إلى الجنوب ليلتقي مع الأطلس الصحراوي، ويشمل الهضاب العليا

- جبال القصور: تنتمي إلى الأطلس الصحراوي، وهي متواجدة بحوالي 400 كيلومتر جنوب مدينة وهران أي من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي، وتنتهي عند جبال العمور

¹ - حلبي عبد القادر علي، جغرافية الجزائر (طبيعية - بشرية - إقتصادية)، مطبعة الإنشاء، 1968 م، ط2، ص 46.

² - اسمهان لعربي، الحياة الإقتصادية في بابلك الشرق، المرجع السابق، ص 88.

³ - نعيم الظاهر، جغرافية الوطن العربي، داراليازوري للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1999م، ص 56.

الفصل الثاني : جغرافية إيالة الجزائر وتركيبها القبليّة وأهم أنشطتها الاقتصادية

شرقاً، ويحد جبال القصور جبال السلسلة الأطلسية المغربية وارتفاعها عند قمة سيدي عيسى بحوالي 2236 متر مربع¹.

- **جبال الصحاري أو السحاري:** وتسمى جبال أولاد نايل وجبال بوفایل التي يبلغ ارتفاعها 1530 متر ، وتمتد بين جبالي الأوراس وعمور التي هي عبارة عن سلسلة صخرية قاحلة جرداء تقع جنوب الهضاب العليا².

- **جبال الزيبان :** يتواجد بالأطلس الصحراوي، ويتميز بأنه قليل الإرتفاع أراضيّه ليست خصبة وقليلة العمران³.

الموقع الجغرافي لبابلك⁴ دار السلطان: يتميز بموقع جغرافي استراتيجي مميز وهام حيث يشمل الجزائر العاصمة وضواحيها، وهو أصغر البايلكات، ويشير صالح عباد إلى أن تاريخ انشائه وظهوره يعود إلى عامل سياسي متمثل في ضمان أمن واستقرار السلطة واستمراريتها وذلك سنة (1516 م- 922 هـ)، فهي تعرف بمقر الحكم المركزي والرسمي للإدارة العثمانية مقر الحاكم والديوان والأغا، كما به أكبر عدد من المدن، وكثافة سكانية مرتفعة ويتوافد إليه السكان من كل صوب وحدب وعبر ربوع الإيالة⁵، ويضم في هذا الإطار الجغرافي الذي يمتد من دلس شرقاً إلى شرشال غرباً ومن ساحل البحر المتوسط شمالاً إلى سفوح الأطلس البليدي جنوباً⁶، وأهم المدن التي يضمها أي المنطقة السهلية متيجة والساحل الواقعة بين البحر والأطلس التلي كل من (البليدة-القليعة-شرشال-دلس-الجزائر)⁷.

وقد قام خير الدين بربروس بتقسيم دار السلطان إلى ثلاثة أقسام وهي :

- 1 - الهادي قطش، أطلس الجزائر والعالم، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، د، ت ، ص 35.
- 2 - الهادي قطش، نفسه، ص 35، أو ينظر أحمد توفيق المدني ، جغرافية القطر الجزائري، المرجع السابق، ص 38.
- 3 - أحمد توفيق المدني، نفسه، ص 38.
- 4 - **البايلك:** ونقصد به هو السلطة والإقليم السياسي الذي يمارس فيه الحاكم سلطته وصلاحياته كما أنه مركز حكم بالنسبة لإيالة الجزائر، وللمزيد أنظر كمال فيلالي، نظام الحكم في الجزائر العثمانية مجلة الهجرة والرحلة، عدد خاص مخبر الأبحاث والدراسات السوسيو تاريخية، جامعة قسنطينة 2، أفريل 2014، ص 18.
- 5 - صالح عباد، المرجع السابق، ص 281.
- 6 - عمار بوحوش، المرجع السابق، ص 63.
- 7 - ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي، المرجع السابق، ص 23.

الفصل الثاني : جغرافية إيالة الجزائر وتركيبها القبلية وأهم أنشطتها الاقتصادية

- قسم الوسط يشمل مدينة الجزائر وما جاورها.

- قسم الشرق مركزه مدينة دلس.

- قسم الغرب مركزه مدينة شرشال.

أما أوطانها، فيرأسها الشيخ أو القائد وبها ثلاثة فحوص مقسمة إلى ثلاثة مناطق وذلك حسب الموقع الجغرافي،¹ و طبيعة النشاط الإقتصادي الممارس وهي :

- المنطقة الشمالية أي فحص باب الوادي وبه عديد النواحي خاصة واد بوزريعة ووادي قريش وبئر طرارية.²

- المنطقة الجنوبية أو الوسطى وتسمى باب الجديد، ويضم عديد النواحي كوادي الرمان وبني مسوس وكذا عيون حيدرة.

- المنطقة الشرقية وهي فحص باب عزون وتضم كل من الحامة والقبة والعناصر وغيرها ويحكمه الداى مباشرة بواسطة أغا الصبايحية.³

أما عن الأوطان، فقسمت إلى قسمين يمثلان شريان الحياة الإقتصادية وتحتوي على منطقتين جغرافيتين هما:

الأولى: تسمى منطقة الساحل القريبة من البحر وبها سبعة أوطان كوطن يسر وحجوط والخشنة وبني موسى وبني خليل.

الثانية: هي منطقة الساحل المتكونة من مجموعة التلال المطلة على البحر حيث لها حدود مع متيجة وذلك من الجهة الشمالية التي تتوقف عند مدينة شرشال وبالضبط في مصب واد سيباو.

¹ - وبالنسبة للحدود الجغرافية لمقاطعة دار السلطان نفس الشيء يذهب إليه حنيفي هلايلي في إشارة له أنه يمتد شرقا من مدينة دلس حتى غربا عند مدينة شرشال وشمالا من البحر الأبيض المتوسط إلى الجهة الجنوبية عند بايلك التيطري، وللمزيد أنظر، حنيفي هلايلي، أوراق في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص146.

² - عقاد سعاد، المرجع السابق، ص 17.

³ - عمار بوحوش، المرجع السابق، ص63.

الفصل الثاني : جغرافية إيالة الجزائر وتركيبها القبلية وأهم أنشطتها الاقتصادية

كما بمقاطعة دار السلطان¹ مجموعة من القيادات التي هي عبارة عن منطقة جبلية تقع جنوب سهل متيجة المعروفة بالأطلس المتيجي ويبلغ متوسط ارتفاع قمته بـ 800 متر وأعلى قممه تفوق 100 متر .

ويضم دار السلطان خمسة أبواب رئيسية عرف عنها أنها كبيرة الحجم ومتقنة الصنع مرصعة بالحديد وهي:

باب عزون من الجهة الشرقية، والباب الجديد من الجهة الجنوبية الغربية وباب الوادي من الناحية الشمالية وباب الجزيرة للتجارة البحرية هذا الأخير كان مدخلا خاصا لطائفة رياس البحر، وباب السردين أو ما يسمى بباب الديوانية، وهو باب مخصص للتجارة البحرية ويسودها مناخ البحر الأبيض المتوسط الرطب والمعتدل حرارة وترته طينية، ويعرف تساقطا للأمطار سنويا بمعدل يتراوح ما بين 672 ملم و 772 ملم، كما يشهد الرياح الغربية الدافئة في الشتاء والمحملة بالرطوبة في فصل الصيف، أما الرياح الشرقية والشمالية البحرية، فتكون حارة بفعل التقائها برياح السيروكو.²

وتتميز هذه المقاطعة بتنوع المظاهر الطبيعية والخصائص التضاريسية، فنجد من المظاهر التضاريسية الجبال التي كانت الطابع التضاريسي الغالب عليها، وهو ما أشار إليه الرحالة والطبيب الألماني هابنسترايت الذي تطرق إلى مدينة الجزائر، فتحدث عن بناياتها القديمة وأزقتها وشوارعها المتدرجة على تضاريس جبلية وعرة في إشارة واضحة منه إلى منحدرات جبال شاهقة،³ كجبل بوزريعة وهضبة الأبيار ووديان كواد المغاسل وقريش وبني مسوس ووادي الحراش وعيون بئر مراد رايس وبئر خادم والسبع العيون.⁴ كما به سهول

¹ - مقاطعة دار السلطان: هي عبارة عن تجمع من الجزر الصغيرة أطلق عليه من طرف الجغرافيين اسم جزائر أو جزر أو جزائر بني مزغنة، وهناك من يقول بأن اسمها مرتبط باسم ايكوسيوم، وللمزيد أنظر، وليام سبنسر، المصدر السابق، ص 17-18.

² - ناصر الدين سعيدوني، الحياة الريفية بإقليم مدينة الجزائر دار السلطان أواخر العهد العثماني(1791م-1830م)، ط2، البصائر الجديدة، الجزائر، 2013م، ص65.

³ - ج. أ. و، هابنسترايت، المصدر السابق، ص 35-36.

⁴ - عبدالجليل رحموني، العلاقة بين السلطة المركزية والبايلكات(1520م-18730م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجليلي اليابس، سيدي بلعباس، (2019م-2020م)، ص 45.

الفصل الثاني : جغرافية إيالة الجزائر وتركيبها القبليّة وأهم أنشطتها الاقتصادية

شاسعة ومسقية بها مختلف أنواع المزروعات، كالحبوب والفواكه والخضر بسهول عيون الساخنة والحامة و متيجة وشرشال التي تعتبر من أغنى المناطق المنتجة زراعيًا¹.

وسهول متيجة من أكبر السهول في الإيالة، وتنحصر بين الأطلس البليدي والبحر الأبيض المتوسط على طول 100 كلم وعرض 20 كلم، وبها عديد المظاهر التضاريسية الصعبة² التي تقع في المنطقة الوسطى جنوبي العاصمة ومساحتها قدرت ب 13000 هكتار، وتتعد عن العاصمة الجزائر ب حوالي 45 كلم، ويضم من الناحية الجغرافية ثلاثة سلاسل جبلية ممتدة من الغرب إلى الشرق في شطره الأول يضم كل من جبال بني منصور وزكار، أما الشطر الثاني يضم جبال موزاية والبليدة والشطر الثالث يحتوي على جبال تابلة وبوزاقر³ كما بها أودية واسعة، وهذه الجبال لها تضاريس صعبة المسالك.

وعموما تنقسم المناطق الساحلية إلى كتلتين وهما :

- كتلة تقع غرب مدينة الجزائر العاصمة مكونة من ثلاثة تلال وهي شرشال وجبال الشنوا وبني حجوط وكلها تتميز بأنها عالية الإرتفاع .

- الكتلة الثانية تقع شرق مدينة الجزائر العاصمة في الساحل الشرقي، وتبلغ حوالي 50 كم تتميز بأن قممها قديمة التكوين وترتبتها حمراء على شكل كتبان رملية⁴.

كما بدار السلطان ثروة غابية كبيرة مختلفة من أنواع الأشجار، كالصمغية مثل الصنوبر الحلبي والعرعر الفينيقي وشجر الكاد، وكذا الأشجار الدائمة في سفوح الجبال كالفلين والبلوط والزيتون، وكذلك الأشجار النفضية كالدردار والحر الأبيض والبطوم⁵.

وبالنسبة للتقسيم الإداري في عهد البايلرباي خير الدين بربروس، فقد شهد ثلاثة أقسام أي قبل التقسيم النهائي الذي عرفته الإيالة وبقي إلى أواخر الحكم العثماني، ويشمل

¹- PERNANT (A) NOUSHI (A), LACOSTE (Y) l'Algerie passé et présent,Ed, sociales,Paris1960 pp 203 -204.

² - ناصر الدين سعيدوني، الحياة الريفية، المرجع السابق، ص64.

³ - نفسه، ص62.

⁴ - سعاد عقاد، الفلاحون الجزائريون والسلطة العثمانية، المرجع السابق، ص 23.

⁵ - ناصر الدين سعيدوني، الحياة الريفية، المرجع السابق، ص 72.

الفصل الثاني : جغرافية إيالة الجزائر وتركيباتها القبلية وأهم أنشطتها الاقتصادية

البايلكات الأربعة في عهد البايلرياي حسن بن خير الدين، ويحكمها بايات ونواب خلفاء لهم كما أشرنا إليه سابقا. فكان على الشكل التالي:

- قسم الوسط : يضم مدينة الجزائر وما حولها تحت إدارة الداى .

- قسم الغرب : مركزه مدينة شرشال.

- قسم الشرق : مركزه مدينة دلس.¹

أغا العرب :

وهو مصطلح فارسي الأصل ومعناه السيد له دلالات عديدة مرتبطة أكثر بالمجال العسكري، و أيضا يقصد به سيد العرب.²

وحسب عدد المؤرخين فإن الأوطان تتكون من عدة قبائل تحمل اسم القبيلة، كما تتغير مساحته وعدد سكانه حسب الظروف المحيطة به والتغيرات الحاصلة.³

- القايد :

- جمع قياد وتعني مساعدة البايلك وهي رتبة ومنصب شرفي يتمتع صاحبه بسلطات مدنية وعسكرية خاصة من فئة الأتراك والكراغلة، ويختار القائد من العائلات الكبرى والنافذة، ويسكن في المدن أو الأبراج المحصنة.⁴

¹ - يحي بوعزيز، وهران، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007م، ص ص 74_75.

² - عامر محمود، المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية، مجلة الدراسات التاريخية، ع 117-118، جامعة دمشق 2012م، ص 34.

³ - عائشة غطاس وأخرى، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، المرجع السابق، ص 139.

⁴ - عائشة غطاس وأخرى، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، المرجع السابق، ص ص 168-169 و للمزيد أنظر Rinn (L)، "Le Royaume d'alger sous les dernier Dey", in R.A vol N°41، Alger، 1897، p 137.

- سمي بالتيطري نسبة إلى جبل بالأطلس البليدي ويقال بأنه الكاف الأخضر، ينظر مولاي بلحميسي، مدينة المدية، المرجع السابق، ص 322، وهناك من يقول بأن سنة انضمامها لمقر الحكم المركزي سنة 1540م، أنظر، أحمد سليمان، تاريخ المدن الجزائرية، دار القصة للنشر، الجزائر، 2007، ص ص 156-157، وهناك من يشير إلى سنة 1548م، أنظر عمار عمورة، المرجع السابق، ج2، ص 150، وهناك من أشار في تاريخ انضمامها إلى سنة 1540م، أنظر

.LOUIS RINN.OP.CIT.137

الموقع الجغرافي لبايك التيطري:

يعتبر من أول البايكات التي أنشأتها السلطة بعد دار السلطان، ويتمتع بموقع استراتيجي هام فهو من المراكز السكانية وقاعدته المدينة¹، وقد ضم هذا البايك إلى الإيالة وتحديدًا بمقر الحكم المركزي سنة (1517 م - 923 هـ) حتى وإن لاحظت اختلافًا في تحديد سنة محددة من الكتابات التاريخية في انضمامه للسلطة.

وبالنسبة لحدوده الجغرافية، فنجد أنه من جهة الشمال يحده الأطلس البليدي متيجة ومن الجنوب الأطلس الصحراوي أو بلد الجريد ومن جهة الغرب نجد نهر وزل ومعسكر ومجرى نهر الشلف².

ومن جهة الشرق نجد إقليم الزاب ووطن بني سليمان وبني جعد وعريب وجبال ونوغة التابعة لبايك الشرق³.

وهناك صورة حدودية أخرى جغرافية له، فمن الشمال نجد قبيلة موزاية وبني صالح بالقرب من البلدة وبني مسعود.

وفي الغرب توجد قبيلة جندل وأولاد خليف⁴ إضافة إلى قبائل أولاد عنتر وأولاد هلال التابعة جغرافيا لبايك الغرب وجنوبا نجد سلسلة الأطلس الصحراوي، ومن الجهة الشرقية قبائل بني سليمان وعريب⁵.

وقد تطرق الرحالة الانجليزي شو إلى تحديد حدوده، فمن الشمال مدينة الجزائر العاصمة أي مقاطعة دار السلطان، ومن الشرق مدينة بسكرة أو منطقة الزاب وغربا مدينة معسكر، ومن الجنوب نجد بلاد الجريد، ومن الملاحظة الأولى نجد أنه ذو موقع وسط بين البايكات

¹ كما تشير إلى أن حدوده الجغرافية شهدت عدة تغييرات فهي لم تعرف استقرارا خاصة في جهة الحدود الجنوبية من ناحية الأغواط بوابة الصحراء للتوسعات الداخلية من جانب السلطة والثورات والتمردات المتلاحقة للقبائل، وللمزيد أنظر، عائشة غطاس وأخريات، المرجع السابق، ص 117.

² عبد الجليل رحموني، العلاقة بين السلطة المركزية والبايكات، المرجع السابق، ص 91.

³ - mahfoud kaddache, l'Algerie Durant la période ottomane, office des publication universitaire, Alger, 2003 p 217.

⁴ - أحمد سليمان، تاريخ المدن الجزائرية، المرجع السابق، ص 157.

⁵ - عبد الجليل رحموني، المرجع السابق، ص 91.

الفصل الثاني : جغرافية إيالة الجزائر وتركيبتها القبلية وأهم أنشطتها الاقتصادية

دار السلطان والشرق والغرب وجنوبا الصحراء الشاسعة، وقدرت مساحتها حسب شو من الشمال إلى الجنوب ب70 فرسخا، ومن الشرق إلى الغرب ب 179 فرسخا.¹

ويمتاز بايلك التيطري² بأنه من أضعف البايلكات في جميع النواحي وأقربها وأخرها مساحة، وهو أول بايلك بعد مقاطعة دار السلطان، وتؤكد الكتابات التاريخية بأن أهميته تكمن في الجانبين السياسي والمتمثل في أنه الحصن المنيع من أخطار الثورات والتمردات للقبائل الرافضة لنظام الحكم والاقتصادي المتمثل في الموارد الأولية خاصة الفلاحية،³ ومعروف عنه بأنه أكثر ارتباطا بالسلطة المركزية لعامل القرب والموقع الجغرافي من مقر الحكم، فتم وضع حاكم بجانب الباي يتصل مباشرة بالداي.⁴

وقد قسم بايلك التيطري إلى سبعة أوطان التي هي مناطق ريفية واقعة بعد الفحص يحكمها شيخ القبيلة المعين من المجلس، وهي وحدة إدارية أساسية خارج المدينة، وكل وطن مقسم إلى عدة قرى وقبائل، وهناك بعض القبائل قسمت إلى تل أعلى وتل أسفل .

والتنظيم القبلي كان مقسما إلى أربع قيادات وهي:

- قيادات تل الظهرة.
- قيادات تل القبيلة.
- قيادات الديرة.
- قيادات الجنوب، وقد تضمنت كل قيادة واحدة مجموعة من الأوطان والقبائل⁵.
- والقيادات هي وحدة جغرافية واقتصادية وإدارية وعسكرية .

¹- Dr Shaw, Thomas, l'Algerie un siècle avant l'occupation française, trad par :j,Mac, Carthy ,2ème édition, imprimeri de Carthage, Paris.p179.

² - ويرى الدكتور شاو أن بايلك التيطري عبارة عن مناطق جبلية تتخللها سهول هي أقرب للهضاب وتتميز بارتفاعها عن مستوى سطح البحر، كما أن البايلك يتواجد بين سلسلتي الأطلسين التلي والصحراوي، وللمزيد أنظر، shaw(le docteur), voyage dans la de l'anglais par. régence d'alger traduit M.Mac carthy p136

³ - صالح عباد، المرجع السابق، ص 281.

⁴ - أحمد سليمان، تاريخ المدن الجزائرية، المرجع السابق، ص 156.

⁵ - عائشة غطاس وأخريات، المرجع السابق، ص ص 115-116.

الفصل الثاني : جغرافية إيالة الجزائر وتركيبها القبليّة وأهم أنشطتها الاقتصادية

وقد اتخذت المدينة¹ عاصمة للبايلك سنة (1773م-1186هـ) بعدما كان يخضع لإدارة الحاكم التابع للديوان في مدينة الجزائر، ويتشكل من واحد وعشرون وحدة إدارية.²

كما أدخلت عليه تغييرات جذرية سنة (1775م-1189هـ)، فتغيرت حدوده الجغرافية³ خاصة بعد فصل قبائل وادي سيباو عنه لظروف وعوامل أمنية، فأصبحت مكونة في الجزء المحصور بين تازة وبوغاز من الجنوب الغربي ونهاية جبل ديرة من الجنوب الشرقي بالإضافة إلى المناطق الصحراوية التي تسكن بها القبائل الراحلة، أي يحده شمالاً قبيلة مزايا وبني صالح أعالي البليدة وبني مسعود، أما شرقاً فنجد قبائل بني سليمان وعريب، وغرباً قبائل جندل وأولاد خليف والتي تضم كتلاً جبلية أهمها زكار⁴ وسواري .

كما نجد سلسلة جبلية من الشمال إلى الجنوب كجبال السحاري وزاغوس تجتمع في الشمال جبال الأطلس التلي، وجنوباً نجد جبال الأغواط .

كما أنه يمتاز بمناطق جبلية تتخلله سهول تنحصر بين سلسلتي التل و الصحراء، وكذلك هضاب عالية الارتفاع وعيون مائية وشلالات متنوعة ووديان عديدة.

مناخ بايلك التيطري :

يتميز مناخ بايلك التيطري بأنه متوسطي شبه قاري معتدل، وذلك لوقوعه بين مناخي البحر الأبيض المتوسط شمالاً والمناخ الصحراوي جنوباً، فهو يعتبر بذلك همزة وصل بين

¹ - بالنسبة للموقع الفلكي فتقع المدينة عاصمة بايلك التيطري بين خطي طول 50° غرباً، وخطي عرض 36° و16° شمالاً، وللمزيد أنظر، ودان بوغفالة، التاريخ الاقتصادي والإجتماعي لمدينة المدينة و مليانة، ط1، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م، ص 84.

² - سفيان صغيري، العلاقات الجزائرية العثمانية، المرجع السابق، ص 61.

³ - الحدود الجغرافية، فنجد: _ من جهة الشمال مواطن القبائل الحدودية سوماتة وحبوط وبني صالح وبني موسى وموزاية وبني سليمان وبني جعيد وعريب التابعة لدار السلطان.

_ أما من جهة الشمال الشرقي فتقيم قبائل بني سليمان وبني جعيد وعريب وقبائل وطن يسر ووطن حمزة .

_ أما من جهة الغرب فنجد أولاد عنتر وأولاد هلال.

_ أما جنوباً فنجد قبائل رحالة كأولاد نايل والأرياع وغيرها، وللمزيد أنظر، الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 47.

⁴ - **جبال زكار**، تبدأ هذه الجبال على شكل منخفض من وادي الحراش وتشرف على مدينة الجزائر من قمة بوزريعة، والمرتفعة بحوالي 408م، لتستمر موازية للبحر حتى تصل إلى مدينة شرشال وأقصى ارتفاع له يقدر ب 1500متر، كما أنها تفصل سهل متيجة عن ساحل البحر .

الفصل الثاني : جغرافية إيالة الجزائر وتركيبها القبلية وأهم أنشطتها الاقتصادية

الساحل والهضاب العليا، ونجده في فصل الشتاء بارد جدا لإنخفاض درجة الحرارة مع تساقط للأمطار بغزارة في الجهات الشمالية أكثر من الجنوبية، وتغطيها الثلوج الكثيفة في مرتفعاتها، وتقدر كمية التساقط ب 350 ملم أي معدل التساقط السنوي يكون ما بين (150 مم إلى 900 مم سنويا).¹

كما يميز بايلك التيطري ظاهرة الصقيع في فصل الشتاء للمناطق الشمالية للإنخفاض الشديد في درجة الحرارة، أما فصل الصيف فيكون حارا جدا لإرتفاع درجة الحرارة مع تسجيل شح في الأمطار بالمناطق الجنوبية أكثر من الشمالية هذه الأخيرة تعرف رطوبة عالية، وبحكم موقع البايك في الجنوب المنفتح على الصحراء، فإنه يتعرض لرياح ساخنة محلية محملة بالرمال التي تكون متوجهة نحو المناطق الشمالية، ومن مميزاته أيضا قصر الطول الإنتقالي بين فصلي الصيف والشتاء ذلك لأن فصل الربيع مدته قصيرة مقارنة مع بقية الفصول.²

وتتميز سهوله بأنها خصبة ومياهه متدفقة وبساتينه كثيرة من خضر وفواكه وأشجار مثمرة وغير مثمرة، فشماله يطغى عليه الطابع الجبلي ذو الغابات الكثيفة أما جنوبه، فهو عبارة عن سهوب وصحراء بها واحات كثيرة، وغالبا ماتكون تربته جيدة صالحة للزراعة باختلافها في درجة الخصوبة من منطقة لأخرى.³

وعموما بايلك التيطري جغرافيا وطبيعيًا نجد أنه متنوع في الطقس والمناخ، حيث نجد اختلافا وتنوعا وتباينا في كميات تساقط الأمطار ودرجات الحرارة بين المناطق الشمالية والجنوبية عبر فصول السنة .

الموقع الجغرافي⁴ لبايك الشرق : اختلفت الكتابات التاريخية في تحديد سنة انضمامه للسلطة العثمانية، وتعتبر سنة (1567م-975هـ) هي تاريخ تأسيسه و انضمامه للسلطة

¹ - نور الدين إيلا، إقليم التيطري، دراسة إقتصادية (1830م-1900م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 02، السنة (2013 م- 2014م)، ص 21 .

² - ودان بوغفالة، المرجع السابق، ص ص 84_85.

³ - الحسن بن محمد الوزان الفاسي، المصدر السابق، ج2، ص ص 35_42.

⁴ - وهناك من أشار إلى أن بايلك الشرق يحده شمالا البحر المتوسط وغربا جبال البيبان حتى قرى منصور وسهل وادي الساحل، ويحده من الجنوب الغربي سيدي هجرس وسيدي عيسى، وإلى ما وراء بسكرة ووادي سوف في حوض الريح،

الفصل الثاني : جغرافية إيالة الجزائر وتركيبها القبلي وأهم أنشطتها الاقتصادية

قاعدته الإدارية قسنطينة، فهو من أكبر المقاطعات مساحة وسكانا، حيث يمتد على مسافة 290 كلم، وقد فرضته عوامل وظروف إدارية واقتصادية متمثلة في حاجة السلطة للأمن والإستقرار من الجهة الشرقية ولإمكاناته وثرواته الهائلة والمتنوعة من موارد أولية، فهو ذو أهمية إقتصادية¹ وموقعه الفلكي يقع على خطي طول 35 درجة و7 درجة شرقا ودائرتي عرض 23 درجة و36 درجة شمالا،² وعن حدوده الجغرافية، فهو يمتد من البحر الأبيض المتوسط شمالا إلى ما وراء واد سوف وبسكرة في حوض ريغ وورقلة وايغرغر جنوبا، ومن الحدود التونسية شرقا إلى وسط جرجرة وبلاد القبائل³ وجبال البيبان وسيدي هجرس وقرى بني منصور⁴ وسهل وادي الساحل ووادي السمار الذي يعرف بوادي منصور وإلى ما وراء ونوغة أي برج حمزة غربا، وهنا نقصد بحدود بايلك التيطري في الجهة الغربية، ومن الجنوب الغربي نجد سيدي عيسى، وهو بمثابة الحد الفاصل بينه وبين بايلك التيطري.

وهناك من أشار إلى أنه يمتد من البحر المتوسط شمالا بداية من طبرقة شرق القالة إلى حدود مدينة بجاية والحدود التونسية شرقا بداية من طبرقة على البحر، وتمتد إلى الجنوب عبر تبسة ووادي سوف غربا و جبال البيبان، وقرى منصور وسفوح جبال جرجرة الشرقية والجنوبية إلى برج حمزة وسيدي هجرس وسيدي عيسى اللتان تفصلانه عن بايلك التيطري، ومن الجنوب الصحراء الكبرى جنوب واحات وادي سوف وتقرت وورقلة وميزاب⁵، ويمكننا من خلال الدراسات والكتابات المختلفة أن نلمح لإقليم مقاطعة قسنطينة⁶ أربع مناطق جغرافية، وذلك حسب موقعها وهي :

وللمزيد أنظر، عمار بوحوش، المرجع السابق، ص 63، أو للمزيد أنظر محمد دلباز، الحياة السياسية والعسكرية والإقتصادية في الجزائر أواخر العهد العثماني على ضوء دفتر التشريعات ترجمة وتعليق، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر (2014م-2015م)، ص ص 16-17.

¹ - صالح عباد، المرجع السابق، ص 281.

² - محمد الهادي العروق، مدينة قسنطينة، دراسة جغرافية، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، الجزائر، 1984م، ص 14

³ - محمد المهدي بن علي شعيب، أم الحواضر في الماضي والحاضر، ط1، مطبعة البحث، قسنطينة، 1980م، ص 80

⁴ - **جبال بني مناصر**، وتلك التي تمتد ما بين مدينتي شرشال وتنس وارتفاعها 1080 م .

⁵ - محمد الصالح العنترزي، فريدة منسية ، المصدر السابق، ص 18.

⁶ - وما يشير إلى أن مقاطعة قسنطينة لوحدها تمثل نصف مساحة إقليم الجزائر وهذا يدل على أنه الأكثر أهمية واتساعا من البايكات الأخرى، وأن الباي الذي يحكمه من أهم حكام المقاطعات، وهو ما ذكره Mercier, Ernest: l'Algerie en 1880,le cinquantenaire de l'Algérie, Paris, challamel Ainé éditeur ,1880 p14

الفصل الثاني : جغرافية إيالة الجزائر وتركيبها القبلي وأهم أنشطتها الاقتصادية

- المنطقة الشرقية : تقع بين قسنطينة والحدود التونسية، وتضم قبائل كبيرة منها النمامشة والحانشة وعامر الشراقة .

- المنطقة الغربية: وتمتد من قسنطينة إلى سلسلة جبال البابور والبيبان، ومن أهم قبائلها نجد عامر الغرابة ومجانة والتلاغمة¹ .

- المنطقة الشمالية : وتضم الجبال الممتدة من عنابة شرقا إلى بجاية غربا، وتعرف بالقبائل المستقلة .

- المنطقة الجنوبية: وتتواجد بالصحراء على طول 700 كلم، وتضم حوالي 11 قبيلة ومن أهمها نجد الزمول والحراكتة بالأوراس خاصة أسرتي بوعكاز وبني جلاب اللتان تشرفان على حكم مشيخة العرب،² والسقنية وبلاد بلزمة وأولاد سحنون وأولاد سلطان .

وما هو ملاحظ عن هذه الحدود الجغرافية التي ظلت لفترة طويلة غير ثابتة و مستقرة وذلك لعدة عوامل وأسباب نذكر منها :

- علاقة القبائل الحدودية الجدلية في صورة الرفض والولاء للسلطة العثمانية الحاكمة .

- النمط المعيشي بين الإستقرار والترحال للقبائل .

وحول هذا الموضوع بالذات سلط الضوء الرحالة شو على الحدود الجغرافية، وذلك في منتصف القرن الثامن عشر محل دراستنا، حيث أشار إلى أنه يحده شرقا إيالة تونس أما في الجهة الغربية يحده بايلك دار السلطان، ومن الجهة الجنوبية الصحراء في صورة مملكة بني جلاب ورقلة حاليا، ويتحدث شو عن دور القبائل الحدودية في عدم تثبيت الحدود بسبب الصراع الحاصل بين السلطين الجزائرية والتونسية من جهة والقبائل الحدودية بين الجانبين خاصة الحانشة وأولاد شنوف.³

¹ -محمد الصالح العنثري، مجاعات قسنطينة، تحقيق وتقديم رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1974م، ص 18.

² - بوعزة بوضرساية، الحاج أحمد باي في الشرق الجزائري، رجل دولة ومقاوم (1830م-1848م)، دح، دط، دار الحكمة الجزائر، 2012م، ص21.

³ - فلة القشاعي المولودة موساوي، النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني (1771م -1830م)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، الموسم (1989م-1990م)، ص ص 44-47.

الخصائص الطبيعية :

يتميز بايالك الشرق بأنه من أخصب الأقاليم¹ وبتنوع المظاهر التضاريس واختلافها، حيث نجد:

الجبال : هي المظهر الأكثر انتشارا وبروزا، وتبدأ سلسلة الأطلس التلي لمقاطعة بايالك الشرق من جبال جرجرة² إلى الجنوب، فنجد جبل مغريس ومن الجنوب الشرقي جبال باتنة والأوراس وقال الإدريسي عن جبال الأوراس بأنها: "...قطعة متصلة من جبل دون المغرب ... وطوله نحو إثني عشر يوما ومياهه كثيرة وتتصل بجبال سطيف وفي الشمال جبال قالمة التي تتصل بالقرب من تبسة بجبال الأطلس الصحراوي، ومن أهم الجبال نجد :

جبال سطيف والحضنة والبابور وقسنطينة وفليفلة ارتفاعه حوالي 700 متر وجبل الكنتور ارتفاعه حوالي 896 متر.

وكذلك نجد جبل إيدوغ بين سكيكدة وعنابة مغطى بغابات الفلين والزيتون، وبه مجاري مائية وجبال بني صالح تضم غابات واسعة للضفة اليسرى بين واد السيبوس وواد مجردة³ والضفة اليمنى للسيبوس في جنوب شرق جبل البرال تغطيه غابات بحوالي 30 ألف هكتار.⁴

أما الأطلس الصحراوي : فيتميز بأنه أعلى من الأطلس التلي قديم التكوين يمتاز بقلّة الأمطار وبه ممرات ودروب تتبعها أودية منحدرّة نحو الصحراء، وكذلك حرارة شديدة صيفا،

¹ - وما يدل على أن بايالك الشرق الجزائري له أهمية كبيرة من الناحية الاقتصادية والبشرية للإيالة خاصة من ناحية الثروة الحيوانية والخشبية وغيرها ما أشار إليه: Abdeljalil temimi, le BEYlik de Constantine et Hadj Ahmed Bey (1830-1837), publication de la revue d'histoire, maghrébine, Tunis, 1978, p58.

² - **جبال جرجرة :** وهي سلسلة من الجبال تتميز بالتراص والكثافة والمناخ الصحي، كما أنها تحتوي على غابات كثيفة وأشجار عالية وأودية ذات عيون، وموقعها في بلاد القبائل الكبرى، وبه أعلى قمة جبلية تسمى لالا خديجة الواقعة في الإقليم التلي والتي يبلغ طولها 2308م، وللمزيد أنظر أحمد توفيق المدني، جغرافية القطر الجزائري، المرجع السابق، ص 15_16.

³ - **وادي مجردة:** من أودية الإقليم التلي ينبع على مقربة من مدينة سوق أهراس ليصل إلى الجهات الشمالية من الإيالة التونسية، وللمزيد أنظر أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 19.

⁴ - نصرالدين عبد الغفور، القبيلة والسلطة في الجزائر القرن 19م، أطروحة دكتوراه، جامعة سطيف، 2021/2020، ص 53.

الفصل الثاني : جغرافية إيالة الجزائر وتركيباتها القبلية وأهم أنشطتها الاقتصادية

وتنتهي سلسلة الأطلس الصحراوي عند القالة مع الأطلس التلي، والتي تميزت بالحياة الطبيعية القاسية¹ ومن أهم الجبال نجد:

جبال سلسلة الأوراس: تتميز بأنها من أكبر السلاسل الجبلية تقع في القسم الشرقي من سلسلة الأطلس الصحراوي بين واحات الزيبان والهضاب العليا مساحتها 1 مليون هكتار التي تتكون من صخور جيرية وبها أودية متجهة نحو الجنوب كواد عبدي و الوادي الأبيض وواد تاجا وواد شرشار .

السهول: تتميز سهول بايلك الشرق بأنها واسعة وتمتد من الشرق إلى الغرب وهنا نقصد من الحدود التونسية إلى الحدود الغربية ، ويتواجد بوسطها جبال وتنقسم السهول إلى قسمين هما:

- **سهول ساحلية منخفضة:** وهي قريبة من الساحل متقطعة بين الجبال تتواجد في التل الشرقي و أهمها سهل عنابة وبه جبال عالية من جهة الجنوب²، ومن الغرب بحيرة فتزارة **السهول الداخلية:** وتتميز بأنها أعلى من السهول الساحلية متوسطة الإرتفاع، ومنها نجد سهل قسنطينة الداخلي الممتد من غرب سطيف إلى جبال سوق أهراس شرقا، وذلك على ارتفاع يزيد عن 500 متر ينحصر بين حلقات جبلية ممتدة من الغرب إلى الشرق.

الهضاب العليا: التي هي عبارة عن سهل واسع تنتشر به الجبال من الشمال والجنوب في سلاسل جبلية كما أشرنا إليه سابقا، ويمتاز بكثرة المراعي والماء والتربة الخصبة، وتتواجد بالجهة الشمالية والجنوبية للأطلس الصحراوي، كما أنها تلي جبال الأطلس التلي تمتد من الجنوب الغربي نحو الشمال على طول مسافة قدرت ب 700 كلم، وتتميز هذه الهضاب بأن أوديتها تصب في الشطوط قديمة التكوين بها مساحة واسعة صالحة للزراعة والرعي تتخللها الشطوط والسباخ³.

وعموما الهضاب العليا أو السهول العليا تنقسم إلى قسمين ببايلك قسنطينة وهما :

¹ - محمد الصالح العنثري، فريدة منسية، المصدر السابق، ص 27.

² - بوعزة بوضرساية، الحاج أحمد باي في الشرق الجزائري، المرجع السابق، ص 22.

³ - تتميز الشطوط بأنها قليلة العمق منخفضة على شكل بحيرات تستقبل مياه الأودية الداخلية وأهمها شط الطرف، وغيرها، أنظر أحمد توفيق المدني، جغرافية القطر الجزائري، المرجع السابق، ص 35 أو أنظر فلة القشاعي، المرجع السابق، ص 66.

الفصل الثاني : جغرافية إيالة الجزائر وتركيبتها القبلية وأهم أنشطتها الاقتصادية

- القسم الأول في الجهة الشرقية يمتد إلى الحدود الشرقية، ويرتفع نحو 1000 متر على سطح الأرض، ويتميز بأنه تربته خصبة صالحة للزراعة.

- القسم الثاني يقع في الجهة الغربية¹ يمتد إلى جهات الحضنة ويتميز بفقره في منطقة الهضاب العليا التي تقع بين الصحراء في الجنوب والنل في الشمال تمتاز في جهتها الشمالية بوفرة الأمطار وخصوبتها، وتكثر النباتات الاستبسية والحلفاء أما الجهة الجنوبية فتتميز بقلّة الأمطار حوالي 350 ملم سنويا، وكذا قلّة النباتات حيث تتواجد القصيرة كالديس² والشيح والدرين والحلفاء وكثرة المراعي، وعدم وجود الغابات الكثيفة وفقر التربة.

كما أن لبابلك الشرق ثروة غابية ويعود توفرها لعديد الشروط والعوامل خاصة ماتعلق بالمطر والتربة الخصبة والغنية والحرارة والموقع الطبيعي والتضاريس المتنوعة³ ووجود أودية عميقة ومن أهم الغابات نجد غابات الفلين أو البلوط الفليني، وكذلك غابات الصنوبر المتواجدة بكثرة في جبال الأطلس التلي والصحراوي في جيجل وراس بوقرعون، وهناك غابات البلوط الذي يتواجد بالأطلس التلي في جبال الأوراس ونوميديا وإيدوغ، وكذلك نجد غابات الأرز التي تتواجد في المناطق المرتفعة كجبال جرجرة والأوراس وبوطالب، وتحتاج هذه الغابات إلى أمطار غزيرة وتربة خصبة.

وغابات الصنوبر الحلبي الموجودة في المنطقة الساحلية إلى حدود الصحراء، ويمتاز هذا النوع من الغابات بمقاومته للظروف المناخية، ويتواجد في الجبال العالية كالبيبان والحضنة والأوراس أي بالأطلسين التلي والصحراوي⁴، وغابات الزيتون البري الذي ينمو في التربة الرملية في السفوح قليلة الإرتفاع.

¹ - المنطقة الغربية: وتلك التي تضم الجبال المحاذية لساحل البحر الأبيض المتوسط من بونة إلى بجاية، وللمزيد أنظر جميلة معاشي، الإنكشارية والمجتمع ببابلك قسنطينة في نهاية العهد العثماني، المرجع السابق، ص 10.

² - بوعزة بوضرساية، الحاج أحمد باي في الشرق الجزائري، المرجع السابق، ص 24.

³ - فلة موساوي القشاعي، المرجع السابق، ص 77.

⁴ - جبل أوراس، سلسلة جبلية تقع شمال باتنة وخنشلة وتبسة به مسالك وعرة، ينظر مارمول كارخال، إفريقيا، تر محمد حجي وآخرون، منشورات الجمعية الخيرية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، ج2، مكتبة المعارف، الرباط المغرب، 1984، ص 390.

الفصل الثاني : جغرافية إيالة الجزائر وتركيباتها القبلية وأهم أنشطتها الاقتصادية

وبالنسبة للمجاري المائية نجد من أشهر الوديان واد السيوس ووادي المفرغ ووادي بوناموسة وعموما تمتاز بمنسوب مرتفع رغم الجفاف، وهذه الأودية منها ما يصب في البحر، ومنا ما يصب في البحيرات الداخلية، ومنها ما يتجه صوب الوديان التي تتبع من جبال الأطلس التلي وتصب في البحر وهي وادي الصومام أو وادي الساحل والميزة الغالبة أنه يزداد منسوب المياه في فصل الشتاء لتساقط الأمطار،¹ وهناك أودية الجنوب وتمثل أحواض داخلية تتميز بتذبذب الجريان وقلة المياه كما أنها تسير في عدة إتجاهات مختلفة محملة برواسب ومن أشهر هذه الوديان نجد :

واد بوسعادة والمسيلة وواد بريكة الذي يصب في شط الحضنة وتقدر مساحته بـ 27 ألف هكتار.

الواحات الصحراوية: تتميز بأنها أهلة بالسكان تتوفر على المياه الجوفية، وأشجار مختلفة وبها واحات منبسطة نشأت على أراضي سهلية مسطحة كواحات تقرت وورقلة، وهناك واحات جبلية كوادي سوف².

وعموما بايلك الشرق الذي عاصمته قسنطينة والتي تقع فوق صخور وعرة، يحيط بها من الجهة الشرقية الوادي الكبير، ويمر من الجهة الجنوبية والشرقية والشمالية في المدينة، كما يرتبط من الجنوب الغربي بسلسلة صغيرة من الجبال.³

وله طابع جبلي ومظهره تضاريسي يتميز بالصعوبة في المسالك والممرات، حيث تلتقي في وسطه سلسلتي جبال الأطلس التلي والصحراوي عند كتلة الأوراس وكذلك السهول العليا القسنطينية في الجزء الشرقي من إقليم الهضاب العليا،⁴ وقد وصفه أحد الكتاب الفرنسيين

1 - نصر الدين عبد الغفور، القبيلة والسلطة، المرجع السابق، ص 54.

2 - تقع شرقي واحات الزيبان ووادي ريغ وبوسعادة، وأهم أماكنها قمار والوادي والزقم وكوينين، للمزيد أنظر، أحمد توفيق المدني، جغرافية القطر الجزائري، المرجع السابق، ص 45، و ينظر بوعزة بوضرساية، المرجع السابق، ص 5.

3 - فنديلين شلوصر، قسنطينة أيام الحاج أحمد باي (1832م-1837م)، ترجمة وتقديم الدكتور أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1977م، ص ص 73-77.

4 - يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية دار البصائر، الجزائر، 2009م، ص 215.

الفصل الثاني : جغرافية إيالة الجزائر وتركيبها القبليّة وأهم أنشطتها الاقتصادية

بقوله: "... كان بايلك الشرق مملكة حقيقية وذلك بعدد سكانه وإتساع مساحته وثرواته الكبيرة وعمق تربته ومناخه المعتدل...."¹

ويتميز مناخه بأنه شبه قاري عموماً بحكم موقعه الطبيعي القريب من الصحراء جنوباً والخاضع للانخفاضات الجوية القادمة من الغرب إلى الشرق، كما يمتاز بتساقط الأمطار من 400 ملم إلى 200 ملم سنوياً وذلك في فصلي الخريف والشتاء، وهذه الشروط الطبيعية والمناخية أعطت لبايلك الشرق مناخ استقرار وازدهار في عديد المجالات.²

من الكتابات التاريخية التي تناولت تأسيس بايلك الشرق ما ذكره ابن العطار في سنة 1529م - 935 هـ في عهد الحاكم خير الدين باشا.³

كما ذكر المؤرخ ابن دينار أن انضمامها يعود لسنة 1546م - 953 هـ في فترة حكم الباي فرحات الذي فتحها، وهناك من يشير إلى الدور البارز الذي لعبته عائلة الشيخ والفقير والعالم عبد الكريم ابن الفكون من خلال ما قام به من وساطة بين السلطة والرعية في إقناع العامة بضرورة الانضمام إلى السلطة العثمانية والابتعاد عن الفوضى والتمرد والجنوح إلى الأمن والهدوء خاصة، وأن السلطة تمثل مبادئ الإسلام وتعاليمه، فتم رفع الحصار عن المدينة.⁴

كما ذكر الدكتور شو عن الحدود الجغرافية بأنه يمتد من البحر المتوسط شمالاً إلى تونس شرقاً، ومنطقة الزاب جنوباً ومقاطعة دار السلطان غرباً، كما تقدر المسافة الممتدة من الشرق إلى الغرب بـ 95 فرسخاً أي حوالي 380 كلم مربع، ومن الشمال إلى الجنوب بـ 58 فرسخاً أي حوالي 232 كلم مربع أما ساحل بايلك الشرق، فأشار إلى أنه يبدأ من دلس إلى بونة.⁵

¹ - vayassettes (E), "Histoire des derniers Beys de constantine, de 1793 jusqu a la chute de hadj ahmed bey 1884, in ,R ,A ,N, n° 31858, alger, n° 41860, p42.

² - ناصر الدين سعيدوني، ورفات جزائرية، المرجع السابق، ص 389.

³ - أحمد بن المبارك بن العطار، تاريخ بلد قسنطينة، المصدر السابق، ص 48.

⁴ - أحمد بن المبارك بن العطار، نفسه، ص 49.

⁵ - dr shaw, op.cit, p184.

الفصل الثاني : جغرافية إيالة الجزائر وتركيباتها القبلية وأهم أنشطتها الاقتصادية

أما بايسونال فيشير إلى أن حدوده تمتد على مسافة تقارب 100 فرسخا من الشرق إلى الغرب ومن ساحل البحر المتوسط شمالا إلى الصحراء جنوبا.¹

كما يشير الصالح العنتري إلى نفس الحدود الجغرافية السابقة الذكر.²

قبيلة الحنانشة: يمتد تواجدها ونفوذها من تبسة إلى سوق أهراس ثم إلى عنابة ومنها إلى قلعة سنان وجبال مسيد وإلى جنوب وادي مجردة وإلى جبل قلالة ودقمة وجبل تليس.³

قبيلة النمامشة: تتواجد في إقليم جغرافي واسع يمتد ما بين خنشلة وتبسة ويصل إلى واحات وادي سوف.⁴

أولاد سيدي عبد الله: يشمل الموقع الجغرافي في المنطقة الواقعة بالجنوب الشرقي الجزائري ونقصد بها جنوب تبسة إلى جهة الوسط والجنوب الغربي البلاد التونسية، ويحتوي على منطقة الهضاب العليا والسبابس من الجهة الشمالية والجنوبية التي تلتحم بالجنوب الصحراوي.⁵

¹- j, A, peyssonnell, voyage dans Les régence De Tunis et d'alger relation d'un sur les côtés de Barbarie publié par M Dureau de la malle Annales des voyages imprimerie de la cour de cassation, Paris,1838..cite p 63.

² - محمد العنتري، فريدة منسية، المصدر السابق، ص 17.

³ - تضم مجموعة أحلاف مشكلة قبيلة، وبها عناصر بربرية مستعربة مركزها سوق أهراس، أحميدة عميراي، علاقات

بإبلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبدايات الإحتلال الفرنسي، دط، دس، دارالبعث قسنطينة، ص 25

⁴ - وتتكون من قبيلتين هما أولاد خيار والأعشاش ينظر بيار كاستل، حوز تبسة، دراسة وصفية جغرافية لإقليم تبسة وأعراشه من فجر التاريخ إلى بداية القرن 20م، تحقيق، محمد العربي عقون، ط1، مطبعة بغيجة حسام، الجزائر، 2010م، ص 296.

⁵ - الأزهر الماجري، القبيلة الولائية والإستعمار، اولاد سيدي عبيد والإستعمار الفرنسي في الجزائر وتونس، ط1، المغاربية للطباعة والنشر، تونس، 2013م، ص 17.

الموقع الجغرافي لبايك الغرب¹ :

اختلفت الكتابات التاريخية حول تحديد سنة تأسيسه وانضمامه للسلطة العثمانية في إيالة الجزائر، وقد تأسس سنة 1565م / 972هـ، وهو ثالث بايك على مستوى الإيالة.

كما أنه شهد تنوعا وتغيرا في عاصمته من مازونة إلى معسكر ووهران أخيرا.²

وحدوده الجغرافية متمثلة فيما يلي:

متد باييك الغرب من الحدود المغربية غربا إلى حدود دار السلطان شرقا، ومن سواحل البحر المتوسط إلى نواحي البيض يحده من الشرق وطن بحلوان وبايك التيطري، ومن الجهة الشمالية البحر الأبيض المتوسط، أما من الجهة الغربية وادي ملوية ودولة الأشراف السعديين ثم العلويين.³

ومنه يتضح لنا أنه يمتد من مقاطعتي باييك التيطري ودار السلطان شرقا إلى واد ملوية على الحدود المغربية غربا وشمالا من البحر الأبيض المتوسط إلى الصحراء جنوبا منطقة الأغواط كما يعتبر نهر الشلف حدا فاصلا في الجهة الشرقية.⁴

كما يرى الشريف الزهار أن الناحية الغربية تنتهي عند بوحلوان وإلى مقاطعة التيطري.⁵

¹ - وهناك من يشير إلى أنه تأسس سنة 1553م وعاصمته الإدارية مازونة ثم معسكر سنة 1710م وأخيرا مدينة وهران سنة 1792م في عهد الداوي محمد بن عثمان باشا، وللمزيد أنظر عمار عمورة ، المرجع السابق، ج2، ص 150. وهناك من يقول بأنه تأسس سنة 1563م وتعدت عواصمه حسب الظروف المحيطة به أي عدم الإستقرار مقارنة مع البايكات الأخرى خاصة توتر العلاقات بين السلطة العثمانية والجارّة المغرب الأقصى، و كذا بقاء الإسبان المحتلين لمدة 3قرون، وللمزيد انظر شهيناز بوحوص ، الدور السياسي والإجتماعي، المرجع السابق، ص 17.

وهناك من أشار إلى أن ظهوره كتقسيم إداري وسياسي إلى النصف الأول من القرن السادس عشر ميلادي كما نشير إلى أن مازونة قد ضمت إلى مقاطعة دار السلطان في القرن الثامن عشر لتعود إلى باييك الغرب في القرن التاسع عشر، أنظر كمال بن صحراوي، باييك الغرب في المجلة الإفريقية، دار المجد للطباعة والنشر والتوزيع، سطيف، الجزائر، 2018م، ص6، وللمزيد أنظر Louis rinn , royaume d'alger sous , op cit , p37

² - الأغا بن عودة المازاري، المصدر السابق، ج1، ص 271.

³ - محمد بن علي سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق وتقديم الشيخ المهدي البوعبدلي، أعنتي به، عبد الرحمان دويب، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، ط1، السنة 2013م، ص 12.

⁴ - Don josephe de ARamburu, Oran et l'ouést Algérien au 18 éme et traduction de siècle,d'après le Rapport Aramburu, presentation et traduction de mohammed El korsce,Mikel de Epalza,B,N,Alger, 1978, p 93

⁵ - كمال بن صحراوي، باييك الغرب، المرجع السابق، ص 5.

الفصل الثاني : جغرافية إيالة الجزائر وتركيبها القبليّة وأهم أنشطتها الاقتصادية

ويعد ثاني أكبر بايلك مساحة وأهمية إقتصادية بعاصمته وهران سنة 1792م/1206هـ بعد طرد الإسبان المحتلين في عهد الداوي محمد بن عثمان باشا والباي محمد الكبير، وقد فرضته عوامل إدارية وسياسية وإقتصادية كانت السلطة بحاجة ماسة لها خاصة في استباب الأمن والهدوء والإستقرار، وكذا ما يكتنزه من امكانات طبيعية أولية هامة وموقع استراتيجي مميز¹.

ويضم بايلك الغرب 3 قيادات وهي قيادة أغا الدواير وأغا الزمالة وأخيرا خليفة الباي، وهذه القيادة الثالثة تمتد من وراء إقليم بايلك التيطري إلى حدود مراكش غربا بالمغرب الأقصى².

إن ساحل بايلك الغرب يمتد على مسافة 270 كلم، وقد بلغ أقصى اتساع له في عهد الباي محمد الكبير، ويتكون من مدن ساحلية وداخلية مثل وهران ومستغانم وأرزيو وبني صاف وتلمسان وقلعة بني راشد، كما يتوفر على أحواز وفحوص هامة وأراضي زراعية واسعة وخصبة، كما أنه ملتقى لأهم الطرق التجارية ومكان هام يربط بين المناطق الساحلية والداخلية³.

إن موقعه الطبيعي المتميز فرض عليه التنوع في التضاريس من جبال وسهول خصبة وهضاب ووديان⁴.

حيث نجد من البحر إلى الجنوب مجموعة من التضاريس المختلفة والمتنوعة خاصة الأطلس التلي الغربي به سهول وأحواز تحيط بها سلاسل جبلية لا تتعدى 1900 م⁵.

ونجد مرتفعات وهران والظهرة وجبال مليانة التي تشرف على البحر الأبيض المتوسط كما أنها حاجز يفصل البحر عن السهول المنخفضة كسهل الشلف، وهذه السهول المنخفضة يعزلها عن الأحواز الداخلية كل من سهول مغنية وسيدي بلعباس ومستغانم عن طريق

¹- (C),Bontems,Manuel des institutions Algériennes de la domination Turque à l'indépendance ,cujyas,paris, 1976, p 51-52

² - صالح فركوس، المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين (من 814 ق.م إلى 1962 م)، دح، دط، دار العلوم، عنابة، دت، ص 115-116

³ - صالح عباد، المرجع السابق، ص 293

⁴ - محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية، المصدر السابق، ص312

⁵ - بومدين دباب، المرجع السابق، ص4

الفصل الثاني : جغرافية إيالة الجزائر وتركيبها القبلية وأهم أنشطتها الاقتصادية

السلاسل الجبلية الضيقة التي بدورها تمتد من جبال تزارة إلى غاية جبال الونشريس الذي يرتفع في الجنوب فوق الهضاب العليا لسهل سرسو، وفي الجنوب الغربي نجد هضاب في مرتفعات سعيدة وتلمسان التي تشرف في الشمال على الأحواض الداخلية، وتنخفض تدريجيا نحو الهضاب العليا.

ومن الوديان نجد واد وارزان رافد من روافد الشلف وكذا وادي ارهيو المتميز بالرطوبة¹ ووادي عين الصفراء الذي يصب في البحر شرق نهر الشلف الذي به بساتين وأحواض خصبة خاصة بمستغانم وسهلي الشلف ومعنية².

وقد ساعدت الشروط الطبيعية المتمثلة في الأحوال المناخية الملائمة والتربة الخصبة والمياه في الآبار والنواعير والأحواض³.

وعموما نجد جبال قليلة الارتفاع كجبل ننفسي بتلمسان⁴ بارتفاع يصل إلى 1843 متر⁵ وجبال تسالا بسيدي بلعباس بارتفاع قدره 1061 متر وجبال بني شقران⁶ بمعسكر وجبال الونشريس وجبال مرجاجو، وفي الجنوب نجد جبال قزوز.

كما عرف بايلك الغرب نوعين من السهول وهما :

- سهول منخفضة تمتد من البحر حتى إلى الشلف كسهل تليلات

- سهول عليا داخلية كسهول سيدي بلعباس ومعسكر وتيارت

وفي الجنوب نجد سهول بها كثبان رملية أهمها العرق⁷ الغربي الكبير وعرق الشاش

وعند التطرق إلى مناخ بايلك الغرب فيمكننا أن نقسمه إلى قسمين هما :

¹ - moulay BELhamisi, op cit, p 13.

² - Thomas chaw , op cit, p236.

³ - محمد الصالح العننري، مجاعات قسنطينة، المصدر السابق، ص 17.

⁴ - جبال تلمسان، وهي آخر جبال التل الجزائري تتميز بتوفر الشلالات والمياه الدافئة والغابات الكثيفة، وللمزيد أنظر أحمد توفيق المدني، جغرافية القطر الجزائري، المرجع السابق، ص 17.

⁵ - عبد القادر علي حليمي، جغرافية الجزائر، المرجع السابق، ص 40.

⁶ - جبال بني شقران، ويطلق عليها جبال معسكر وتقع بين مدينتي مستغانم ومعسكر، وتتميز بأنها قليلة الارتفاع حيث لا يتجاوز عليها 600م، وللمزيد أنظر أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 16.

⁷ - العرق :هو سطح واسع الأطراف تغطيه كثبان رملية يتواجد بكثافة في شرق الأطلس الصحراوي، وللمزيد أنظر الدكتور محمد الهادي العروق، أطلس الجزائر والعالم، المرجع السابق، ص 15.

الفصل الثاني : جغرافية إيالة الجزائر وتركيباتها القبلية وأهم أنشطتها الاقتصادية

- قسم شمالي : يتميز بالرطوبة والبرودة وحرارة معتدلة شتاء، وتتواجد به سهول وأحواض تحيط بها سلاسل جبلية .

- قسم جنوبي : يتميز بالجفاف وارتفاع درجة الحرارة صيفا والبرودة شتاء.¹

وقد أشار إليه حسن الوزان إلى سهوله الواسعة وأراضيه الخصبة بقوله: ".... السهول القريبة من الساحل منتجة جدا نظرا لخصوبتها، والجهة المجاورة لتلمسان كلها سهل...."²

قبائل المخزن :

اهتمت الكتابات والدراسات التاريخية المحلية والأجنبية بهذه القبائل من خلال تاريخها ودورها وأهميتها وعلاقتها الجذرية بالسلطة .

فيعود تاريخ ظهورها وتأسيسها في الإيالة إلى القرن السادس عشر ميلادي، وبالضبط في عهد البايبريبي خير الدين بربروس الذي دفعته ظروف خاصة إلى بناء وإنشاء جيش بري أو قوة عسكرية من السكان للمساعدة في بسط واستتاب الأمن من جهة، وتوسيع نفوذ السلطة من جهة أخرى .

إن تعدد واختلاف التعريفات لقبائل المخزن يدل على الأهمية الكبيرة التي حظيت بها عند السلطة ومن أهم التعريفات نجد :

تعريف المؤرخ دوغرامون الذي أشار إلى أنها مجموعة من المحاربين القادمين من القبائل الريفية خاصة من أهل الصحراء والجبال والهضاب، ارتبطوا مع السلطة بتعاقد يلتزمون فيه بمساعدة الجيش الإنكشاري في مهامه الحربية وذلك مقابل امتيازات ومكاسب أهمها الإعفاء الضريبي باستثناء الزكاة والعشور.³

وقد عرفها المؤرخ ناصر الدين سعيدوني بأنها تمثل المحور الرئيسي والأداة المهمة للسلطة فهي تعتمد عليها بكثرة في بسط نفوذها على المناطق المهمة والحيوية، وقد نالت

¹ - يحي بوعزيز، مدينة وهران عبر التاريخ ويليه مدينة تلمسان عاصمة المغرب الأوسط ويليه المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، ط خ، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م، ص 20.

² - الحسن بن محمد الوزان، المصدر السابق، ج2، ص30.

³ - De Grammont Henris, Histoire d'Alger sous la domination Turque (1515-1830), Ernest l'eroux éditeur, Paris,28,rue Bonaparte ,1887, p 409.

الفصل الثاني : جغرافية إيالة الجزائر وتركيبها القبليّة وأهم أنشطتها الاقتصادية

عديد الإمتيازات والمكاسب لقيامها بأعمال وخدمات متنوعة سواء حربية أو إدارية أو إقتصادية، وقد تعاملت السلطة مع عشائر المخزن عن طريق المشائخ والقادة،¹ وهي طبقة وسطى مهمة في الريف الجزائري اختارت جناح الولاء والتبعية للحكام .

وهناك من يعرفها بأنها جيش إحتياطي وقوة عسكرية وهمزة وصل بين الرعية والحكام لها أصول مختلفة في أعراقها منحت لهم أراضي خصبة.²

أما زيد بن قاسمي، فأشار إلى أنها قوة مهمة وبارزة للتدخل الحربي ففرسانها قادمون من مختلف المناطق أي القبائل المختلفة من تلقاء أنفسهم، فقامت السلطة بضمها إليهم لأهداف ونوايا تخدمها بالدرجة الأولى.³

ويعرفها المازاري بقوله : ".....إن المخزن هو الناصر للدولة كيفما كانت وحيثما وجدت وتمكنتوبالنسبة إليه مخزني ،مخازني مفرد مخازنية في تحقيق المباني، ويسمى بذلك لأنه يخزن فيه ما يؤلمه إلى وقت الظفر وحصول الإنتقام"⁴

لجأ حكام السلطة المركزية إلى فتح باب الإنخراط والتجنيد للرعية من الجزائريين في الجيش الغير نظامي، وهو ما يعرف بدوائر السلطة آنذاك بتشكيل القبائل الموالية والحليفة مقابل حقوق وامتيازات تقدمها لهم، فانها لت جموع العشائر من كل صوب وحدب،⁵ فاعتمدت عليهم السلطة بكثرة، وعليه شكلوا صنفا متعاوننا ومتحالفا لفترة من الزمن خاصة أواخر القرن الثامن عشر ميلادي، ومن أهم العوامل التي أدت إلى إعتقاد السلطة عليهم هي :

- قلة الجنود العثمانيين حيث أن عددهم بدأ ينقص تدريجيا لظروف متعددة، وعلى العكس من ذلك برزت قبائل المخزن بكثرة في العدد، فوصلت إلى تعداد قدر بـ 30 ألف رجل بين الريف والمدينة فكانت قوة حليفة مهمة.

¹ - ناصر الدين سعيدوني، وراقات جزائرية، المرجع السابق، ص 499.

² - robin(j ,n),la Grand kabylie sous le Régime turc ,ed Bouchene ,Alger 1998,p 13

³ - زيد بن قاسمي، قيادة سيباو تاريخ منطقة القبائل، المرجع السابق، ص 93.

⁴ - الأغا بن عودة المازاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن 19م، ج2،

تح يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، دط، دت، ص 30.

⁵ - ناصر الدين سعيدوني، وراقات جزائرية، المرجع السابق، ص 208.

الفصل الثاني : جغرافية إيالة الجزائر وتركيبها القبلي وأهم أنشطتها الاقتصادية

- سياسة الحكام القائمة على عدم الإستعانة بجنود من الأناضول لتفادي صرف الأجر المرتفعة والتكاليف الزائدة، وهو ما يشكل في حد ذاته عبئا على خزينة الدولة، والجيش الإنكشاري لم يعد قادرا على أداء وتنفيذ المسؤولية، وفي المقابل فإن الإستعانة بقبائل المخزن له دور إيجابي في التقليل والحد من التبعيات المالية ونقص أموال الخزينة، فالجيش الإنكشاري قليل جدا حيث أنه في الإيالة كلها 2500 جندي انكشاري، وفي إقليم التيطري حوالي 50 جندي من الفرسان و120 من المشاة .

- تمتاز هذه القبائل بقدرات عسكرية منظمة ومعرفة مداخل البلاد ومخارجها إضافة إلى المسالك والدروب¹.

- الحفاظ على مصالح وامتيازات الطائفة التركية في البلاد .

- محاولة السلطة للتخفيف من تمرد وعداء القبائل وذلك بوضعهم تحت تصرفها وإعطائهم الحق في المراقبة والتنظيم، وكذا صلاحيات واسعة ومهام متعددة مست جميع الجوانب.²

- تدهور العلاقة القائمة بين الرعية والسلطة خاصة أواخر الحكم العثماني .

- ضرب القبائل ببعضها البعض خدمة لاستقرارها وضمان وجودها، وهو ما يمكن في إحداث شرخ بين أفراد القبيلة الواحدة أو العرش، فيكون هناك مؤيد و معارض لها .

- صرف النظر للرعية عن التفكير في التمرد والإهتمام بالمشاكل الداخلية.³

- استخدامها لضرب القبائل المعزولة في المناطق الجبلية والصحراوية الصعبة⁴

مهامها: وتتمثل فيما يلي :

- مساعدة الجيش البري النظامي أي الإنكشاري في الجانب العسكري من الحماية والدفاع وذلك بمد اليد العاملة بالمحاربين .

- فرض وجمع الضرائب والإتاوات على الرعية والقبائل العاصية .

- مراقبة وإحصاء الرعية والتعرف عليها .

¹ - بن عتو بلبروات، المدينة والريف بالجزائر، المرجع السابق، ص 10.

² - عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ج4، ص 105.

³ - ناصر الدين سعيدوني، وراقات، المرجع السابق، ص 210.

⁴ - صالح عباد، المرجع السابق، ص 316.

الفصل الثاني : جغرافية إيالة الجزائر وتركيباتها القبلية وأهم أنشطتها الاقتصادية

- مواجهة القبائل المتمردة على النظام في أنحاء إيالة¹ خاصة في الجبال والسهول و الصحراء والأمثلة كثيرة، كقبائل فليسة سنة 1768م/1182هـ في عهد الباي أحمد بن علي القلي باي الشرق الجزائري ومعاقبته للمتمردين.
- دعم الحاميات في المناطق والأبراج والجسور والممرات .
- حفظ الأمن والإستقرار
- تمويل أفراد الحامية العسكرية العثمانية بالمواد الغذائية والأسلحة.²
- مراقبة الأسواق الموسمية والأسبوعية والممرات.³
- صد الهجمات الأجنبية على السواحل
- وعموما تميزت بشغلها لأدوار إدارية وعسكرية واقتصادية⁴.
- كما يشير حنفي هلايلي إلى دورهم المتعدد في الترهيب والضغط على قبائل الرعية والممتنعة خاصة في الجانب الإقتصادي كدفع الضرائب والغرامات المتأخرة بالقوة.⁵
- وقد استفادت قبائل المخزن من حقوق وامتيازات هامة نظير الأعمال المقدمة ومنها:
- الإعفاء من الضرائب حيث اقتصرت على دفع ضريبيتي الزكاة والعشور وهي من الضرائب الشرعية والمنتظمة.⁶
- الإستفادة من الأراضي الزراعية الخصبة وامتلاك العقارات، فأراضي البايلك كانت تستغلها السلطة لقبائل المخزن بغرض الرعي أو الإنتاج الفلاحي أو أغراض عسكرية⁷.
- تمويين ودعم السلطة لهم بالسلاح والخيول ووسائل الإنتاج الفلاحي والأمتعة والملابس بدون مقابل.⁸

¹ - عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ج4، ص 105.

² - mouloud gaid, "chronique des beys de constantine offices des publication universitaires، 1975.p 72.

³ - ناصر الدين سعيدوني، وراقات جزائرية، المرجع السابق، ص 221.

⁴ - رشيد مريخي، الجزائر في عهد الداوي مصطفى باشا، المرجع السابق، ص 31.

⁵ - حنفي هلايلي، بنية الجيش، المرجع السابق، ص 86.

⁶ - زيبدين قاسيمي، قيادة سيباو، المرجع السابق، ص 93.

⁷ - صالح عباد، المرجع السابق، ص 353.

⁸ - ناصر الدين سعيدوني، وراقات جزائرية، المرجع السابق، ص 217.

- ضمان الأمن والحرية لعائلاتهم والعيش الكريم .

- منحهم أجور مؤقتة زيادة على الغنائم المتحصل عليها من خلال المعارك ضد القبائل الرافضة للسلطة، فهم يعتبرون القوة الضاربة للسلطة في الريف فله أجره تساوي أجره الجندي اليولداش كما يعفى من أعمال السخرة.

وقد تواجدت هذه القبائل وتوزعت عبر أنحاء الإيالة في الأبراج والحصون ومنها العسكرية والممرات الطبيعية والقناطر الرئيسية والمسالك والخوانق الجبلية، وكذا بجوار الأسواق الرئيسية والأسبوعية والموسمية، ومخارج المدن والأماكن التي تمر بها فرق المحلات العسكرية، وفي الأراضي الجبلية والسهلية بالقرب من مواقع التمرد والعصيان¹

ولقبائل المخزن علاقة وطيدة وأساسية في إرساء دعائم الحكم للسلطة العثمانية داخل البلاد خاصة في الأرياف، وازداد نفوها خاصة أواخر الحكم العثماني، فكانت حلقة وصل بين السلطة والرعية كما أشار إلى ذلك المؤرخ ناصر الدين سعيدوني، وتجلت أكثر من خلالها في الأدوار الإدارية والعسكرية وإسهاماتها في الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية.²

ويعود لهم الفضل في انتشار اللغة العربية بأحاء البلاد خاصة بمناطق الونشريس والجهات الشرقية وحوض سباو السفلي،³ إضافة إلى مراقبة الإتصالات بين مختلف القبائل والأعراش وفي تزويد السلطة بجنود احتياطيين، كما عانى السكان من مطالبهم واستبدادهم، وذلك أثناء مشاركتهم في الحملات العسكرية المفاجئة على القبائل، ومن الأمثلة ماحدث مع حملة الباي بومرزاق (1819-1830م/1234هـ-1246هـ) في سنة 1825 م/1240هـ ببايالك التيطري فقاموا بالسلب والنهب للممتلكات من مواشي وبضائع، وكذا في حملات الباي محمد الكبير على قبائل الأغواط وأولاد نايل، وهو ما أدى إلى نشوء علاقة خوف وعداء واحتقار⁴ مع الرعية التي أدت إلى فرارهم باتجاه المناطق الجبلية ذات التضاريس الصعبة والواحات النائية التي لا تتوفر فيها شروط الحياة من مناخ قاس وأوضاع سيئة، فكانت حياة

¹ - زيدان قاسمي، قيادة سيباو تاريخ منطقة القبائل، المرجع السابق، ص 84.

² - ناصر الدين سعيدوني، وراقات جزائرية، المرجع السابق، ص 206.

³ - ناصر الدين سعيدوني، نفسه، ص 512.

⁴ - ناصر الدين سعيدوني، وراقات جزائرية، المرجع السابق، ص 506.

الفصل الثاني : جغرافية إيالة الجزائر وتركيباتها القبلية وأهم أنشطتها الاقتصادية

تعاسة وشقاء، وقد عبر الشيخ حسين الورتلاني عن ولاء ودعم القبائل المخزنية للسلطة واستبداد الرعية بقوله: "... فريق في القرية وهو المتمكن المعتمد بألي الولاية من الترك والمتمسك بجاههم، إذ من تمسك بهم تفرعن على غيره وفريق آخر عنها"¹.

وقد أشار إليهم أحمد بن المبارك بن العطار بأنهم أهل غلطة وفضاظة لكون غالبيتهم من أهل البادية.²

وفي أواخر الحكم العثماني تحولت أراضي المخزن إلى ملكية فردية، وذلك عندما أصبحت الأوضاع متردية إضافة إلى انعدام الأمن والإستقرار واستبداد الحكام، وهو ما أدى إلى ضعف السلطة المركزية فالمساحات الشاسعة من الأراضي الزراعية الخصبة تحولت إلى ملكيات خاصة لأسر وقادة مخازنية اكتسبت النفوذ ومارست حق الملكية من بيع وشراء وميراث، كما قامت باستغلالها من حرث وزراعة لفائدتها الخاصة وحراستها، وأكثر من ذلك إصدار عقود لها.³

إن قبائل المخزن⁴ تشكل طبقة وسطى ضمن المجتمع الريفي الجزائري، فهي قوة مؤثرة في النمط الحياتي له، وبفضلها عرف الريف تطورا وازدهارا فانقلبت الحياة فيه من العيش في الخيمة والترحال والتنقل الموسمي إلى الإستقرار والسكن في المنازل التي بنيت من الطين والخشب والملائمة للظروف المناخية المتغيرة، وممارسة النشاط الزراعي وتربية الماشية مع تطور الآلات الفلاحية، فأصبحت التجمعات السكانية التي عرفت بالدواوير من أبراج وحصون والمتواجدة بالأراضي الخصبة والمراعي الشاسعة، وخاصة في بايلكات التيطري والشرق.⁵

¹ - الحسن بن محمد الورتيلاني، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ، تح ابن مهنا القسنطيني، ج1، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 114.

² - أحمد بن المبارك، تاريخ بلد قسنطينة، المصدر السابق، ص 49.

³ - صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي، المرجع السابق، ص 387.

⁴ - قبائل المخزن : وتمتد من الشرق إلى الغرب ومع سفوح الجبال التالية وحدود الصحراء كما تواجدت بالطرق السلطانية .
ومن مهامها: مراقبة الحركة التجارية من خلال مبادلات البيع والشراء، ومراقبة حركة الرعي الموسمي والحرث و مراقبة حركة القبائل في تنقلها بحثا عن الكأ والماء، وللمزيد أنظر محمد السعيد عقيب وعمر لمقدم، قبائل المخزن ودورها في علاقة السلطة العثمانية بالسكان (إيالة الجزائر)، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والإجتماعية، المجلد9، العدد2018م، ص 116.

⁵ - ناصر الدين سعيدوني، وراقات جزائرية، المرجع السابق، ص 236.

وهناك من قسم قبائل المخزن إلى صنفين أو قسمين هما :

- **قسم الأول:** يؤدي واجب الخدمة العسكرية، ويحظى بامتيازات وصلاحيات واسعة خاصة الإعفاء الضريبي كما له مرتب من السلطة

- **قسم ثاني :** يتميز بأنه معفي من الخدمة العسكرية لكنه يسدد ضرائب متنوعة خاصة الزكاة والعشور.¹

كما نجد في قبائل المخزن عدة فرق مشكلة منه هي :

فرقة الصبايحية : وهي التي تكونت من العائلات الكبرى المجنّدة في خدمة أغا العرب وكل فارس يدفع 100 بوجو من أجل الحصول على خدمة الأغا، ويوظف في قبائل المخزن وتتمتع هذه الفرقة بامتيازات ومكاسب، كالإعفاء من تسديد الغرامات وعمل السخرة وهم قادمون من عديد القبائل الموالية، فنجد مثلا قبيلة أولاد عبد النور كان لها حوالي 1000 صبايحي وذلك سنة 1825م/1240هـ.²

فرقة الزواوة : وهي فرقة عسكرية من الرعية مجنّدة لخدمة الجيش البري النظامي مهمتهم الأساسية هي الحراسة والحرب والمحافظة على الأمن والاستقرار،³ والدفاع عن البلاد من الأخطار الخارجية، وتقديم الدعم للمحلة في جباية الضرائب والقضاء على التمرد قدموا من عديد القبائل لهم راتب قليل، ويقومون في خيم منفصلة عن الجيش الإنكشاري.⁴

قبائل الزمول⁵: هي قبائل مصطنعة محلية قامت السلطة بإنشائها لخدمتها، فهي من أقدم وأكبر الفرسان وتواجدت بالقرب من البايك اين تتواجد بالقناطر والجسور والمسالك.

1 - عبد الجليل رحموني، العلاقة بين السلطة المركزية والبايلكات، المرجع السابق، ص 101.

2 - صالح عباد، المرجع السابق، ص 318.

3 - جميلة معاشي، الإنكشارية والمجتمع، المرجع السابق، ص 86.

4 - صالح عباد، المرجع السابق، ص 316.

5 - وقد اشتهرت قبائل الزمول والدواير بالسلب مما أدى إلى أن تكون صورة سيئة لها من طرف ساكنة الأرياف وللمزيد

أنظر، FERAUD (ch),notes historique sur les turcs de la province de constantine les zمول in R, S, A, S, 1869, P54.

عدد الجماعات المحاربة 89جماعة، وللمزيد أنظر ناصر الدين سعيدوني، وراقات، المرجع السابق، ص 89 كما أن العائلات المخزنية هي الأخرى لم تسلم من بطش السلطة العثمانية على إثر ما قام به الباي قارة مصطفى سنة 1818 م عندما قتل ابن العطار وذلك بعد رميه على الصنابر الحديدية،أنظر جبور ميلودية، المرجع السابق، ص 183.

فوجد مثلا¹ :

دائرة الخليفة المكونة من 1000 فارس وحظيت بالعديد من المكاسب والإمتيازات نظيرما قدمته من أعمال عسكرية في مساعدة المحلة² في حملاتها، وإدارية في مساعدة الباي.

الصبايحية في بايلك الشرق والغرب :

وفي الشرق نجد قبيلة التلاغمة التي بها حوالي 100 صبايحي، أما في بايلك التيطري فقد بلغ عددهم سنة 1825م/1240هـ بحوالي 400 صبايحي متواجدون في قبائل بني سليمان وأولاد كل من دبار وعثمان ولوعيش بينما في بايلك الغرب نجد فرقة الصبايحية في كل من قبيلتي حسن وهاشم بالشلف.³

الدواير :

يتحكم فيها أغا الديرة ومهتهم تتمثل في القتال إلى جانب المحلة، ونالوا عديد الإمتيازات حيث كانوا يدفعون خمسي الضرائب، ووصل عدد فرسانهم حوالي 1000 فارس . واستقروا بالأراضي الأكثر خصوبة خاصة بنواحي بايلك الغرب أي حوالي 78%، وكانت من أكثر القبائل سلبا ونهبا لسكان الأرياف.⁴

كما تشير الكتابات التاريخية إلى أن السلطة أنشأت ما يسمى بفرقة السمول، وهي عبارة عن جماعات من السكان مهماهم تتمثل في دعم وحماية الجنود الإنكشاريين أثناء الحملات

¹ - قبيلة الذواودة الهلالية، وقبيلة الحنانشة وللمزيد أنظر جميلة معاشي، الأسر المحلية، المرجع السابق، ص 41-48
² - المحلة : جمعها المحال، وهي فرقة عسكرية قادمة من الجزائر تخرج لجمع الضرائب على مستوى البايلك وتتفاوت في المدة التي تقاها في كل بايلك، وتأخذ في بعض الأحيان شكل الحملة التأديبية، كم أنها مؤسسة عسكرية مهمتها جبائية وتأديبية (محال الحرب) ينظر، دلندا الأرقش وأخرون، المغرب العربي الحديث من خلال المصادر، سيد باكوم، تونس، 2003م، ص ص 132-134، وأنظر أيضا ناصر الدين سعيدوني، ورفات جزائرية، المرجع السابق، ص 526.
³ - فائزة بوشيبية، بايلك التيطري من خلال الأرشيف العثماني المحلي (1662م-1830م)، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر 2، الموسم (2005م-2006م)، ص 58.
⁴ - وأغلب فرسانها موالين للسلطة مهمتهم مراقبة السكان ومنع التمردات والثورات، وتم منحها أراضي زراعية شاسعة بمواطن الحراكنة، ولها نفوذ في عديد الجهات، ينظر محمد السعيد عقيب وعمر لمقدم، المرجع السابق، ص 118.

الفصل الثاني : جغرافية إيالة الجزائر وتركيبها القبلي وأهم أنشطتها الاقتصادية

العسكرية على القبائل المتمردة وإرساء الأمن والإستقرار في المناطق الجبلية، وتتلقى مقابل ذلك عديد الإمتيازات والمكاسب مثل الفرق السابقة.¹

وقد أشار لويس رين في دراسة قام بها أواخر القرن التاسع عشر ميلادي أن عدد قبائل المخزن كانت حوالي 126 قبيلة.²

كما قدرت إحصائيات لقبائل المخزن سنة 1830م/1246هـ بـ 89 جماعة موزعة على ربوع الإيالة وهي كالتالي :

دار السلطان بـ 19 جماعة

بايلك التيطري بـ تسع مجموعات

بايلك الشرق 25 مجموعة

بايلك الغرب 36 مجموعة³، وقد أشار المؤرخ سعيديوني إلى حوالي 30 ألفا رجل منهم 15 ألف فارس،⁴ وهنا نشير إلى الإختلاف الواضح في تحديد وضبط عدد المجموعات خاصة أواخر الحكم العثماني، وما مرد ذلك إلا لأن القبائل لم تكن ثابتة في تحديد علاقة ولائها من رفضها

أي تحول بعض القبائل إلى رعية أو متمردة، وخاصة عندما ضعفت السلطة حاولت عديد القبائل التمرد عليه .

ومن أشهر قبائل المخزن في دار السلطان نجد:

- مخزن سهل حجوط الذي يضم ألف فارس مخزني

- مخزن سوماتة يشتهر بالقوة عددا وعدة

- مخزن موزاية بالشفة

1 - عبد المنعم ابراهيم الجمعي، المرجع السابق، ص 27.

2 - صالح عباد، المرجع السابق، ص 275.

3 - صالح عباد الجزائر خلال الحكم التركي، المرجع السابق، ص 320.

4 - ناصر الدين سعيديوني والمهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص 105.

الفصل الثاني : جغرافية إيالة الجزائر وتركيباتها القبلية وأهم أنشطتها الاقتصادية

- مخزن الزواتنة - مخزن سيباو- مخزن عريب الكبير- مخزن بني سليمان - مخزن بني جعاد - مخزن بوحلوان بحمام ريغة .

- زمالة بني هارون - زمالة إيتريون - زمالة شعبة عامر - زمالة عبيد أقبو - اللوطة -نزليوة وعموما تتمركز في الإطار الجغرافي الذي يمتد من بوحلوان غربا إلى يسر شرقا تابعة لأغا العرب.¹

قبائل المخزن ببايلك التيطري²:

- قبائل العبيد وبها 300 فارس وتضم زمالتي الشرق والغرب
- قبائل الدواير بها أربع أعراش و1200 محارب وهم (أهالي الواد ورقاب والعلمة وعريفة) .

- مخزن صبايحية التيطري، ويضم كل من أولاد دباب وأوتسام، وقبائل نبييلة
- أولاد سيدي عبد الله ميمون بني بوسعادة .
- عرش أولاد بوعايش بقصر البخاري الذي يضم حوالي 400 فارس، وبه (أولاد داود و أولادثابت) .

مخزن أولاد شعيب - مخزن البرواقية - مخزن معاكيف - مخزن أولاد سيدي عمر .³
- مخزن الزناخرة - مخزن عريب وبني راشد
- - أولاد عبد الله - أولاد مختار - أولاد شايب -⁴

1 - عقاد سعاد، الفلاحون الجزائريون والسلطة العثمانية، المرجع السابق، ص37.
2 - ومن قبائل المخزن ببايلك التيطري نجد قبائل بني راشد وبلاد معمورة، وعرشي المعاكيف وأولاد سيدي عامر، وللمزيد أنظر ناصر الدين سعيدوني، ورفقات جزائرية، المرجع السابق، ص 264.

3-LOUIS RINN, OP CIT, PP 71-73

4 - سعاد آل الشيخ، الأوضاع الإجتماعية و الإقتصادية ببوادي الجزائر العثمانية من خلال كتب الرحلات، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، السنة (2019م-2020م)، جامعة وهران، ص188.

الفصل الثاني : جغرافية إيالة الجزائر وتركيباتها القبلية وأهم أنشطتها الاقتصادية

قبائل المخزن ببايلك الغرب¹: تواجدت هذه القبائل في السهول الوهرانية خاصة، وفي باقي المناطق لأغراض إدارية وعسكرية و إقتصادية مختلفة ومن أهم هذه القبائل المخزنية الموالية نجد :

- مخزن أغا الدواوير الذي يضم كل من² (أولاد الشريف و الشباح وبوعمر و بوحجاز، ودواير عين تيموشنت وقمرة وسيدي بختي) .

-مخزن أولاد بوعامر - مخزن مازونة - مخزن زمورة - مخزن مستغانم - دواير فليطة
- مخزن البحايشية وهم أولاد مسعود بن سويد القاطنون مابين وهران وتلمسان ولهم سبع فروع

- الطرارة وهم قبيلة بني راشد بغريس النباعية وهم من الحشم .

مخزن أولاد الصحاري بالشلف - مخزن أولاد خليف بتيارت.³

وقدر استرهازى عدد قبائل المخزن ببايلك الغرب حوالي 17 قبيلة وهي (الدواير - الزمالة -الغرابية⁴ - البرجية - بني شقران -شارب الريح - بني غدو - المكاحلية - أولاد أحمد-عكرمة الغرابية - أولاد سلامة - أولاد عباس - سجرارة - أولاد خويدم - الحشم⁵ - عبيد الشراقة - البحايشية).⁶

¹ - مخزن الدواوير ويضم ثلاثة مجموعات وهي :-البحايشية_الكرامة_النباعية، وللمزيد انظر الأغا بن عودة المزاري ،طلوع سعد السعود، المصدر السابق، ج1، ص 317.

² -مخزن الزمالة ويتكون من 8 أعراش وهي :-المخالف من بني زروال -القدادرة -القرابيدية_الورادية_المخاترة -الونازرة -اليساسفة_الشوابلية، وللمزيد أنظر الأغا بن عودة المزاري ،طلوع سعد السعود، المصدر السابق، ج1، ص 31.

³ - ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص 106.

⁴ - الغرابية : ويطلق عليهم لفظ عبيد الغرابية وبه 8 أعراش وهي :العلايمية، الخدايمية، الوناونية ، الورايدة، السهايلية، المحاميد ، الرفاقسة، العوايلية، وللمزيد أنظر الأغا بن عودة المزاري، نفسه، ص 32.

⁵ - قبيلة الحشم : أصبحت قبيلة مخزنية في سنة 1790م وتتواجد في سهل غريس وتتألف من 5 أسر هي :_أولاد طراي وأولاد محمد ابن حدة ، وأولاد حسان في غريس الغربي، وأولاد محمود العباس في غريس الشرقي، وللمزيد أنظر كاميليا دغموش السلطة والمجتمع في بايلك الغرب الجزائري (1792 م-1830م)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة وهران، السنة 2019م-2020م)، ص 238.

⁶ - Louis Joseph, Ferdinand walsim esterhazy Général, de la domination Turque dans l'Ancienne Règence d'Alger, librairie de Charlie Gosselin, Paris,1840.p 266.

قبائل المخزن ببايلك الشرق¹:

- أعراش المخزن وهم خمسة (الدواير - الزمالة - الغرابة - البرجية² - المكايلية³).⁴
 - مخزن الحراكطة الذي يترأسه قائد العواسي، ويضم أربع مجموعات وبه حوالي 32 قبيلة صغيرة و 26 فرعا، ووصل عدد جنوده إلى 4000 فارس.⁵
 - مخزن الزمول وبه حوالي 5000 فارس ويضم الكواشي وأولادزواي ومروانة وعين مليلة
 - أولاد عبد النور ضمن مخزن الأوراس - صحاري شيخ العرب ويضم 800 فارس -
 - مخزن القرفة وبه 200 فارس - قبيلة التلاغمة الصبايحية تضم رأس سقين ومغسلة
- وهناك أيضا:

- مخزن بجلوان القريب من مليانة .
- مخزن أولاد الصحاري من جهة الغرب - مخزن بن يحي على جهة واد الروينة
- وقبائل الزمالة بوادي سلي الشلف - زمالة البغدادي على جهة وادي الفضة بالشلف
- وزمالة الحاج عند ملتقى وادي رهيو .
- قبائل الزمالة عند وادي مينا بالشلف .
- مخزن الصحاري على وادي الهليل

إضافة إلى الدواير والزمالة المتواجدة بين مدينتي وهران ومعسكر.¹

¹ - قبائل المخزن لببايلك الشرق : ونجد أيضا مخزن الدواير بالحراكطة عين البيضاء ودائرة الخليفة بأحواز قسنطينة ودواير الخروب، وأولاد رحمون، ودائرة دواير الأغا بفرجية، وللمزيد أنظر فلة موساوي القشاعي، النظام الضريبي، المرجع السابق، ص ص 135-136.

² - البرجية: وبها قبيلتان هما: النقايبية والبلاغة، وللمزيد أنظرالأغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ج1، ص 31.

³ - مخزن المكايلية، وبها قبائل أولاد أحمد، وأولاد بوغرارة، وأولاد العباس، أولاد سلامة وكلها تخضع لقائد العاوة، وللمزيد انظر دغموش كاميليا، المرجع السابق، ص 238.

⁴ - الأغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ج1، ص 322.

⁵ - ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص 106 أو أنظر جميلة معاشي، المرجع السابق، ص 83.

¹ - ناصر الدين سعيدوني، ورفقات جزائرية، المرجع السابق، ص 296.

الفصل الثاني : جغرافية إيالة الجزائر وتركيبها القبليّة وأهم أنشطتها الاقتصادية

قبائل الرعية: عند الحديث عن الصنف من القبائل نجد أيضا العديد من التعريفات المختلفة لها، فهي تصب في أنها طرف خاضع ومؤيد للسلطة، وتعتبر الحلقة الأضعف في سلم المجتمع الريفي الجزائري إن لم نقل في الدرجة الأخيرة، وهي الممون الرئيسي للسلطة العثمانية.

وهناك من أطلق عليها صفة المواطن العثماني للدولة.¹

وقد رضخت هذه القبائل للمطالب المخزنية النابعة من السلطة بصفة طوعية وإرادية، وقد دفعتها عديد العوامل والظروف لأن تسلك هذا الإتجاه في طريقة تعاملها مع السلطة ومنها ما يلي :

- العامل الجغرافي الذي نحن بصدد دراسته والتطرق إليه، فالقرب والموقع الممتاز ساهم في التبعية للسلطة والإذعان للمطالب المخزنية، فهي تقطن بالقرب من الأراضي الزراعية الخصبة خاصة في السهول والحاميات العسكرية والأبراج والحصون التي هي في يد قبائل المخزن والعائلات الكبرى أي مناطق نفوذ لها،² فتحصلت على نصيب قليل من الإنتاج الفلاحي .

- إن الصراعات التي كانت تحدث بين القبائل حول الماء والعشب، وذلك في إطار نمطي معيشي حياتي خاص دفع قبائل الرعية أو حتم عليها اللجوء إلى حماية السلطة والعيش تحت كنفها، فقد كانت قليلة الإمكانيات عددا وعدة، وهو ما أشار إليه حمدان خوجة في أن أهالي متيجة وبئر سليمان قد دفعتهم الحاجة الأمنية لطلب أحد من الأتراك أن يقيم بينهم شهيدا على تصرفاتهم وأفعالهم، فاستجاب الباشا لهذا الطلب وتم تعيين قائد لهم،³ فهذا يدل على أن قبائل الرعية كان مرجعها السلطة في إيجاد حلول لمشاكلها، وهذه صورة من صور الولاء لها .

¹ - سعاد آل الشيخ، الأوضاع الاجتماعية و الاقتصادية، المرجع السابق، ص 209.

² - ناصر الدين سعيدوني، الحياة الريفية، المرجع السابق، ص 420.

³ - حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 114.

الفصل الثاني : جغرافية إيالة الجزائر وتركيبها القبلي وأهم أنشطتها الاقتصادية

لم تكن لها أراضي ذات ملكية خاصة ووضعيتها الاقتصادية سيئة حتم عليها التبعية والولاء للسلطة وكذا الحصول على حاجياتها الاقتصادية الأساسية ولوجها إلى الأسواق.¹

واستقرت بالدواوير والقرى المنتشرة في أماكن متفرقة، وكذا الأراضي الواسعة الخصبة فكانت مراقبة من طرف قبائل المخزن ومواقعها دائما عرضة لفرق الحاميات العسكرية.

ولها وظائف تصب في فلك ولاء ودعم السلطة، وذلك حسب ما أشار إليه المؤرخ ناصر الدين سعيدوني وهي :

- استخلاص الضريبة الثقيلة على العقار منها خاصة على الأراضي التي تستغلها.

- تموين ودعم بعض المناطق كالبلدية والقلعة وشرشال والعاصمة بالمواد الفلاحية والغذائية.

- تشكل هذه القبائل الممول الرئيسي للمداخل والخزينة عينا ونقدا خاصة من الضرائب المنتظمة كالعشور والزكاة واللزمة.²

- المساهمة في الفرق العسكرية أي المحلات حيث يتم تجنيدهم في بعض الجماعات بأمر من أغا العرب، كما أنها لم تكن تحظى بامتيازات ومكاسب وحقوق مثل قبائل المخزن، وهو ما انعكس سلبا عليها، فكانت مضطهدة من خلال ما تعرضت له من معاملة سيئة، حيث فرضت عليها ضرائب أثقلت كاهلهم شرعية وغير شرعية على منتوجاتهم الفلاحية من حليب وصوف وجلود وغيرها وحتى على رؤوس حيواناتهم، كما يدفعون لزمة نقدية من قطع فضية وضرائب شملت الزكاة والعشور،³ كما أن هذه الضرائب تدفعها مقابل استفادتها من الولوج إلى الأسواق لبيع منتوجاتها وشراء مستلزماتها أو حاجياتها الضرورية من جهة والاستفادة من المراعي وحرية التنقل من جهة أخرى،⁴ كما أن كثرتها أثرت سلبا على نشاطها الاقتصادي، وهو ما تمثل في التخلي عن الزراعة وإن كانت جزئية ولجأت إلى تربية

1 - نصر الدين عبد الغفور، القبيلة والسلطة، المرجع السابق، ص 118.

2 - ناصر الدين سعيدوني، الحياة الريفية، المرجع السابق، ص 420.

3 - بن عتو بلبروات، المدينة والريف بالجزائر، المرجع السابق، ص 256.

4 - محمد السعيد عقيب وعمر لمقدم، قبائل المخزن ودورها في علاقة السلطة، المرجع السابق، ص 115.

الفصل الثاني : جغرافية إيالة الجزائر وتركيبها القبلي وأهم أنشطتها الاقتصادية

الماشية¹، فضلا عن أعمال السخرة التي تم إجبارهم عليها، فكانوا عرضة للاستبداد والظلم، حيث تعرضوا للسلب والنهب من طرف جنود المحلات العسكرية وقواد العشائر المخزنية وشيوخ القبائل، وهو ما جعلها تقوم بثورات وتمردا غالبا ما تنتهي بهزائم متكررة واستغلال لخبراتها ومصادرة ممتلكاتها وفرض ضرائب إضافية عليها²، كما تم تقييدها في معاملاتها من خلال حظر شراء البنادق وقطع الإتصالات القبائل المتمردة على السلطة، وأكثر من ذلك إجبارها باستعمال القوة على بيع محاصيلها بأثمان منخفضة .

ولكنة الظلم والتعدي التي تمت ممارستها على هذه القبائل تفككت هذه القبائل وأصبحت عبارة عن مزيج اجتماعي من الأعراش، فارتكز نمطها المعيشي على الإنسجام والتلاحم على الولاء ودعم السلطة، ونقصد بذلك أنه بفعل الاختلافات المتباينة لظروف صعبة من عديد المناطق تشكلت هذه القبائل واستقرت في أراضي زراعية قريبة من السلطة ومعاونيتها، كما تمتع شيخها بمكانة هامة وصلاحيات بين رعيته، فهو يلبي طلبات قواد العشائر وحكام السلطة.³

وقدر عددهم لويس رين أواخر القرن التاسع عشر ميلادي بـ 104 جماعة رعية مؤيدة وخاضعة للسلطة⁴، وفي دار السلطان يشرف عليها أغا العرب، و هي التي تقع في الإطار الجغرافي الممتد من بوحلوان غربا إلى يسر شرقا ويساعده في إنجاز مهامه فرق الزمول والعبيد إضافة إلى القيادة في أوطان حجوط وبني مناد وبني خليل.⁵

أما في بايلك الغرب، فنجدها في المناطق التي بها نفوذ الإدارة ضمن القبائل الموالية على شكل مجموعات تخضع للباي مباشرة كبني عامر ومجاهر، ويشرف عليها كل من خليفة الباي وقواد فليقة والمدينة والجبل وقائدي اليعقوبية الشرقية والغربية، وفي الأماكن الأخرى من البايلك يتصرف فيها كل من أغوات و قياد الدواير والزمول.

¹ - carrette et warnier, Description et division de l'algerie, Paris, hachette, 10, 1947, p48.

² - بن عتو بلبروات، المرجع السابق، ص 256.

³ - ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص 107.

⁴ - صالح عباد، المرجع السابق، ص 275.

⁵ - سعاد آل الشيخ، الأوضاع الاجتماعية والإقتصادية، المرجع السابق، ص 212.

الفصل الثاني : جغرافية إيالة الجزائر وتركيباتها القبلية وأهم أنشطتها الاقتصادية

وفي بايلك التيطري نجدها ضمن مجموعات سكانية خاضعة مباشرة للإدارة ، وهي تحت سلطة الباي الذي يساعده قايد العرب، كما أنها ملزمة بدفع الضرائب حسب ثروتها وأملاكها.¹

وقد تواجدت بالقرب من الحاميات العسكرية المرابطة والابراج والسهول والواحات والجبال.

قبائل الرعية لمقاطعة دار السلطان :

- قائد وطن بني مناد وسماتة ومزية وحجوط حتى واد سبع .

- قائد وطن بني خليل كانت تحت إمرته كل من قبائل بني مسعود وبني صالح وبني ميصرة، وتمتد سلطته حتى وادي الحراش.²

- أما وطن خشنة، فيغطي قبائل العمال وبني عائشة إلى غاية يسر، والقبائل الواقعة بين يسر وسيباو، وهي تابعة بقيادة وطن يسر، أما وطن سبت، فيتضمن أولاد دحمان، وأولاد جلال، وأولاد الزناخرة.³

قبائل الرعية لبايلك التيطري :

كما نجد أيضا قبائل وزرة وبني عيش وبني حسين، وقبائل حسين علي التي تشكلت منها فروع وهي: أولاد صلال ،أولاد ظريف ،أولاد معيزة، أولاد فرقان ،أولاد ابراهيم، وقد تعرضت للإضطهاد والظلم من طرف السلطة وفرسان المخزن.⁴

قبائل الرعية لبايلك الغرب :

تتواجد قبائل الرعية في بايلك الغرب بالتافنة وسبدو وتليت وجبال تسالة وطفراوي على الشطوط وسعيدة وفرندة وتيارت وزمورة ومازونة،⁵ وأولاد كل من قصي وسعيد وعنتر وهلال وقبيلة الحشم .

¹ - سعلد ال الشيخ، الأوضاع الإجتماعية والإقتصادية، المرجع السابق ، ص 212-213.

² - أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري وفعالياته، المرجع السابق، ص ص 259.

³ - توفيق دحمان، المرجع السابق، ص 433.

⁴ - أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري وفعالياته، المرجع السابق، ص ص 266-267.

⁵ - توفيق دحمان، المرجع السابق، ص 56.

قبائل الرعية لبابلك الشرق قسنطينة :

وقد تمركزت وتواجدت أيضا في المناطق السهلية والداخلية على شكل مجموعات موالية في مدن عين مليلة وميلة وعين بسام وسطيف ووادي زناتي ومسيلة والعلمة، وكذلك في السهول الساحلية كعنابة وسكيدة، وقبائل السقنية وديرد والعشاش ولعطاطفة.

القبائل المتحالفة¹ : هي قبائل متواجدة بأحاء الإيالة تمتعت بالنفوذ الديني والروحي والقوة لجأت إلى التحالف مع السلطة وفق ظروف مختلفة، فعقدت عديد المعاهدات الشفهية والكتابية معها²، وهي تشكل تجمعات قبلية عرفت في الكتابات التاريخية بالأحلاف أو المشيخات أو النجوع .

وتعاملت معهم السلطة لعوامل عديدة منها: البعد الروحي والديني الذي يجمع بينهما وإلى الدور الهام الذي تمارسه في التوسط بين السلطة والرعية، وهو ما يؤكد المؤرخ أبو القاسم سعد الله الذي أشار إلى أن لها نفوذا كبيرا وهو ما منحها ثقلا ووزنا داخل السلطة.³

ونالت عديد الإمتيازات والمكاسب منها:

- الإعفاء الضريبي
- الحصول على الأراضي الزراعية الخصبة واستغلالها
- حرية الرعي والتنقل وذلك لما تقدمه من أدوار ومهام متعددة متمثلة فيما يلي :
- جمع الضرائب من الرعية سواء أكانت شرعية أو غير شرعية
- فرض أعمال السخرة
- جمع الغنائم من القبائل المتمردة على السلطة
- دعم السلطة بالفرسان لتعزيز القوة العسكرية والمواد الأولية خاصة النباتية والحيوانية

¹ - وبالنسبة للعشائر البدوية بالهضاب الوهرانية وجنوب التيطري وقبائل الحنانشة والنمامشة كانت لها علاقة بالسلطة فضمنت لها الإستقلال الداخلي وكذا الإستفادة من تسهيلات ممثلة في الإعفاء الضريبي والتنقل و حرية الرعي وممارسة التجارة في الأسواق، وللمزيد أنظر ناصر الدين سعيدوني، الأوضاع السياسية والاجتماعية، المرجع السابق، ص 63

² - Louis rinn:(le royaume d'alger sous de dernier dey , chapitre,7,BEYlik constantine)R,A,N°41,1899, p5.

³ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص 172.

- إقرار الأمن والسلم في الأرياف.¹

فالقبايل المتحالفة هي قبائل حافظت على القوة في العدة والعدد، فضلت التحالف والوقوف إلى جانب السلطة بدل أن تكون خاضعة مثل الرعية أو متمردة عاصية أو مخزنية.

وقد سعت السلطة لكسب ودهم وولائهم عبر طرق عديدة منها خاصة استمالة شيوخها إلى جانبهم بالإغراءات والهدايا والمصاهرة والإمтиيازات سابقة الذكر، فكان بعض شيوخها أقوى من الحكام البايات في حد ذاتها.²

ولجأت السلطة في بعض المرات إلى التغاضي عن أعمالهم وتجاوزاتهم في حق الرعية وبعض الخروقات، وهو ما حدث مع أسرة المقرانيين الذين تحكّموا في الطريق السلطاني من قسنطينة إلى دار السلطان بفرض الضرائب على مرتادي الطريق أو مايعرف بضريبة المرور، وذلك مقابل دعمهم وولائهم لها.³

كما كان البايات لا يطلبون من بعض شيوخها سوى الدعاء في خطب الجمعة، وتحالفت⁴ معهم وفق قوتهم العسكرية وأصالة نسبهم ونفوذهم داخل عشائهم، كقبائل الأجواد⁵ المنحدرون من العائلات العريقة، وهي كثيرة خاصة في الجنوب الشرقي للإيالة كقبائل الحنانشة وأولاد مقران وأولاد علي مثلا مما أدى إلى تكوين علاقة قوية بين الباي وزعماء الشيوخ.⁶

ومن القبائل المتحالفة نجد في بايلك الشرق كل من :

¹ - بن عتو بلبروات، المدينة والريف بالجزائر، المرجع السابق، ص 260.

² - Louis rinn, le royaume d'Alger sous le dernier Dey, Adolphe Jourdan, imprimeur librairie, éditeur, 4place du Gouvernement, Alger, 1900, p5.

³ - نصر الدين عبد الغفور، القبيلة والسلطة، المرجع السابق، ص 127.

⁴ - بيار كاستل، المصدر السابق، ص ص 212-213.

⁵ - الأجواد : وهم النبلاء الذين فرضوا نفوذهم وسلطتهم بالقوة في عدة مناطق وأثناء لهم مكانة مرموقة ومحترمة ويتمتعون بامتيازات، وهو ما أجبر السلطة على الإعتراف بهم والتعامل معهم في عديد القضايا والمجالات، وللمزيد أنظر صالح عباد، المرجع السابق، ص 362.

⁶ - خديجة دوالي، العلاقات الاجتماعية بين الرعية والسلطة في بايلك التيطري أواخر العهد العثماني من خلال الوثائق، مجلة الحوار المتوسطي، المجلد 13، العدد 3_4، ص 13.

الفصل الثاني : جغرافية إيالة الجزائر وتركيباتها القبلية وأهم أنشطتها الاقتصادية

- أولاد سيدي الشيخ وعائلات بوعكاز بن عاشور في فرجوية وابن شنوف والمقراني في مجانة وابن قانة في الصحراء التي تمتعت بالنفوذ الكبير،¹ وكذلك نجد أيضا :
- عائلات بني عبيد التي لها نفوذ ديني
- بني يعلي العائلة المرابطية الشريفة التي لها نفوذ ديني وروحي
- قبائل ساحل البابور القبلي
- مشيخة زواغة تحت إمرة عائلة بن عز الدين
- القبيلة المرابطية لأولاد يحي بن بوطالب.²
- قبائل الدواودة والأحرار والحنانشة وأولاد بني عاشور وأولاد عزالدين.
- أولاد علي التركي التي لها حوالي ثمانية آلاف فارس إضافة للقبائل المجاورة لها كأولاد شارن وأولاد بوغانم.

قبائل وأعراش الأحلاف بدار السلطان :

وتضم مايلي :

- أولاد سيدي علي مبارك، والذين يقطنون بالقلعة باعتبارهم مرابطين شرفاء، ولهم تأثير ونفوذ روحي على أوطان قبيلة بني مناد بمتيجة والقلعة، وفحص وادي السبت وبني خليل فضلا عن مدهم بالفرسان .
- قبائل براكطة المرابطية من جهة شرشال، وتنتسب إلى قبائل بني مناصر البربرية.
- زاوية سيدي سالم التي وظيفتها دعم السلطة، وقد تزعمت إتحاد قبائل بني جعاد.
- أعراش أولاد سيدي سالم من المرابطين والأشراف .
- أعراش أولاد سيدي براهيم من النبلاء المحاربين .

¹ - صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة (1826م 1850م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م، ص 47-48.

² - Babes Laila, saints, tribus structures sociales et pouvoir politique dans la province de Constantine sous les turcs Mémoire pour le,D,E,A,d'études politiques approfondies, Université de droite d'economie et de science D'Aix Marseille, p 74.

- أعراش القليعة الشرفاء.
- إتحاد أعراش فليسة وبه 14 عرشا تتزعمه قبائل بني زموم .
- إتحاد أعراش أيت واقنوني وبه تسع أعراش .
- إتحاد أعراش فليسة البحر وبه أربع أعراش .
- إتحاد أعراش أين عيسى وله خمس أعراش و 22 دشرة .
- إتحاد أعراش المعاتقة .
- إتحاد أعراش قشتولة وبه تسع أعراش و 37 دشرة .
- إتحاد أعراش أيت صدقة وبه 13 عرش و 28 دشرة .
- قبائل بني هون ، وأيت خلفون ، وأيت عزيز.¹

قبائل أحلاف بايلك التيطري:

- زاوية أولاد سيدي أحمد بن يوسف وأولاد سيدي لخضر والمرتبطة بالداي .
- مشيخة أولاد سيدي عبد الله بمجانة من فئة الأجواد.
- قبائل قصر وزاوية سيدي البخاري
- قبائل أولاد علي بن داود .
- قبائل سور الجواب المرابطية .
- قبائل أولاد سيدي عامر المرابطية .
- قبائل أولاد سلامات التابعة لمشيخة أولاد سيدي عبد الله ، وقبائل أولاد عيسى .
- ومشيخة أولاد مختار المشكلة من أولاد عدة وأولاد مختار الغرابة.
- قبيلة أولاد سيدي أحمد الرشايقية، وأولاد أحمد بن عيسى.²
- قبيلة أولاد سيدي عيسى.

¹- Louis rinn, op cit, p p 56_64.
²-ibid, pp 78-81.

قبائل وأعراش أحلاف بايلك الشرق:

- أولاد مقران بمجانة.
- قبائل أيت شارفة وأولاد سيدي عامر بواد الساحل - قبائل ساحل البابور
- مشيخة فرجيوة لأولاد عاشور، وزواغة التي يحكمها عائلة بن عز الدين، والمزولة بالقالة التي يحكمها أولاد دياب والحنانشة القبيلة الحدودية ذات النفوذ والقوة.
- قبائل بني عاشور.
- قبائل أولاد سيدي الشيخ الحليفة والمقربة ضمن عائلات المرابطين، والتي لها نفوذ روحي.¹
- قبائل أولاد قاضي وبني مدوروعرب الغرابة لبيت بن قانة وبني قايد بجيجل أو دار البطاح وأولاد بوعون.²

قبائل وأعراش أحلاف بايلك الغرب:

- قبائل أولاد سيدي عبد الله المرابطية التي تقيم بين مستغانم والشلف وبين مينا والظهرة.
- إتحاد قبائل بني مسلم وبه ثلاثة عروش (أولاد بورباح لها ست نجوع، وأولاد يعيش لها سبع نجوع، وأولاد شكالة لها خمس نجوع).
- قبائل زاوية سيدي محمد بن عودة
- قبائل زاوية أولاد سيدي دحو
- قبائل أولاد ميمون بحبل عمور وبها خمس أعراش
- قبائل أولاد سيدي ناصر
- إتحاد قبائل الأحرار وبه 11 قبيلة متحدة - اتحاد قبائل أولاد حميان الشراقة وبها أربع قبائل

- وطن ندرومة ويضم ثماني قبائل

¹ - توفيق دحماني، المرجع السابق، ص 437.

² - Louis rinn, op cit ,pp154_166.

- إتحاد قبائل ترارة والذي يضم كل من بني مسهل وبني منير
- قبائل زاوية سيدي أحمد بسبدو
- مشيخة جندل وبها أربع قبائل
- قبائل مجاجة المرابطية وبها ثلاثة نجوع¹

القبائل الممتنعة أو الرافضة :

يعرفها الكثير من المؤرخين بأنها تلك التجمعات السكانية التي لم تخضع لأوامر ومطالب السلطة، وإن خضعت في بعض الفترات بشكل جزئي مؤقت دفعتها إلى ذلك بعض الظروف القاهرة، فقد وجدت في نفسها حاجة ماسة لتقديم الولاء والطاعة لنيل متطلبات الحياة وتوفير سبل العيش للرعية، ولكن ما يميزها أنها سرعان ماتعود لأصلها وطبيعتها في علاقة الرفض والتمرد على السلطة، وهناك من يسميها بالمستقلة أو السايبة لأنها لها نوع من الإستقلال الذاتي الداخلي،² فقد خضعت لقانون خاص يتماشى ويجمع بين الأعراف والتقاليد التي تسير هذه القبائل انطلاقا من المجتمع والواقع الذي تعيشه، وكذا الشريعة الإسلامية المتمثلة في كتاب القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة تشكل كثافة سكانية مرتفعة ظلت بعيدة عن دوائر وقرارات السلطة العثمانية.³

لقد ساعدتها عديد العوامل والظروف في انتهاج طريق الرفض والتمرد على السلطة ومن أهمها نجد:

- الموقع الجغرافي والتضاريس الصعبة، فهم يعيشون في وسط طبيعي صعب متمثل في الجبال الوعرة صعبة الممرات والمسالك⁴ والسهول الشاسعة والصحاري والوديان العميقة، حيث لجأت إلى العيش في المناطق الجبلية خاصة والأراضي الصحراوية، وكذا على المناطق الحدودية مع المغرب الأقصى وتونس.

- البعد عن مركز الحكم وصناعة القرار أي مركز التأثير المباشر من السلطة المركزية

¹ - Louis rinn, op cit, pp 127-129.

² - عمار عمورة، المرجع السابق، ج2، ص 153.

³ - سعاد ال الشيخ، الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية، المرجع السابق، ص 206.

⁴ - سيمون بفايفر، مذكرات جزائرية عشية الإحتلال، المصدر السابق، ص ص 149-150.

الفصل الثاني : جغرافية إيالة الجزائر وتركيبها القبلي وأهم أنشطتها الاقتصادية

- طبيعة النشاط الإقتصادي الممارس من طرفهم، فأراضيهم تميزت بأنها غير خصبة مع نشاط قليل من الفلاحة والصناعة والتجارة وممارسة نشاط الرعي وتربية الماشية،¹ نظرا للمضايقات والصعوبات التي تتلقاها من طرف السلطة وأعاونها، وهو ما أدى إلى استقرارها تحت حكم الشيوخ والمرابطين وفق عادات وتقاليد تنظمها، وقد اهتمت بالبحث عن نقاط المياه والرعي للماشية، كما أطلق على هذه المناطق بالسبية أو الخلاء أو أراضي البرود.²
 - تمتع أفرادها شيوخهم بالروح والنزعة الإستقلالية، وأكثر من ذلك الإستعداد الدائم للدفاع عن الأرض والشرف وروح المقاومة المتجذرة فيهم،³ وهو ما أكده كاتر بارب عند وصفه للسكان بأنهم متحمسون للإستقلال والحرية ويفتخرون بذلك، كما أشار إلى امتلاكهم كبيرة للشجاعة والقوة حتى في حالة الضعف والفشل.⁴
 - اعتمادها على التنقل والترحال لتفادي الوقوع في قبضة السلطة، حيث أنها تفضل العيش في الأماكن الصعبة المعزولة بدل الولاء والخضوع .
 - الفكر القبلي لديها القائم على الإهتمام بمصالح القبيلة، وتوفير حاجاتها الأساسية والمستلزمات وخضوعها لسلطة الشيوخ وتعاملها مع القبائل المحيطة بدل التقرب من السلطة فمصالح القبيلة أكبر من الولاء للسلطة.⁵
 - التهرب الضريبي لكثرتها بين منتظمة وغير منتظمة بالفرار والإختباء في المناطق الصعبة بأسرهم وماشيتهم.⁶
- لطالما كانت هذه القبائل تشكل تهديدا لأمن واستقرار السلطة بل وحتى أوشتت على إنهاء تواجد العثمانيين بالبلاد، مما أدى بها لأن تكون عرضة للحملات العسكرية وإن وصفت بالتأديبية، فكانت من أجل إستخلاص الضرائب ومعاقبة المتمردين عن أداء

¹ - شهر زاد رفاف، القبيلة خلال العهد العثماني ديناميكية الخضوع والتمرد، نموذج قبائل الغرب الجزائري، مجلة المعيار، مج 25، ع53، السنة 2021م، ص 981.

² - ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص 113.

³ - ناصر الدين سعيدوني، الحياة الريفية، المرجع السابق، ص 425.

⁴ - نفسه، ص 426.

⁵ - ناصر الدين سعيدوني، الاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية لولايات المغرب، المرجع السابق، ص 41

⁶ - C,Ph, Valliere, l'algerie en 1781 memoire du consul ,C,ph valliere, pp 10-11.

المطالب المخزنية وهو ما عرف بالمحلات أثناء فصلي الخريف والربيع من طرف الباي وخليفته وأعوان السلطة وهذه سياسة ترهيبية لجأت إليها مستعملة القوة مما أثرت سلبا على النمط الحياتي المعيشي الإجتماعي والإقتصادي لها، وهو ما يؤكده هابنسترايت بقوله: "....عندما تهرب القبائل من سلطة حكام الجزائر، وتمنع عن تقديم ما يطلب منها من جباية ومغارم، فتحوّلت المحلات إلى غارات مفاجئة على مواطن تلك القبائل تستولي على ماتجده أمامها"¹، حتى وإن وجدت صعوبات عديدة في إخضاعها وضمان ولائها، وللحد من خطرها قامت السلطة بإجراءات عديدة ممثلة فيما يلي :

- إنشاء الحاميات العسكرية ومراكز الحراسة والمراقبة وتكليف عشائر المخزن بها.
- التحكم في مداخل ومخارج الأسواق باختلافها خاصة تلك الواقعة بالقرب من هذه القبائل وتكليف قوات مخزنية لمساعدة الجنود في ذلك .

- منع جميع التعاملات مع هذه القبائل وبقائها معزولة وتضييق الحصار عليها²
وهناك بعض القبائل الراضية للحكم استطاعت السلطة أن تخضعها عن طريق القوة وفرض ضرائب عليها، ومصادرة أملاكها وأكثر من ذلك تحويلها إلى قبائل مخزنية، فتم تشكيل فرقة الزمالة كقبائل الحشم³، وفي بعض المرات تساهلت السلطة معهم ومنحتهم إمتيازات وحقوق وتسهيلات مقابل دفع الغرامات، وذلك سعيا منها في الحفاظ على السلم والأمن.⁴

ومن أهم القبائل المستقلة في بايلك الشرق نجد :

قبائل جرجرة والونشريس وساحل البابور وشمال قسنطينة وفرجوة وزواغة وقبيلة فليسة التي تقع من دلس شرقا إلى القل شرقا وإمارة تقرت.

وفي بايلك التيطري نجد:

¹ - ج.أو، هابنسترايت، المصدر السابق، ص 70.

² - ناصرالدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص 110.

³ - فارس كعوان و نصر الدين عبد الغفور، تأثير التضاريس، المرجع السابق، ص 290.

⁴ - (j , n) , robin : ("note sur l'organisation militaire et adminstrative des turcs dans la grand kabylie jourdan librairie") ,editeur in R, A, N ,17°,1873,P,183.

- قبائل أولاد نايل والعمور ومنطقة عين ماضي والأغواط¹

وفي مقاطعة دار السلطان نجد :

- قبائل زواوة في جنوب المقاطعة²

القبائل والأعراش الممتنعة في مقاطعة دار السلطان :

-عروش:

- إيزرفاون أي أزفون حاليا

- إيزوزن وبه ست مداشر

- أيت حسن والمكونة من ست مداشر

- بني مسرة

-عرش أيت تيقرين والمؤلف من ثلاثة مداشر

- إيغيلن زيكري من ثلاثة مداشر

- أيت فليك

- أيت بوشايب

- أيت خليلي والمتكون من إحدى عشر دشرة

- أيت زيكي

- أيت أولن أومالو

- أيت إيليتن .

- أيت إيتورار أمسوهال .

إتحادات أعراش كل من :

- أيت إدجر وبه تسعة عشر دشرة .

¹ - ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص 109.

² - venture de paradis, tunis et alger au 18 éme siècle, op,cit p 118.

- أيت إقاوون أيت مقلات، والذي به تسعة عشر دشرة ، وأربع أعراش متحدة
 - إتحاد زتيمة الذي يضم عشر أعراش
 - عرش إقاوون وأيت بترونن الذي به ثلاثة وعشرون دشرة ،وبه أربع أعراش متحدة
 - أعراش أيت إيراثن، والذي به ثمانية وثلاثون دشرة وبه خمس أعراش متحدة¹
- القبائل الممتنعة ببايلك التيطري :**
- أولاد ديرة أدوار بوسعادة حاليا .
 - أولاد ديرة إدريس الموالية لمشيخة أولاد سيدي عبد الله.
 - أولاد سيدي عيسى العذب بقصر البخاري .
 - قبيلة العذارة .
 - قبيلة عزيز بقصر البخاري.
 - قبائل أولاد نايل بالجلفة، والتي تضم إتحاد أربع أعراش .
 - قبائل السحاري بأولاد نايل، والتي تتكون من إتحاد سبع قبائل .
 - قبائل بني الأغواط التي تضم ثلاثة أعراش وهي كل من (الأحلاف، سرغين، المخاليف).
 - إتحاد قبائل الأربعة .
 - إتحاد قبائل الشعانبة بمتليلي وورقلة .
 - إتحاد قبائل ميزاب:
- المشكل من سبع قرى عربية وهي (غرداية ،بني يزقن ،مليكة ، بونو ، العطاف، بريان ، قورارة).
- قبيلة سعيد مخادمة بورقلة .

¹- Louis rinn op cite pp 64-70.

أو للمزيد أنظر بن عتو بلبروات، المرجع السابق، ص ص 265-266.

- قبيلة ناقوسة أو سعيد عتبة بورقلة، والتي تضم عرشين ناقوسة وسعيد عتبة¹.

القبائل الممتنعة ببايلك الشرق:

- قبائل البابور والساحل التي تضم ثمانية عشر قبيلة .
- قبائل إيدوغ والتي بها ثلاثة و أربعون تجمعاً قبلياً .
- قبائل لالا خديجة بمنطقة القبائل، وبها خمس أعراش متحدة .
- قبائل بجاية في الضفة اليسرى لواد الساحل (الصومام)، وبه سبعة عشر عرشاً .
- قبائل بوسلام الأمازيغية والتي تضم العديد من الأعراش كأولاد سيدي الجودي، ووبني حسن وبني تيزي وغيرها .
- قبائل ساحل جيجل ومنطقة القبائل الصغرى، والتي تضم إحدى عشر قبيلة منها قبائل أولاد عيدون .

- ومن المشيخات القبلية نجد :

- مشيخة الحنانشة وبها خمسة عشر أو ستة عشر إتحاداً قبلياً تحت إمرة الأحرار
- مشيخة بوعكاز وهم أجواد الدواودة وأولاد ساولة، ويشرف عليها بوعكاز بن علي شيخ العرب

- إتحاد بني جلاب المكون من خمسة قيادات إدارية تحت إمرة وادي ريغ.²

القبائل الممتنعة ببايلك الغرب الجزائري:

- إتحاد قبائل مكناسة، والذي يضم أربع قرى
- إتحاد قبائل بني تيغرين ويضم قبيلتين وإحدى عشر نجعاً
- إتحاد قبائل مطماطة، والذي يضم ست قبائل

¹ - عائشة غطاس وأخريات، المرجع السابق، ص ص 182_183.
² - بن عتو بلبروات، المدينة والريف بالجزائر، المرجع السابق، ص 267.

- إتحاد قبائل معاصم ويضم خمس قبائل
 - إتحاد قبائل حلوية وبه إحدى عشر قبيلة صغيرة
 - إتحاد قبائل أولاد يعقوب زرارة
 - إتحاد قبائل الحساسنة وبه ثلاثة قبائل باليعقوبية وسعيدة
 - إتحاد حميان الغرابة وبه ثلاثة عشر قبيلة وخمس قصور
 - إتحاد قبائل أنجاد
 - إتحاد قبائل العمور وبه ثلاثة قبائل راحلة بين عسلة وفجيج
 - زاوية عين ماضي التيجانية بالأغواط وبها خمس قصور
 - قبيلة أولاد عنتر وأولاد هلال بيوغار
 - قبيلة المكاحلية بمستغانم
 - قبيلة عريب زكار
 - قبيلة بني درجين بتنس
 - قبائل حميان والأحلاف
 - إتحاد بني سنوس
 - إتحاد بني بوسعيد ويضم أربع قبائل
 - إتحاد مغراوة الظهرة بتنس، والذي يضم خمس قبائل
 - إتحاد بني منة أو الظهرة الشرقية وبه خمس قبائل
 - قبائل بني جندل وفراح ومطماطة
- وقد أكد لويس رين في دراسة إحصائية حول القبائل والتي أجراها بإيالة الجزائر أواخر الحكم العثماني في عهد الداوي حسين تتضمن وجود أربع مجموعات من المخزن والرعية و المتحالفة والمستقلة أو الممتعة، ومن خلال هذا الجدول يتضح لنا مايلي:

الفصل الثاني : جغرافية إيالة الجزائر وتركيبها القبلي وأهم أنشطتها الاقتصادية

الجماعة	دار السلطان	التيطري	الغرب	الشرق
مخزن محاربة	19	9	36	25
مخزن غير محاربة	0	5	10	22
مخزن رعية	11	23	56	14
مخزن متحالفة	20	12	29	26
ممتعة	23	13	36	138
المجموع	73	62	157	224

ويتضح لنا من خلال هذا الجدول أن القبائل المستقلة أكثر عدد من القبائل الأخرى، وذلك يعود لأسباب وعوامل عديدة منها¹: شساعة المساحة وكثرة المسالك البرية والكثافة السكانية ببايلك الشرق وإلى التنوع الجغرافي فيها وصعوبته، وكذا رغبة سكان هذه القبائل في العيش بحرية وكرامة متمتعين باستقلال داخلي بعيدا عن الخضوع للسلطة وموالاتها، ثم بايلك الغرب نتيجة للأوضاع الامنية وعدم الإستقرار، والموقع الطبيعي الصعب بتضاريسه، وقدّر عدد هذه القبائل باختلافها 516 مجموعة، وما هو ملاحظ في هذا التقسيم القبلي أو التصنيف الطبقي للقبائل أنه لم يكن ثابتا بل كان متغيرا لظروف مختلفة، حيث نجد أن القبائل المخزنية ظلت لوقت طويل موالية للسلطة، فأصبحت رعية لتجرؤها على التمرد والعصيان في وجه السلطة، بينما الرعية هي الأخرى تغيرت ظروفها وأصبحت مخزنية لوفائها وإخلاصها للسلطة، ومن الأمثلة ما حدث لقبيلة الحشم التي كانت رعية، فأصبحت قبيلة مخزنية لوقوفها إلى جانب السلطة في حربها ضد الطريقة التيجانية.²

المبحث الرابع : النشاط الإقتصادي الممارس من طرف القبائل .

أ- النشاط الزراعي :

إن الحديث عن النشاط الزراعي بالإيالة يجر بنا إلى التطرق مسبقا إلى أن العوامل والظروف الطبيعية، والتغيرات المناخية الملائمة والتقلبات الجوية فيه من حرارة وبرودة وكميات متساقطة للأمطار بنسب مختلفة، وما كتابات الرحالة هابنسترايت والقتصل

¹ -Louis rinn, le royaume dalger,op cit , p 313.

-صالح عباد، المرجع السابق، ص ص 302-303 أو انظر

² - نصر الدين عبد الغفور، القبيلة والسلطة، المرجع السابق، ص 130.

الفصل الثاني : جغرافية إيالة الجزائر وتركيبها القبليّة وأهم أنشطتها الاقتصاديّة

الأمريكي شالر لدليل على ذلك من خلال ما تميزت به الإيالة من أراضي خصبة رطبة وحدائق متنوعة تحتوي على أشجار مثمرة وغير مثمرة من عنب وزيتون ولوز ونخيل وغيرها، وكذا انتشار زراعة البقوليات من عدس وفول وذرة، وبطون الأودية عبر عديد المناطق،¹ إضافة إلى التربة ونوعيتها واختلافها عبر الأقاليم والمياه الوفيرة بتعدد منابعها من باطنية وسطحية قد لعبت دورا كبيرا في بروز النشاط الفلاحي، ونيله مكانة هامة في إقتصاد الإيالة.

فهذا النشاط ينقسم على حسب الإقليم والموقع والتضاريس وطبيعة السكان،² كما أن غالبية السكان يقطنون الريف في نسبة قدرت ما بين 90% إلى 95% من المجتمع الجزائري يمارسون النشاط الفلاحي.³

فسكان السهول يقومون بزراعة الحبوب من قمح وشعير وذرى، وقد تواجدت به قبائل مستقرة ساعدها النمط المعيشي والبيئي على ممارسة هذا النشاط كقبائل الساحل والقل وجيجل وعنابة وبجاية وغيرها، فهذا النشاط يعود عليهم بفائدة إقتصادية للقبيلة والإيالة، كما أنه مصدر رزق وعيش لهم، كما تواجدت بالسهول الخصبة السهول التلية والقريبة من السواحل والسهول الداخلية في الهضاب وبين السلسلتين الجبليتين فضلا عن ذلك اهتموا بتربية الماشية ولو بعدد قليل.⁴

وهو ما يؤكده وليام شالر في أن السهول عرفت نشاطا فلاحيا بفضل عديد الخصائص الطبيعيّة، كما أشرنا سابقا من مناخ وخصوبة للتربة وبنابيع متفرقة شهدتها الحقول والبساتين التي كانت تعج بالخيرات من أنواع وأجود الخضروات والفواكه،⁵ كما أن عملية تخزين الحبوب تتم داخل مطامير بالأرض .

1 - ج.أو، هينسترايت، المصدر السابق، ص 82 وللمزيد انظر وليام شالر، المصدر السابق، ص 29.

2- ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق، ص 351.

3 - أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 59.

4 - عبدالرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج 3، ص 107. و للمزيد انظر

Urban (i); Notice sur L'ancienne province du Titerie; in Tableau de la situation des tablissement française en Algerie 1844-1845, p306.

5 - وليام شالر، المصدر السابق، ص 106.

أما سكان المناطق التلية، فهم بمارسون أيضا نشاطا فلاحيا بدرجة عالية نظرا لخصوبة التربة ووفرة المياه والمناخ الملائم، وأهم ما يميز النشاط الزراعي بهذه المناطق وجود أنواع من الخضر والفواكه وتربية الماشية، واستعمال الأسمدة أي الغبار، وهي بقايا فضلات حيوانات تساعد على تقوية وجودة التربة بعد اختلاطها بالأسمدة، وذلك للحصول على إنتاج وفير ذو جودة عالية كما أنه يساعد على إراحة الأرض وخدمتها وتنقيتها بدل إجهادها بالحرث المفرط وما هو معروف أنها طريقة تقليدية لجأ إليها الفلاحون لمساعدة الأرض الفلاحية.¹

وقد نشط سكان المناطق الجبلية والبوادي القريبة من المدن أي الفحوص والأوطان في زراعة الخضر والفواكه وتربية الماشية، ساعدهم في ذلك موقعهم الطبيعي المتميز، ووجود مساحات شاسعة وتساقط الأمطار والتربة الخصبة.²

وقد تميز الإنتاج الزراعي بالمحدودية لأن أغلبه موجه للإستهلاك المحلي الذي يسد حاجيات ومتطلبات أفراد القبيلة،³ وهو الأمر الذي يذهب إليه ثم صالح عباد عندما أشار إلى أن فحوص قبائل دار السلطان ينتجون ما يسد حاجيات الأفراد المعيشية من خضر وفواكه كالتين والمشمش والزيتون.⁴

كما برزت منطقة القبائل بنشاطها الزراعي الهائل خاصة ماتعلق بغرس أشجار الزيتون والتين في الجبال وسفوحها، وقام سكانها بإنشاء صناعات تقليدية محلية من موارد أولية بسيطة مصدرها فلاحية كالحلفاء والصوف وغيرها .

واشتهر سكان الجنوب الصحراوي بزراعة أشجار النخيل وتربية الإبل والماشية المناسبة للتغيرات المناخية بها، مع ممارسة نشاط زراعي تميز بالمحدودية والقلة نظرا لصعوبة الظروف الطبيعية والمناخية كمناطق وادي سوف ووادي ريغ والزيبان ووارجلان.⁵

¹ - ناصر الدين سعيدوني، الحياة الريفية، المرجع السابق، ص ص 263-264.

² - أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر ويليه كتاب الجزائر، عالم المعرفة، ط خ، مج 8، السنة 2010م، ص 27.

³ - ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي، المرجع السابق، ص 43.

⁴ - صالح عباد، المرجع السابق، ص 335.

⁵ - محمد خير فارس، المرجع السابق، ص 107.

وقد استخدم الفلاحون في نشاطهم وسائل تقليدية أكثر ماتميزت به أنها بدائية بسيطة في الحرث والسقي والنقل والحصاد والدرس وغيرها، ومن أهم الوسائل نجد : المذراة، والعربة، والفأس، فالمحراث الخشبي استعمل للحرث ويجره ثوران، والمنحل للحصاد، والمدرة التي استعملت لتصفية الحبوب من قمح وشعير عن التبن بعد درسها بواسطة الثور، وهو ما يؤكد من شارل أندري جوليان حينما أشار إلى أنها بسيطة وتقليدية استعان بها الفلاح في عمله مبينا عدم مساعدة السلطة ومرافقتها له في تطوير وسائل عمله للرفع من منتوجه، وهو ما زاد من أعبائه ومعاناته فضلا عن نقص الإنتاج ومردوديته.¹

- طبيعة الملكية العقارية للأراضي الزراعية :

أجمعت العديد من الكتابات التاريخية فيما تعلق بطبيعة الملكية وكيفية إستعمال الأرض أو ما يعرف بنظام الملكية العقارية، أن الأراضي في العهد العثماني كانت مقسمة وموزعة على حسب عدة أنماط منها ماهي تابعة للسلطة أو القبائل المختلفة بين مؤيدة أو معارضة، وكذا الطبقة البرجوازية.

ومن أهم أنواع الملكية الشائعة في الجزائر العثمانية نجد نظام الملكية الخاصة وملكية السلطة والأراضي المشاعة أو الموقوفة.²

- الملكية الخاصة :

وهي أراضي لها ميزة الملكية الخاصة لأصحابها الذين يقومون باستغلالها وخدمتها وزراعتها من خضر وفواكه وغرس للأشجار، ويمتلك هؤلاء وثائق إدارية تدل على ملكيتها لهم أما دور السلطة فتكتفي بتحصيل الضرائب منها كالعشور والزكاة³، وكانت متواجدة بجوار المدن في الفحوص والأوطان، وفي المناطق الجبلية، وقد شهدت عدم إستقرار لصغر مساحتها، وهو ما جعلها عرضة للحياسة والمصادرة من طرف أعوان البايات، كما كان يسمح لمالكها بحالات البيع والشراء بين السكان، وتنتقل أيضا عن طريق الإرث من الأجداد إلى

¹ - شارل أندري جوليان، تاريخ الجزائر المعاصرة، الغزو وبدايات الإستعمار (1817م_1871م)، ترجمة عياش سليمان، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م، ص 17.

² - Jean terras, essai sur les biens haboous en Algérie et on Tunisie étude de l'égislation ,Thèse doctorat, université de Lyon faculté de droit 1889, p85.

³ - ناصر الدين سعيدوني، الجزائر في التاريخ، المرجع السابق، ص 51.

الأبء إلى الأبناء، ومن أهم العائلات التي ملكت هذا النوع من الأراضي نجد أسرة عائلة خوجة وأبي هرارة وغيرها.¹

2- أراضي البايلك :

تواجدت في المقاطعات وهي تختلف من بايلك إلى آخر، وتميزت بجودة الأراضي واتساع المساحة، وتنتشر في أغلب المناطق بالسهول الخصبة الملائمة للإنتاج الفلاحي أو المناطق القريبة من مراكز السلطة كسهول سطيف ومنيحة والشلف وغريس ومعسكر، وكانت تسمى مقاطعة دار السلطان أحواش البايلك التي تواجدها به حوالي 13 مزرعة كبيرة، وفي بايلك الشرق كانت هذه الأراضي عبارة عن مزارع وحدائق واسعة قدرت ب 60 ألف هكتار، أما في بايلك الغرب قدرت مساحته ب 11250 هكتار،² والمخولة بتسييرها وتصريفها هي السلطة التي تسخر قبائل الرعية، كخماسة أو في إطار التوزيع هذه الأخيرة عمل جماعي تعاوني لا مادي لصالح السلطة وأعاونها وتعرف أيضا بأعمال السخرة، كما أن السلطة عندما يتعذر عليها استغلالها فإنها تمنحها لأصحاب النفوذ والجاه من الأسر الحاكمة وزعماء قبائل المخزن والأعيان والمرابطين ورجال الزوايا،³ كما تحصلت السلطة على بعض من هذه الأراضي عن طريق المصادرة من القبائل المتمردة والهارية عن دفع الضريبة والمطالب المخزنية، فضلت تركها واللجوء إلى الجبال و الوديان للنجاة بنفسها من قمع وظلم السلطة لها، أو الفرار إلى المناطق الحدودية أو الإيالة التونسية أو المغرب الأقصى، كما اشترت السلطة هذه الأراضي بعدما عجز الفلاحون عن خدمتها لتردي الأوضاع الاجتماعية الصعبة والصحية السيئة .

3- الأراضي المشاعة :

ويطلق عليها أراضي العرش في بايلك الشرق، وفي بايلك الغرب تسمى أراضي السيقة، وتعود ملكيتها للقبائل الممتعة والرافضة للسلطة، وتتواجد في المناطق الجبلية والصحراوية والهضاب العليا الشاسعة والبعيدة عن مركز الحكم، ويخصص أغلبها لرعي قطعان الماشية

¹ - ناصر الدين سعيدوني، دراسات في الملكية والوقف والجباية، المرجع السابق، ص 81.

² - ناصر الدين سعيدوني، نفسه، ص 82.

³ - ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص 51.

الفصل الثاني : جغرافية إيالة الجزائر وتركيباتها القبلية وأهم أنشطتها الاقتصادية

والجزء الآخر لزراعة القمح والشعير،¹ يتحكم فيها سكان القبيلة أو العرش أو الدوار الذين يستغلونها جماعيا وفق عمل تعاوني في خدمتها والإستفادة من خيراتها، فكل أفراد القبيلة تقع على عاتقهم وبحسب إمكاناتهم المادية والبشرية في خدمة الأرض واستغلالها لما يخدم مصلحة الجماعة، ويتولى فيها شيخ الدوار تسيير ذلك.²

4- أراضي الأوقاف :

انتشرت بكثرة أواخر العهد العثماني، ويطلق عليها أراضي الحبوس لأنها أراضي تحبس على الأعمال الخيرية والمؤسسات المختلفة كالمساجد والأضرحة والزوايا والمعمرات... وغيرها تتواجد هذه الأراضي بالقرب من الحواضر الكبرى، وتشير الإحصائيات إلى أنها كانت تغطي 4/3 الأراضي الصالحة للزراعة كما لها أحكام شرعية تضبطها ومعاملات قانونية تسييرها وتخضع لها،³ ويتولى التصرف فيها ناظر الأوقاف ومساعدين من الوكلاء والشواش وهي لا تخضع للنظام الضريبي ولا للمصادرة من طرف حكام السلطة وأعاونها ولا للبيع والشراء أو الكراء، كما تولت العائلات ذات النفوذ والجاه احتكار مسؤولية الإشراف على الأراضي الموقوفة.⁴

5- أراضي الموات:

انتشرت هذه الأراضي بكثرة في أواخر العهد العثماني، وتميزت بأنها غير صالحة للزراعة وغير مستغلة أيضا، وتتواجد بالقرب من المدن، امتنع السكان عن خدمتها واستغلالها لعدد الظروف ما تعلق بالأمنية والجغرافية والإجتماعية والإقتصادية، فقد لجأ أهلها إلى النشاط الرعوي لتربية الماشية بدل النشاط الزراعي، وذلك وفق نمط معيشي جديد هدفه تلبية حاجياتهم ورغباتهم فضلا عن مساعدتهم على العيش بحرية وكرامة،⁵ كما أن هذه

¹ - حنفي هلايلي، أوراق في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 154.

² - ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص 52، وأيضا أنظر كمال بن صحرابي، أوضاع الريف في بايلك الغرب الجزائري، المرجع السابق، ص 137 وهو ما يؤكد أيضا noushi, op cit, pp86-87.

³ - ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص 53.

⁴ - Mercier Ernest : la propriété Foncière musulman en Algérie : condition légal, situation intérieure, état actuel de la question, Alger, typographie Adolphe, jourdan 1898, p p 10-11.

⁵ - ناصر الدين سعيدوني و المهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص 54.

الفصل الثاني : جغرافية إيالة الجزائر وتركيبها القبليّة وأهم أنشطتها الاقتصادية

الأراضي ظلت لمدة طويلة بدون استغلال خاصة في جهات بايلك التيطري ونواحي الشلف ووهران وقسنطينة .

ومن أهم طرق استغلال الملكيات الزراعية نجد :

1- الإستغلال المباشر الذي يتم استغلال الفرد لملكيتة الخاصة بعيدا عن تدخل السلطة التي تكتفي بإلزامه بدفع ضريبة أو غرامة من إنتاجه الزراعي .

2- الإستغلال الجماعي حيث يتم فيه استغلال الأرض عبر العمل الجماعي التعاوني التشاركي بين أفراد القبيلة الواحدة في خدمتها وزراعتها، وبهذا يتقاسم الأفراد المحصول الزراعي السنوي.

3- أسلوب المزارعة أو ما يسمى المناصفة، وهو إتفاق يقوم بين مالك الأرض صاحبها من جهة والفلاح مقابل مبلغ مالي من جهة أخرى.¹

4- توظيف قبائل الرعية في خدمة هذه الأراضي واحتكارها لهم أو استغلال بعض المجموعات الموالية من القبائل المخزنية مقابل امتيازات ومكاسب تصب في صالحهم.

5- اعتمادها على نظام الخماسة في استغلال خدمة الأراضي بالإضافة إلى العبيد والأسرى، ويستفيد الخماسة من خمس 1/5 المحصول مقابل ما قدموه من عمل.

- وعن حالة الفلاح الجزائري، فتؤكد معظم الكتابات التاريخية عن الحالة المزريّة والسيئة التي عانى منها أواخر الحكم العثماني، حيث نجده قد تأثر بالأوضاع الداخلية السلبية من الأمنية إلى الاقتصادية والاجتماعية والصحية، فقد دفعه النظام الضريبي المجحف والعشوائي في حقه إلى التخلي عن الإهتمام بالفلاحة كمصدر قوت وعيش، ففضل تربية الماشية والرعي في الجبال على الزراعة في السهول لتفادي الضرائب والظلم وممارسة زراعة جزئية لسد حاجياته اليومية مستغلا غياب السلطة والموقع الجغرافي الوعر، وهذا ما ذهب إليه المؤرخ ناصر الدين سعيدوني في إشارة واضحة منه إلى أن الضرائب

¹ - محمد السعيد عقيب و عمر لمقدم، المرجع السابق، ص 4.

أثقلت كاهله وجعلته يتخلى عن نشاطه الزراعي أو يقلل منه لأن حصوله على خمس الإنتاج أثر عليه نفسيا ومهنيا¹

فهذه السياسة الضريبية الجائرة حولت المناطق الخضراء الخصبة إلى جرداء وأكثر من ذلك مهجورة خالية من سكانها، وهو ما ذهب إليه شالر عندما أكد أن السهول كانت تتمتع بخيرات كثيرة من خضر وفواكه وثمار وحبوب أصبحت بعد مرور الوقت صحراء جرداء نتيجة للتعسف والظلم الممنهج خاصة الضريبي الذي يقتصر لقواعد وقوانين تضبطه من طرف السلطة، مستدلا بسهول عنابة التي افقرت لأفرادها الذين نزحوا منها باتجاه المدن أو الجبال أو الصحراء،² و ما زاد الطين بلة هو نقص الوسائل الإنتاجية، وإن وجدت فهي بسيطة وبدائية، وعدم مساعدة السلطة للفلاحين والأزمات الطبيعية والجفاف والقحط و الأوبئة والجراد التي انتشرت بكثرة في أواخر العهد العثماني.

ب- النشاط الرعوي :

ويطلق على هذا النشاط عند بعض المؤرخين أو مانجده في الكتابات التاريخية باسم حرفة الرعي، وقد ارتبط اسمه أساسا بالقبائل البدوية والريفية التي اعتمدت على نمط الترحال والتنقل في معيشتها صوب مناطق وأماكن للرعي عبر أنحاء الإيالة، فهذا النمط يتناسب مع نمطهم المعيشي الحياتي الذي يؤثر عنه النمط الجغرافي البيئي في تحديد الحياة، وهذه الحرفة مقرونة ومرتبطة بتربية الحيوانات من قطعان الماشية المتمثلة في الأغنام والماعز والبقر والإبل والخيول والحمير للبدو الرحل وشبه الرحل،³ وعرف عنهم امتلاكهم لقطعان كثيرة لأنها تمثل مصدرا أساسيا للثروة الاقتصادية والقوت، لما تحققه من أرباح وفوائد جمة، و قد استقرت بعض من هذه القبائل في تضاريس صعبة وتربة غير خصبة لممارسة نشاط الرعي كالجبال والصحراء،⁴ وقد استفادت هذه القبائل من تربية الحيوانات في الحرث والحمل والشحن والنقل والدرس، وما توفرها من مواد أولية كالصوف والجلود والوبر والحليب والشعر

¹ - ناصر الدين سعيدوني، رقات جزائرية، المرجع السابق، ص 34.

² - شالر وليام، المصدر السابق، ص 109.

³ - محمد العربي الزبير، مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الحديث، ط2، دار الحكمة، الجزائر، السنة 2015م، ص 109، أو أنظر أيضا ناصر الدين سعيدوني، تاريخ الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق، ص 179.

⁴ - رشيد مريخي، المرجع السابق، ص 76.

الفصل الثاني : جغرافية إيالة الجزائر وتركيبها القبليّة وأهم أنشطتها الاقتصادية

والزبدة وغيرها، وما توفرها من لحوم وأغذية وزرايبي،¹ ووظفت هذه المواد في عدة حرف تقليدية،² ومن أهم المناطق التي ساد فيها الرعي الأطلس الصحراوي والسهوب والهضاب والمناطق المرتفعة كالونشريس والأوراس وجرجرة عند قمم الجبال، وهذه الأماكن ورغم صعوبة العيش فيها إلا أن سكانها فضلوا العيش فيها رغم ما يلاقونه من صعاب وعراقيل في حياتهم اليومية.³

واعتمد ساكنة هذه المناطق على الرعي الموسمي والزراعة المروية والغابات في الجبال والحصائد لرعي الأغنام، كما لجأوا إلى الترحال الذي هو حتمية ضرورية للقبائل التي عرفت نقصا في الماء والكأ وتأثرت بالتقلبات المناخية والظروف الجوية، فكان التنقل إلزاميا نحو المراعي الخضراء في ما يسمى بالرحلات أو الهجرات الموسمية، فيتم الانتقال صيفا إلى التل بعد انتهاء عملية الحصاد أو شتاء إلى الجبال والوديان والصحراء للبحث عن مراعي خضراء عبر رحلة تدوم لوقت طويل.⁴

وهناك من يسمي هذه القبائل بالمتحركة لأنها تخضع للتنقل والترحال أي عدم الإستقرار بسبب المناخ و الأرض إضافة إلى عوامل اقتصادية و اجتماعية مختلفة، حيث تنتقل مع قطعانها إلى منطقة الهضاب، وتستقر عند قبائل المنحدرات الجنوبية للأطلس التلي، وشمال منطقة الهضاب، وهناك من القبائل من تفضل الواحات بين السهل والجبل كقبائل الحراكطة.

والزمول وبني وجانة والناماشة وأولاد نايل والسقنية وأولاد دراج جنوب منطقة الهضاب وأولاد لبان في سلسلة بحث عن موارد العيش لقطعانهم المقدرّة بالألاف.⁵

ويتم التنقل فوق البغال والحمير والأحصنة والجمال محملة بممتلكاتهم وأغراضهم وخيامهم التي يبيتون فيها ومنها يحرسون ماشيتهم مع قطعانهم التي تسير مشيا أمامهم لمسافات طويلة فينتقلون من مرعى إلى آخر، وبعد انتهاء الرعي وقضائهم لمدة طويلة

1 - فلة الموساوي القشاعي، النظام الضريبي، المرجع السابق، ص 14_15.

2 - يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، المرجع السابق، ج1، ص 520.

3 - محمد الهادي العروق، مدينة قسنطينة، المرجع السابق، ص 12.

4 - شالر وليام، المصدر السابق، ص 108.

5 - ناصر الدين سعيدوني، رقات جزائرية، المرجع السابق، ص 433 وأيضا ما أشارت إليه اسمهان لعربي، الحياة الإقتصادية في بايلك الشرق، المرجع السابق، ص 129.

الفصل الثاني : جغرافية إيالة الجزائر وتركيباتها القبلية وأهم أنشطتها الاقتصادية

يعودون إلى مناطقهم الأصلية ومساكنهم التي تركوها¹، ويتقاسم أفراد القبيلة مشاق الرعي، فهناك من يحرس في الليل وهناك من يرعى في النهار، وهناك من يأخذهم إلى الوادي لشرب الماء أو عند البيع في الأسواق لشراء ما يلزم من حاجيات ومستلزمات، فهي وظيفة جماعية متمثلة في الدفاع عن الأرض والقطيع من أي أعمال عدائية أو سرقة أو خلافات مع القبائل الأخرى على مواطن وأماكن الرعي في السباق عليها ومن أولى بها من الأخر، وكذلك تشارك الأعباء المادية.²

ومن القبائل الراحلة نجد قبيلة أولاد نايل التي غلب عليها النشاط الرعوي تبعا للنمط الحياتي مع قطعانهم، حيث تنتقل باتجاه الشمال والجنوب بحثا عن المرعى، فتذكر الكتابات التاريخية أن لهم رحلتان واحدة في الشتاء والأخرى في الصيف التي تضطرها عوامل طبيعية خاصة في مواسم القحط والجفاف، وفي فصل الشتاء تنقص المراعي الخضراء بسبب حرث الأراضي وزراعتها.³

كما انتشرت هذه الحرفة في الهضاب العليا خاصة بين الأطلسيين التلي والصحراوي خاصة في تربية الغنم والإبل، وتبرز أكثر في جهة الجنوب وتصبح مهنة أساسية.

أما القبائل الصحراوية، فقد تميز قاطنوها بالاستقرار تارة والترحال تارة أخرى على طول مساحة تميزت بالاتساع والشساعة، في ظل مناخ قاس وجاف متمثل في درجة الحرارة المرتفعة والأمطار النادرة والنباتات الشوكية والرمال والعرق والرق كمظهران تضاريسيان ورياح رملية فينتقل السكان وفق هذه الظروف بقطعانهم التي أكثرها جمالا عبر موسمين، فالموسم الأول يتوجهون فيه نحو السهوب لتواجد المراعي الخضراء والماء أما في الموسم الثاني، فينتقلون إلى التل هروبا من الجفاف بحثا عن موارد العيش، وهذا ما يسمى بالإزدواجية في نمط العيش الهادف حسب لامبير،⁴ ففي الأشهر الستة الأولى تنتقل القبائل

1 - اسمهان لعربي، نفسه، ص ص 132-133.

2 - شهر زاد رفاف، القبيلة خلال العهد العثماني، المرجع السابق، ص 985.

3 - الشافعي درويش، علاقة قبائل أولاد نايل بالسلطة العثمانية من خلال كتاب رحلة الباي الكبير، مجلة قيس للدراسات

الإنسانية و الاجتماعية، مج 4، ع 1، جوان 2020، ص 847.

4- l'Abbé Edmond l'ambert, Atravers l'algerie, histoire Mœurs et légendes des Arabes, R ème haton, librairie èditeur, Paris,1884.p43.

الفصل الثاني : جغرافية إيالة الجزائر وتركيبها القبليّة وأهم أنشطتها الاقتصادية

الصحراوية بماشيتها نحو السهوب وفي الأشهر الستة الثانية تنتقل إلى التل، وهي فترة معروفة بالقحط .

وما لا حظته أثناء بحثنا أن القبائل التي اعتمدت على نشاط الرعي، كنشاط أساسي ومهم في حياتها اليومية قد أثر عليها العامل الجغرافي أكثر من العوامل الأخرى من خلال أثاره السلبية في مظاهر القحط والجفاف لعدم سقوط الأمطار والتلوج لفترة طويلة، أما عندما تتساقط الأمطار أو ما تجود به السماء وتنمو الحشائش وتكثر المراعي .

فتتحرك القبائل في رحلات وهجرات نشيطة ومستمرة إلى الشمال والجنوب عبر عديد المناطق والنواحي خاصة السهبية منها، والتي بها أنواع النباتات الإستبسية كالحلفاء كما أن هذا التنقل ما هو إلا ضمان لإستمرارية الحياة وسلامة وأمن القطيع الذي يمثل مصدر الثروة والمعيشة، وأثناء هذه الهجرات عادة ما تتعرض القبائل لصعوبات وعراقيل سواء من السلطة التي تفرض عليها ضرائب ثقيلة أو تصادر قطعانها أو القبائل المجاورة التي تقطن بالقرب من هذه المراعي، فتقع خلافات وصدامات حولها أو ما تتعرض له من سرقة واختلاط بين القطعان الكثيرة، ولجوؤهم إلى تربية الماشية هو للتخفيف من المعاناة والظروف الصعبة المعيشية في الحياة اليومية، ومع ضيق المساحة الزراعية التي غرسوا فيها جزءا قليلا من الخضر والفواكه بغرض سد حاجاتهم.¹

النشاط الصناعي والحرفي :

1- النشاط الصناعي:

عرف النشاط الصناعي بالإيالة إنتاجا محدودا وقليلًا مرده إلى إعتداد غالبية السكان على النشاط الزراعي كمورد معيشي وإقتصادي أساسي، وهذا لم يجعل ببروز بعض الصناعات خاصة التقليدية اليدوية بكثرة لدى سكان الأرياف لوجود المواد الأولية الأساسية من المنتجات الفلاحية كالصوف والجلود والشعر والوبر التي بفضلها تم صناعة

¹ - عبد الجليل رحموني، العلاقة بين السلطة المركزية والبايكاكات، المرجع السابق، ص 135.

الفصل الثاني : جغرافية إيالة الجزائر وتركيبها القبليّة وأهم أنشطتها الاقتصادية

المنسوجات الصوفية والخيام والزرايبي، وكذلك الأدوات والأسلحة والمدرة والمجرفة التي تستعمل في نشاط الزراعة.¹

وكذلك صنع الخيام من الوبر والشعر الصوف،² وهو ما جعل كل قبيلة أو منطقة تتميز عن الأخرى بصناعة وإنتاج خاص، فمثلا نجد توفر الكثير من الصناعات التحويلية في بلاد القبائل، فلكل قبيلة مهنة معينة وصناعة خاصة مناسبة لها كصناعات الحلي والفضة والأدوات الخشبية والأساور.

وقد ظهرت صناعات تميزت بالتنوع والجودة على أطراف المدن وداخلها لضمان سد حاجيات ومتطلبات السكان الأساسية،³ فسكان الريف والبوادي مثلا كانت موجهة إليهم بغرض ضمان الحاجيات الضرورية لأفراد القبيلة، وإرضاء متطلبات العيش أي ماتحتاجه وفق الضرورة كأدوات الفخارية والخشبية والطينية والأنسجة الصوفية والحصير لصنع أواني ومستلزمات منزلية،⁴ أما الصناعة في المدن فقد تميزت بكونها ذو نوعية جيدة موجهة للتجارة الداخلية والخارجية، فقد حققت الإكتفاء الذاتي لسكان المدن مما عمدوا إلى تصديرها.

وكما أشرنا سابقا إلى أهم الصناعات التي برزت نجد:

- صناعة الزرايبي والأغطية الصوفية التي برزت في مختلف أنحاء البلاد
- صناعة الأسلحة التقليدية والبارود في المناطق الجبلية.
- والمنتجات النسيجية والمصنوعة من الكتان والحريير .
- صناعة الخشب في المناطق الجبلية لتوفر الثروة الخشبية
- الصناعة المعدنية كاستخراج المعادن .
- صناعة الأواني النحاسية والحديدية وصناعة الأقفال وإذابة البرونز وصناعة الفضة .

1 - صالح عباد، المرجع السابق، ص 337.

2 - حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 31.

3 - وليام سبنسر، المصدر السابق، ص 27.

4 - ناصر الدين سعيدوني، والمهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص 71.

- صناعة الجلود وصناعة الأحذية.¹

وفي أواخر العهد العثماني خاصة مع بداية القرن التاسع عشر ميلادي عرفت النشاطات الصناعية والحرفية عراقيل وصعوبات أولها:

- عدم تشجيع السلطة للنشاطات الصناعية وتمويلها وتشجيعها وتطويرها.

- الضرائب المفروضة والمجحفة على الصناع والحرفيين على أنشطتهم الصناعية من طرف السلطة وأعاونها

- مواكبتها للكثير من الأزمات الصحية والكوارث الطبيعية و الأوبئة الفتاكة.²

- تشجيع السلطة على استيراد المواد المصنعة من الأسواق الخارجية، وهو ما أدى إلى انخفاض مردود الصناع والحرفيين على حد سواء، وهو ما أجبرهم على رفع أسعار سلعهم وبضائعهم لتغطية نفقات الأعباء الضريبية، وهو ما أثر سلبا على غلاء المصنوعات الفلاحية الفلاحية أمام الأجنبية.³

2-النشاط الحرفي:

يعتبر هذا النشاط من أشكال التنظيم الاقتصادي ظهر في المدن بكثرة، حيث لا حظنا أن لكل حرفة سوق خاص، فنذكر من أهم هذه الأسواق :

- سوق الجلد - سوق الصوف - سوق العطارين وغيرها .

وقد تميز النشاط الحرفي بالتخصص والتنظيم والدقة والإتقان، وذلك على أساس طبيعي وجغرافي لعب فيه أصحاب الحرف دورا بارزا في انتشاره وتطويره مما سمح بوفرة الإنتاج

الصناعي في عديد المناطق بنواحي الإيالة،⁴ وانعكس إيجابا على كثرة الأسواق بالمدن الكبرى، وما هو ملاحظ أن السلطة لم تول أي أهمية بالغة في العمل على تطوير النشاط

¹ - عبد الفتاح بن جدو، نظرة على الصناعة والحرف بالجزائر خلال العهد العثماني، المجلة التاريخية الجزائرية، مج6، ع1، السنة 2022م، ص 510.

² - فاطمة الزهراء طوبال، المرجع السابق، ص 152.

³ - ناصر الدين سعيدوني، والمهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص 64.

⁴ - العربي بلعزوز، الواقع الإقتصادي والإجتماعي للجزائر خلال الفترة العثمانية Route educational and social science Journal المجلد 5 (10)، أوت 2018م، ص ص 531_532.

الفصل الثاني : جغرافية إيالة الجزائر وتركيبها القبليّة وأهم أنشطتها الاقتصادية

الحرفي وانتشاره مثل بقية الأنشطة الاقتصادية الأخرى، وهذا يدل على التهميش الاقتصادي للبلاد مما أدى إلى ركودها وتقهرها مقارنة مع بعض الدول الأوروبية.

وقد اعتمد نشاط الحرفيين المنخرطين في نقابات مهنية على هيكل السوق حسب الجماعات المنظمة لذلك، فكل حرفة تخضع لسلطة معينة¹، ومن مظاهر النشاط الحرفي نجد: صناعات الحرير والصوف والجلود والبرانيس والعمائم والحيّاك والشاشية والأحزمة²، وصناعة أدوات الحرث والزراعة والبارود التي يقوم بها الحدادون، ونجد أيضا مهن حرفية أخرى قام بها كل من البرادعية والخبازين وصانعو الأسلحة وبائعوا الملابس الرثة وغيرهم.³

وفي أواخر الحكم العثماني محل دراستنا أثرت الأوضاع المضطربة في عديد المجالات خاصة الأمنية والاجتماعية على النشاط الحرفي باعتباره مصدر دخل هام لإقتصاد إيالة لذا اعتمدت على الموارد الفلاحية للصناعة في ظل توقف الإستيراد واحتكار السلطة لبعض النشاطات الحرفية التي لم تسمح لها بالانتشار، وعدم تشجيع الإستثمارات المحلية⁴، كما اعتمدت السلطة على العمال الأجانب من الأسرى المسيحيين والمتطوعين الأوروبيين لشغل وإنتاج صناعات خاصة وحرف أي خبرة أجنبية، مع عدم تدريب وتكوين السكان على الإهتمام بالنشاط الصناعي المحلي، ومن أهم الصناعات التي تدخل في هذا الباب هي صناعة السفن التي عرفت تراجعا كبيرا.⁵

النشاط التجاري :

كما أشرنا سابقا أن إيالة الجزائر عرفت تنوعا في الإنتاج الزراعي والصناعي والحرفي عبر أنحاءها، وامتازت كل قبيلة من القبائل الجزائرية بميزة من ذلك بحكم موقعها الطبيعي والجغرافي والبيئي أساسا، ثم تأتي عوامل أخرى متداخلة إن هذا التنوع أعطى للبلاد حركية

1 - عمار عمورة ، المرجع السابق، ج2، ص 256.

2 - وليام سبنسر، المصدر السابق، ص 145.

3 - عبد الفتاح بن جدو، المرجع السابق، ص 510.

4 - كمال فيلالي، تاريخ المغرب العربي الحديث من فتح القسطنطينية إلى سقوط قسنطينة (1453م _ 1837م)، دار ألكسندر، قسنطينة، 2016م، ص 243.

5 - ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق، ص 184_185.

الفصل الثاني : جغرافية إيالة الجزائر وتركيبها القبلي وأهم أنشطتها الاقتصادية

تجارية كبيرة بين المناطق والقبائل المختلفة، فالمبادلات التجارية الداخلية تمت في الأسواق التي انتشرت بكثرة في الأرياف والمدن وأقيمت أسبوعيا وسنويا¹.

وعند التطرق إلى الريف نجده قد شهد حركة تجارية واسعة ونشاطا كبيرا من خلال المبادلات التي تتم في الأسواق عبر القرى والبوادي، وما يلاحظ عليها أنها اختلفت من ناحيتي الشكل والتنظيم فهي أسبوعية وموسمية، عملت السلطة على تشجيعها والإكثار منها لفرض نفوذها على القبائل، ومراقبة المتمرده منها، وتحصيل الضرائب وإلزامها بالطاعة والخضوع، كما قامت السلطة بحماية الطرق التجارية والمسالك والممرات المؤدية إليها، وتوفير الأمن للقوافل التجارية والتجار، فأقامت ما يسمى بالقوناق الذي هو مركز تقطنه حاميات عسكرية موالية مخزنية مهمتها الأساسية السهر على توفير الأمن، ويقوم فرسانها في خيام منتشرة²، وكانت القبائل تبيع وتشتري حيث تبيع منتجاتها وسلعها الأساسية من حيوانات وحبوب وخضر وفواكه وقماش وزرابي وملابس وأثاث وأواني وسروج ومواد أولية زراعية وصناعية وغيرها، و تفتني هي أيضا مايلزمها من موارد أولية أساسية ومستلزمات كالمنتجات والمصنوعات المختلفة، ويتم تبادل السلع بواسطة العملة أي النقود باختلافها أو المقايضة³.

وهذه الأسواق التي تسمى بالأيام أو باسم القرى التي تحتضنها أو المناطق التي تقام فيها أدت أدوارا سياسية و إقتصادية هامة، فقد جمعت بين المناطق التلية الشمالية، وما توفره من منتجات فلاحية أو صناعية كالحبوب والخضر والزيوت وغيرها مع القبائل الصحراوية الجنوبية هذه الأخيرة تبيع سلعا متمثلة في التمور والماشية والإبل والوبر وريش نعام كما يتم تبادل منتجات بين القبائل الجبلية والصحراوية أو التلية⁴، ومن أهم الأسواق التي نجدها عبر البايكات الأربعة، فنجد مثلا :

- في بايلك الشرق : نجد أسواق الحراكطة وتلاغمة وأولاد عبد النور والسقينة

¹ - صالح عباد، المرجع السابق، ص 339.

² - Louis rinn”le royaume d’alger sous le dernier Dey”,in revue, °africaine ,OPU N°41,Alger, 1897, p13.

³ - عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ، المرجع السابق، ج2، ص 256.

⁴ - صالح عباد، المرجع السابق، ص 339.

الفصل الثاني : جغرافية إيالة الجزائر وتركيبها القبليّة وأهم أنشطتها الاقتصادية

- في بايلك الغرب : ونجد أسواق أولاد عباد، أولاد الأكراد بالشلف، الجعفرة بسعيدة فضلا عن معسكر وتلمسان

- في بايلك التيطري: نجد أسواق العداورة وأولاد مختار وأولاد عدنان سوق الربيع

- بايلك دار السلطان: نجد الأسواق المقامة في الفحوص و الأوطان والقيادات أسبوعيا

كما لعبت قبائل البدو الرجل دورا مهما في تنشيط التجارة بما تنتجه، فولجها إلى الأسواق النلية شهدت تطورا إقتصاديّا ومبادلتها لمنتجاتها منح تحفيزا كبيرا خاصة في أوقات المحصول كالحبوب في فصل الصيف والخضر والفاكهة.

كما لا حظنا حركية تجارية بين المدينة والريف عبر الأسواق المنتشرة، وهو عائد إلى تنوع واختلاف المنتجات، فلكل منطقة إنتاج خاص مما يسمح بتبادل المنتجات بين التل والهضاب والصحراء والسهول .

وينتقلون إلى هذه الأسواق المحلية المنتشرة بكثرة في التل عن طريق حيواناتهم حاملين عليها بضائعهم وسلعهم ، أو مشيا على الأقدام لساعات طويلة لبعد المسافة، وينشطون طوال السنة وعادة ماتتوقف أثناء فصل الشتاء بسبب التقلبات الجوية من أمطار وتلوج تعيق طريقهم وتصعب من مهمتهم.¹

وقد خلصنا في هذا الفصل إلى أن الجزائر تزخر بموقع استراتيجي متميز جعلها تتبوأ مكانة هامة بين الدول وإمكانات طبيعية وموارد هامة فلاحية وصناعية موزعة عبر المقاطعات الأربعة كما أن مظاهرها المختلفة من سهول وهضاب وجبال وصحراء أعطت تأثيرا بارزا للوضع العام في البلاد، وبالنسبة للموقع الجغرافي فقد كان له تأثير مباشر في تحديد علاقة السلطة بهذه القبائل والأعراس من خلال توزيعها وانتشارها عبر هذه الجهات ، والتي انقسمت من مخزنية ورعية ومتحالفة ومستقلة على حسب الظروف الطبيعية والحياتية والإجتماعية هذا من جهة، والتأثير على النشاط الاقتصادي المتنوع والممارس من صناعة وزراعة ورعي وتجارة من جهة أخرى.

¹ - يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا، المرجع السابق، ج1، ص 527.

الفصل الثالث

دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرفض القبلي للسلطة ومظاهر العداء

المبحث الأول: دور العوامل الجغرافية في تحديد علاقة الرفض والعداء للسلطة

المبحث الثاني: مظاهر الرفض القبلي للسلطة العثمانية (تحديد نماذج)

المبحث الثالث: ردود فعل السلطة العثمانية

توطئة :

في هذا الفصل سنحاول تسليط الضوء بالدراسة والتحليل لتأثير العوامل الجغرافية والطبيعية لبعض القبائل المسماة بالمتتعة التي تميزت بالكثرة والإنتشار، وسنركز على الموقع الجغرافي البعيد عن السلطة ودوائر الحكم، والمناخ الغير ملائم والتضاريس الوعرة في الجبال والصحراء والوديان والأحراش والمسالك البرية الصعبة وغيرها، فكلها عوامل ساعدت هذه القبائل على التمتع بنوع من الإستقلالية في غياب السلطة، والخضوع المؤقت لها، كما دفع بها إلى القيام بحركات تمردية وثورات كرد فعل على السياسة السلبية المنتهجة من طرف السلطة هذه الأخيرة واجهتها بعدد الوسائل والأساليب سلمية منها وعسكرية إلا أنها لم تحقق هدفها في القضاء عليها واجتثاث جذورها، ولم تغير من فكرها و منهجها العدائي إتجاه السلطة .

أولاً: دور العوامل الجغرافية في تحديد علاقة الرفض والعداء القبلي للسلطة
العثمانية

الموقع الجغرافي:

يعتبر الموقع الجغرافي من أكثر الخصائص الجغرافية ميزة ودراسة لما يحمله في طياته من تأثيرات كبرى على العلاقة الكامنة والجزرية بين السلطة العثمانية والقبائل الجزائرية، ويعتبر أحد ركائز قوة السلطة واستمراريتها، ومن المعروف سابقاً أن الجزائر تتموقع في فضاء جغرافي متميز، وقد برزت فيه الصحراء الشاسعة والجبال العالية والهضاب البعيدة كمواقع تتميز بالبعد عن السلطة، فالقبائل التي فضلت العيش فيها ساعدتها على التمرد والثورة ضد السلطة لأنها وبالأحرى تواجدت بعيداً عن أعين السلطة المركزية والفرعية.¹

وأكثر القبائل المتمردة والرافضة للسلطة سكنت الريف الذي تميز بمساحة شاسعة وكثافة سكانية عالية فرضت عليه الطبيعة الجغرافية الصعبة والمشكلة من تضاريس خاصة الجبال، وهو ما أكده المؤرخ جون ب وولف،² كما أنهم مارسوا الزراعة بنسبة قليلة مع ممارسة نشاط تربية الماشية والرعي بنسبة أكبر، وذلك تهرباً من السياسة الضريبية الجائرة سواء شرعية أو غير شرعية إضافة إلى سياسة الظلم المنتهجة من طرف السلطة وأعاونها، وهو ما أدى بهم إلى رفع السلاح وإعلان الثورة ضدهم، ونسبها جماعات خارجة عن السلطة بفضل الموقع الجغرافي البعيد³ عن مركز الحكم والقرار،¹ وقد فضلت

¹ - ارتبط تاريخ الإنسان بالجغرافية، فكانت طابعا غالبا على نشاطه و شؤون حياته وقاعدة صلبة لعلاقته مع السلطة ، وللمزيد أنظر فلة موساوي القشاعي، النظام الضريبي، المرجع السابق، ص 68-69.

² - جون ب وولف، الجزائر وأوربا(1500م-1830م)، المرجع السابق، ص 396 397.

³ - إن الموقع الجغرافي البعيد والوعر ساعد هذه القبائل من الهروب عن رقابة وأعين السلطة، فهذه الخصوصية التي انفردت بها ولدت للسلطة عجزا عن تأديبها في أن واحد وعدم تحكها في الوضع الأمني، كما أن السلطة لم تقدر شساعة المساحة لها سواء أكانت جبلية أو صحراوية وغيابها المستمر عن شؤونها جعلها تفكر في الإستقلال عنها

الفصل الثالث : دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرفض القبلي للسلطة ومظاهر العدا

الإستقرار والعيش بالمناطق الجبلية الصعبة في القمم والصحراء في الواحات، وأبين الكثبان الرملية أو في الوديان العميقة والمغارات والمخابئ التي كانت ملاذاً آمناً للسكان الفارين من سياسة السلطة وقسوتها، وإرتأت على نفسها أن تعيش في كنف الحرية والإستقلال الذاتي، والتمتع بحياة الكرامة رافضة الذل والخضوع.

كما أن البعد له مفهوم ومعنى إيجابي للقبيلة في خدمة مصالحها ووجودها ككيان إجتماعي، حيث ساعدها في الخروج عن طاعة السلطة والجنوح للتمرد والعصيان،² ومن أهم القبائل التي ساعدها بعد الموقع نجد أمثلة عديدة منها:

قبائل منطقة بوسعادة وأولاد ماضي في مقاطعة التيطري، حيث أغاروا على أولاد سلامة والعداورة سنة (1229هـ-1814م) مستغلين غياب السلطة من جهة والبعد عن مركز القرار في ناحية المدينة، فهزموا باي التيطري جلال حتى أنهم هددوه بغزو إقليمه، وهو ما استدعى إرسال حملة مشتركة تضم كل من قوات بايليك التيطري وبايليك الشرق من طرف الباي نعمان (1811م-1226هـ)، وهذا يدل على تواجدهم بمساحة شاسعة وكثرتهم، وكذلك وصول دعم عسكري من مدينة الجزائر مقر دار السلطان يقودها الباشا أغا، حيث وصلت إلى المنطقة بعد قطعها لمسافة طويلة وتحملها للظروف المناخية القاسية والصعبة من ثلوج ورياح عاتية وصقيع شديد مظاهر ميزت فصل الشتاء، فبقيت لمدة أربعة أيام محاصرة لها.³

فضلا على أنه هو المتحكم في صنع تاريخ أي بلد، وللمزيد أنظر محمد نجيب بوطالب، سوسيوولوجيا القبيلة في المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، لبنان 2002م، ص 116.

1 - شالر وليام، المصدر السابق، ص 42.

2 - ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي، المرجع السابق، ص 424.

3 - صالح عباد، المرجع السابق، ص 235.

الفصل الثالث : دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرفض القبلي للسلطة ومظاهر العداء

كما ساهم بعد الموقع عن السلطة في تمرد سكان أورال، وهي قرية تابعة لإقليم الزاب أي بسكرة حاليا تحت إمرة قائدهم ذباح بن بوعقار، وهو ما أدى إلى شن حملة عسكرية عليهم من طرف الباي أمحمد الميلي (1233هـ-1818م).¹

وقبائل أولاد نايل التي تميزت بموقع استراتيجي هام يصل بين الشمال والجنوب، فهي تحتل منطقة وسط من الهضاب العليا وبمساحة شاسعة وطبيعة شبه صحراوية أي في القطب الجنوبي ما بين سيدي عيسى وواد الحضنة وأولاد جلال، كما تميزت بمناخ جاف وتضاريس متنوعة، ونشاطها الرعوي² جعلها تكون بعيدة نسبيا عن مقر الحكم بالتيطري، وكثرة العدد مما أدى إلى تعدد الفروع في المنطقة المحصورة ما بين الأطلسين التلي والصحراوي، فقد شملت كل من مسيلة وبوسعادة والأغواط وبسكرة وتيارت وتيسمسيلت،³ فجنحت إلى التمرد والعصيان في وجه السلطة مستندة إلى البعد والمساحة الشاسعة وحياة التنقل والترحال كنمط معيشي أملت الظروف الحياتية لها، مما عرضها إلى عديد الحملات العسكرية من طرف المقاطعات الثلاثة الشرقية والغربية والتيطري، وإن وصفت بالتأديبية إلى أن مهمة السلطة كانت صعبة في إخمادها والقضاء على تمردا الذي كان ظرفيا فقط، فسرعان ما تعود إلى طبيعتها السابقة⁴ فمع إقتراب الحملات العسكرية يقوم سكان القبيلة بالفرار إلى أماكن وشعاب مجهولة وبعيدة نظرا للمساحة الواسعة كمجدل والأغواط أو مجابهة الحملة بالقوة وحمل السلاح في عديد المعارك، وقد

¹ - حكم في المرة الأولى سنة 1818م، وفي المرة الثانية سنة 1820م بايلك الشرق قاد العديد من الحملات خاصة في الجهة الجنوبية كأولاد سوف وتقرت، ينظر صالح عباد، نفسه، ص 259، أو ينظر جبور ميلودية، المرجع السابق، ص 184.

² - مني سي فضيل، الزوايا والأولياء الصالحون في الجزائر دراسة سوسولوجية وصفية لسيدي نايل، أطروحة دكتوراه علم الاجتماع الثقافي، جامعة الجزائر 2، السنة (2010م-2011م)، ص 271.

³ - Arnaud,(L) "Histoire des Ouled Nail siute à celle des sahari " in ,R,A,N°16, Alger, 1872. p237.

⁴ - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 80.

الفصل الثالث : دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرفض القبلي للسلطة ومظاهر العداء

أشار ابن هطال في رحلته المدونة إلى الجنوب في عهد الباي محمد الكبير أن قبائل أولاد نايل هي أعراب راحلة ومتمردة تفضل العيش بحرية وكرامة على الذل والهوان.¹

وكذلك نجد قبيلة فليطة التي تقع بين معسكر وسعيدة ببايلك الغرب ساعدها موقعها البعيد، وكذا تربعها على مساحة شاسعة على التمرد والعصيان فهي، لم تدفع الضرائب ولم تستجيب للمطالب المخزنية.²

كما عرف عن الصحراء وقبائلها بالجنوب الكبير أنها ذات موقع بعيد عن السلطة المركزية والتي أشارت الدراسات أن السلطة وصلت إليها في أواخر الحكم العثماني بصورة شاملة، وقد فرض على قبائلها حياة التنقل والترحال، فلهما رحلتان في فصلي الشمال والصيد بحثا عن الكأ والماء، فالأولى تتجه إلى جهة السهوب والثانية إلى التل لوجود المراعي بكثرة لقطعان الماشية والإبل،³ ويشرف على حكمها شيخ منتخب من مجلس الجماعة الخاص بكل قبيلة أو مجلس الشورى، كما يوجد نظام الجماعة التي يسيرها في عديد الواحات، وقد تمتعت هذه القبائل الجنوبية بالحرية والإستقلال وسلطة القرار، ونجد منهم سكان البوادي على مشارف الصحراء كالأغواط ومناطقها عين ماضي وتاجموت وأقلو وغيرها وأولاد نايل وأولاد مختار الشراقة وواحات وادي سوف وبلاد توات ووادي ريغ،⁴ وكذلك نجد بني ميزاب الذين تمردوا لوقت طويل ثم أصبحوا خاضعين للسلطة بعد دفعهم للضرائب، وذلك في عهد الباي صالح الذي أرغمهم بالقوة، وإمارة بني جلاب عاصمتها تقرت الواقعة بين وادي ريغ ووادي إيغاغرا بالجنوب الشرقي الجزائري التي

¹ - أحمد بن هطال، رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي، تحقيق محمد بن عبد الكريم، عالم الكتب، القاهرة، 1969م، ص 36.

² - **المطالب المخزنية**: هي مجموعة ضرائب تسدد نقدا أو عينا، وهي نوعان شرعية ومستحدثة يتم تسديدها من طرف ساكنة الأرياف إما بالقوة أو بالأطر السلمية من طرف البايات وأعاونهم، ينظر ناصر سعيدوني، الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية والثقافية، المرجع السابق، ص92، وأيضا سميرة طالي معمر، المرجع السابق، ص ص52-53.

³ - بن عتو بلبروات، المدينة والريف بالجزائر، المرجع السابق، ص212.

⁴ - **تقرت**: بها 25 قرية من قصور وأماكن ومداشر تقع في الشمال الشرقي والجنوب الغربي لببايلك الشرق، ينظر الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص136، أو عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ج3، ص 265 .

الفصل الثالث : دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرفض القبلي للسلطة ومظاهر العداء

تمردت سنة (1818م-1233هـ)¹، وقد استطاع باي قسنطينة أحمد المملوك بإخضاعها بعد حملة عسكرية قادها بتحريض من الشيخ فرحات السعيد هذا الأخير كان يسعى إلى توسيع نفوذه على المنطقة، وكذلك نجد منطقة وادي سوف المتمردة على السلطة في عهد الحاج أحمد باي الذي قضى على تمرداها بعد ثلاثة سنوات من تعيينه بايا على الشرق الجزائري قسنطينة²، كما نجد الحركة التيجانية بقيادة الشيخ أحمد التيجاني التي برزت أكثر فأكثر أواخر الحكم العثماني، والتي اتخذت من عين ماضي بالأغواط عاصمة لها وتميزت المنطقة بموقع جغرافي متميز بعيد عن السلطة وذو تضاريس صعبة كما أنها بوابة للصحراء، فهي امتداد للتوسع ونفوذ الطريقة التيجانية، ومع مرور الوقت ازداد نفوذها وشهرتها مما أربكت السلطة، فأصبحت تمثل خطرا حقيقيا عليها من خلال إرسال حملات عسكرية سنوات 1785م/1199هـ بقيادة صالح باي، وفي سنة (1787م/1201هـ) بقيادة الباي محمد الكبير وفي سنتي 1820م/1236هـ و1822م/1238هـ بقيادة الباي حسن في عهد محمد الكبير ابن الشيخ أحمد التيجاني³، كما فشل الباي مصطفى بومرزاق باي التيطري في اقتحامها والقضاء على تمرداها لحصانة وموقع المنطقة⁴، وقد وصلت السلطة العثمانية إلى مشارف الصحراء عن طريق الحملات العسكرية خاصة التي قام بها الباي صالح سنة 1788م/1202هـ في أقصى حدود تقرت، وهو ما أشار إليه المؤرخ العنترى بأنه الباي الوحيد الذي وصل إلى تقرت، وهذا

¹ - **بنو جلاب**: وهم بقايا بنو مرين حكموا تقرت وما جاورها ومؤسسها الحاج سليمان المريني الجلابي ليخلفه ابنه علي ثم حفيده أحمد وغزاها صالح رابح سنة 1552م وحاصرها صالح باي أحمد عبد الرحمان، ينظر مولاي بلحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة، المرجع السابق، ص85، أو أنظر عبد الرحمان الجليلي، المرجع السابق، ج3، ص266.

2 - De Gramont Henris, Histoire d'Alger sous la domination turque, op cit. , pp 383-515.

³ - بن يوسف التلمساني، الطريقة التيجانية وموقفها من الحكم المركزي بالجزائر (الحكم العثماني، الأمير عبد القادر، الإدارة الإستعمارية)، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر (1997م-1998م)، ص ص 131-142.

⁴ - صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي، المرجع السابق، ص230.

الفصل الثالث : دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرفض القبلي للسلطة ومظاهر العداء

يعود إلى قوة وحنكة الباي ورغبته في التوسع ومد نفوذ سلطته وكذلك إرادته الفذة في القضاء على أشكال التمرد في أي مكان.

وهذه القبائل الجنوبية المتمردة تواجدت ما بين الأطلسين التلي والصحراوي تميزت بالبعد عن مقر السلطة المركزية، وهو ما يوحى إلى الغياب الرسمي للسلطة في حكمها حتى وإن كانت بعض الحملات العسكرية وصلت إليها، وحقت هدفها إلا أن هذه القبائل بمجرد زوال خطر السلطة تعود إلى طبيعتها ونزعتها التمردية.¹

أما بالنسبة للقبائل الحدودية، فقد ساعدها موقعها القريب من الحدود التونسية شرقا أو الحدود المغربية غربا، والبعيد عن مركز الحكم والقرار المركزي والفرعي في التمرد والحرية والإستقلال الذاتي، فكانت وجود السلطة ظاهريا، وذلك في أغلب الفترات إلى غاية الغزو الفرنسي سنة 1830م/1246هـ.²

كما لعبت التضاريس الصعبة دورا هاما في التمرد من خلال الجبال والوديان والمساحات الشاسعة،³ ومن الأمثلة عن القبائل الحدودية نجد قبيلة النمامشة، فقد ساعدها الموقع البعيد الحدودي شرقا مع الإيالة تونس لأن تكون مستقلة ومتمردة في المناطق الشرقية من جهة الأوراس أقصى الشرق، فعاشت حياة التنقل والترحال الموسمي بين السهل والجبل، وممارسة نشاط الرعي بحثا عن الماء والكأ للماشية في إطار نمط طبيعي معيشي،⁴ وهم يرحلون صيفا وشتاءا ويعودون إلى أماكن تواجدهم وممتلكاتهم وقراهم التي تركوا من يحرسها،⁵ وقد تمردت سنوات (1797-1212هـ) (1803م-1218هـ) (1817-1232هـ) (1822م1237هـ)، وكذلك قبيلتي الغرابة وأنجاد الواقعتين

¹ - أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري، المرجع السابق، ص ص 116-117.

² - صالح عباد، المرجع السابق، ص 230.

³ - صالح عباد، نفسه، ص 298.

⁴ - ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، المرجع السابق، ص 433.

⁵ - اسمهان لعربي، الحياة الاقتصادية في بايلك الشرق، المرجع السابق، ص 132.

الفصل الثالث : دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرفض القبلي للسلطة ومظاهر العداء

على الحدود المغربية، فقد جنحتا إلى التمرد من خلال رفضها للمطالب المخزنية ودفع الضرائب، حيث تقوم مع اقتراب المحلات العسكرية إلى الفرار نحو الأراضي المغربية.¹

ونجد قبيلة أولاد سيدي عبيد ببايك الشرق لها مجال جغرافي واسع على الحدود الشرقية كما به واحات واسعة وشطوط² جعلها تتموقع بعيدا عن السلطة، وكذلك قبيلة بني عامر التي تقع بعيدا عن السلطة وقريبة من الأراضي المغربية، فكانت تفر إليها مع إقتراب جمع الضرائب ودفعها .

ظل الفضاء الجغرافي الحدودي الواسع بين القبائل الحدودية والسلطة خاضعا لعامل التمرد بسبب غياب السلطة، وهو ما أدى إلى صراعات ونزاعات بين السلطتين، وهو ما حدث سنة 1787م-1201هـ حين فر عدد من سكان القبائل الحدودية بالشرق الجزائري للأراضي التونسية فبعد تمردهم عن دفع الضرائب والغرامات السابقة أدى إلى زعزعة العلاقات بين الجزائر وتونس ففي عهد صالح باي اتهم حمودة باشا بالتحريض على التمرد وزعزعة الإستقرار.³

كما كانت الحملات العسكرية التي قادها البايات أو نوابهم تستغرق وقتا طويلا نظرا للمسافة الطويلة والتضاريس الصعبة وكثرة المناطق أو القبائل المتمردة، وأبوالأحرى التمرادات المتلاحقة، فعند دراستنا لاحظت أن إعلان الحملات العسكرية على منطقة معينة متمردة يتطلب تحضيرا وتنظيما واستعدادات مسبقة خاصة، وأن الهدف هو القضاء على التمرد، فأى حملة تستهدف في طريقها قبائل وليست قبيلة واحدة مما تستغرق أياما معدودة أو أشهر، ومن الأمثلة صالح باي الشرق عند خروجه سنة (1785م- 1199هـ) للقضاء على تمرد أولاد نايل استغرقت حملته مدة طويلة من جبال عمور وزينية وأفلو

¹ - عقاد سعاد، الفلاحون الجزائريون والسلطة العثمانية، المرجع السابق، ص 140.

² - قبيلة أولادسيدي عبيد: تتمتع بمجال جغرافي واسع بالجنوب الشرقي حتى للحدود التونسية شرقا وبها واحات في الهضاب العليا، ينظر الأزهر الماجري، المرجع السابق، ص 17.

³ - محمد العربي الزبييري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، المرجع السابق، ص 27.

الفصل الثالث : دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرفض القبلي للسلطة ومظاهر العداء

وتاجموت والأغواط بحكم أنها قبائل متمردة، فأصبحت خاضعة للسلطة ولو ظرفيا¹ كما أنه مر على على أولاد زايد جنوب قسنطينة وأولاد عمور وأولاد ابن عاشور وقبيلة فرجية² وكذلك مانجده في حملة الباي محمد الكبير إلى الجنوب للقضاء على التمرد الذي استغرق ساعات للوصول نظرا للمسافة الطويلة والبعد عن مركز الحكم، حيث انطلق من معسكر إلى منطقة الأغواط مارا بعدة مناطق كزينة وجبل عمور وأفلو وعين ماضي وغيرها.³

كما أن عامل الأرض والتشبت بها من طرف السكان أدى إلى ظهور علاقة قوية وصلبة، فهي المصدر الأساسي الذي يوفر القوت والهواء والعيش الكريم إضافة إلى أنها تمثل الشرف ويستغلها أصحابها في أنشطة متنوعة من زراعة وصناعة ورعي، فأى محاولة إعتداء عليها أو سلبها بالقوة يؤدي إلى قيام ثورات عنيفة من طرف القبائل ضد السلطة، فهذا صراع أبدي بين الطرفين حيث حاول البايات في العديد من المرات انتزاع الأراضي منهم وتحويلها إلى ملكية خاصة، وهو ما أثار غضب السكان وجعلهم يتمردون.⁴

التضاريس:

لعبت التضاريس دورا وتأثيرا كبيرين في تحديد علاقة الرفض بين السلطة العثمانية من جهة و القبائل الجزائرية من جهة أخرى، وذلك على طول مدة الحكم العثماني الذي استمر لثلاثة قرون وأكثر، فقد ساعدت التضاريس المختلفة والصعبة المكونة من الجبال و الوديان والهضاب سواء تلية أو صحراوية في التمرد و الثورة على السلطة، مما زاد من

¹ - الأغواط: تتواجد على نهر مزي الذي يتخذ منابعه من جبل عمور، ينظر إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها، المكتبة الوطنية للكتاب، ط1983م، الجزائر، ص 51، وينظر ناصر الدين سعيدوني، وراقات، المرجع السابق، ص163.

² - محمد الصالح العنثري، فريدة منسية، المصدر السابق، ص 76 .

³ - أحمد ابن هطال، رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري، المصدر السابق، ص ص 40-42.

⁴ - زبدين قاسيمي، قيادة سيباو، المرجع السابق، ص 143.

الفصل الثالث : دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرفض القبلي للسلطة ومظاهر العداء

معاناة العثمانيين في التوسع وكسب مناطق نفوذ داخل الإيالة ومناطق الحدود فيها، فكانت الطبيعة الجغرافية الصعبة حاجزا وسدا منيعا لإنتشارهم وتوغلهم¹، ومن أهم المظاهر التضاريسية نجد :

الجبيل : وهو المظهر التضاريسي الأكثر انتشارا في الإيالة لما له من مساحة شاسعة حيث منح الكثير من الأساسيات الفاعلة خاصة أساسية التمرد، وقد سكنته عديد القبائل التي أطلق عليها القبائل الجبلية، ويسمى سكانه بالجبالية الذين فضلوا القمم العالية التي تميزت بالصعوبة والإرتفاع وشدة الإنحدار لهذا استطاعوا التكيف مع الظروف الحياتية له،² فالجبلي اختار الإقامة فيه وتحمل المشاق والصعوبات بدلا من الخضوع والعبودية.

وما يميز الجبل أن موقعه بعيد عن السلطة والسهول الخصبة ذات التربة الغنية والجيدة.³

كما عرف عن الجبل أنه حصن منيع آمن ومنفذ وملجأ استقطب الكثير من القرويين⁴ الذين فروا إليه أو جعلوه مسكنا بسبب الضرائب التي أثقلت كاهلهم شرعية أو غير شرعية منتظمة أو غير منتظمة، وكذا المطالب المخزنية ومن تسلط أعوان السلطة وممثليها من القبائل الموالية مخزنية أو من أفراد الحيش الغير نظامي من الزواوة و الزمول والكراغلة وغيرها⁵ الذين هم في خدمة السلطة، حتى وإن في بعض المرات كانوا أداة تسلط واستبداد أدت إلى كرههم ونبذهم من طرف السكان المستضعفين .

¹ - يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 44.

² - شارل وليام، المصدر السابق، ص 28.

³ - Fray Diego de Haedo : topographie et histoire générale d'alger , traduction de l'espagnol par Dr. monnereau et A. Berbrugger, presentation de Jocelyne Dalila, Ed Bouchée, Paris, 1998, p79

⁴ - كما يؤكد شلوصلر أن الجبال كانت عالية شاهقة ومنحدرة، فسكان الأطلس بينون بيوتهم في أعالي الجبل حماية من الأعداء، وللمزيد أنظر شلوصلر فنديلين، المصدر السابق، ص 98.

⁵ - سعاد آل الشيخ، الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية، المرجع السابق، ص 141.

الفصل الثالث : دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرفض القبلي للسلطة ومظاهر العداء

إن حركات التمرد والعصيان انتشرت بكثرة في أوساط المناطق الجبلية خاصة الجهات الشرقية من الأوراس والوسطى من البلاد، وهو ما نلاحظه في منطقة البيان بالشرق الجزائري قسنطينة التي تميزت بالحصانة الطبيعية، فقد ساهم موقعها في الإفلات من قبضة واهتمام السلطة بها، وهو ما يؤكد المكناسي في قوله: "ما رأيت أصعب ولا أمتع منها في بيان حقيقية لأن الطريق تمر بين جبال في وسط نهر، وربما تدنوا الجبال بعضها من بعض، وأهل هذه البلاد أهل إباء لا يinquادون إلى الباي أي الحاكم".¹

وما يؤكد شغف السكان للعيش في الجبل وجعله مركزا للحياة والنشاط فيه ما أشار إليه القنصل الأمريكي شالر في أن القبائل الجبلية الريفية سكنت الجبل، واستقرت وفضلت قممه وهي إشارة واضحة منه إلى أن أغلب السكان في هذه المنطقة يسكنون الجبال ويتمتعون بالإستقلالية عن السلطة وعن بقية المناطق الأخرى على حد قوله،² ونذكر من أهم هذه الجبال بني زروال وبني سنوس وبني عباس وبني زاووة، وفي هذا الصدد يشير ثلوصر إلى أن الجبال تحت قبضة السكان، وأن الباي يخشى مواجهة القبائل في إشارة منه إلى ضعف السلطة وعدم سيطرتها على الجبل .

كما تحتوي سلسلة الأطلس المتيجي على تضاريس صعبة لإختراقها أودية واسعة، وكذلك فتحات وخنادق أحدثتها المجاري المائية كما بها جبال تميزت بالوعورة، ونذكر منها جبال بني ناصر وبومعاد وريغة وصوماتة وزكار وموزاية بالبليدة³ وجبال بني صالح التي بها عديد الأودية وجبال بني مسعود وتابلان وبوزقرة شرق جبال البليدة، كما عرف على الأطلس المتيجي درجة حرارة معتدلة مما يجعل الجبال باردة قليلة الرطوبة شتاء أو معتدلة وأقل رطوبة في فصل الصيف.⁴

¹ - ويقصد بكلمة (بيان) أي الأبواب نقلا عنه، وللمزيد أنظر محمد بن عبد الوهاب المكناسي، رحلة المكناسي، تح وتقم محمد بوكبوط، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ص 329.

² - شالر وليام، المصدر السابق، ص113.

³ - ناصر الدين سعيدوني، الحياة الريفية، المرجع السابق، ص 64.

⁴ - ناصر الدين سعيدوني، نفسه، ص 65،

الفصل الثالث : دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرفض القبلي للسلطة ومظاهر العداء

وإنما يخضعون لحكم الشيوخ والأعيان، ويعيشون في الجبال والوديان الوعرة صعب الوصول إليها والمغارات والبيوت المبنية بالطين والحجارة، ويشتغلون الفلاحة من حرث وزرع وتربية الماشية، وأراد سيمون أن ينقل لنا بأن هؤلاء فضلوا الحياة بعيدا عن السلطة وتسيير أمورهم من تلقاء أنفسهم ويهتمون بتربية الماشية مع قليل من الزراعة، ويشير المؤرخ لوجي دو تاسي أن بايلك الشرق ذو طابع جبلي حيث أنه محاطة به الجبال العالية الأهلة بالكثافة السكانية من البدو ويتمتعون بالإستقلالية،¹ومن أهم الثورات التي ساعدتها الطبيعة الجغرافية من تضاريس صعبة نذكر على سبيل الأمثلة ما حدث في مقاطعة الشرق الجزائري بقسنطينة سنة1804م/1219هـ عندما ظهر في الجبال بالقرب من واد الزهور الشريف والمرابط الحاج محمد بن الأحرش الدرقاوي وبالضبط في بجاية وسط، وقد ساندته في ذلك بعض السكان الجبالية.

كما عرف عنها أنها مملوءة بالممرات الجبلية الضيقة،²وبصعوبة المسالك والوديان والمنحدرات التي تضم في طياتها مع كثرة الأحرش خاصة الجهات الممتدة، فأغلب معاركه كانت في الجبال بالسفوح الجنوبية لجبال جرجرة³ خاصة في الجهات الممتدة بين القل ووادي الزهور والمعروفة ب سبعة رؤوس، كما ساعده في تحقيق انتصاراته على السلطة أن محاربيه يفرّون إلى المغارات والمخابئ في وسط الجبال ونصب الكمائن لأفراد المحلات العسكرية.⁴

1-Laugier De Tassy , Histoire du royaume d Algerie , edution Royal, May 1992 , p94.

² - و هناك من يشير إلى أن بايلك الشرق معظمه جبلي و طابع صحراوي في جنوبه وطبيعته قاسية ، ينظر عبد الله بن محمد أبي بكر عبد الله العياشي، الرحلة العياشيه(1661-1663)، تح وتق سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي،2006م، ص ص 113-114، وينظر أيضا حمدان بن عثمان خوجة ، المصدر السابق، ص 131 .

³ - الأغا بن عودة المازاري، المصدر السابق، ج1، ص 322.

⁴ - ناصر الدين سعيدوني، وراقات جزائرية، المرجع السابق، ص 283.

الفصل الثالث : دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرفض القبلي للسلطة ومظاهر العداء

وما حدث لأولاد سي علي تاحمات بالشرق الجزائري الذين كانوا متمردين برفضهم لدفع الضريبة وتلبية المطالب المخزنية، ورغم قلة عددهم في عهد الباي إبراهيم القرتيلي (1237هـ-1822م) مستغلين في ذلك تواجدهم بالقرب من الجبال التي إتخذوها ملجأ لهم وحصنا منيعا إلا أن الباي قام بحملة لإخضاعهم بعد شكوى تقدم بها قايد الزمالة أحمد بن الحملاوي، وعليه توجه كل من القائد الحاج حسين وقائد الدارين قارة علي بمهاجمتهم، فلجأ السكان إلى الفرار والإختباء باتجاه الجبال تاركين السهل الخصب محملين بالبضائع والممتلكات الخاصة بهم بين الخوانق الضيقة وداخل المغارات والوديان، ولم يتوقفوا عند هذا الحد من المقاومة بل نصبوا الكمائن لهم حتى انتصروا وألحقوا خسائر بهم وذلك في سنة (1237هـ-1822م)، وقتل فيها القائد حسين وبعض من قاداته.

وكذلك تمرد قبيلة بلزمة على الحاج أحمد باي الذي كان برفقة الأغا يحي قائد الجيش متوجهين إلى قسنطينة لتتصيب الباي أحمد، وذلك بقرار من الداوي حسين مستغلين تواجدهم بالجبل الذي كان محاطا بهم وحاميا لهم من الأخطار الخارجية، ومن غضب السلطة ويتوفر على مسالك وممرات ضيقة وصعبة إلا أن هذا لم يمنع السلطة من القضاء على تمردهم وإجبارهم على الاستسلام وقبولهم للشروط المفروضة عليهم، وذلك بعد ضربهم بالمدفعية.

واستغلت قبيلة سوماتة ذات الموقع الجبلي المتميز في عداوة السلطة، فخاضت عديد الثورات في عهد الباي محمد الكبير سنة 1792م-1206هـ، والذي استطاع أن يقضي على تمردها وفي نفس الوقت تم تحويلها إلى قبيلة مخزنية تابعة للسلطة وذلك بأمر من الداوي بابا حسن.¹

¹ -حكم في الفترة (1791-1798) بعد وفاة الداوي محمد عثمان باشا عرفت البلاد عديد الإنجازات داخليا وخارجيا أمضى العديد من الإتفاقيات كما مكن اليهود من الوصول والتموقع في مراكز النفوذ ، وتمتع بالحنكته والشجاعة ، ينظر طارق بولودنين، المرجع السابق، ص216 ، وأيضا بن عتو بلبروات، المدينة والريف ، المرجع السابق، ص251.

الفصل الثالث : دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرفض القبلي للسلطة ومظاهر العداء

ونجد قبيلة أولاد مقران في الشرق الجزائري أثناء حكم الباي تشاكر (1814م-1229هـ) الذي قام بحملة على الدواوير لمهاجمتها وفرض الضرائب عليها، وقد اشتهر الباي بالقتل دون محاكمة وكرهه للعرب، حيث بدأ حكمه بالإعدامات في صفوف السكان إلا أن رجال أولاد مقران رفعوا السلاح ضده بعدما استطاع نساءهم وأطفالهم الفرار إلى الجبل القريب منهم محملين بخيامهم وماشييتهم للاختباء هناك.¹

كما فر سكان قبيلة أولاد نايل بالجلفة من قبضة السلطة عبر المساحات الشاسعة التي تميزوا بها وإلى الشعاب القريبة منهم والوديان والحبال كجبل عمور، فتوجهوا إلى أم العظام ومجدل ودمد وعين وسارة ومجبارة وبطن دروة وإلى السفح الجنوبي لحد الصحاري.²

ومنطقة القبائل كذلك ساعدتها التضاريس الصعبة المكونة من الجبال والوديان فالكتل الجبلية جنوبا وحوض سيباو شمالا،³ وقدرت مساحتها الواسعة ب 15000 كلم مربع على التمرد ورفض السلطة، وما يؤكد ذلك هو ما أشار إليه حمدان خوجة بأن سكان القبائل سكنوا وتكيفوا مع الظروف الحياتية في الجبال والأماكن الوعرة رغبة منهم في العيش بحرية وكرامة ويصفهم بالبرابرة الحقيقيين، كما⁴ يقول شلوصر: "لا تحب القبائل أن تكون لهم مشكلة مع العريان في السهل، وإنما يستدرجونهم إلى الجبل حيث تكون السيادة لهم، ولذلك يبنون قراهم فوق الجبال ليحموا أنفسهم من الغارات، وإذا اقترب عدو من مساكنهم فإنهم ينادون بعضهم بعضا من جبل إلى آخر"⁵، ومن القبائل الجبلية نجد قبيلة سماتة رغم كونها محاطة بالجبل وذات موقع طبيعي ممتاز ساعدها أن تكون الأكثر تمردا، حيث سكن أفرادها قمم الجبال والشعاب الوعرة والوديان العميقة إلا أن الباي محمد الكبير

1 - صالح عباد، المرجع السابق، ص 288.

2 - نفسه، ص 222.

3 - زيددين قاسيمي، قيادة سيباو تاريخ منطقة القبائل، المرجع السابق، ص 30.

4 - حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 13.

5 - فنديلين شلوصر، المصدر السابق، ص 98.

الفصل الثالث : دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرفض القبلي للسلطة ومظاهر العداء

استطاع أن يقضي على تمردهم ومصادرة ممتلكاتهم وفرض غرامات عليهم،¹ وكذلك سكان وادي الفضة الذين كانوا في حالة تمرد أواخر القرن الثامن عشر، فامتنعوا عن تلبية المطالب المخزنية واستمروا لفترة طويلة حتى تمكنت منهم السلطة، وقضت على تمردهم في معركة قتل فيها حوالي 700 رجل من القبيلة.²

وقبيلة بني هارون التي لجأت إلى التمرد بفضل وقوعها بالقرب من الجبل الذي كان السند والحامي لها من السلطة، فتميز بارتفاعه وما يحتويه من مغارات ووديان وشعاب، مما مكنهم من إلحاق هزائم متتالية بالسلطة³، وخاصة في فصل الشتاء حيث كانت الثلوج تغطيه،⁴ وعرف عن القبيلة القوة العددية وتحكمها في الطريق المؤدي بينها وبين نواحي التيطري، وهو ما جعل السلطة تغير طرق حامياتها وقوافلها نحو المسلك الجنوبي المار ببرج سور الغزلان لتفادي خطرهما المحدق بها.

وقبيلة فليسة بمنطقة زاوية عرف عنها موقعها الحصين داخل الجبال مما أدى إلى فشل السلطة في إخماد تمردها بعد سبع حملات عسكرية فاشلة.

أما الواحات الصحراوية، فقد شكلت بتضاريسها الوعرة ومساحتها الشاسعة،⁵ ومناخها القاسي ملاذاً آمناً لبعض القبائل المتمردة التي فضل ساكنتها حياة الترحال والتنقل في الخيام بدل مساكن ثابتة،⁶ ومن أهم هذه المناطق نجد منطقتي واد سوف وبني جلاب اللذان اعتمدا على الموقع البعيد عن السلطة والكتبان الرملية المحيطة بواحاتهم للتمرد بعدم دفع الضرائب، مما أدى بإعلان حملة عسكرية من طرف باي الشرق أحمد بن عبد

1 - قبيلة سماتة: تقع على ضفاف وادي جريتوا في جبال الأطلس التلي، وتتمركز على طول الطريق المؤدي إلى الجهة الغربية من الإيالة ، وللمزيد أكثر أنظر أحمد ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص 326.

2 - peyssonnel et Desfontaines, voyages dans Les Régence de Tunis et d'alger, op cit, p152

3 - بن عتو بلبروات ، المرجع السابق، ص 270.

4 - ج. أو، هابنسترايت، المصدر السابق، ص 76.

5 - نصر الدين عبد الغفور و فارس كعوان، تأثير التضاريس، المرجع السابق، ص 265.

6 - ج.أو، هابنسترايت، المرجع السابق، ص 54.

الفصل الثالث : دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرفض القبلي للسلطة ومظاهر العداء

الله المملوك سنة 1818م-1233هـ، فانتصر عليهم وغنم منهم ممتلكاتهم وبضائعهم من ذهب وفضة وتمر وأقمشة¹ وكذلك مناطق وارجلان ورقلة حاليا وبسكرة وتقرت² وعين ماضي التي ساعدتها البيئة الصعبة من تضاريس متنوعة إلى التمرد والعصيان في وجه السلطة.

كما تعد المنطقة الجبلية من بجاية غربا إلى جيجل شرقا من أكثر المناطق ذات التضاريس الصعبة والمناخ القاسي، كما تميزت بكثافة سكانية عالية مما أدى بها إلى التمرد والعصيان في وجه السلطة.³

كما عرف عن سكان المنطقة الجبلية التي تمتد من جرجرة غربا حتى جبال القل شرقا أنها لم تخضع للسلطة بسبب التضاريس الصعبة من جبال وواديان، كما أنه كان يحكمها شيخ يتم اختياره من مجلس الجماعة ويحظى بالإحترام والتقدير من كل أفراد القبيلة.⁴ أما في بايلك الغرب، فقد ساعد الجبل عديد القبائل في التمرد على السلطة، ومن الأمثلة نجد:

بني وازغ والكرايش وأولاد يعقوب والغرابية وجبال مليانة ومرتفعات وهران، فمع اقتراب موعد تسديد الضرائب تلجأ إلى الفرار أو الترحال من منطقة إلى أخرى خاصة بين

¹ - صالح عباد، المرجع السابق، ص 265 أو أنظر فلة موساوي القشاعي، المرجع السابق، ص 147.
² - تقرت : تعتبر من الواحات الشهيرة تقع بين بسكرة جنوبا من ناحية وادي وادي سوف، وتعتبر قاعدة أساسية لوادي ريغ، وتتميز بكثرة المنابع والعيون المائية، وفي هذا الصدد يقول عنها الرحالة حسن الوزان بأنها مدينة قديمة بناها النوميديون على جبل في شكل نتوء يمر في سفحها نهر صغير يقطعه جسر، وللمزيد أنظر، حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 135، ويقول عنها الرحالة العياشي بأنها مسكن أولاد جلاب، وللمزيد أنظر، أبو سالم العياشي، الرحلة العياشية (1661م-1663م)، دار السويدي للنشر والتوزيع، ج2، ط1، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2006م، ص 119.

³ - لخضر بوطبة، غابات منطقتي بجاية وجيجل ودورها في تدعيم قوة الأسطول الجزائري خلال العهد العثماني، المجلة التاريخية الجزائرية، العدد 5، ديسمبر، 2017م، ص 41.

⁴ - نفسه، ص 45.

الفصل الثالث : دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرفض القبلي للسلطة ومظاهر العداء

منطقتي الزاب وتاجرونة في الصحراء،¹ مما أدى بالبايات قادة الحملات العسكرية إلى إرسال الفرق العسكرية لمطاردتهم رغم المسافات البعيدة والتضاريس الوعرة والمساحات الشاسعة، ويشير جورج فوزان أن سكان الصحراء والجبال الوعرة قد حافظتا على تسيير أمورهم من منطلق ذاتهم وعيشتهم بحرية، وهو ما يؤكد أن هذه القبائل الصحراوية أو الجبلية فضلت العيش بها ورفض السلطة بالتمرد عليها، وقد تمتعت بالاستقلال الذاتي ساعدها في ذلك الموقع والخصائص الطبيعية التي كانت في صالحها.²

كما عرف عن هذه القبائل أنها تعيش في وسط طبيعي وعر وبعيد، وتتمتع بقوة في السلاح والعدة معلنة رفضها للسلطة التي كانت شبه غائبة أو ضعيفة في بعض الأحيان، فرغبتها الجامعة في العيش بحرية وكرامة دفعتها أيضا لتبني هذا الموقف كما أثبتت أنها مستعدة دائما للدفاع عن نفسها وأرضها وشرفها، وهو ما يؤكد كاتر بارب *quatr barerbes* بأنهم شجعان وفخورون بالإستقلال والدفاع عن أنفسهم لإملاكهم السلاح والإرادة، وهو ما يشير إليه هابنسترايت بأن سكان الجبالية مسلحون ومستعدون في نفس الوقت للدفاع عن أنفسهم.³

كما يرى الشريف الزهار أن ساكنة الجبل عموما يتصفون بكونهم عصاة ورافضين للسلطة العثمانية، وهي إشارة منه إلى أن معظم سكان المناطق الجبلية استغلوا تواجدهم فيه للعصيان ومجابهة السلطة خاصة هذه الأخيرة غائبة ولو شكليا بحكم أنها تخضع في تسيير شؤونها من طرف الشيوخ أو المرابطين الذين يتمتعون بمكانة هامة ومرموقة في الوسط الإجتماعي القبلي فهم مركز القرار والأمر والنهي في عديد القضايا السياسية والإقتصادية والإجتماعية.

¹ - ج.أو، هابنسترايت، المصدر السابق، ص 32.

² - Georges voisin, l'Algerie pour les algériens, Michel levy frères librairies editeur, paris 1861 , p25.

³ - ناصر الدين سعيدوني، الحياة الريفية، المرجع السابق، ص 426.

الفصل الثالث : دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرفض القبلي للسلطة ومظاهر العداء

وما يدل على قوة وصلابة الجبل أنه أرغم البايات على الإنسحاب في مواجهة هذه القبائل الراضية، كقبيلة بني بترون بعد فشل باي التيطري محمد بن فريرا الملقب بالذباح (1794م-1799م) في القضاء على عصيانها.¹

وتشير دراسات أن القبائل ذات الطابع الجبلي لجأت إلى دفع الضريبة خاصة ضريبة اللزمة وهو ما يؤكد هابنسترايت في رحلته سنة 1732م/1145هـ، فهي على العموم ضريبة رمزية وتدفعها إلا في حالة القوة أو نتيجة إجبارها بالقوة العسكرية أو المفاوضات والإتفاقيات المبرمة بين الطرفين كحل سياسي، فكانت تدفعها مقابل حريتها وممارسة نشاطاتها خارج الجبل، لكن سرعان ما تعود لطبيعتها الإعتيادية في التمرد وتأخذ من الجبل قاعدة لها، وهذه تعتبر ميزة إنفرد به الجبلي في حبه لذاته والعيش بحرية بعيدا عن التبعية والذل والخضوع لسلطة يراها أرهقته بعدد السياسات خاصة الإقتصادية منها.

وما يشير إلى أن الجبل كان ميدانا للثورات والتمردات ما أشار إليه العنتري في حديثه عن باي الشرق أحمد القلي الذي تولى فترة حكم من (1756م-1771م) قد خاض معارك عديدة حيث أكد أنه لم يترك سهلا ولا جبلا ولا هضبة ضد القبائل العاصية خاصة البعيدة منها،² فرغم التضاريس الوعرة إلا أنه ينهي مهمته بالقضاء عليها ويفرض عليها دفع الضريبة.

¹ - من قبائل بلاد زاوية تقع في السفوح الشمالية لجبال جرجرة ساعدها الموقع الجغرافي والتضاريس الصعبة ، ونشاطها الإقتصادي ذو الإنتاج المحدود على التمرد، للمزيد أنظر عبد الجليل رحموني، المرجع السابق، ص106، الباي محمد الفريرا الملقب بالذباح ولد في البليدة تعلم في زاوية سيدي راشد بمنطقة جرجرة وصاهر أسرة ابن القاضي وتولى خليفة على سيباو، قاد العديد من الحملات العسكرية على قبائل زاوية وللمزيد أنظر، عبد الرزاق ابن حمادوش، رحلة ابن حمادوش، تق وتغ وتغ، أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1983م، ص 163 .

² - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 48.

الفصل الثالث : دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرفض القبلي للسلطة ومظاهر العدا

وفي أغلب المرات ما تتجه المحلات العسكرية من الجزائر العاصمة إلى الجبال لإخماد الثورات وتحصيل الضرائب، ونذكر مثلا المحلة التي نزلت عند جبال أولاد سلطان بين قسنطينة والصحراء التي تميزت بالتضاريس الصعبة والقوة العددية.¹

وقد لجأت بعض القبائل إلى الجبل بعدما تم حرمانها من أراضيها الزراعية الخصبة أو سلبت منها بالقوة نتيجة رفضها لمطالب السلطة، وحرمت من ممارستها للتجارة والتنقل والرعي ونهبت ممتلكاتها من ذهب وفضة وماشية، حتى في بعض الأحيان ما تترك الحملات العسكرية نتائج وخيمة من نهب وحرق وتخريب للممتلكات، مما أدى بأهلها إلى الفرار باتجاه الجبال والوديان.²

وهناك قبائل سكنت الهضاب العليا التلية والصحراوية رغم فقر التربة وقلة الخصوبة فتميزت حياتها بالتنقل والترحال بحثا عن موارد للعيش، وعرف عنها ممارسة نشاط زراعي محدود والإكتفاء بتربية الماشية والرعي، ويعود سبب تنقلها إلى عاملين أساسيين هما :

- عامل الأرض .

- عامل التربة .

مما استوجب تمردا ورفضها لمطالب السلطة، إن كل هذا انعكس سلبا على حياة الفلاح الريفي الذي عانى من سياسة الضرائب والغرامات التي أثقلت كاهله وأضعفت منتوجه الفلاحي وجوعته، وزادت له من الديون كما تحولت حياته إلى بؤس وشقاء إضافة إلى عنف الحملات العسكرية المصحوبة بالسلب والنهب ففر إلى الجبال للإعتصام هناك، فاهتم بتربية الماشية³ وترك البيوت المبنية بالطين في السهول الخصبة ليسكن قمم

¹ - محمد الصالح العنثري، فريدة منسية، المصدر السابق، ص 78.

² - بن عتو بلبروات، المدينة والريف بالجزائر، المرجع السابق، ص 251.

³ - محمد خير فارس، تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 107.

الفصل الثالث : دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرفض القبلي للسلطة ومظاهر العدا

الجبال العالية محملا بأغراضه وممتلكاته وقطعانه¹ لكي لا تصل إليه السلطة، وهو ما أكده أحمد بن العطار عندما أشار إلى أن أهل البادية الذين عانوا من ظلم السلطة وأعوانها، وجدوا أنفسهم في وضع سيئ وظلم ممنهج ففروا إلى الصحراء عبر المساحات الواسعة بخيامهم ومواشيهم²، وهو ما أثر على السهول التي تحولت إلى صحراء جرداء قاحلة بسبب هجرة سكانها، كسهول عنابة³ خاصة أواخر الحكم العثماني مثلما حدث لقبائل الأوراس وأولاد عبد النور والتلاغمة وأولاد سالم وأولاد معوش الذين هاجروا إلى الهضاب العليا القسنطينية ومشارف الصحراء.⁴

وما يدل على أن الجبل كان ملاذاً آمناً ومفراً من غضب السلطة هو ما حدث في حيثيات الحملة التي قادها باي الغرب محمد باي الكبير متجهاً إلى الجنوب وبالضبط إلى منطقة الأغواط منطلقاً من معسكر، وهذا في إطار حملة هادفة إلى القضاء على التمرد وجعلها موائية وجباية الضرائب والغرامات المتأخرة، وكذا توسيع نفوذ السلطة وإعادة هيبتها وإظهار ولائه للسلطة والتعريف بأهم المسالك والممرات والمظاهر الطبيعية الموجودة وتسمية الأماكن على طول الرحلة التي برز فيها كاتبه وأديبه وصاحبه ابن هطال التلمساني، حيث ذكر أنه انطلق من معسكر ومر بجبال عمور والبيضاء وأقلو والطويلة وصولاً إلى الأغواط ليذكر هذه المناطق المتمردة خاصة عين ماضي مركز الطريقة التيجانية ومنبعها، والتي ساعدها الموقع الجغرافي والبعد والتضاريس الصعبة من جبال ووديان وشعاب، فالخضراء وتاويالة فروا سكانها بمجرد وصول الباي وتفرقوا في رؤوس الجبال.⁵

¹ - ج.أو ، هابنسترايت، المصدر السابق، ص ص 53-54.

² - شالر وليام، المصدر السابق، ص 109.

³ - نفسه، ص 109.

⁴ - ناصر الدين سعيدوني، رقات جزائرية، المرجع السابق، ص 491.

⁵ - أحمد ابن هطال، رحلة محمد الكبير، المصدر السابق، ص ص 40-42.

الفصل الثالث : دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرفض القبلي للسلطة ومظاهر العداء

وقد تميزت المنطقتان بالبساتين الكثيرة والمزارع، وقد ذكر منطقة الدبداب وتسمى أبو شكوة والكرط ذات الشعاب الوعرة، ومنطقة زينية أي الإدريسية حالياً التي قال فيها بأن سكانها لا حكم عليهم لأحد ويتشتهرون بالقوة في العدد والعتاد إضافة إلى تفضيلهم العيش بحرية، وهذا يؤكد غياب السلطة ولو جزئياً، وقد فر أهلها إلى الجبال المجاورة في قصر الشارف الذي به جبل أخضر من جهة الشرق ويحتوي على مساحة واسعة ووديان ومرتفعات عالية ومنحدرات شاهقة، كما فروا إلى الشعاب خوفاً من جيش الباي وقوته، ويعود هذا ربما للعدد الكبير الذي استقدمه الباي من الجنود وفرسان القبائل الموالية للسلطة، ومنطقة القعدة التي تميزت بصعوبة التضاريس، فحاصرها الباي من كل جهة وجانب، فلجأ سكانها إلى الفرار باتجاه الوديان والجبال وهناك منهم من لجأ إلى الإستسلام وطلب الصلح¹ كما ذكر منطقة خنيق الملح وهي منطقة جبلية اشتهرت بالملح وموقعها البعيد، فسكانها يعيشون بالقرب من الجبال والأودية وعند وصول جيش الباي فروا إلى الوديان وقمم الجبال تاركين ممتلكاتهم وقطعانهم وخيامهم للسلب والنهب من طرف جنود السلطة،² وهذا يدل على الخوف والرعب الذي تملكهم من جهة وقوة الجيش من جهة أخرى، وكذلك قصر أوقل الذي فر سكانه إلى بطون الأودية والجبال.³

كما تم استغلال الجبل من بعض القبائل لممارسة اللصوصية والسرقة خاصة في المسالك والطرق الوعرة الجبلية أو بالقرب منه، ومن هذه القبائل نجد قبيلة فليسة حيث كانت تتم سرقة المسافرين في الطريق ليلاً إلى متيجة وتعريض حياتهم للخطر كالتهديد والإعتداء والقتل، فبعد سلبهم ممتلكاتهم وأغراضهم يفرون بها إلى الجبل للاختباء عن

¹ - الشافعي درويش، علاقة قبائل أولاد نايل بالسلطة العثمانية، المرجع السابق، ص 852.

² - أحمد ابن هطال، المصدر السابق، ص 36.

³ - نفسه، ص ص 39-41.

الفصل الثالث : دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرفض القبلي للسلطة ومظاهر العدا

أعين السلطة، ومن ثم بيعها في وقت لاحق إلا أن السلطة قامت بملاحقتهم بارسال حملات تأديبية.¹

كما تعرض جنود المحلات العسكرية في العديد من المرات إلى الإبتزاز والسرقة وإلزامهم دفع ضريبة المرور،² وذلك أثناء مرورهم من جبال البيبان في الطريق السلطاني من الجزائر العاصمة إلى قسنطينة في جهة الشرق من طرف الأسرة المقرانية في عهد الشيخ بوزيد بن بتكة، حيث تعرضوا للعديد من الكمائن المنظمة من طرف أفراد من الأسرة وحتى قطاع طرق وهو ما استدعاهم إلى تجنب تلك الطرق الوعرة، وكانوا يسددون في بعض المرات ما يسمى بالوعدة التي هي عبارة عن سلع وملابس لأعيان وكبار الأسرة وأموال وأسلحة، وهذا ما يؤكد الرحالة بايسونال أثناء رحلته عبر الطريق برفقة المحلة،³ ويضيف بايسونال أن الجنود لا يملكون الشجاعة والقوة لطلب الضيافة من أهل هذه القبيلة حتى ولو تعلق بالأكل والماء، وهم بأمس الحاجة إليه، وما مرد ذلك إلا لخوفهم من أفراد الأسرة المقرانية رغم ما تتمتع به من خيرات وفيرة وأرزاق كثيرة حسب الرحالة.

كما مارست قبيلة الأعشاش في جهة الغرب بالقرب من منطقة مغنية بتلمسان، والتي تميزت بالموقع البعيد عن السلطة عملية السلب والنهب التي استهدفت جموع المارة والمسافرين من تجار وطلبة وعلم في أغراضهم وممتلكاتهم بالتهديد والتخويف مستغلة وجودها بالقرب من الجبل، ومع هذا التهديد المستمر قامت السلطة بقيادة الباي محمد بن عثمان بالقضاء على تمرد لها ولصوصيتها، وفرض غرائم ثقيلة عليهم وتكليف حاميات عسكرية بمراقبة هذه الطرق البرية.⁴ كما يتم في الجبال إقامة الكمائن للمحلات العسكرية

1 - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 440.

2 - نصر الدين عبد الغفور و فارس كعوان، تأثير التضاريس، المرجع السابق، ص 290.

3 - j,A,peyssonnel, voyage dans Les règence de Tunis et d'alger,op cit, p191.

4 - سميرة طالي معمر، القوى المحلية، المرجع السابق، ص ص 52-53.

الفصل الثالث : دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرفض القبلي للسلطة ومظاهر العداء

القادمة بغرض جباية الضرائب أو القضاء على التمرد خاصة في الطرق المتجهة إلى مليانة وحوض الشلف خاصة من قبائل بني مناد وصوماتة، وكذلك الطريق الذي يربط بين العفرون وبرج حلوان، وهو ما استدعى من السلطة إرسال المحلات العسكرية لمساعدة المسافرين على المرور.¹

وكذلك قبيلة سماتة التي امتهن أهلها سرقة ممتلكات المسافرين، فاشتهروا بذلك مع قطع الطرق لتواجدهم بالقرب من الجبل، فالمارة كان ينتابهم الفزع والخوف عند المرور من هذا الطريق في جبال الأطلس التلي، وعند السرقة يفرون بما يحملونه إلى الجبل للتخفي داخل المغارات والوديان بعيدا عن أعين السلطة، وقد استطاع الباي محمد تكبيدهم خسائر في الأرواح والممتلكات حيث صادر منهم ألف من قطعانهم وأسر الكثير منهم وقتل بعضهم.²

وقبيلة فليسة التي تقع من دلس غربا إلى القل شرقا، وكذلك قبائل زاوارة في جنوب مدينة الجزائر مارسوا السرقة وقطع الطريق على المسافرين مستغلين تواجدهم بالقرب من الجبال، فقبيلة فليسة الجبلية أعاقت حركة المرور عبر منطقة باب الحديد بين الجزائر وقسنطينة خاصة، وأنه ممر ضيق ويقع تحت سيطرة القبيلة،³ وبوصول قوات المحلة يفرون إلى الجبل للاختباء هناك داخل المغارات والكهوف، وهوما سنتطرق إليه في الصفحات المقبلة.⁴

¹ - المكناسي محمد بن عبد الوهاب، رحلة المكناسي، المصدر السابق، ص 330.

² - ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص 326.

³ - جيمس كانكارت، المصدر السابق، ص 119، وكذلك نجد هجرة شيوخ وعلماء أمثال الشارف ابن تكوك و علي ابن محمد الجزائري و ابن وعيسى الثعالبي والشيخ محمد بن عبد الرحمان البيدي التلمساني إلى المشرق و الحرمين الشريفين هروبا من اضطهاد السلطة لهم ، وللمزيد انظر فاطمة الزهراء طوبال، المرجع السابق، ص 179.

⁴ - جيمس كانكارت، نفسه ، ص119، أو للمزيد أنظر

c. ph.Valliere, l'algerie en 1781, op cit, p p 10 11.

الفصل الثالث : دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرفض القبلي للسلطة ومظاهر العداء

كما كان الجبل مأوى وملجأ لبعض المشائخ والمرابطين ورجال الزوايا الفارين من عنهجية السلطة وقسوتها عليهم، فقد أعلنوا هؤلاء تمردهم ورفضهم لسياسات البايات التي وصفوها بالظالمة إتجاه السكان ومن الأمثلة نجد :

الشيخ أحمد الزواوي الذي اختلف مع الباي صالح في عديد القضايا السياسية والاجتماعية وبدأ في حملته الدعائية المعادية للباي حيث قام بتحريض السكان عليه،¹ فأمر الباي بارسال محلة عسكرية للقبض عليه، وهو ما جعله يفر إلى جبل أوزغار، لكن منيت الحملة بالفشل فلجأوا إلى تخريب منطقته ونهب ممتلكاته،² وذلك رغم خدماته الجليلة التي قدمها للسلطة في توسطه بينها وبين الرعية في حل المشاكل العالقة، وفي مشاركته في صد الحملة العسكرية للقائد الإسباني أوريللي على الجزائر سنة (1775م/1189هـ)،³ ومع ذلك استمر الباي في صب عدائه لشيخو الزوايا والمرابطين وسحب الإمتيازات والهدايا التي منحت سابقا ومعاملتهم بالسوء والقسوة مما أدى إلى إرسال شكوى ضده للداي الذي قام بعزله مباشرة من منصبه .

وما حدث للشيخ مقورة الذي رفض تغييره للمشيخة القبلية لصالح الشيخ بوزيان في منطقة فرجيوة بالشرق الجزائري سنة (1826م/1242هـ) في عهد الحاج أحمد باي، لينتقل إلى جبل أوراس، ويعلن تمرده وثورته ضد السلطة فاتخذ الجبل قاعدة ومركزا لذلك.⁴

¹ - صالح عباد، المرجع السابق، ص 178.

² -vayassettes,histoire de Constantine sous la domination Turque de(1517-1837),R,S,A,C, 1868 . p371.

³ - ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، المرجع السابق، ص 225.

⁴-صالح عباد، المرجع السابق، ص 288، وما حدث مع القاضي والشيخ محمد بن سعيد التلمساني الذي فر إلى المغرب الأقصى بعد إتهامه بالضلوع في تمرد قبيلة ولهاصة سنة 1828م ببايلك الغرب، وتقع في غرب عين تيموشنت حاليا ينظر بن نعيمة عبد المجيد وآخرون، موسوعة أعلام الجزائر(1830-1954)، منشورات المركز الوطني للدراسات والأبحاث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954م، الجزائر،ص ص 375-376.

الفصل الثالث : دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرفض القبلي للسلطة ومظاهر العداء

وما حدث أيضا مع رجل الدين المرابط الزيوشي مقدم الطريقة الرحمانية بجهة ميلة حيث أجبر على دفع الضريبة، وحرّم من العطايا والامتيازات، ففر إلى الجبل واعتصم هناك ليتحالف مع ابن الأحرش الدرقاوي في ثورته ضد السلطة¹.

كما فر الكرغلي دونالي إلى الجبل الذي احتّمى به بعدما رفض أن يستسلم للرايس حميدو في منطقة جيجل بالشرق، وبعد رفضه لأوامر الداى بالتوجه للقضاء على ثورة ابن الأحرش الدرقاوي².

كما جنح الشيخ أحمد التيجاني شيخ الطريقة التيجانية بعين ماضي إلى العصيان والتمرد فعندما هاجمه باي الغرب مصطفى فر الشيخ عبر الشعاب والمساحات الواسعة باتجاه المغرب الأقصى، ومكث هناك لفترة طويلة ليواصل نهجه التمردى ولده محمد الكبير³.

كما أجبر عامل الجبل السلطة العثمانية على التفاوض مع هذه القبائل سواء الجبلية أو الصحراوية، فكان عامل ضعف لها وقوة للقبائل، فانتهت بعض الحركات التمردية بالهدنة بين الطرفين، وهو ما حدث مع قبيلة أث جناد بإقليم التيطري سنة (1753م- 1166هـ)، ومع قبيلة فليسة سنة (1768م-1182هـ)، وقبائل منطقة الأغواط سنة (1799م-1214هـ) في عهد الباى محمد الكبير، وتقرت سنة (1792م- 1207هـ)، والنامشة والحراكتة بالشرق الجزائري سنة (1822م- 1238هـ) وقبيلة العداورة بالتيطري جنوب غرب سور الغزلان⁴.

وعرف على الجبل أنه كان مركزا لنشاط صناعي مهم متمثل في مصنع الأسلحة والبارود كما به مناجم للرصاص وملح البارود والمدافع، وانتشرت بقبائل فليسة وزواوة

¹ - ناصر الدين سعيدوني، ورفقات جزائرية، المرجع السابق، ص 283.

² - صالح عباد، المرجع السابق، ص 199.

³ - أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر، المرجع السابق، ص 176.

⁴ - نصر الدين عبد الغفور و فارس كعوان، تأثير التضاريس، المرجع السابق، ص 287.

الفصل الثالث : دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرفض القبلي للسلطة ومظاهر العداء

وبني عباس ووادي بجاية وجبال زكار والأطلس، وكذلك تم صنع القذائف والأدوات الفلاحية كالمحراث والفؤوس والمناجل¹، وعرف عن منطقة القبائل صناعة الذخيرة والسيوف والحلي، وهذا إنما يدل على أن هذه القبائل قد وجدت في نفسها حاجة ملحة للدفاع عن نفسها، فالظروف الحياتية ومتطلباتها فرضت عليها ذلك خاصة في الدفاع عن أرضها وممتلكاتها، فصناعة السلاح وحمله مسؤولية كل فرد من القبيلة، ويتواجدهم في الجبال استطاعوا إكتشاف وصناعة السلاح والرصاص والأدوات للمقاومة والدفاع وصد الأخطار الخارجية.

كما أن هذه القبائل التي سكنت بالقرب من الجبال دخلت في صراع وتمرد بسبب الثروة الخشبية المتواجدة في الغابات التي تضمها، فالسلطة حاولت في العديد من المرات إستغلالها لصالحها، إلا أن بعض القبائل كأث جناد حرمت السلطة من الإستفادة منها، وذلك من خلال مراسلة حسين باشا داي الجزائر إلى شيخ قبيلة أث جناد²، وكذلك في كل من قبائل جرجرة وتامقوت و أكفادوا التي تمردت على السلطة، وهو ما استدعى القيام بحملات عسكرية من طرف الأغا يحي للحصول على الثروة الخشبية في أغراض عديدة خاصة في بناء السفن والتأثيث المنزلي وغيرها.³

كما تحكمت في تحديد علاقة التمرد بين السلطة العثمانية والقبائل الجزائرية أن ساكنة الريف أو البداوة ارتبط نمط حياتها بالمناخ والطقس ونوعية التربة، فالعلاقة تشير إلى أنه إذا جادت الطبيعة بأمطارها وتلوجها وحرارتها على الأرض بالخير من حيث المنتج الزراعي الوفير زاد تعلق الفرد القبلي وتمسكه بالأرض، وهو ما يوحى إلى أنه عامل إيجابي.

1 - ارزقي شويتام، المجتمع الجزائري، المرجع السابق، ص 325.

2 - زيددين قاسيمي، قيادة سيباو، المرجع السابق، ص 28.

3 - زيددين قاسيمي، نفسه، ص 116.

الفصل الثالث : دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرفض القبلي للسلطة ومظاهر العداء

أما إذا شحت الطبيعة وتراكمت الكوارث الطبيعية من أوبئة وجفاف تخلى القبلي ببساطة عن أرضه ليقوم بعملية التنقل والترحال إلى مناطق أخرى بحثا عن موارد للعيش له ولقطعانه المتنوعة،¹ فالظروف المناخية المختلفة والتي غلب عليها الطابع الجاف تميزت بالأمطار القليلة أو النادرة والصيف الحار والبرودة الشديدة سواء في الهضاب أو الصحراء،² ونوعية التربة التي عرف عنها بأنها فقيرة وغير خصبة، كالتربة الجبلية التي تواجدت على سفوح الجبال والتربة الطينية والتربة المالحة أو³ الرمال التي غطت الصحراء، فإنها لا تساعد على الزراعة مع وجود مساحة قليلة صالحة للزراعة، وهو ما أدى إلى قلة الإنتاج الزراعي، وبدل ذلك تم الاهتمام بتربية الماشية ونشاط الرعي كل هذه العوامل أدت إلى التأثير على القبائل القاطنة بالجبال أو الهضاب العليا أو الصحراء، فحياة التنقل والترحال صيفا وشتاء طلبا للرزق والبحث عن المراعي رغم السياسات المطبقة من عراقيل وضغوطات تبنتها السلطة، هو في حد ذاته نمط حياتي فرضه الواقع المعيش أو أسلوب حياة يعود بالأساس إلى الاحتياجات اليومية لأفراد القبيلة، وهو ما نلمسه في قبائل جرجرة والأوراس والونشريس وأولاد نايل وغيرها،⁴ لقد أدى هذا النمط المعيشي لصراع بين الطرفين نشأ على شاكلة تمرد تعود حيثياته إلى ظروف طبيعية وجغرافية بالأساس.⁵

المسالك والممرات البرية :

لعبت المسالك والممرات دورا هاما في حركة التمرد ضد السلطة العثمانية، وخاصة بالنسبة لتلك القبائل التي تسكن بعيدا عنها، فالوصول إلى أماكن تواجدها يتطلب وقتا

¹ - Nacereddine saidouni, l'algérois Rural á la fin de l'époque ottomane (1791_ 1838), Dar algharb alislami, Beyrouth, liban, 2001. P 272.

² - اسمهان لعريبي، الحياة الإقتصادية في بايلك الشرق، المرجع السابق، ص 88.

³ - ابتهاج مبروك، الموسوعة السياسية، عوامل قوة الدولة في المجال الدولي بتاريخ 26 أكتوبر 2020،

، ص 28 state strength in the international field political encyclopédie

⁴ - ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص 56.

⁵ - غلاب السيد الجوهري، الجغرافيا التاريخية، المكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1998م، ص 12.

الفصل الثالث : دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرفض القبلي للسلطة ومظاهر العداء

كثيرا وخطرا شديدا، فهي تمتاز بأنها مسالك وعرة وصعبة المرور سواء المتواجدة في المناطق الجبلية، أو الصحراوية أو تلك المتواجدة في النل أو الهضاب، أو التي تمر عبر الوديان من خلال القناطر والجسور، فتبدأ من مركز وتنتهي إلى مركز آخر، وهو مايساعد القبائل والأعراش المتمردة عبر البايلاكات المنتشرة في التخفي والإختباء من قبضة السلطة التجارية،¹ وعند الحديث عن المسالك نركز على البرية منها والمتنوعة بسبب التنوع الجغرافي، فنجد الهضاب والصحراء والجبال والسهل، ولكل قبيلة خاصية طبيعية انفردت بها، فالمسالك الوعرة تعود إلى التضاريس التي غلب عليها الطابع الجبلي من مرتفعات ومنحدرات، وقلة الأراضي المنبسطة، أي شديدة الوعرة والإنحدار في بعض الجهات، وكذا نجد كثرة الملتوية والضيقة والوعرة خاصة في جبال الأوراس والبيبان وعمور وزكار والبابور وغيرها، وهو من شأنه عرقلة وصول الحملات العسكرية لإخماد الثورات والتمردات المنتشرة بين الفينة والأخرى، فلا يمكن الوصول إلى بعض القبائل إلا عبر مسارات معروفة، فيتم إجتياز هذه المسالك مشيا على الأقدام أو فوق ظهور البغال والأحمر والأحصنة .

كما تواجدت بعض القبائل المتمردة على حافة الطرق أي قريبة من المسالك مما سهل عمل السلطة في الوصول إليها، ومعاقبها كعين ماضي وتاجموت بالأغواط وقرية دمد² أو دمت بقبائل أولاد نايل³، وقد واجهت المحلات العسكرية في طريقها لتحصيل الضرائب أو استتباب الأمن بمعاقبة الثوار والمتمردين عدة صعوبات منها ما تعلق بالظروف

¹ - رشيد حفيان، الطرق والقوافل التجارية بين الحواضر المغاربية وأثرها الحضاري في العهد العثماني خلال القرنين (17م/13م) (11هـ/12هـ)، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة قسنطينة، (2013م-2014م)، ص 3

² - قرية دمد أو دمت أو دمك بمسعد حاليا في ولاية الجلفة : وهي قرية تقع في سفح جبل على واد به عيون مائية، وتمتاز بكثرة البساتين والحقول والخضر والفاواكه كما بها طريق عابر للصحراء و للحج والتجارة، وللمزيد أنظر أبو العباس أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي، الرحلة الناصرية (1709م-1710م)، تحقيق وتقديم عبد الحفيظ ملوكي، دارالسويدي للنشر والتوزيع، ج1، ط1، الإمارات العربية المتحدة، 2011م، ص 113.

³ - نفسه، ص 113.

الفصل الثالث : دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرفض القبلي للسلطة ومظاهر العداء

والتقلبات الجوية والمناخية، ففي المسالك المتواجدة بالتخوم الصحراوية كوادي ريغ¹، أوتقرت، أوورقلة² (وارجلان) والزيبان وطولقة وسيدي خالد وبوشقرون وغيرها، حيث عانى الجند من حرارة الشمس الشديدة والمرتفعة، والزوابع الرملية التي تحجب النظر والرياح العاتية، والطرق المجهولة والمساحة الواسعة ذات التضاريس الوعرة، وتميزت منطقة الأغواط بظاهرة الرياح الشديدة، عندما وصفها الناصر الدرعي بأنها كثيرة الرياح والرمل³، وفي الجهات الأخرى عانت المحلات من البرد الشديد شتاء، والأمطار الغزيرة والفيضانات والصقيع والسيول والثلوج الكثيفة، مما أعاق سير رحلتهم، فقد هلك واختفى الكثير منهم، كما تعرضت الجند للفتك بهم من طرف فرسان القبائل المتمردة عند عبورهم لمسالك وعرة مجهولة لهم، إضافة إلى سرقة أغراضهم .

كما نشير إلى الطرق والمسالك التي تمر منها المحلات الثلاثة التي تنطلق من الإيالة لتقديم الدعم اللازم للبايات، ونظرا لإتساع المساحة وشاسعتها، فقد واجهت صعوبات التقل ومقاومة القبائل الراضية للمطالب المخزنية مما أدى إلى الإختلاف في تاريخ عودتها ورجوعها فهناك من يعود بعد 4 أشهر، ومنها من يعود ب6 أشهر⁴.

- فمحلة التيطري تعود بعد ثلاثة أشهر من تاريخ خروجها منطلقا عبر المسلك البري بحوالي 12 مرحلة أو نقطة من عين الربط أي ساحة أول ماي حاليا ثم الأخضرية ووادي يسر ثم سهول عريب، وتمر من سور غزلان ثم البرواقية، ويساعدها في ذلك فرسان قبائل

¹ - وادي ريغ: هي منطقة ضاربة بجذورها في أعماق التاريخ فسميت في كتابات الرحالة والجغرافيين بالزاب الصغير أو أرض ريغ، وكلمة ريغة أو ريغ مرتبطة بأصل سكانها، وللمزيد أنظر مولاي بلحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، المرجع السابق، ص2.

² - ورقلة: تميزت بعدد تسميات فجددها في كتابات الرحالة والجغرافيين باسم وارجلان، وارجلة، واركلا، وارقلا، فقال عنها حسن الوزان "واركلة" وهي مدينة أزلية بناها النوميديون لها صور من الأجر ودور جميلة، وحولها نخل كثير، ويوجد في ضواحيها عدة قصور وعدد لا يحصى من القرى، وللمزيد أنظر حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 136.

³ - أبو العباس أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي، المصدر السابق، ج2، ص ص 132-133.

⁴ - أحمد ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص 442.

الفصل الثالث : دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرفض القبلي للسلطة ومظاهر العداء

المخزن في المسالك الوعرة بالوصول إلى أبعد نقاط ومواقع كقبائل أولاد نايل والأرباع وأولاد مختار المتمردة¹، وهناك من يقول تعود بعد شهرين بسبب قلة الموارد المالية، وقربه من دار السلطان ونقص عدد السكان.²

- وبايلك الشرق الذي يعتبر الأكثر مساحة وسكانا، حيث تبقى المحلة به 6 أشهر وتقطع في طريقها حوالي 14 مرحلة بدءا من وادي الحراش، ثم مناطق العكايشية بني هارون، البويرة بني منصور، البيبان، وسيدي مبارك، وتاشودة، وسطيف، وكارابت، وبئر القارعات، ثم قسنطينة،³ وكما هو معروف أن بايلك الشرق ذو طابع جبلي مما أدى إلى انتشار الثورات ووجود الممرات الوعرة، وهو ما سمح بتأخر عودة المحلات.

- أما بايلك الغرب، فتعود المحلة بعد أربعة أشهر تمر من خلالها على 16 نقطة أو منطقة وتأخذ المسلك الآتي: (بوفاريك، أنشارد، العفرون، عين الدفلى، الباردي، وادي الفضة، السبية، عين الكرمة، الونسي، الهيرة، والسيق، لتصل إلى الزيوخ وثلييات ثم وهران).⁴

ولا حظنا أن بايلك الشرق هو الذي يأخذ وقتا أطول ومسافة أكثر، لأن اقتراب المحلات واستعمالها لأسلوب القوة من طرف الجند في تحصيل الضرائب أو التزود بالماء والطعام من السكان جعلهم يفرون من هذه السياسة المهينة في حقهم إلى الجبال والوديان محملين ببضائعهم وممتلكاتهم عبر مسالك ضيقة ووعرة يعرفونها بحكم تعودهم عليها، وهو ما يصعب من مهمة الجند في البحث عنهم داخل المغارات والكهوف.⁵

¹ - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص ص 35-36.

² - Jean Michel ventre de paradis, Tunis et Alger ,op cit , p 170 .

³ - فهيمة عميرايوي، مظاهر من التنظيم العسكري في الجزائر أثناء الفترة العثمانية ،مؤسسة المحلة أنموذجا، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، مج 5، ع1، جويلية 2019م، ص 64.

⁴ - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص ص 35-36.

⁵ -Diego de Haedo, topographie,op cit, p 79.

الفصل الثالث : دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرفض القبلي للسلطة ومظاهر العدا

إن طول بقاء المحلة مرتبط أساسا بخصوصيات جغرافية فكل بايلك ينفرد بمميزات إضافة إلى اتساع المساحة وصعوبة المسالك، والوضع الأمني من اضطرابات وفوضى مصدرها القبائل الرافضة، والبعد عن مركز الحكم، وكثرة السكان وتعدد القبائل والأعراش المختلفة.¹

ومن الأمثلة عن سير المحلات العسكرية تلك التي توجهت إلى عين ماضي بالأغواط في الجنوب الصحراوي، وهي مهد الطريقة التيجانية، والتي سيرت لإخضاعها وتأديبها بعد خروجها عن طاعة السلطة والقضاء على رؤوس الفتنة، فقد استغرقت فترة طويلة بحكم الموقع البعيد عن الحكم المركزي والمسالك الوعرة في الطريق خاصة إذا مانظرنا إلى أنه ممر رئيسي وطريق مهم للصحراء والمسيطر على أهم المحاور الرئيسية لركب الحجاج والقوافل التجارية²، حيث هاجمها الباي محمد الكبير باي الغرب سنة (1784م/1198هـ) بحملتين واحدة سلمية والأخرى تأديبية سالكا طريقا من معسكر، فبعد ساعات طوال على حسب كاتبه ابن هطال التلمساني³ ثلاث ساعات بقوله: "...ثم أصبح مرتحلا قاصدا عين ماضي في 3 ساعات". وهنا انطلق من معسكر أي عاصمة بايلك الغرب، وعلى ما أعتقد المسافة أبعد من ذلك.⁴

1-Jean Michel, ventre de paradis, OP cit,p170.

2 - ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص 146.

3 - ابن هطال التلمساني: هو أبو العباس الحاج أحمد بن محمد بن علي بن أحمد بن هطال التلمساني كاتب ومستشار ومبعوث للباي محمد الكبير باي بايلك الغرب الجزائري صاحبه في رحلته نحو الجنوب الكبير، واشتغل كاتبا عند الباي عثمان ثم الباي مصطفى بن عبد الله العجمي، ولقي حتفه في معركة فرطاسة الشهيرة بغليزان حاليا 1804م - 1219هـ، وللمزيد انظر ناصر سعيدوني، من التراث التاريخي، المرجع السابق، ص 448، أنظر أيضا سعاد آل الشيخ، المرجع السابق، ص 68.

4 - أحمد بن هطال التلمساني، رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري، المصدر السابق، ص 17.

الفصل الثالث : دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرفض القبلي للسلطة ومظاهر العدا

عبر أحراش ومرتفعات ومنحدرات خطيرة لأن بيئة المنطقة صحراوية صعبة التضاريس وتجدر الإشارة إلى أنه استعان بفرسان قبائل موالية أو كشافة لرصد المسالك والممرات، وقد نجح في مهمته المتمثلة في استخلاص الضرائب والجنوح إلى السلم.¹ وفي عهد باي قسنطينة صالح باي أعلن حملة عسكرية تأديبية على الأغواط إتخذت مسلكا برياً انطلاقاً من عين البيضاء، ثم أفلو ثم تاجموت لإخضاع المناطق المتمردة بالأغواط سالكا عديد الممرات الضيقة والوعرة والمنحدرات في الجبال.²

- كما ساعدت الثائر ابن الأحرش الدرقاوي (1215هـ-1222هـ) (1800م-1807م) بمنطقة الشمال القسنطيني صعوبة المسالك الجبلية، وما تحتويه من منحدرات ومرتفعات في الجهات الممتدة بين القل ووادي الزهور، والتي تسمى بسبعة رؤوس، حيث إتجأ أتباع الدرقاوي إلى المغارات والكهوف والشعاب المهيأة في سفوح الجبال، وكذلك في مناطق ما بين جيجل وسكيكدة ذات المسالك الوعرة، وكذا جبال بجاية.³

- وما حدث مع الثائر ابن الشريف الدرقاوي⁴ (1220هـ-1231هـ) (1805م-1816م) الذي خاض معارك عديدة ضد السلطة مستغلا ضعفها العسكري، والموقع الجغرافي خاصة المسالك والممرات الوعرة في جبال الونشريس وجنوب التيطري،⁵ وكذلك المسالك الصحراوية عندما لجأ إليهم ووصفهم بالأحرار وطلب مبايعتهم له على

1 - ابن سحنون الراشدي، الثغر الجماني، المصدر السابق، ص 147.

2 - أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر، المرجع السابق، ص 137.

3 - ناصر الدين سعيدوني، رقات جزائرية، المرجع السابق، ص 283.

4 - ابن الشريف الدرقاوي : هو عبد القادر بن الشريف من قرية أولاد بالليل نواحي فرندة أي تيارت حاليا تعلم في مسقط رأسه ليلتحق فيما بعد بمعهد الشيخ محي الدين بالقيطنة قرب معسكر ثم سافر إلى المغرب أين إلتحق هناك بمعهد الشيخ العربي بن أحمد البويري يحي الدرقاوي ببني زروال حيث تم إجازته من طرفه ثم عاد إلى مسقط رأسه أولاد بالليل ليؤسس معهدا انتصب فيه للتدريس وتلقين أورد وتعاليم الطريقة الدرقاوية، ومن ثم أصبح مقدا للطريقة فزاد من أتباعه وانتشرت عبر أرجاء البلاد محمد، وللمزيد أنظر محمد ابن سحنون الراشدي، الثغر الجماني، المصدر السابق، ص ص 45-46.

5 - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 84.

الفصل الثالث : دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرفض القبلي للسلطة ومظاهر العداء

الحكم،¹ كما أن المسالك البرية كانت تحت قبضة الثوار المتمردين، وأمن طرف أتباعه سواء تلك المؤدية إلى الجبل أو الصحراء في جهة الغرب الجزائري، كجبال بني شقران والبرجية والضريوة وماسة وحوض الشلف وبلاد أولاد زائر والتافنة وبلاد فليطة، وهو ما دفع بالباي محمد المقلش الذي عين للقضاء على هذه الثورة واستئصالها أن يسلك طريق البحر المؤدي إلى وهران بمعية جنده بدل البر المسيطر عليه من طرف ابن الشريف الدرقاوي.²

المبحث الثاني: مظاهر الرفض والعداء القبلي للسلطة العثمانية أواخر الحكم العثماني .

شهدت الإيالة الجزائرية أواخر الحكم العثماني الكثير من الثورات والتمردات عبر ربوعها ونواحيها لأسباب مختلفة، فهناك التي عرفت انتشارا وامتدادا لجهات أخرى، وهناك من تواجدت في منطقة معينة، وكلها شكلت خطرا حقيقيا على تواجد السلطة وعلى أمنها وإستقرارها وارتأيت في هذا العنصر أن أخصص لكل جهة جغرافية من البلاد الحديث عن ثورة أثرت على المشهد العام، وامتازت بخصوصيات كثيرة عن الثورات الأخرى ومنها :

مظاهر العداء القبلي للسلطة العثمانية :

أ- الثورات الشعبية (تحديد نماذج):

1- ثورة ابن الأحرش الدرقاوي في بايلك الشرق :

تعتبر ثورة ابن الأحرش الدرقاوي (1804م-1807م) (1219هـ-1223هـ) من أكثر الثورات عداء وخطرا على السلطة العثمانية، وزعيمها وقائدها هو الحاج محمد بن عبد

¹ - الأغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ج1، ص 302.

² - مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، المرجع السابق، ج3، ص 255.

الفصل الثالث : دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرفض القبلي للسلطة ومظاهر العداء

الله بن الأحرش المعروف بالبودالي نسبة إلى أبدال الصالحين، ويسمى أيضا بالشريف المغربي أو الفتى المغربي ذو المذهب المالكي والطريقة الدرقاوية.¹

وذاع صيته وشهرته عقب أداءه لركن الحج ثم مشاركته في التصدي للحملة الفرنسية على مصر ربيع (1798م-1213هـ) التي قدم فيها تضحيات كبيرة وشجاعة جعلته يحظى بسمعة وشهرة في المغرب الأقصى و تونس وانجلترا، وهو ما شجع هاته البلدان ابن الأحرش على التمرد والفوضى ضد السلطة العثمانية،² ليحط الرحال بقسنطينة قادما من تونس ثم جيجل ليبدأ عمله الثوري من خلال كسب عقول وقلوب سكان الريف أين حل وارتحل بقصصه وبطولاته وغرائبه وكراماته مدعيا نسبه الشريف وتفضله بالإمامة، وزيادة على ذلك فعل الخير والتخلق بالأخلاق الحسنة كمساعدة الفقراء والمحتاجين والناقمين على السلطة³ الشيء الذي أدى إلى إعجابهم به ومبايعته ونصرته على تأسيس حكومة إسلامية، وما يؤكد هذا الكلام المؤرخ الزياني بأنهم قد نصره وعقدوا له البيعة، وهذه إشارة واضحة على زرع وغرس أفكاره وبدعه المشؤومة والسلبية في عقول ساكنة الأرياف خاصة، وأنه انتهز ظروفهم المعيشية الصعبة من الظلم والقهر الذي تعرضوا له من السلطة،⁴ ثم بدأ بجمع الضرائب والغرامات المرفوقة بأعمال السلب والنهب، ليستقر في وادي الزهور ويتزوج من فتاة اسمها يمينة بنت حوطة رغما عنها، وبهذه التطورات وتداول الأخبار عنه زاد من أتباعه خاصة المرابطين، و نذكر منهم المرابط عبد الله الزيوشي،⁵ فتوسع نفوذه إلى جهات ونواحي أخرى، وكان مركز انطلاقه وانتشار ثورته من قسنطينة لتنتقل إلى جهات مختلفة من الإيالة، حيث شملت الجهات الشرقية والوسطى للبلاد في نواحي بجاية وسط الجبال المجاورة والأحراش الكثيفة بين جيجل وميلة والقل، و جهات

1 - الأغا بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود، المصدر السابق، ج1، ص 300.

2 - عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ، المرجع السابق، ج2، ص 133.

3 - ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، المرجع السابق، ص 282.

4 - محمد بن يوسف الزياني، دليل الحيران وأئيس السهران في أخبار مدينة وهران، المصدر السابق، ص 207.

5 - رشيد مريخي، الجزائر في عهد الداوي مصطفى باشا، المرجع السابق، ص 197.

الفصل الثالث : دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرفض القبلي للسلطة ومظاهر العداء

الجنوب والهضاب أيضا،¹ وقد اتخذت الثورة الشعبية والانتفاضة الفلاحية، كما أطلق عليها البعض من الجانب الطبيعي والتضاريسي خاصة الجبال والوديان مكانا خصبا ومساعدة لأهم العمليات الحربية ومجريات الثورة، وهو ما يذهب إليه المؤرخ سعيديوني بأنه كان السبب في التحريض والتمرد من خلال حثه لسكان القبائل الجبلية خاصة شمال قسنطينة على ذلك.²

وقد استهل الثائر ابن الأحرش الدرقاوي معركته بالاستيلاء على القل ليتوجه إلى قسنطينة سنة 1804م/1219هـ ثم صفيصة أين كثر أتباعه ومؤيدوه، وكان رد فعل السلطة على هذه التطورات الحاصلة في عهد الداوي مصطفى باشا (1798م-1805م) (1213هـ/1220هـ) أن أمر الباي عثمان بن قارة محمد باي الشرق بالقضاء عليه،³ فعمد الباي بالإتفاق مع قادة القبائل ومنحهم هبات كثيرة مقابل التخلي عن ابن الأحرش ومعاداته إلا أنه فشل في ذلك، وهذه تعتبر خطوة سلمية لتفادي سفك الدماء ومحاصرة الثائر للتخلص منه، ومع ذلك غير الباي من خطته بعد تهديد الداوي له، ليجوز حملة عسكرية مكونة من 4000 مقاتل من الجند وفرسان الزواوة و3500 فارس من قبائل دريد وأولاد عبد النور وأولاد عدنان إضافة إلى تدعيمه بأربعة مدافع⁴ وأمام هذا الزحف اضطرت بعض القبائل الداعمة لابن الأحرش على الإستسلام، ونذكر منها قبائل العشائش وبني خطاب وبني قائد،⁵ ليتوجه الباي إلى بني فرقان ثم خناق عليوة التي تم محاصرته فيها من طرف أتباع الدرقاوي، وقتل فيها الباي مع عدد كبير من جنوده في ممر ضيق بوادي الزهور بين جيجل والقل بسبب كثرة الأوحال من الطين بعد أن غمر

¹ - ناصر الدين سعيديوني، ورقات جزائرية، المرجع السابق، ص 265.

² - ناصر الدين سعيديوني، نفسه، ص ص 281-282.

³ - رشيد مريخي، الجزائر في عهد الداوي مصطفى باشا، المرجع السابق، ص 199.

⁴ - وتأتي هذه الحملة بعد تهديد الداوي مصطفى للباي عثمان المتخاذل، أنظر حمدان خوجة، المصدر السابق، ص 131.

⁵ - حنيفي هلايلي، الثورات الشعبية، المرجع السابق، ص 200.

الفصل الثالث : دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرفض القبلي للسلطة ومظاهر العداء

بالمياه، وفر عدد قليل من جنوده، وبقيت جثته مدة خمسة أيام إلى أن دفنها أهل لعرابة من أولاد عواط أما الدرقاوي، فقد غنم الكثير من السلاح والخيول والأموال،¹ وبعد ذلك أمر الداوي القبطان الرايس حميدو بمهاجمة ابن الدرقاوي، فعند وصوله لجيجل طلب من السكان هناك تسليمه له حقنا للدماء إلا أنهم رفضوا ذلك، فقام بقصف المدينة وفشل في القضاء عليه أين فر إلى وجهة مجهولة بالإستعانة ببعض القبائل،² وعلى إثر ذلك أمر الداوي الباوي عبد الله خوجة بن اسماعيل (1804م-1806م) بالتصدي له وبمجرد وصوله استعان الباوي بجيش من أصهاره وقبائل الرعية والمخزن ليتواجه الطرفان في ميلة مما أدى إلى مقتل 75 من أتباع الدرقاوي، فلم يجد وسيلة إلا الهروب بعد تخلي بعض القبائل عنه، ولم يظهر إلا في سنة 1806م-1220هـ في وادي الساحل، حيث أقام هناك علاقات مع المرابط ابن بركات من قبيلة أولاد دراج، فتوافدت عليه العديد من القبائل كأولاد خلوف وأولاد تبان وعباد والمعاضيد، في حين رفضت قبائل أخرى دعمه ومساندته كالمقرانيين ومجانة اللتان حاربتاه إلى جانب السلطة مما أدى إلى تعرضه لهزيمة نكراء في موقعة رابطة.

وتشير بعض الروايات التاريخية إلى ظهوره رفقة ابن الشريف عبد القادر الدرقاوي في جهة غرب الإيالة في معركة جديوية ضمن صفوفه، فهناك من أشار في هذه الفكرة إلى وجود إتفاق بين ابن الأحرش وابن الشريف لتوحيد الثورة أو الجهاد ضد السلطة، ولكن سرعان ما انتهى وحكم عليه بالزوال بسبب النزاع عن من أولى بالقيادة والحكم³، ومن ثم

¹ - اغتتم عبد الله الزيوشي الفرصة، وقام بطعن الباوي عثمان بسيفه، فثله بمعية 500 جندي وثلاثة من نوابه، ينظر أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 116، وللمزيد أنظر ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي، تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين، ط2، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م، ص ص 563-564.

² - وساعد الباوي في حملته ضد ابن الأحرش الحاج علي أغا هذا الأخير كان على رأس جيش كبير، أنظر أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر، المرجع السابق، ص 76.

³ - فاطمة الزهراء طوبال، النخبة الثقافية والسلطة في الجزائر، المرجع السابق، ص 197.

الفصل الثالث : دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرفض القبلي للسلطة ومظاهر العداء

إختفى كليا عن الأنظار لتتخلص الجهة الشرقية من الإضطرابات والأمن والفوضى التي عرفت لها لسنوات طويلة.

كما استخلصنا من هذه الثورة أنها تلقت دعما خارجيا من بايات تونس خاصة حمودة باشا إضافة إلى فرنسا وانجلترا اللذان لعبا دورا كبيرا في التحريض على التمرد والاضطرابات داخل الإيالة بغية إضعاف السلطة¹، وزرع الفتنة والقلق بين السلطة والرعية لإزالة التواجد العثماني بالبلاد، وفيما تعلق بالدعم التونسي أشار المؤرخ محمد بن عبد القادر أن ابن الأحرش عندما نزل بتونس من دعوة أرسلها حمودة باشا هذا الأخير رحب به وأكرمه وأحسن ضيافته، بغرض تحريضه على الفساد والثورة ضد السلطة العثمانية ووعده بالدعم المادي والمعنوي²، وفي هذا الصدد بالذات يشير الزهار إلى أن حمودة باشا باي تونس قد استدعى ابن الأحرش لتونس وهناك قام باغرائه، ودعمه للقيام بالتمرد وأخذ الحكم من خلال قوله: ".... إن رجلا مثلك شجاع يجب أن يذهب إلى ملك الترك بالجزائر وينزعه من أيديهم، ونحن نمذك بما يخصك والعرب يتبعونك لكثرة ماظلمهم الأتراك"³، فأراد الزهار من خلال هذا القول الإشارة بأن المناخ في الجزائر كان مساعدا وخصبا، فأغلب السكان يعيشون تحت وطأة الفقر والظلم والجوع وهو ما من شأنه الوقوف إلى جانبه ودعمه من قبل الرعية المضطهدة، كما أن حمودة باشا معروف عنه حقه وبغضه للجزائر وافتعاله للكثير من الدسائس والمؤامرات من أجل التوسع على حساب الجهة الشرقية للإيالة، وأيضا ما نستشفه في كتابات ناصر الدين سعيدوني الذي أشار إلى الدعم التونسي للثورة الدرقاوية بإستقبال وضيافة الناصر ابن الأحرش ودعوته للتمرد على الحكم⁴، وأكثر من ذلك ماذهب إليه فليس كاروني أن ابن

¹ - فاطمة الزهراء طوبال، المرجع السابق، ص 189.

² - محمد بن عبد القادر، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، شرح وتعليق ممدوح حقي، ج1، منشورات تالة الجزائر، 2007م، ص 150.

³ - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 85.

⁴ - ناصر الدين سعيدوني، ورفات جزائرية، المرجع السابق، ص 285.

الفصل الثالث : دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرفض القبلي للسلطة ومظاهر العداء

الأحرش قد أثار الرعب في الإياليين نظرا للتقدم العسكري واتساع نفوذه في الجهة الشرقية لإيالة الجزائر، وزيادة الموالين له من سكان القبائل والمرابطين، وهذا مبعث قلق للتونسيين الذين تخوفوا من امتداد الثورة إليهم خاصة أن جيشها لا يتعدى ألف جندي وضعيفة عسكريا، وهذا يثبت أن الإيالة التونسية قد وقعت في مأزق من قيام قوة إقليمية معادية لها مستغلة ضعفها والمشاكل التي تتخبط فيها إلى الوصول إليها والسيطرة عليها بعد دعمها ومساندتها في التمرد.¹

أما فيما يتعلق بدعم الإنجليز نجد ما أشار إليه المؤرخ لويس Louis pisse أن النائر عندما عاد من مصر رجع على ظهر سفينة إنجليزية، وقد أمدته بهدايا ومساعدات مادية كما حثته على زرع الفتنة والاضطرابات بالإيالة.²

إن هذه الثورة التي ظهرت في الجهة الشرقية من البلاد، وانتشرت في جهات عديدة من البلاد استطاعت أن تشكل خطراً حقيقياً على السلطة وتهدد وجودها وتعصف باستقرارها فضلا عن انعدام الأمن والإستقرار، كما بينت ضعف وفشل السلطة في التصدي لها، وأعطت نموذجا حقيقيا لثورة مدعومة من الخارج، وكرها من طرف الرعية لنظام الحكم العثماني في المنطقة كما تركت نتائج سلبية مست جميع المجالات الإجتماعية والإقتصادية.

-ثورة ابن الشريف الدرقاوي في بايلك الغرب (1805م-1816م):

تعتبر هذه الثورة من أخطر وأكبر الثورات الشعبية ضد السلطة قادتها الطريقة الدرقاوية، فقد شكلت هاجسا حقيقيا على استمرارية وتواجد السلطة، في وقت عرفت فيه الإيالة وضعا مترديا، وكثرة الإضطرابات والتمردات خاصة في جهة الشرق بقيادة ابن

¹- Felice caronni, précis d'un voyage en Barbarie, près et not par, salvortore Bono, france 2011, pp108,109,113.

²-Louis pisse, téméraire de l'algerie,de Tunisie et de Tanger,hachette ,Paris, 1882 ,p377.

الفصل الثالث : دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرفض القبلي للسلطة ومظاهر العدا

الأحرش الدرقاوي، أما هذه الثورة الدرقاوية،¹ فقد ظهرت في بايلك الغرب بوهران بقيادة الشيخ المرابط محمد بن عبد القادر بن الشريف الساحلي الملقب بالدرقاوي الكاساني الفليتي من إحدى القبائل المرابطية.²

وقد أجمعت أغلب المصادر التاريخية على أنه من قبيلة وادي العبد، وبالضبط من الجهة الغربية أخذ مبادئ العلم والزهد والصلاح عندما درس في زاوية الشيخ مولاي محمد العربي ببني زروال،³ بدأ نشاطه الديني والدعوي بزواية أولاد بليل بضواحي فرنده، كما إدعى الشيخ ابن الشريف أنه المهدي المنتظر وصاحب الكرامات سنة 1808م-1217هـ، مما أدى إلى كثرة المريديه وأتباعه ومناصريه وتعلقهم بتعاليمه وطرق تدريسه.⁴

وبعدها وجد نفسه في مركز قوة قام بتحريض السكان على التمرد والثورة ضد السلطة وأعلن العصيان، وأمام هذه المستجدات في الجهة الغربية تقدم إليه باي وهران مصطفى المنزالي بن عبد الله العجمي أين إلتقا الطرفان بموقعة فرطاسة الشهيرة، وهي قرية تقع جنوب مدينة غليزان وتسمى اليوم وادي الأبطال حاليا بين وادي المينا ووادي العبد يوم 4 جوان 1805م/1220هـ وانتهت هذه المعركة بانتصار الشريف الدرقاوي بعد انضمام بعض القبائل المخزنية من الزمالة والغرابة والدواير إضافة إلى حشد الكثير من أبناء القبائل المتمردة إليه في وادي مينا بالقرب من تاقدامت، وقد نزل الباي بمكان يسمى

1 - صالح عباد، المرجع السابق، ص 202.

2 - فليته : تقع ما بين غليزان وتيارت تضم حوالي 21 بطن أهمها أولاد السويد ويشرف على القبيلة سيدي العربي ، ينظر سميرة طالي معمر، المرجع السابق، ص 99، وأيضا يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا، المرجع السابق، ج1، ص 239.

3 - محمد بن يوسف الزباني، المصدر السابق، ص 208.

4 - عبو ابراهيم، الثورات المحلية في الجزائر خلال العهد العثماني وموقف العلماء منها، مجلة متون العلوم الإجتماعية المجلد 8، العدد 3، ديسمبر 2016م، ص 209.

الفصل الثالث : دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرفض القبلي للسلطة ومظاهر العداء

البطحاء،¹ أما الباي فقد فر إلى معسكر بعد خسارة الكثير من جنوده كما نشير إلى مقتل الكاتب والأديب ابن هطال التلمساني، والروائي الأديب أبو عبد الله السيد محمد الغزلاوي إضافة إلى بعض الأعيان ليفر إلى وهران،² وخذ بعض الشعراء هذه الموقعة كحسين خوجة صاحب "در الأعيان في أخبار وهران، والذي كان مواليا للسلطة، وقد ترك قصيدة يروي فيها أحداث الواقعة قائلا :

فرطاسة يومها ترى الجند به ما بين قتلى وأسرى غيرنا جينا
فالباي جاء بجيش لا نفاذله به يريد لقاء العدو باغينا
فلم يحقق له سعد ولا أمل به جاء صفر الكف باكينا
فالיום لإبن الشريف عز فيه أعلى باي الأعاجم لولا الدين دينا³
كما قال شاعر آخر :

فيوم فرطاسة يوم كبير ذل فيه العزيز وعز الحقير
لقد هيا مصطفى جيشا كبيرا تركا ومخزنا الملك الجدير
فلم تك ساعة وإلا انهزموا من جيش قليل هيا الفقير⁴

وبمجرد وصوله إلى وهران حتى قرر ابن الشريف الهجوم على وهران التي فشل في اقتحامها بعد صمود السكان رفقة الجند لمقاومة الشيخ الدرقاوي، وعلى إثر هذه المعركة

¹ - الباي مصطفى العجمي: هو رابع بايات الغرب الجزائري تولى الحكم على مرتين سنة 1800م وسنة 1805م، تم عزله بسبب فشله في القضاء على الثورة الدرقاوية، ينظر الأغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ج1، ص ص 301 305.

² - صالح عباد، المرجع السابق، ص 204.

³ - محمد بن يوسف الزباني، دليل الحيران وأنيس السهران، المصدر السابق، ص ص 275-276.

⁴ - مسلم ابن عبد القادر، أنيس الغريب والمسافر، تاريخ بايات وهران المتأخر، تح وتق، رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (1394هـ 1974م)، ص 76 أوللمزيد أنظر الأغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ج1، ص 273.

الفصل الثالث : دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرفض القبلي للسلطة ومظاهر العداء

أرسل الداوي أحمد باشا (1805م-1808م) (1221هـ-1224هـ) من الجزائر سفينة محملة بالجنود وعلى رأسها الباي الجديد محمد المقلش بن محمد الكبير (1805م-1808م) (1221هـ-1224هـ) الذي وصل عبر البحر قادما من شرشال إلى وهران،¹ لأن المسالك والممرات البرية في قبضة أتباع ابن الشريف، وهو ما يشكل خطرا عليه، وقد امتاز الباي بالنفوذ القوي والمكانة المرموقة مع المشائخ والأعيان في المنطقة، وعند وصوله قام بتجهيز حملة عسكرية مستعينا بقبائل المخزن مع منحهم مكافأة مالية وإغراءات وامتيازات لمن يأتيه برؤوس أتباع ابن الشريف المتمردين وأمام هذا التطور انسحب ابن الشريف إلى ضفاف وادي السيق² من معسكر متجها إلى الشرق ليصطدم بقبيلة البرجية، فانهمز هزيمة نكراء تم فيها الإستيلاء على ممتلكاته، وقتل الكثير من مناصريه كما تخلوا عنه أنصاره، وتفرقوا منهم نحو مرتفعات الونشريس وترارة وعند أولاد سليمان جنوب التيطري وأولاد ابراهيم وبني عامر جنوب تسالة، أما الشيخ ففر إلى الصحراء جنوبا مع قبيلة الأحرار لتنضم إليه قبيلتي بني عامر ومجاهر اللتان هاجمتا مطامير الحبوب لقبيلة البرجية، وعلى إثر ذلك قام الباي المقلش بالانتصار عليهم والقضاء على تمردهم وقد هزم الشيخ ابن الشريف جيش خليفة الباي ببلاد مجاهر سنة (1219هـ-1804م)، فقام بنهب المحلة ليسيير إلى الغرابية للفتك بهم لكنهم فروا إلى الجبال والشعاب للإحتماء والإختباء³ لينتقل الباي محمد المقلش إلى تلمسان لإخماد الثورة التي وقعت في تلمسان بين سكانها الحضر والكراغلة، وبعد تهدئة الأوضاع وعودة الإستقرار عاد إلى وهران، لمواصلة القتال ضد الثائر ابن الشريف ليلتقي معه في موقعة بني هاشم، فهزمه وقام بمعاقة قبائل بني مجاهر وزوال وبني عامر المؤيدة للشيخ، كما عاقب السكان المتواطئين فكثرت القتل والإعدام في كل من يشك بصلته بالثورة، مما أدى

¹ - حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 130.

² - حنفي هلايلي، الثورات الشعبية في الجزائر أواخر العهد العثماني كرد فعل على سياسة التهميش، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، المجلد 21، العدد 1، السنة 2006م، ص 201.

³ - الأغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ج1، ص 308.

الفصل الثالث : دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرفض القبلي للسلطة ومظاهر العدا

إلى إعدام الباي المقلش من طرف الداوي، كما أن الباي المقلش لجأ إلى مصاهرة الشيخ قدور بن الصحراوي شيخ القبيلة بعدما أوكل العلامة الأخضر المهاجي لهذا الغرض، وهذا الزواج كان بغرض حصار، وقتل ابن الشريف إلا أنه فشل في ذلك مع كثرة وازدياد اتباعه من الرعية والمرابطين الذين بايعوه على الطاعة والولاء رغم حملات الاعداء والقتل في حقهم،¹ ليعين الداوي الحاج علي باشا (1809م-1815م) (1225هـ-1231هـ) الباي محمد بن عثمان الصغير الملقب بوكابوس والرقيق وبالمسلخ (1808م-1813م) (1224هـ-1229هـ) الذي هاجم ابن الشريف، فانسحب نحو قبيلة الأحرار ثم إلى عين ماضي والاعواط إلا أنه لم يجد استقبالا ولا ترحيبا من طرف السكان ليلجأ إلى قبيلة تزارة التي صاهر أحد شيوخها بوترفاس، وفي سنة 1813م-1229هـ هاجم الباي بوكابوس قبيلة ترفاسة التي واجهها في جبل التزارة، ففشل في القضاء عليه واستقر الشيخ في بني سنان ليعدم من طرف الباي بعد فشل سياسته والقضاء على الدرقاوي²، ليعين الداوي الباي قارة علي باغلي الذي جهز حملة عسكرية للقضاء عليه في منطقة بني مراد، فهزمه هناك ولاذ بالفرار إلى وجهة مجهولة بعدما وجد نفسه منفردا في حالة سيئة، فقد تفرق عليه أتباعه نحو كل صوب وحذب متخفين عن أنظار السلطة التي تطاردتهم كما أنه فشل في بلوغ أهدافه وتحقيق مشروعه الذي وعدهم به.³

وما يدل على أن الثورة كانت مدعومة من أطراف خارجية ما تطرقت إليه بعض الكتابات التاريخية مفادها أن السلطان المغربي المولاي سليمان قام بإثارة القلاقل والفوضى ضد السلطة في الإيالة بالجهة الغربية لصالح الثائر ابن الشريف، وهو ما نلمسه في رسالتان من السلطان سليمان إلى الشيخ الدرقاوي، فالأولى مؤرخة في

¹ - محمد بن عثمان المقلش : هو خامس بايات الغرب تم تعيينه بعد الباي مصطفى تولى الحكم في الفترة ما بين (1805م-1808م) للقضاء على ثورة درقاوة، أنظر الأغا المزاري، المصدر السابق، ج1، ص312، و أحمد ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص 48.

² - أحمد ابن سحنون الراشدي، نفسه، ص 48.

³ - محمد بن يوسف الزباني، المصدر السابق، ص 295.

الفصل الثالث : دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرفض القبلي للسلطة ومظاهر العداء

16 جمادى الأولى -1220هـ -1805م مفادها قبول السلطان بيعة عبد القادر الشريف، والرسالة الثانية مؤرخة في شعبان 1220هـ-1805م فحواها عزم السلطان على إرسال حملة عسكرية على تلمسان، وفيها أمر الشريف الدرقاوي بتأجيل هجومه حتى وصول المدد والقُدوم بعساكره إليه،¹ وهناك روايات تاريخية تؤكد الحاجة الملحة من السلطة العثمانية لمساعدة السلطان المغربي، ومد يد العون في إيقاف تمرد الشيخ أثناء حصاره لوهران في عهد الباي محمد المقلش خاصة بعد تهديد الشيخ بالدخول إليها والإستيلاء عليها، وعلى إثر هذا الطلب قام السلطان بإرسال الشيخ أبي عبد الله، وحين وصوله حثه على فك الحصار، فرد عليه بتساؤل على حقوق الفقراء والمحتاجين والمنتسبين وعموم الرعية من ظلم السلطة وتعسفهم وهمجيتها في ظل سياسة مميتة،² وهذه رسالة واضحة من الشيخ للسلطة عن مواصلة تمرده في تحقيق مشروعه مستعينا بالمظلومين والفقراء الذين عانوا كثيرا من تسلط وقسوة الحكام، وأغلق في نفس الوقت باب التفاوض والحوار، ومادام أن الوسيط هو مغربي، فقد شعر الشيخ بأنه في مركز قوة خاصة أنه مدعوم من طرف السلطان المغربي في ثورته، كما لاننسى أن هذا الموقف أعطى له مكانة ووزن وثقل إجتماعي بين السكان، وهو ما زاد من أتباعه ومناصريه الذين توافدوا عليه من كل القبائل، فاكتسب شعبية كبيرة.³

وقد شجعت الثورة الدرقاوية السلطان المغربي مولاي عبد الرحمان على مهاجمة الإيالة بداية القرن التاسع عشر في الجهة الغربية، حيث هاجم فجيح سنة 1805م /1221هـ وقورارة وتوات سنة 1808م/1224هـ في عهد الباي المقلش، كما ساعدته

¹ - حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي، مج 2، الجزآن الثاني والثالث، ط1، السنة 1992م، العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ص 66، وللمزيد أنظر سميرة طالي معمر، القوى المحلية في بايلك الغرب، المرجع السابق، ص 78.

² - محمد شاطو، السلطة العثمانية في الجزائر وعلاقتها بالطرق الصوفية (1792م-1830م)، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع، العدد 3، ديسمبر 2008م، ص 165.

³ - عمار عمورة، المرجع السابق، ج2، ص 134.

الفصل الثالث : دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرفض القبلي للسلطة ومظاهر العداء

على انتزاع أراضي في جنوب الإقليم الشرقي الوهراني التابع لحكم الباي، فهذه الثورة أعتبرت كعامل وظرف إيجابي للمغرب الأقصى لتدخله في الشؤون الداخلية للبلاد واستيلائها على مناطق في الجهة الغربية الحدودية¹.

كما نتج عن هذه الثورة خرابا في المنطقة لما أحدثته زعزعة للأمن والإستقرار واضطرابات عارمة ونتائج سلبية مست جميع الميادين، فكادت أن تعصف بالسلطة العثمانية ووجودها في البلاد.

3- الثورة التيجانية :

تعتبر الثورة التيجانية ذات الطابع الديني نموذجا لأخطر التمردات على السلطة العثمانية في الجنوب الصحراوي الجزائري، فهي نموذج لرفض النظام الإستبدادي ومناهضته².

ظهرت بوادرها الأولى في الجنوب وبالضبط في عين ماضي، والتي هي الزاوية الرئيسية للطريقة التيجانية، وتقع غرب الأغواط التي مهدها ومركزها، وتضم أضرحة أحفاد الشيخ كما بها زوايا ثانوية³، والتي تمتعت بموقع طبيعي متميز يحتوي على تضاريس وعرة متغايرة منحنتها الحصانة والقوة وبيئة صعبة عكست الظروف الحياتية والمعيشة لسكان المنطقة من مناخ قاس وصعب ومسالك وعرة، وهو ماسهل عليها التمرد والعصيان في وجه السلطة⁴، وقد تميزت بإشراف المرابطين والشيوخ والأعيان عليها بحكم

¹ - رقية شارف، الكتابات التاريخية الجزائرية الحديثة، المرجع السابق، ص 37.

² - أحمد التيجاني: ولد سنة 1773م بعين ماضي غرب منطقة الأغواط من أسرة عريقة ومحافظة تعلم العلوم الأولى على يد مشائخ كثر أمثال الشيخ بن حمو التيجاني لينتقل إلى فاس سنة 1758م ثم تلمسان سنة 1768م بغرض طلب العلم حيث إلتقى بعدة مشائخ ونال إجازات علمية مؤسس الطريقة التيجانية المناهضة للسلطة، له ولدان، وتوفي في مدينة فاس سنة 1814م، ينظر بن يوسف التلمساني، المرجع السابق، ص 72 ، أو أنظر عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ج3، ص 265.

³ - بن يوسف التلمساني، الطريقة التيجانية وموقفها من الحكم، المرجع السابق، ص 101.

⁴ - فاطمة الزهراء طوبال، المرجع السابق، ص 192.

الفصل الثالث : دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرفض القبلي للسلطة ومظاهر العداء

أن السلطة غائبة تماما عن المنطقة لبعدها وشساعة مساحتها، ويعتبر مؤسس الطريقة التيجانية الشيخ أحمد بن المختار التيجاني هو الذي وضع أسسها وقواعدها وتعاليمها،¹ وصاحب الفضل في انتشارها عبر المناطق والنواحي داخل الإيالة وخارجها السودان وتونس وغيرها لمدة 18 سنة قضاها بين التنقل والترحال عبر ربوع الصحراء والتل والهضاب، فتوسع نفوذها بفضل التحكم في الطرق التجارية والقوافل العابرة عبر الطريقين الصحراوي والتلي خاصة، وهو مازاد من أتباعه ومناصريه من القبائل المختلفة.²

وأمام هذه التطورات الحاصلة في الجنوب الصحراوي أدركت السلطة العثمانية أنها في خطر حقيقي وجب التصدي له والتعامل بحزم وقسوة، وهو ما لاحظته قبل التطرق إلى رد فعل السلطة عن هذه الثورة أن الإدارة العثمانية لم تتوقف عن إرسال الحملات العسكرية الإنتقامية أو التأديبية وإن كانت هذه الأخيرة قليلة، فكثرتها تدل على حجم خطرها، واستعملت كل الوسائل والأساليب للقضاء عليها مجندة في ذلك القوة العسكرية للبايلكات الثلاثة أواخر الحكم العثماني من نهاية القرن الثامن عشر إلى بداية القرن التاسع عشر معتبرة في نفس الوقت الشيخ وولديه من أكبر الأعداء للسلطة، وتجنبنا التفاوض معهما في حين نجد أن السلطة قد تفاوضت مع بعض المشائخ ومنحتهم الإستقلالية في حكم القبيلة، كما نشير إلى أن العامل الطبيعي والجغرافي ساعد الثورة التيجانية بشكل أساسي في صمودها وقوتها أمام السلطة .

ومن أهم الحملات العسكرية في عهد الشيخ أحمد التيجاني المؤسس نجد :

- حملة محمد بن عثمان الكردي باي الغرب الجزائري (1198هـ-1784م)، والتي انطلقت من معسكر في جيش مكون من 50 خيمة تضم الجنود الانكشاريين، وغيرهم من قبائل المخزن باتجاه الجنوب الجزائري، وفيها غزا البيضاء وأفلو والطويلة والتأويلة أو

¹ - حنيفي هلايلي، الثورات الشعبية، المرجع السابق، ص 202.

² - بن يوسف التلمساني، المرجع السابق، ص 72.

الفصل الثالث : دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرفض القبلي للسلطة ومظاهر العداء

تاويالة ثم عين ماضي وصولا إلى الأغواط أين استطاع الباي إخضاع السكان بالقوة، وفرض ضريبة سنوية عليهم قدرت ب 17 ألف ريال بوجو أي ما يعادل 31,320 فرنك، وأيضا إجبارهم على دفع كمية كبيرة من البرانيس والحياك أما الشيخ أحمد التيجاني، فهرب إلى بوسمغون مع تلامذته ثم إلى فجيح ، ثم إلى فاس بالمغرب الأقصى.¹

- حملة باي الشرق صالح باي سنة (1199هـ-1785م) حيث داهم في إطار حملة عسكرية نحو الجنوب كل من أفلو والطويلة وعين ماضي وتاجموت، ثم الأغواط لرفضهم المطالب المخزنية وعصيانهم للسلطة، فتمكن الباي رغم شساعة المساحة والمناخ الصعب والتضاريس من التوغل وملاحقة المتمردين الذين اختفوا في الجبال والوديان والشعاب والكتبان الرملية.²

- حملة الباي محمد الكبير سنة (1212هـ - 1797م) وصل إلى عين ماضي بعد رحلة طويلة لإجبارها على دفع الضرائب، حيث أقدمت قبائل أولاد يعقوب القبالة على القدوم للباي بإبلهم وخيلهم وماشيتهم إضافة إلى الخيل والأموال،³ وفي طريقه هدد قرية بوسمغون الواقعة جنوب غرب البيض لتواطئها وتحالفها مع الشيخ التيجاني، وفرض عليها ضريبة قدرت ب188 ريال، وسكان منطقة الأغواط دفعوا خمسة آلاف ريال بوجه وأربعون خادما،⁴ إلا أن الشيخ أحمد التيجاني فر إلى فاس بالمغرب الأقصى في 17 ربيع الأول 1213هـ الموافق ل -29-أوت 1798م، وذلك بعد بلوغه خبر قدوم المحلة إليه مع ابنه محمد الكبير منتقلين عبر فيافي الصحراء أين حظيا بإستقبال متميز وحرار

¹ - بن يوسف التلمساني، المرجع السابق، ص 136.

² - أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر، المرجع السابق، ص 163، وللمزيد أنظر أيضا، عبد الغفور نصر الدين و فارس كعوان، تأثير التضاريس، المرجع السابق، ص 286.

³ - ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي، المرجع السابق، ص 485.

⁴ - ناصر الدين سعيدوني، نفسه ، ص 486، وللمزيد أنظر بن يوسف التلمساني، المرجع السابق، ص 73.

الفصل الثالث : دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرض القبلي للسلطة ومظاهر العداء

من طرف السلطان مولاي سليمان الذي أكرمه وقربه إليه،¹ وهناك أنشأ زاوية دينية، واكتفى الباي بمعاقبة من وجددهم وفرض عليهم غرامة سنوية وطارد فلول الفارين، فجنحت منطقة الأغواط إلى الاستسلام للسلطة والاعتراف بها ودفع الضريبة.²

- حملة الباي عثمان بن محمد (1797م-1800هـ)(1212هـ-1214هـ) في عهد الداوي مصطفى باشا (1798م-1805م)(1213هـ-1219هـ) تميز حكمه باتباع القسوة والعنف والظلم ضد الرعية، فأحكامه كانت مجحفة وظالمة، ولم يهتم بشؤون الرعية، حيث توجه بحملة عسكرية على عين ماضي للقضاء على تمرداها ورفضها للمطالب المخزنية، فلم يجد شيخها واكتفى بفرض ضريبة سنوية قدرت ب 170 ألف بوجو.³

وبعد وفاة الشيخ أحمد التيجاني سنة (1798م-1213هـ) في فاس عاد ولداه محمد الكبير ومحمد الصغير إلى عين ماضي بعد رحلة طويلة من البقاع المقدسة في مهمة دينية لأداء مناسك الحج، وأثناء طريق عودتهما من مسلك الصحراء اعترضت قوات باي قسنطينة مسارهما إلا أنهما فشلا في إلقاء القبض عليهما،⁴ وعند وصولها لعين ماضي قاما بإعلان عصيانهما ورفضهما لنظام الحكم، وقاما بتأسيس جيش من قبائل عديدة خاصة من عرب الصحراء، و بعد توافد الكثير من أبناء القبائل خاصة، وما تركه والدهما من صيت ووزن إجتماعي في المنطقة برمتها، وهو ما جعل الولدان يواصلان نهج الوالد في رفض المطالب المخزنية والتمرد على السلطة، ونقول بأن الشيخ أحمد التيجاني قد

¹ - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 120، وللمزيد أنظر يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا، المرجع السابق، ج1 ص 238.

² - الطيب يوسف، المرجع السابق، ص 188.

³ - الأغا بن عودة المزابي، المصدر السابق، ج1، ص 299.

⁴ - محمد الكبير التيجاني: هو الإبن الأكبر ولد بعين ماضي سنة 1796م، انتقل إلى فاس رفقة أبيه قاد الثورة خلفا له ، توفي سنة 1827م في معسكر على يد باي وهران، ينظر أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 159-196، وللمزيد أنظر عبد الباقي مفتاح، أضواء على الشيخ أحمد التيجاني وأتباعه، د ط، الوليد للنشر، الجزائر، دت، ص 158.

الفصل الثالث : دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرفض القبلي للسلطة ومظاهر العداء

ترك أرضية أو مناخ خصب لمواصلة الثورة التمردية من جهة والدعوة الدينية من جهة أخرى، لتبدأ مرحلة أخرى من الصراع التيجاني والسلطة.

- ومن أهم الحملات العسكرية في عهد ابني الشيخ أحمد التيجاني وهما: محمد الكبير (1818م-1827م) (1234هـ-1244هـ) ومحمد الصغير (1827م-1853م) نجد: حملة الباي وهران حسن موسى آخر بايات وهران حكم خلال الفترة ما بين (1818م-1830م) (1232هـ-1246هـ) في حملته الأولى سنة (1820م-1236هـ):

حيث حاصر فيها عين ماضي أثناء حكم الشيخ محمد الكبير التي فشل في اقتحامها نظرا لإستماتة وبسالة السكان وتحصنهم بها والدفاع عنها، والطبيعة الجغرافية الصعبة التي حالت دون دخولها، وهو ما أجبر الباي على قصفها بواسطة المدفعية لأيام عديدة، ولطول الحصار المضروب من الباي لجأ السكان إلى الإستسلام وقبول شروطه التي فرضها عليهم ودفع الغرامات المتأخرة¹.

حملة الباي مصطفى بومرزاق (1819م-1830م) (1235هـ-1246هـ): حيث قادر حملة عسكرية على عين ماضي سنة 1822م (1238هـ)، وفشل في اقتحامها لحصانتهما وهاجم قبائل الأرباع بحجة دعمها وموالاتها للتيجانيين فاننصر عليهم، وألقى القبض على الكثير منهم، واستولى على ممتلكاتهم من ماشية قدرت ب 10 آلاف جمل،² وفي سنة (1826م-1243هـ) أعد الشيخان التيجانيان جيشا قويا بغية الإستيلاء على وهران إلا أنهم فشلوا في ذلك بعدما تعرضوا لهجوم قوي من قبائل زغدو المخزنية، وفي سنة (1827م-1244هـ) أعاد التيجانيون الكرة لمهاجمة وهران لكن هذه المرة كان الجيش أقوى من سابقه حيث ضم إليه قبائل المجاجنة واليعقوبية وأهل الصحراء والتجاجنة،³ ولم

¹ - صالح عباد، المرجع السابق، ص 223 ، وللمزيد أنظر أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا، المرجع السابق، ص 79.

² - صالح عباد، المرجع السابق، ص 223.

³ - بن يوسف التلمساني، المرجع السابق، ص 149.

الفصل الثالث : دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرفض القبلي للسلطة ومظاهر العداء

يتوقف الشيخ محمد الكبير عند هذا الحد بل أرسل إلى قبائل بني عامر وبني شقران والبرجية والغرابة والزماله والدواير وسائر النواحي الشرقية والغربية يدعوهم إلى تقديم الولاء والطاعة له والانضمام إليه في ثورته الهادفة إلا أن قبائل البرجية والغرابة والزماله والدوائر رفضت ذلك باعتبارها مطالب مخزنية، فهي موالية للسلطة وداعمة لها أما قبائل بنو عامر وبنو شقران، فكان موقفهم هو التريث والانتظار لمن ينتصر في هذه المعركة،¹ وهي حيلة اتبعتها القبيلتين أي الوقوف إلى جانب المنتصر واستطاع هذا الجيش بلوغ معسكر يوم الإثنين ونزل على الحومة الغربية وسط النهار أي حومة العرقوب إلا أن سكانها قاوموه بمساعدة بنو شقران في معركة طاحنة قتل فيها الكثير من الطرفين، وفي يوم الأربعاء ارتحل عن موضعه ونزل بخصيبيية على الحومة القبلية التي جنح سكانها إلى طاعته والإمتثال لأوامره بعد تهديده لهم، وفي يوم الخميس استعد بجيشه لقتال الحومتين (العرقوب والمدينة الداخلة)²، وأمام هذه المستجدات الحاصلة قام الباي حسن بن موسى بتجهيز حملة ثانية انطلقت من جهة وهران إلى معسكر سنة (1826-1241هـ) عبر المسلك المؤدي إليها من الكرمة وتليلات وسيق ووادي الحمام واستطاع أن يفرق شمل أتباع محمد الكبير التيجاني الذي بقي معه أقل من 300 مقاتل حيث استطاع الباي أثناء زيارته لمناطق تلمسان وحناية ويسر وماكرة وزفيزف وعواجة من أرض غريس في أن يجند الكثير من أبناء القبائل لصالحه،³ وأن يغير من موقف قبيلة الحشم و هاشم بمعسكر، وبعض الأعراب التي فضلت الإنسحاب والانضمام إلى حملة الباي، والتي تشير الكتابات إلى أنه اشتراهم بدنانير كثيرة، وبعد معركة حامية بمكان يسمى السمار تمكن الجند من القبض عليه في منطقة عواجة بناحية غريس في جهة عين البيضاء

¹ - بن يوسف التلمساني، المرجع السابق، ص 154.

² - الأغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ج1، ص 358.

³ - الأغا بن عودة المزاري، نفسه، ص ص 355-357.

الفصل الثالث : دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرفض القبلي للسلطة ومظاهر العدا

بمعسكر سنة (1243هـ-1827م)،¹ليقوم الباي بقطع رأسه وإرساله إلى العاصمة ناحية الباب الجديد، كما قتل خليفته ابراهيم بن يحيى من اولاد سيدي محمد بن يحيى ذي الفضل الماجد والألاف من أتباعه، وقد قتل من جيش الباي عدد كبير من القادة والجند منهم ولد قدورة البحتاوي وقائد غمرة²، أماعين ماضي فدخلها الباي بعد حصار لمدة شهر كامل، فلجأ الطرفان إلى الصلح بعد تدخل الكاتب محمد ابن الخروبي القلعي وفرض ضريبة على سكانها قدرت ب50 ألف بوجو أو 500ريال، وتم منحه 2000 ريال مقدمة إضافة إلى حصوله على الملابس والممتلكات والأغطية والفراش والصوف والفضة.³

وفي عهد الشيخ محمد الصغير لجأ إلى التحالف مع قبائل الأغواط وجهة الصحراء الشرقية فازداد نفوذه باتجاه الجنوب مع التوارق والسودان بفضل القوافل التجارية العابرة على الصحراء لإفريقيا والتحكم في الممرات والمسالك البرية، وتميزت علاقته بالسلطة وأواخر الحكم العثماني بالهدوء والسلم، فالمنطقة برمتها لم تشهد تصعيدا خطيرا، واستمر الوضع حتى الغزو الفرنسي للجزائر سنة 1830م-1246هـ.⁴

4- ثورة قبيلة فليسة بجبال جرجرة منطقة القبائل أواخر الحكم العثماني:

من أخطر الثورات التمردية التي عرفتها وسط الإيالة، واستمرت لمدة طويلة أواخر الحكم العثماني، وقد قسمناها إلى ثلاثة ثورات، وقبل التطرق إليها إرتأينا أن نتحدث عن ثورة أهل جبل فليسة أو فليسة الزواوة إحدى قبائل جرجرة من حيث الموقع والمكان، فهي تقع في سفح جبل بوزقرة قرب بني عائشة قبلة مدينة الجزائر أي مقاطعة دار السلطان

¹ - يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا، المرجع السابق، ج1، ص 239.

² - غمرة : ينسبون إلى جدهم الأول غمرة البريري عرف عنهم ولاءهم ودعمهم للإسبان، وأفرادها يتوزعون على 30دوارا، واستقروا في الحفرة وراء وهران إلى جانب حميان، وللمزيد أنظر أبو راس الناصري، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، تحقيق وتقديم أ محمد غانم، ج2، المركز الوطني للبحث و الأنتروبولوجيا الإجتماعية والثقافية، وهران الجزائر، 2005م، ص 152.

³ - الأغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ج1، ص 354.

⁴ - صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي، المرجع السابق، ص ص 230-231.

الفصل الثالث : دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرفض القبلي للسلطة ومظاهر العداء

على مسافة تقدر بـ40 كيلومتر من دلس غربا إلى القل شرقا¹ تميزت بموقعها الطبيعي الحصين وتضاريسها الوعرة من جبال ووديان وسهول ومسالك ضيقة صعبة، وهو المانع الأساسي الذي ترك السلطة تعجز عن القضاء على تمردا بتحصنهم واختبائهم هناك في المغارات والكهوف،² وعرف على سكانها عدة خصائص ومميزات أهمها المحافظة على العادات والتقاليد في بيئة غلب عليها الطابع التضاريسي الجبلي والوحدة المشتركة التي تربطهم في عديد المقومات والكرم، وكذا التطلع إلى العيش بحرية وكرامة واستقلالية عن أي تدخل خارجي من النظام أو السلطة ويسكنون في الأكواخ أو البيوت الصغيرة المبنية من الطين والحجارة في وسط الجبال كما يمارسون نشاطا فلاحيا بغرس الأشجار، كالتين والزيتون وزراعة الخضر وتربية الماشية بعدد قليل، ويذكر في هذا الصدد فاليار أن هؤلاء السكان يعيشون بالمناطق الجبلية، ويمارسون نشاطا فلاحيا بالحقول، وما يميزهم أنهم لا يقدمون ضرائب للسلطة سواءا أكانت منتظمة أو غير منتظمة، ويساعدهم في ذلك فرارهم إلى الأحرش والكهوف والوديان بمعية أسرهم وماشيتهم وبمجرد زوال الخطر يعودون لإستئناف عملهم،³ وفعلا امتنع أفرادها عن الإمتثال لأوامر السلطة من مطالب مخزنية أو كلما يشير إلى ولاءها لها، فهم لا يخضعون لا للداي ولا للباي ولا أعوانه، ويأترون من شيوخهم أو أعيانهم أو مرابطيهم الذي يسمعون لهم وينفذون قراراتهم⁴ كما يشير الشريف الزهار إلى ممارستهم لمهنة اللصوصية بقطع الطريق على المسافرين والمارة من خلال الكمائن والتهديد بالقتل لتسليم ممتلكاتهم وأغراضهم، وكان أكثر الضحايا من متيجة لتتقلهم في ممارسة التجارة، وتتم عملية السرقة ليلا،⁵ وهذا العمل يعتبر تهديدا للسلطة والإستقرار في المنطقة من خلال شكواي المظلومين، إلا أن السلطة وبمحاولاتها خاصة

1 - عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ج3، ص 238.

2 - نصر الدين عبد الغفور و فارس كعوان، تأثير التضاريس، المرجع السابق، ص 285

3- c.ph.valliere l'algerie en 1781, op cit, pp10-11 .

4 - سيمون بفايفر، مذكرات جزائرية عشية الإحتلال، المصدر السابق، ص ص 149 - 150.

5 - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 44.

الفصل الثالث : دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرفض القبلي للسلطة ومظاهر العداء

الحملة العسكرية فشلت في التصدي لهم ومحاولة إيقافهم ومنعهم من هذا العمل¹، كما أن هذه القبيلة من خلال ما تطرقنا إليه أنها وجدت نفسها في مركز قوة وتحدي، فاستغلته في فرض وجودها وتوسيع نفوذها خاصة في غياب أو ضعف السلطة للتمرد عليها، ومع مرور الوقت والتغيرات الحاصلة بالإيالة من التقهقر والضعف الذي انتاب الميادين وكثرة الثورات والفساد أصبحت قبيلة فليسة شبه مستقلة بنمطها المعيشي في بيئة خاصة تكيفت مع ظروفها الصعبة، وبعدها عن التأثير المباشر القادم من السلطة المركزية إضافة إلى استعداد قاطنيها والمتمتعين بالروح الإستقلالية للدفاع عن ترابهم وأرضهم وشرفهم وممتلكاتهم، وهو ما يذهب إليه كاتر بارب Quatr Barbès في وصفه لهؤلاء بأنهم الأكثر فخرًا بالحريّة و الإستقلال فضلًا عن دفاعهم المميّز وبسالتهم في التصدي لأي هجوم مهما كان مصدره مفضلين حياة الكرامة على الذل وهذا إيمان مترسخ ومتجذر في نفوسهم.²

شهدت قبيلة فليسة في صراعها ضد السلطة ثلاث ثورات هي:

- ثورة فليسة الأولى سنة (1745م - 1158هـ) : بعد إعلانها للعصيان والتمرد من خلال رفض المطالب المخزنية والقيام بأعمال عدائية هزت الأمن والإستقرار وجلبت الفوضى والإضطرابات سارعت السلطة إلى إرسال حملات عسكرية أهمها:

- قامت قبيلة فليسة سنة (1745م - 1158هـ) بمهاجمة قائد سيباو محمد الفريزا الملقب بالذباح إلا أنه فشل بسبب الدعم الذي وصل لقائد سيباو من طرف الداوي ابراهيم الذي أمده بجيش على رأسه أحمد أغا، هذا الأخير استطاع تشتيت متمرد قبيلة فليسة وإجبارهم على الإنسحاب.¹

¹ - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 45.

² - ناصر الدين سعيدوني، الحياة الريفية، المرجع السابق، ص ص 425-426.

¹ - صليحة جبار، الجزائر في عهد الداوي علي باشا، المرجع السابق، ص 28.

الفصل الثالث : دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرفض القبلي للسلطة ومظاهر العداء

- حملة باي التيطري محمد الذباح سنة (1753م-1166هـ)، وقد اشتهر بالقوة والحنكة والصرامة، فاستطاع أن يشن عديد الحملات على المنطقة وفيها تمكن من إخضاع قبيلة أيت جناد ليتوجه إلى قبائل بني صدقة التي أخضعها، فسارعت إلى دفع الضرائب ثم أغار على قبيلة بني بترون ثم أيت إيراثن لتأديبها إلا أنه قتل من طرف أحد جنوده، وخسر الكثير من الجنود، لتعود الحملة أدرجها إلى تيزي وزو وبرج سيباو.¹

وفي عهد الداوي محمد بن عثمان الذي أرسل الأغا علي بن سليمان للمنطقة، فسارع بالتفاوض معها إلا أنها رفضت وجنحت إلى التمرد حتى وصلت إلى سهل متيجة، وعلى إثر ذلك عمدت السلطة إلى حصارها لفترة طويلة وقطع الزاد وسد المنافذ عنها، كخيار بديل لإقتحامها،² ولربما توقع قائد الحملة خسائر كثيرة في حال وقوع ذلك نظرا لكثرة الشعاب ووعورة المنطقة، وعدم درايتهم بالكمان والأفخاخ في وسط الجبال، وبعد إرغامها لجأت إلى التفاوض معها بقيادة شيخها الحسين بن زعموم، إلا أنها سرعان ما تخلت عن هذه الإتفاقية وماتضمنته لتهاجم برج بوقني سنة (1756م-1169هـ) وتدمره على آخره، وفيه تم قتل قائده سيدي أحمد ثم تهاجم برج حمزة في شهر أوت، لترد السلطة بقيادة الداوي علي باشا بمهاجمة القبائل ففضى على عصيانها بعدما استطاع أن يجهز حملة من دار السلطان بقيادة الشريف أغا وحملة من بايلك التيطري الباوي سفطة.³

- حملة الداوي علي النفسيس المعروف ببوصبع (1167هـ-1179هـ) (1754م-1766م) الذي شن حملة عسكرية على قبيلة فليسة الجبلية مدعوما بتعزيزات عسكرية

¹ - صالح عباد، المرجع السابق، ص 161.

² - زبدین قاسمی، قيادة سيباو، المرجع السابق، ص 107.

³ - برج حمزة: يقع على الطريق الرئيسي بين مدينتي الجزائر وقسنطينة مهمته مراقبة قبائل جرجرة وعشائر عريب وبني سليمان، وحراسة الطريق، والمشاركة في الحملات العسكرية ضد القبائل العاصية، وبه 13 مدفعا، وهو مقر لحامية من الجنود، ينظر ج، أو هابنتسرايت، المصدر السابق، ص 69، وللمزيد أنظر صليحة جبار، المرجع السابق، ص 99.

الفصل الثالث : دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرفض القبلي للسلطة ومظاهر العداء

إضافية من حاميات الوسط والشرق، واستطاع أن يهزمهم في نواحي برج بوغني وبرج حمزة.¹

- حملة الباي أحمد القلي باي الشرق (1756م - 1771هـ) وهو جد الحاج أحمد باي آخر بايات قسنطينة، وقد شن حملة عسكرية على قبيلة فليسة بسبب ماكانت تقوم به من أعمال السلب والنهب وقطع الطريق أمام المارة لكنها باءت بالفشل، وهزم شر هزيمة بسبب صمود سكانها ودفاعهم عن أرضهم وتحصنهم بالجبال داخل الأحرش والمخابئ فضلا عن إتحادهم في ردع أي محتل أو دخيل على المنطقة، وقد توفي الباي أحمد القلي سنة 1772م - 1185هـ).²

ثورة فليسة الثانية سنة (1767م-1180هـ): من أهم الحملات العسكرية نجد :

- حملة الباي أحمد بن علي القلي باي قسنطينة مدعوم بقوات قادمة من مقاطعات الجزائر ووهران والتيطري، وقد تجمعت عند مشارف جبل فليسة من الجهة الشمالية، فقامت بحصارها والتضييق عليها لمدة سنتين،³ ولكنها فشلت في الصمود وفقد الباي الكثير من الجنود وبعض القادة كقائد سيباو الحاج محمد بن حسن الذي يكرهه معظم سكان فليسة، وكذلك الأغا الوغليس وشيخ العرب الحاج بن قانة وأغا العرب الوالي وشيخ بلزمة فرحات بن علي، فلجأت السلطة إلى التفاوض والحوار كحل أخير بعد عجزها في تحقيق الانتصار،⁴ وهناك من يرى أن طريق التفاوض هو حل مؤقت للإستعداد الجيد أو إيجاد وسائل وأساليب لتعميق الخلافات وزرع بذور الفتنة بعديد الامتيازات بين أفراد القبيلة.

¹ - ناصر الدين سعيدوني، تاريخ الجزائر في العهد العثماني وبلية ولايات المغرب، المرجع السابق، ص 71.

² - محمد الصالح العنتري، فريدة منسية، المصدر السابق، ص 68.

³ - نصر الدين عبد الغفور و فارس كعوان، تأثير التضاريس، المرجع السابق، ص 285.

⁴ - صالح عباد، المرجع السابق، ص 166.

الفصل الثالث : دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرفض القبلي للسلطة ومظاهر العداء

ولقد عمت الإضطرابات منطقة القبائل فشهدت مقتل 300 جندي، لتقوم السلطة بتعيين الأغا سي واعلي خوجة الخيل على المنطقة وتعيين أحمد أوسفدي قائدا على منطقة القبائل وتعزيز قواتهم بالكثير من المتطوعين، فاستطاعوا أن يلزموا القبائل المتمردة عند حدهم، وبهذه التغييرات تم وضع حد للمتمردين ولو جزئيا، ثم أرسل الداوي حملة عسكرية من مقاطعات الغرب بقيادة سي واعلي، والتيطري يقودها الباوي من جهة الجنوب، ومن قسنطينة قادها الباوي وبعد احتدام الصراع قتل في المعركة حوالي 1200 شخص.¹

- حملة الباوي سفطة سنة (1772م/1186هـ) على فليسة إلا أنها هي الأخرى منيت بالفشل بعد مقتل عدد كبير من جنوده .

وفي سنة (1799م -1214هـ) تم التوصل إلى إتفاق و صلح بين الجانبين، حيث أمضى محمد بن كانون قائد يسر بصفته ممثلا عن الداوي مع الحاج محمد بن زعموم قائد فليسة تم من خلاله الإعتراف بالسلطة مقابل دفع الضرائب.²

- ثورة فليسة الثالثة أوائل القرن التاسع عشر: ماهو معروف عن قبيلة فليسة أنها سرعان ماتعود إلى حالة التمرد والعصيان، فبعد المفاوضات واصلت القبيلة حربها ضد الباوي محمد بن كانون الذي هزمته عند منطقة خلفون ليفر إلى برج إمانين هناك قام بتنظيم صفوفه وقواته استعدادا لملاقاة فليسة³ التي استطاع إبعاد خطرهما عن برج إمانين، ولجأ الطرفان إلى عقد إتفاق سنة (1816م-1231هـ) بين الحاج محمد بن زعموم قائد فليسة مع مقاطعة دار السلطان كانت نتائجها قبول فليسة بدفع ضريبة قدرت ب500 بوجو وجنوحها للسلم والأمن باعترافها بالسلطة، وفي سنة (1818م-1233هـ) قامت قبائل صدقة وقبيلة قشتولة بمهاجمة الحامية العثمانية ببرج بوغني إلا أن تدخل السلطة

¹ - زيددين قاسيمي، المرجع السابق، ص ص 108-109.

² - صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي، المرجع السابق، ص 166.

³ - زيددين قاسيمي، قيادة سيباو، المرجع السابق، ص 110.

الفصل الثالث : دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرفض القبلي للسلطة ومظاهر العداء

المرابطية منع من تهويد أو تخريب البرج، وفي سنة (1825م - 1241هـ) قام يحي أغا بشن حملة عسكرية من الجزائر مدعومة بقبائل المخزن وقبيلة فليسة فرض سلطته على قبائل عديدة من واقنون وجناد وعلى أيت عيسى ميمون.¹

وعرف على الأغا يحي قائد الجند أنه سعى إلى مهادنة مع قبيلة فليسة وإرضاء أعراش جرجرة بعودة السلم والأمن ونبذ الثورة والتمرد، وهو ما سمح بإعتراف السلطة بقيادة الشيخ بن زعموم على رأس القبيلة، وكذا نفوذها من ناحية بني خلفون إلى ذراع الميزان حتى الغزو الفرنسي للجزائر.²

وما استطعنا أن نلمسه من خلال هذا الصراع الدائر بين الجانبين لفترة طويلة، استعملت فيه جميع الوسائل والأساليب ومن المقاطعات المختلفة، أن السلطة قد جنحت للتفاوض والحوار وهذا يعتبر عند بعض المؤرخين ضعفا وفشلا ذريعا في التصدي لمثل هذا الخطر وعدم التحكم في أمن المنطقة أو إستعادة السلم والأمن، فكل ماتم تسخيره للقضاء عليها باء بالفشل ولم تستطع السلطة أن تجد حلا للموقع الطبيعي الحصين الذي حال دون تحقيق سيطرتها، كما أن التفاوض هو باب يدخل في إطار كسب القبيلة وامتصاص الغضب ضمن مخططات ومشاريع اعتمدها السلطة إلى تحقيق مشروعها المتمثل في التوسع وكسب النفوذ، وهناك من يرى بأن القبيلة هي مصدر الخطر والقوة وأن الظروف خاصة الطبيعية كانت عاملا إيجابيا لها.

ب- دعم قبائل الغرب الجزائري للإحتلال الإسباني:

لجأت بعض القبائل الجزائرية في جهة الغرب الجزائري بوهران إلى دعم ومساندة الإحتلال الإسباني لوهران والمرسى الكبير من خلال التعايش معه والعيش تحت ظله، وأكثر من ذلك الإعتراف بحكمه، ورغم ماشهدته المنطقة برمتها من ظروف وتغيرات

¹ - زيد بن قاسمي، قيادة سيباو، المرجع السابق، ص 111.

² - نور الدين عبد القادر، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر، المرجع السابق، ص 126.

الفصل الثالث : دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرفض القبلي للسلطة ومظاهر العداء

خاصة أواخر الحكم العثماني حيث كان الإحتلال بين مد وجزر أي بين إحتلال وتحرير أو إنقاذ، فكانت هذه القبائل دائما مساندة للإحتلال، وهو مانع عنه بقاء الإسبان لمدة طويلة آخرها سنة (1792م-1207هـ)، وهو التحرير النهائي وطردهم من المنطقة.¹

ومن أهم هذه القبائل نجد :

- قبائل بني عامر²: والتي أطلق عليها اسم القبائل المتعاونة أو المنتصرة التي تتشكل أساسا من (بني شافع، بني يعقوب (الجعافرة)، الدواير، بني عبيد أي الشراقة والغرابية بني حميد أولاد عبد الله³)، وتتمركز في المنطقة الممتدة من تسالة إلى غاية حدود مدينة وهران.⁴

¹ - أبو راس الناصري، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، ج1، تح محمد بوركية، منشورات وزارة الشؤون الدينية، وهران، 2005م، ص 301، أو للمزيد أنظر صالح فركوس، تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الإستقلال، دار هومة، عنابة، 2005م، ص 142.

² - قبيلة بني عامر : تعد هذه القبيلة من أكبر بطون زناتة وتنتسب إلى الجد الأول عامر بن يعقوب بن حميد بن عامر بن زغبة واستقرت في مزعران غربي مستغانم ثم رحلوا إلى سيرات، ليستقروا في المرتفعات بإتجاه الصحراء جنوب تلمسان عرف عنها ولاءها للسلطة العثمانية خلال القرنين 16م و17م إلا أنه في منتصف القرن 18م جنحت إلى التمرد والعصيان بخضوعها للإسبان بسبب الضرائب الثقيلة ومحاباة وتفضيل السلطة لقبيلة بني راشد، ويعتبر شيخ بني عامر عبد الرحمان بن رضوان هو أول من أعلن إنضمامه وولاءه للإسبان، وللمزيد أنظر

Boyer pierre, Historique des Béni Amer d'oarn, des origin au senatus consult "reviue l'occident musulman et de la Méditerranée, n 24 ,1977. p51

و أيضا أنظر صالح فركوس، تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ، المرجع السابق، ص 142.

³ - أولاد عبد الله : من قبائل بني عامر تجمعوا في حوالي 70 دورا يقيمون في الأراضي المحيطة بتمزوغة من سيرات إلى السيق، ويجاورون في ذلك حميان شمالا وأولاد سليمان جنوبا وأراضيهم في تسالة تميزت بالخصبة بالقرب من وادي فيغة بسيرات، كما منحهم الباي أراضي بين عين البيضاء والزيدور بعد طرد الإسبان، وعرف عنهم ولاءهم للإسبان واليهود حيث قدموا الكثير من الخدمات والتسهيلات لهم، وللمزيد أنظر صالح عباد، المرجع السابق، ص 309.

⁴ - أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري، المرجع السابق، ص 296.

الفصل الثالث : دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرفض القبلي للسلطة ومظاهر العداء

وهناك قبائل منضوية تحت حكم الإسبان ومتحالفة معها سميت باسم المغناطيس وهي (قيزة¹، شافع²، حميان³، كرشتل⁴، بني شقران، أولاد عبد الله، أولاد علي، الونازرة)، وهذا الإسم أطلقه المسلمون على السكان المتواجدين بنواحي وهران والمرسى الكبير الذين هم في ولاء وخضوع للإسبان، وهو ما يذهب إليه أحمد توفيق المدني، فاسم مغاطيس مأخوذ من الكلمة الإسبانية (Mogataze)⁵، وفي رواية أخرى هناك من أطلق عليهم اسم المغناطيس، وهو يقصد أفراد قبيلة كرشتل وفرقها الثمانية التي تطرقنا إليها، وعرفت بدعمها ومساندتها للإسبان⁶، ومن خلال هذا السياق صنف عبد القادر المشرفي القبائل الخاضعة والمتحالفة مع الإسبان.

في قبائل جند وقبائل رعية حيث ذكر قبيلتا حميان وشافع التابعتان للأعراب المنتصرة، وبأنهم يشكلون صفوف الجنود التابعين للإسبان، وكذلك قبيلة قيزة التي تقع بالقرب من وهران أما قبائل الرعية، فيشير المشرفي إلى كل من أولاد عبد الله التالي، وأولاد علي

1 - قيزة : يعود نسبها إلى الجد بني عامر بن ابراهيم بن يعقوب بن معروف من بطون بني عامر، وعددهم 13دوارا عرفوا بمعاداتهم للسلطة وتقربهم من الإسبان، وسكنوا التازقة القديمة من جهة عين تيموشنت ليرتحلوا فيما بعد بضواحي تمزوغة وللمزيد أنظر بلبوري سيد أحمد، الإحتلال الإسباني الأول لوهران وانعكاساته الإجتماعية والسياسية و الإقتصادية، شهادة ماجستير، جامعة وهران، السنة 1985م، ص 119.

2 - شافع : قبيلة تقع في الغرب الجزائري اعتبرت من القبائل المتحالفة مع الإسبان، فكانوا الأكثر ولاء فاعتبروا من رعاياها، وبلغ عددهم 20دوارا، وبعد طرد الإسبان من المنطقة خضعوا للسلطة العثمانية، واستقروا بين عين البيضاء والزيدور، وللمزيد أنظر رابح لونييسي وآخرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، ج1، دار المعرفة، الجزائر، 2010م، ص 38.

3 - حميان : يعود نسبهم إلى جدهم حميان بن عقبة بن يزيد بن عيسى بن زغبة الهلالي استقروا بين المعقل وتلمسان، للمزيد أنظر أبو راس الناصري، المصدر السابق، ج1، ص 152.

4 - كرشتل: لقب أفرادها بالمغطسين الموالين للإسبان، و أيضا عرب السلام يقطنون عند مصب نهر الشلف ثم انتقلوا إلى مزغان غربي مستغانم ثم إلى سيرات شمال المحمدية عرفوا بولاءهم للإسبان من خلال ما قدموه من خدمات وامتهنوا الجوسسة، فكانوا بمثابة عملاء للإحتلال، وللمزيد أنظر عبد القادر فكايير، الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية وأثاره (910هـ-1206هـ-1505م-1792م)، دار هومة، الجزائر 2012م، ص 345

5 - أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسباني(1492-1792)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 108.

6 - عبد القادر المشرفي، بهجة الناظر في أخبار الداخلين، المصدر السابق، ص 3_4.

الفصل الثالث : دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرفض القبلي للسلطة ومظاهر العداء

القليل،¹ كما أطلق عليهم الإسبان اسم عرب السلام، وهذا الإسم أطلقوه على مجموعة الجند في المقدمة أثناء المعارك التي جابها الإسبان ضد السلطة losmoros depaz

- وتعود أسباب اختيار هذا النهج والجنوح له إلى عدة أسباب نذكر منها :

- الموقع الجغرافي للقبائل المتعاونة من مراكز الإحتلال الإسباني وهران والمرسى الكبير ووجود أراضيهم ضمن هذا الإطار الجغرافي ورغبتهم في البقاء لممارسة النشاط الزراعي، كما أن هذه المنطقة تضم سهول عديدة، فنجد سهل زيدور من جهة الغرب وسهل هبرة من الجنوب ارتفاعه حوالي 44 متر، وسهل يقع خلف المدينة يبلغ ارتفاعه 80 متر وبه سبخة وهران الكبيرة²، وتحتوي على عديد الأودية كوادي المقطع المتواجد بين مستعانم وأرزيو، ووادي هبرة الذي يصل طوله 240 كيلومتر، ووادي سيق الذي طوله 240 كيلومتر وله اسم آخر هو واد مكرة، وكذلك نجد وادي التافنة الذي يصل طوله إلى 170 كيلومتر، وينبع من جبال تلمسان ووادي يسر طوله حوالي 100 كيلومتر.

- سيطرة الإسبان على سهلي مليّة وسيرات، ويتميز هذان السهلان بالخصوبة والمراعي الخضراء والمناخ المعتدل والتربة الغنية وغزارة الأمطار، وهو ما أجبر هذه القبائل على إتباع نهج الدعم والولاء للإسبان، وذلك لرغبتها في الإستفادة من المراعي الخضراء لقطعانها وممارسة الزراعة بغرس الخضر والفواكه.³

- السياسة السلبية من طرف السلطة العثمانية على هذه القبائل خاصة قبائل بني عامر التي أثقلتها الضرائب، فراحت تنمرد عليها برفض المطالب المخزنية وموالاته

¹ - عبد القادر المشرفي، بهجة الناظر، المصدر السابق، ص 30.

² - أحمد توفيق المدني، جغرافية القطر الجزائري، المرجع السابق، ص 23_24 .

³ - صالح عباد، المرجع السابق، ص 306.

الفصل الثالث : دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرفض القبلي للسلطة ومظاهر العداء

الإسبان، وذلك في عهد الباي مصطفى بوشلاغم (1696م-1737م) - (1108هـ /1150هـ).

- الإستفادة من التعامل التجاري والأنشطة المتنوعة مع الإسبان من الأسواق وغيرها
- رغبة القبائل في الإستفادة من الإمتيازات والصلاحيات والإغراءات المادية، وكذا توفير الحماية والأمن لها من الأخطار والكوارث، والحصول على غنائم حربية جراء المعارك التي تستهدف القبائل الراضية للإسبان أو أثناء حروبها ضد السلطة، خاصة وأن لديهم ضعف الإيمان ونقص الوازع الديني بين أفرادها وعدم تمسكهم بالدين.¹

- أهم مظاهر الولاء للإحتلال الإسباني :

- المشاركة في المعارك وتجنيد الشباب²

- تقديم مساعدات مادية ومعنوية للإسبان أثناء الهجوم على وهران سنة (1732م-1145هـ)³

- قدموا الكثير من المعلومات للإسبان عن عدد الجند والأسلحة والأماكن والممرات البرية ومناطق الضعف للجيش الإنكشاري، فكانوا عيون العدو في نقل وجلب الأخبار وامتهان الجوسسة كقبيلة كريشنتل، وهو ما أشار إليه المشرفي عن قبيلة قيزة التي صارت عند الإسبان مركزا للمعلومات واللصوصية⁴.

- تقديم هذه القبائل لكل ما يحتاجونه الإسبان من المواد والسلع، ونذكر منها العسل والماشية.

¹ - الهاللي حنفي، عملاء وجواسيس الإسبان في بابلك الغرب على ضوء كتاب بهجة الناظر، مجلة فكرية محكمة، ع7، السنة 2005م، ص 146.

² - أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري، المرجع السابق، ص 295.

³ - De Grament(Hd), histoire d'algerie sous la domination, op cit,p 289.

⁴ - عبد القادر المشرفي، بهجة الناظر في أخبار الداخلين، المرجع السابق، ص 37.

الفصل الثالث : دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرفض القبلي للسلطة ومظاهر العداء

- دفع ضرائب وغرامات سنوية مقابل الإستفادة من استغلال الأراضي الصالحة للزراعة كما تتعهد هذه القبائل بتموين المدينة بالمواد الأساسية من خضر وفواكه وحبوب ولحوم.

- مساعدة الإسبان على الخراب والفساد ماتعلق أثناء المعارك أو بعدها¹

وما أشار إليه المشرفي في أن قبائل بني عامر يأتون بأطفال المسلمين إلى الإسبان، فيقومون بجلدهم ثم بيعهم في وهران مقابل أموال، كما تساعد هذه القبائل الإسبان على نشر المسيحية بكل الطرق،² كما كانوا يحرضون على قتل طلبة العلم في المدارس والمساجد والزوايا وممارسة سياسة التضييق عليهم نظرا لدورهم الكبير في محاولة تحرير وهران ومحاربة القبائل المؤيدة للإسبان، وكذا العمل على تدريب أبنائهم وتنصيرهم في خدمة الإحتلال الإسباني وتعزيز عدد جنوده أثناء المعارك،³ ولعل أكبر مثال على ذلك قبيلة أولاد عبد الله التي هي من بطون بني عامر، والتي أطلق عليها عرب دمليون نظير مشاركتهم مع الإسبان في الحروب والمعارك والغارات على الدواوير والقبائل المؤيدة للسلطة العثمانية، ويتلقون أجور مقابل ذلك.⁴

ج-دعم قبائل الشرق الجزائري للإيالة التونسية :

لقد نتج عن السياسة السلبية المتبعة من طرف الإدارة العثمانية أواخر الحكم العثماني وبالضبط في المجال الإقتصادي خاصة ما تعلق بفرض ورفع وتحصيل الضرائب الشرعية وغير الشرعية بعدة طرق استنفارا عاما لدى بعض القبائل الحدودية الشرقية مع الإيالة التونسية كالحنانشة والنمامشة، فقد وجدت نفسها تتخبط في مشاكل وأزمات أثقلت

¹ - محمد بن يوسف الزباني، دليل الحيران وأئيس السهران، المصدر السابق، ص142، أو للمزيد أحمد ابن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، المصدر السابق، ص ص 31_32.

² - عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص ص 13_14.

³ - نفسه، ص26.

⁴ - الأغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ج1، ص 216.

الفصل الثالث : دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرفض القبلي للسلطة ومظاهر العداء

الضرائب والغرامات كاهلها وأثرت على النمط المعيشي والحياتي بصورة عامة، فهي إن لم تسددها فإنها ستصبح في فوهة غضب السلطة من خلال الحملات العسكرية التي عادة ما تنتهي بالسلب والنهب والمصادرة، وهو ما جعلها تدخل في علاقة تمرد ضد السلطة العثمانية بعد أن لجأت إلى الفرار نحو قبائل الإيالة التونسية في الجهة الغربية للتخلص من دفع الضرائب والقيام بالمطالب المخزنية .

وهنا وجب علينا التذكير بأن الحدود لم تكن ثابتة أو معلومة بمعنى مفتوحة بين البلدين،¹ وفيها يمارس سكان البلدين عدة أنشطة خاصة الرعوية والفلاحية والمبادلات التجارية في الأسواق فاستغلت تواجدها عند القبائل التونسية وعلى أراضيها، كقبائل شتاتة وورغة وشارن والفرانشيش وغيرها لتشكيل قوة دعم ومساندة و تحالف لحكام تونس، والمساعدة على دعم الجيش التونسي في القيام باضطرابات وزعزعة للإستقرار والأمن في الجهة الشرقية للبلاد خاصة.²

ومن الأمثلة ما حدث في سنة (1787م-1202هـ)، حيث فرت قبائل من الشرق الجزائري كالحنانشة والناماشة وأولاد سيدي عبيد مثلا باتجاه تونس، فاحتضنتها قبائل وساندتها لكي لا تدفع الضرائب، فأحدثت نزاعات ومشاكل وصراعات عندما اعتبر الباي صالح(1771م-1792م) هذا العمل تحريضا من حمودة باشا، وكاد الوضع أن يتأزم ويتطور إلى حرب بينهما حيث جهز صالح باي جيشا قوامه ستة آلاف مقاتل أما حمودة باشا (1782م-1814م)، فقد جهز جيشا تعداده خمسة آلاف مقاتل وعدد قليل من الفرسان، إلا أن الظروف الداخلية السيئة لتونس وحروبها الخارجية حالت دون وقوع ذلك، فتم قبول التعويضات وتجنب الحرب.³

¹ - صالح عباد، المرجع السابق، ص 229.

² - جون ب وولف، الجزائر وأوربا، المرجع السابق، ص 397.

³ - ناصر الدين سعيدوني، ورفات جزائرية، المرجع السابق، ص ص 244-245.

الفصل الثالث : دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرفض القبلي للسلطة ومظاهر العداء

وفي سنة (1813م-1228هـ) عندما شنت الجزائر حملة عسكرية برية على تونس فوصلت إلى الحدود، فسرعان ما تراجعت بسبب التمردات والثورات في بايلك الغرب أي ثورة درقاوة¹ التي شكلت خطرا على إستقرار السلطة، وقد انتهز الفرصة حمودة باشا للهجوم على الجهة الشرقية قسنطينة بتعاون وتواطئ بمعية بعض شيوخ القبائل والفرنسيين الذين فضلوا دعم الباي التونسي الذي غلب على حكمه التوتر والنزاع حتى وفاته في 15 سبتمبر (1814م-1229هـ)².

وكذلك ماحدث مع قبيلة الحنانشة التي تمردت في عهد الحاج أحمد باي آخر بايات قسنطينة سنة (1827م-1244هـ)، وهددت بدخولها تحت حماية باي تونس وتقديم الولاء والتبعية له ويأتي هذا الموقف بعد قيام الباي المذكور بتعيين الشيخ الرزقي بن منصور على رأس مشيختهم أو الشيخ ابن رسغي في كتابات أخرى³ من تدبير ومؤامرة بينهما، وقام بالتمرد الحاج مبارك من أحرار الحنانشة احتجاجا على سجن الشيخ علي وعائلته المتهم بالخيانة والتحريض على الفوضى والإضطرابات، ومحاولة الانفصال عن السلطة، وكذا الولاء لباي تونس سنة (1826م-1240هـ)، وكل هذا بدون أي دليل قاطع⁴، أو دليل يذكر.

- فيما تعلق بقضية مسانדתه ودعمه للشيخ الزين بن يونس شيخ قبيلة أولاد سيدي يحي بن طالب الذي فر إلى الأراضي التونسية وأعلن انفصاله عن السلطة في الجزائر ومبايعته لباي تونس، وذلك بعد توبيخه وتعنيفه من طرف الداوي على خلفية منعه للشيخ محمد بن عمار الفرجاني من المرور إلى قسنطينة قادمة إليها من تونس، وكان رد فعل

1 - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 134.

2 - محمد الصالح العنترى، فريدة منسية، المصدر السابق، ص 80.

3 - صالح عباد، المرجع السابق، ص 230.

4 - Charles féraud, étude historique sur la province de Constantine, in revue africaine, n18°, 1878, pp 365-366.

و للمزيد أيضا أنظر جميلة معاشي، أسرة أحرار الحنانشة بين بايات قسنطينة وبايات تونس المجلة التاريخية المغاربية، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، العدد 128، ص 161 .

الفصل الثالث : دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرفض القبلي للسلطة ومظاهر العداء

السلطة من هذا الموقف والتحدي والمجاهرة بالعداء للسلطة أن قام الباي بشن حملات عسكرية فيها استولى على غنائم كثيرة من إبل وأغنام، وكذلك قبيلة النمامشة المؤيدة للحنانشة لم تتجوا هي الأخرى من إعلان تمرد لها سنة 1242هـ-1828م¹، ويعتبر ما قام به الحاج أحمد باي في إطار توسيع نفوذه وزيادة قوته وتأكيد سلطته على القبيلة باعتبارها من أقوى القبائل مساحة ونفوذاً في الجهة الحدودية، فأراضيها تتداخل بين حدود البلدين الجارين تونس والجزائر، من تبسة إلى سوق أهراس ثم عنابة ومنها إلى قلعة سنان وجبل مسيد إلى جنوب وادي مجردة وإلى جبل قلالة وسلسلة الزعرورية وجبل تليس وامتدت حتى إلى قبائل في تونس كأولاد بوغانم والفراشيش وغيرها في الغرب التونسي، وعلى أسر تونسية كبنى معمري وأولاد علي وبنى زنداى وأولاد سالم وغيرها² هذا من جهة ويعتبر أيضاً تدخلاً في الشؤون الداخلية للقبيلة وتعيين الشيخ الذي يدير أمورها، بمعنى عدم استشارة أعيانها ومشائخها وهذا من جهة أخرى .

والملاحظ أن حمودة باشا كان دائماً يسعى إلى إثارة المشاكل والفوضى والاضطرابات داخل الإيالة الجزائرية بدعم القبائل الحدودية الناقمة والشخصيات الدينية الثائرة كابن الأحرش، وابن الشريف في محاولة بائسة لاستغلال مشاكلهم وهمومهم ضد السلطة كما أنه يكن حقداً دفيناً للجزائر من خلال البحث عن حجة أو ذريعة لإعلان الحرب وهو في طيات عمله التخلص من التبعية وتسييد الضرائب لها، إلا أن السلطة في الجزائر كانت ترد على ذلك بشن غارات وحملات عسكرية لتأديب بايات تونس، وعدولهم عن فكرة إثارة الفتن والاضطرابات،³ وهو ما يؤكد مبارك الميلي في محاولة بعض بايات تونس

¹ - féraud Charles, les Harar seigneurs des hanencha ,OP cit, p368.

² - أحمدية عميروبي، علاقات بايلك الشرق الجزائري، المرجع السابق، ص ص 25-26.

³ - ألفونس روسو، الحوليات التونسية منذ الفتح العربي حتى إحتلال فرنسا، تعريب محمد عبد الكريم، ط1، منشورات بنغازي، ليبيا، 1992م، ص 256.

الفصل الثالث : دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرفض القبلي للسلطة ومظاهر العداء

استغلال سخط وغضب بعض القبائل الجزائرية على النظام العثماني بسبب تراكم المشاكل والأزمات والفساد الذي نخر جسم المجتمع لإسقاط نظام حكم الدايات.¹

المبحث الثالث :ردود ومواقف السلطة العثمانية .

تباينت واختلفت هذه المواقف والردود من سياسية وإدارية وعسكرية واقتصادية واجتماعية ومن أهم هذه السياسات المتبعة نجد:

الأساليب السياسية والإدارية :

سياسة فرق تسد: وهي سياسة لجأت إليها السلطة لزرع الفتنة والتفرقة، وإحداث الشقاق والنزاع بين أفراد القبيلة الواحدة وفروع القبائل الكبيرة التي صعب على السلطة إدراجها ضمن الموالية لها، بحكم عدة عوامل خاصة العامل الجغرافي والطبيعي الذي حال دون ذلك، وفي هذا الصدد بالذات، وأثناء بحثنا عن ذلك استطاع الحاج أحمد باي قسنطينة من خلال حنكته وشجاعته السياسية والإدارية والحربية أن يوظف هذه السياسة، ويعطي لها وزنا كبيرا في إستراتيجية حكمه لأكثر بايليك على مستوى الإيالة، فقد أشار الباي أن السيطرة على القبائل المتمردة وجعلها موالية وخاضعة ما عليه إلا بغرس البلبلة والتفرقة بينهم، وأكثر من ذلك خلق مشاكل تزيد من معاناتهم وضعفهم،² ونقلهم إلى حالة العجز والضعف، ليسهل القضاء أو التحكم عليهم، ويلمح إلى هذا الإجراء يكون في وضعية الحرب، أما في وضعية السلم فإن تقارب وإتحاد القبائل لا يساعد بتاتا السلطة في بسط سيطرتها، فهذا هو الفشل في حد ذاته فلا بد من تشتيتهم وتفريقهم، وهذا ما من شأنه التحكم والسيطرة عليهم³، كما يشير الحاج أحمد باي في كلامه ان التحكم في هذا

¹ - مبارك بن محمد الهلالي الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، المرجع السابق، ج3، ص 196.

² - Marcel émerite,"mémoire d'ahmed bey Constantine "in R,A, N°93,1949. p88.

³ - مذكرات أحمد باي وحمدان بن عثمان خوجة وبوضربة، ط2، تقديم محمد العربي الزبيري الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م، ص ص 40-41.

الفصل الثالث : دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرفض القبلي للسلطة ومظاهر العداء

النوع من القبائل عليه بزرع الفتن وخلق العداوات بينهم، وهذا ما يمكنه من ضم فرع أو طرف على حساب الآخر،¹ ومن أهم النماذج حول ذلك:

- ما حدث في عهد الباي جعفر سنة (1813م-1229هـ) عندما وقع الصراع بين الشيخ ابن شهرة الداعم للسلطة في قبيلة لرباع، والشيخ سلمان بن أحمد من عشيرة معمرة المعادي للسلطة، فانتهز ابن شهرة في هذه المعركة، إلا أن الشيخ سليمان بن أحمد، وأثناء توجهه للغرب قام بمهاجمة قافلة ابن شهرة في عودتها من الشمال، وكان مدعوماً من مقاتلي قبائل وأعراش أولاد نايل وأولاد خليف وأولاد شايب، وعرف عن هذه القبائل بتمردتها عن السلطة بحكم الموقع البعيد والمساحة الشاسعة وتوفرها على الشعب الوعرة، وبعد هذه الحادثة استنجد الشيخ ابن شهرة بالباي جعفر الذي كان متواجداً في زغوان، فأعاد له قافلته بعد مباغتتهم بمساعدة قبائل موالية وهو ماجعله يستخلص منهم ضرائب دفعها سكان القصر بالأغواط قدرت بـ 10 آلاف بوجو.²

- وما حدث داخل العائلة المقرانية بين صفي الشيخ بوزيد الموالي للسلطة وصف الشيخ بورنان المعادي لها، وهذا الأخير وقفت معه قبائل بني عباس وصالح والزواوة وبني ورتيلان، أما الشيخ بوزيد فيدعمه الباي أحمد القلي (1756م-1771م) (1169هـ-1185هـ)، وهو ما أمكنه من حكم الأسرة المقرانية بمجانة، وانتهاز الفرصة لمهاجمة الشيخ بورنان، وفي وقت سابق كانت قد منحت الحكم إلى قبيلة أولاد ماضي لشيخها العزيز بن قندوز لزرع الفتنة والتفرقة، وهو ما أغضب مقدم الطريقة الشاذلية، وجعله يجمع المقرانيين الذين قاموا بتخريب البرج وولاهم قيادة القبيلة.³

- كما كانت السلطة تستغل النزاعات والخلافات التي تحدث بين الطرفين، فبدل حلها وتسوية الخلاف تلجأ إلى تعميقها وتعقيدها أكثر فأكثر وإطالة عمرها، وتجلى ذلك

¹ - محمد العربي الزبيري، مدخل إلى تاريخ المغرب، المرجع السابق، ص 63.

² - محمد العربي الزبيري، نفسه، ص 212.

³ - نفسه، ص 162.

الفصل الثالث : دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرفض القبلي للسلطة ومظاهر العداء

في النزاع الدائر بين قبيلتي عريب وبني سليمان حول قطعة أرض خصبة واقعة في وادي جنان، يديرة مما أدى إلى اشتعال الثورة بين شيخي القبيلتين، رغم ولاءهما للسلطة، ونتيجة عدم وجود حل يرضي الطرفين من السلطة، قام شيخ عريب رابح بن طالب بمهاجمة الحامية التركية بسور الغزلان، وهو ما عجل بقتله بعد خديعة نفذها الباي في سور الغزلان،¹ ومنه يتضح لنا أن السلطة كان غرضها إلهاء القبيلتين بصراعهما بعيدا عن أفكار التمرد، ومعرفة من يقف إلى صفها ويساندها ممن يثور عليها للقيام بتأديبه وهو ما حدث فعلا، وفي هذا الصدد بالذات ما نلمحه في إطالة عمر المشكلة بين قبيلتي المعاتقة وبنو زمزر بعد محاولة قبيلة المعاتقة الإستيلاء على قرية تيغليب، وهو ما أدى إلى قيام صراع استمر لمدة 7 سنوات.²

- ومن أهم الوثائق الأرشيفية حول ذلك ما نجده في الوثيقة الأرشيفية بالمكتبة الوطنية الجزائرية (المجموعة رقم الملف 3204- رقم 2) التي فحواها أو مضمونها قيام ابراهيم أغا العرب بدعوة قبائل أولاد علي سنة (1828م - 1243هـ) بإرسال عدد من السباهية إلى قبائل أولاد علي لاستخلاص الضرائب، وهو ما أدى إلى غضب الأخيرة ورفضها لذلك، فكان غرض الأغا هو ضرب قبيلة بقبيلة أخرى، في حين كانت القبيلة الأولى تعتبر ذلك امتيازاً وتشريفاً لها.³

- الإستفادة من الصراع والنزاع الدائر على المشيخة والمناصب الإدارية في جهة الصحراء بين عائلات بني جلاب وبوعكاز وابن قانة، وتفضيل أسرة على أخرى، أو الصراع بين القبائل حول الأرض والمرعى والماء، وهو مايسمح لها بالتدخل كطرف حيادي في هذه المشكلة، فتارة تقف كوسيط لنيل ولائهما ودعمها، وتارة تقف إلى جانب

¹ - صالح عباد، المرجع السابق، ص 207.

² - صالح عباد، نفسه، ص 167.

³ - خليفة حماش، كشاف وثنائق تاريخ الجزائر في العهد العثماني بالمكتبتين الوطنيتين الجزائرية والتونسية، دار نوميديا للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012م - 1432هـ، ص 119.

الفصل الثالث : دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرفض القبلي للسلطة ومظاهر العداء

قبيلة ضد أخرى،¹ فتقوم بحمايتها والدفاع عنها، ومنحها أراضي خصبة وغنية، وتسهيل ولوجها إلى السوق وممارسة نشاط الرعي خاصة تلك القبائل التي تقطن الجبال، وهو ما يجعلها موالية ومؤيدة لها وتقوم بخدمات لصالحها.

- وعن هذه السياسة المعتمدة من قبل السلطة أشار الضابط استرهادي بشهادته على وجود تفكك داخلي وانقسامات عميقة في المجتمع القبلي بسبب التنافس الحاد حول المشيخة أو القيادة، فكل طرف يعتقد أنه المناسب، وتقوم السلطة لإعتبارات عديدة بالتدخل لصالح طرف على الآخر والعمل على دعمه وتثبيتته لأغراض تخدمها، أو التحالف معه واستبعاد الطرف الآخر الذي يلجأ إلى التمرد، ويتخذ من الجبل أو الشعاب مثلاً منطلقاً للدفاع عن حقه المشروع في تولي المشيخة، ويستدل استرهادي بأبعاد عائلة عبد المؤمن بعدما ظلت تتمتع بمكانة مرموقة في مقاطعة الشرق، وقد حظيت بوظائف بارزة في الجانب الديني والإداري، وتقريب عائلات نافذة كعائلة الفكون التي تحالفوا معها، فأصبح لها وزن وثقل كبير على مستوى البايك خاصة في المجالين الديني والسياسي،² ومنها يتضح لنا جيداً أن هذه السياسة المطبقة من أنجع وأثمر السياسات التي اعتمدها السلطة في محاربة القبائل المتمردة في جهات البلاد مكنها من إضعافها وتقسيمها وجعلها تصرف النظر عن مهاجمتها، ومد نفوذها لأبعد الحدود، وإلهائها بالصراع على الزعامة وحب القيادة، وكذا تسهيل مهمتها خاصة لجمع الضرائب والغرامات المختلفة، وفرض الأمن والاستقرار ومنطق السلطة بإرجاع هيبتها المفقودة، وما فكرتها هذه خاصة في صنع أسر قوية ذات نفوذ واسع كأسرة ابن قانة في الصحراء واعتلاءها المشيخة إلا دليل على غرس بذور لولائها واستمرار حكمها على حساب

¹ - ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، المرجع السابق، 441.

² - ج.أ.و، هابنسترايت، المصدر السابق، ص 157.

الفصل الثالث : دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرفض القبلي للسلطة ومظاهر العداء

أسرعريقة، كبوعكاز الذواودة والمقراني وغيرها التي دب فيها الصراع والتنافس الداخلي لكسر شوكتها وجعلها ضمن خانة المؤيدين لها.¹

- سياسة التحالف :

انتهجت السلطة هذه السياسة القائمة على إنشاء كتلات وأحلاف محلية تركز على نفوذ وقوة الأسرالعريقة من الجانبين الديني والحربي، كأسرة ابن قانة في الزيبان وأسر الحنانشة والنمامشة والحراكتة في الشرق وابن شهرة في منطقة الأغواط وأسرة أولاد سيدي الشيخ في جنوب بايلك الغرب التي لها وزن وثقل هام في الجنوب ونقطة عبور وملقى للتجارة² وغيرها وبحكم أنها تمتاز بعدد الجوانب الطبيعية والاقتصادية والاجتماعية خاصة الحدودية منها فعمدت السلطة إلى منحها امتيازات وتسهيلات إلى جانب دعمها بحكم المصالح المشتركة والأهداف، فقد منحها أراضي أطلق عليها بالعزل ومن أهمها نجد³:

- **عزل الجبل** : مضمونه منح القبائل ذات النفوذ الواسع أراضي في مناطق القبائل المتمردة مقابل حفظ الأمن، وهو ما لاحظناه في منح أراضي أولاد جبارة المتمردة بجهة قسنطينة لعائلة الفكون الموالية للسلطة⁴.

- **عزل الغريب** : وهي أراضي تمنح لقبائل الرحالة والمنتقلة الغير مستقرة التي لها نمط معيشي وتستفيد من امتيازات كالأعفاء الكلي أو الجزئي من الضرائب مقابل ولاءها للسلطة ووقوفها إلى جانبها في دحر التمرد⁵، فمثلا تم منح أراضي قبيلة ريغة المتمردة في عهد الداوي عمر (1815م-1817م) (1221هـ/1223هـ) إلى قبائل بني مناد وبني مناصر المواليتين، في حين قبيلة ريغة تم إجبارها على التحول إلى بايلك الغرب في جهة

¹ - شهيناز بوحوص، الدور السياسي والاجتماعي والثقافي، المرجع السابق، ص 77.

² - صالح عباد، المرجع السابق، ص 141.

³ - j,N,Robin, OP cit , p24.

⁴ - نصر الدين عبد الغفور، القبيلة والسلطة، المرجع السابق، ص 90.

⁵ نفسه، ص 90.

الفصل الثالث : دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرفض القبلي للسلطة ومظاهر العداء

أرزيو، وعند عودتها تفاجئت بأن أراضيها تمت مصادرتها كإجراء عقابي، وهذه المصادرة ما هي إلا محاولة لإثارة الفوضى والصراع، واستمرار الأحقاد وتعميق الهوة بينهما¹ ضد القبائل المتحالفة سواء في الجبال بمناطق القبائل مثلا أو بإمارات الصحراء، ففي الكثير من المرات ما يكون التمرد انطلاقا من تحالف قبائل كثيرة².

- **سياسة التفاوض:** لجأت إليه السلطة كحل سياسي بعد فشل أسلوب القوة، وعجزها في إيجاد حل للقضاء على بعض القبائل الجبلية المتمردة والمتحصنة، وهذا التفاوض كان من الطرفين، إما بمبادرة من السلطة الذي رأته كحل استثنائي ظرفي، أو من جانب القبائل التي انهزمت كخضوع للسلطة، وذلك بهدف تقييدها بمجموعة من البنود واتقاء شرها، و ذلك من خلال :

- لجوء الأغا علي بن سلمان المبعوث من طرف الداوي محمد بن عثمان للقضاء على ثورة فليسة في عهد الباي سفة سنة (1799م/1215هـ) إلى التفاوض، فبعد أن حاصرها وقطع المدد عنها لمدة طويلة، باءت حملته بالفشل في القضاء عليها لموقعها الطبيعي الحصين وصعوبة المسالك، وقوة المتمردين، وخسارته لعدد كبير من الجنود، وحضر الإتفاق كل من قائد سيباو محمد بن الباي الذباح قائد يسر أحمد بن كنون شاوش أغا والشيخ محمد الحسن بن زعموم وأعيان القبائل، ومن أهم النقاط المتفق عليها :

- الإعتراف بالسلطة العثمانية

- إلزام كل عشيرة من العشائر بدفع ضريبة سنوية إلى قائد سيباو.

- الإعتراف بسلطة الشيخ محمد بن زعموم على رأس القبيلة.

- منع دخول أي جهة تابعة للسلطة إلى الإقليم، وعدم التدخل في الشؤون الداخلية باستثناء بعض القضايا التي تحدث خارج الإقليم من أفراد القبيلة كالسرقة، وكدراسة لما

¹ - شهر زاد رفاف، القبيلة خلال العهد العثماني، المرجع السابق، ص 987.

² - محمد العربي الزبييري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، المرجع السابق، ص 27.

الفصل الثالث : دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرفض القبلي للسلطة ومظاهر العداء

جاء في طيات هذه البنود أن السلطة ضمنت عدم تمردا وولاءها وتحصيلها للضرائب ولو لفترة من الوقت وفي فكرة عدم تدخلها لجأت إلى مراقبتها عن كثب موظفة في ذلك الشيوخ والموالين لها لتقصي الأحوال، وخدمة مصالحها وتسيير شؤونها هذا من جهة السلطة، أما قبيلة فليسة ممثلة عن بقية القبائل، فكان هذا النهج عندها كحل مؤقت يبعد عنها خطر السلطة إلى حين تتغير الظروف والمعطيات لصالحها، فقد عرفت بأنها قبيلة متمردة على حسب الظروف والأوضاع التي تمر بها.¹

- سياسة الإحتواء :

كما عمدت السلطة إلى تحويل بعض القبائل المتمردة إلى قبائل مخزنية، فأصبحت تحت سلطتها أي موالية وداعمة لها، وكغيرها من القبائل المخزنية تم منحها امتيازات وحقوق مقابل خدمة السلطة من عدة جوانب ممثلة في يلي:

- مد السلطة بالمحاربين والفرسان في الحملات العسكرية والمحلات للقضاء على الفوضى والاضطرابات التي تشهدها بعض أنحاء الإيالة .

- مراقبة وتنظيم الطرقات والجسور والأسواق والأبراج للحد من التمردات

- المشاركة في تحصيل الضرائب والغرامات المتأخرة، وفي مقابل ذلك يمكنها:

- الحصول على غنائم المشاركة في هذه الثورات، وكذا استلام الأجور،² ومن أهم النماذج حول ذلك نجد: قبائل نزليوة، وفليسة، وحميان، وعمور، والحشم، وغيرها التي اتخذت طابع التمرد ضد السلطة، فقد استطاع البايات بحكم السياسات المتبعة خاصة أسلوب القوة من القضاء على تمردا وتحويلها إلى مخزنية، فنزليوة تواجدت في منطقة

¹ - زيددين قاسيمي، قيادة سيياو، المرجع السابق، ص 111، أو للمزيد أنظر صالح عباد، المرجع السابق، ص 167.

² - ناصر الدين سعيدوني، وراقات جزائرية، المرجع السابق، ص 215 أو أنظر أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري، المرجع السابق، ص 285.

الفصل الثالث : دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرفض القبلي للسلطة ومظاهر العداء

القبائل بأعالي وادي يسر، وهو موقع معروف بحصانته وتضاريسه الوعرة إلا أن الأغا يحي استطاع القضاء على تمردا وتحويلها إلى قبيلة موالية في خدمة السلطة.¹

- وهو ما يؤكد آرزي شويتام في أن تلك القبائل القاطنة في قمم الجبال والشعاب والأماكن الوعرة والبعيدة لجأت إلى التمرد بحكم العامل الجغرافي بالأساس لتليها عوامل أخرى خاصة الإقتصادية والإجتماعية، قد نجحت السلطة في إحتواء بعضها وتغيير نهجها من التمرد إلى الولاء، وذلك لتنفيذ المطالب المخزنية خاصة ماتعلق بالضرائب ولو رمزية.²

- ما قام به الأغا يحي باحتواء وإسكات أعراش بلاد جرجرة، حيث إتفق معهم بأن تعترف السلطة بقيادة أسرة ابن زعموم لقبيلة فليسة، ومد نفوذه على ناحية بن خلفون إلى ذراع الميزان وإستفادة أسرة أيت أوقاسي من تامدة حتى سيباو الأعلى، أما أسرة ابن كانون امتد نفوذها على كل من يسر وسيباو، وهذا التقسيم في إطار منح مكاسب وامتيازات مقابل ولاءها وتقديم خدمات للسلطة، وكذا الإشراف على شؤونها ومصالحها.³

سياسة توظيف وتجنيد قبائل المخزن: لعبت قبائل المخزن دورا كبيرا في بسط الأمن والهدوء وإستعادة الإستقرار المفقود في بعض المناطق التي شهدت اضطرابات كما ذكرنا انفا،⁴ ويعرف أفراد هذه القبائل بانتمائهم ونسبهم للمنطقة مما ولد لهم الدراية الكاملة بالمواقع والأماكن التي من شأنها الوصول إلى نقطة التمرد أو مراقبة حركات التمرد، فهم

¹ - سعاد أل الشيخ، الأوضاع الإجتماعية والإقتصادية، المرجع السابق، ص 206.

² - آرزي شويتام، المجتمع الجزائري، المرجع السابق، ص 285.

³ - جيمس كانكارت، مذكرات أسير الداوي، المصدر السابق، ص 126.

⁴ - ناصر الدين سعيدوني والمهدي، المرجع السابق، ص 109، أو عبد الغفور فارس كعوان، المرجع السابق، ص 284.

الفصل الثالث : دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرفض القبلي للسلطة ومظاهر العداء

أولى بدراسة جغرافية المنطقة مما يجعلهم يسهلون عمل السلطة، ففعلا كانت همزة وصل بين السلطة والرعية.¹

استجدت السلطة في إطار توسيع قبائل المخزن بتوظيف وتجنيد فرق الصبايحية المنتمين والمنحدرين من العائلات الكبيرة، و فرق الزواوة القادمين من مختلف أنحاء الإيالة، وهم من الأهالي لمساعدة الجيش الإنكشاري في أعماله الحربية، واستخلاص الضرائب،² وكذلك قبائل الزمول التي تم إنشاءها من طرف السلطة أو ما تسمى مصطنعة لمساندة الجيش في مهامه العسكرية لإجتناب التمرد من منابعه،³ إضافة إلى قبائل الدواوير الزمالة وأولاد خليف والزواتة والعبيد وغيرهم، والملاحظ هو إختلاف في الأسماء إلا أن أهدافها مشتركة وأدوارها واحدة سواء ما تعلق منها بالعسكرية أو الإدارية كما أشرنا سابقا،⁴ وقد وصل عدد القوات المحاربة المخزنية إلى 30000 فرد منهم 15000 فارس، ومن أهم النماذج حول ذلك نجد⁵:

- ما قام به الباي ابراهيم (1814م-1816م) (1229هـ/1232هـ) في حملاته العسكرية ببايلك التيطري، حيث استعان بقبائل أولاد مختار الذين أمدوه بمعلومات دقيقة عن أماكن وتحركات قبائل أولاد نايل التي غلب على طابعها عدم الإستقرار بممارسة التنقل والترحال بحثا عن الزاد والماء في إطار نمط حياتي خاص بها عبر المساحات الواسعة كما أشرنا إليه سلفا وقبيلة أولاد مختار موالية للسلطة مخزنية مهمتها الأساسية المراقبة والتجسس، وعلى إثر هذه المعلومات انتقل الباي في رحلة طويلة من المدينة إلى

¹ - emerit (M),les tribus privilégiés in Algérie, depuis la première moitié du xix siècle in annales économiques sociétés, civilisation,N°1,1996 p44-45.

² - ناصر الدين سعيدوني، ورفات جزائرية، المرجع السابق، ص208 ، أو للمزيد أنظر صالح عباد، المرجع السابق، صص316-318.

³ - جميلة معاشي، الأسر المحلية، المرجع السابق، ص 152.

⁴ - ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص109 أو أنظر: رشيد مريخي، الجزائر في عهد الداوي مصطفى باشا، المرجع السابق، ص 23 .

⁵ - صالح عباد، المرجع السابق، ص 314.

الفصل الثالث : دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرفض القبلي للسلطة ومظاهر العداء

البروقية، ثم إلى أم العظم ثم عين وسارة ثم مجدل ببوسعادة أين هناك تم العثور عليهم ليفروا إلى بطن دروة.¹

كما هاجم قبيلة أولاد مختار الشراقة سنة (1826م-1241هـ) الواقعة في قصر ابن عزوز غرب أفلو بمنطقة الأغواط التي استعان فيها بقبائل موالية لينتصر فيها، ويحصل غنائم كثيرة منها 5000 رأس جمل و 4000 رأس خروف، ولم يتوقف عند هذا الحد بل قام بتعيين الشيخ دهيليس بن أحمد على رأس القبيلة.²

وقد قسم باي الغرب المقلج بن محمد الكبير في قمعه لثورة درقاوة جيشه إلى ثلاثة أقسام جناحين وقلب، فالجناح الأيمن ضم كل من أعيان الزمالة وأتباعها والحشم في مقابلة بني عامر المعادية والمعروفة بولائها للإسبان، أما الجناح الأيسر فقد احتوى على كل من خليفة الباي والجند وأفراد قبيلة البرجية، أما في الوسط أي القلب فقد شمل الباي وأعيان الدوائر بأتباعها وعناصرها، وجمع من الجند وأصحاب المدافع في معركة حامية الوطيس انتصر فيها الباي.³

- كما نذكر الدور الذي قدمته قبيلة الحشم بغريس سهل معسكر لباي الغرب حسن بوهزان في حربه ضد محمد الكبير ابن أحمد التيجاني، هذا الأخير تعرض للخيانة والخديعة من بعض القبائل خاصة من الحشم التي عاهدته بالوقوف إلى جانبه في ساحة المعركة بتجاجة،⁴ فبقي مع حوالي 300 من أعراب زاكور، وتقول الروايات أن سبب التراجع عن الوعد المقطوع له أن الباي وزع أموالا وهدايا على أعيان الحشم وبعض الأعراب، ليحتدم الصراع بين الطرفين، ورغم أن الباي خسر عدد كبير من جيشه إلا أنه انتصر واستطاع قتل الشيخ محمد الكبير ونائبه الشيخ ابراهيم بن يحيى من اولاد سيدي

1 - صالح عباد، المرجع السابق، ص 222.

2 - صالح عباد، نفسه، ص 223.

3 - ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي، المرجع السابق، ص 507.

4 - الأغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ج1، ص 360.

الفصل الثالث : دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرفض القبلي للسلطة ومظاهر العداء

محمد بن يحيى وقطع رؤوسهم،¹ ليواصل حملته حيث قام بتجهيز جيش كبير ليهاجم زاوية الشيخ بلقندوز القداري التيجاني سنة (1829م-1245هـ)، ليضع حدا لتمرّد الحركة التيجانية.

وما يدل على اعتماد السلطة على قبائل المخزن وتوظيفها في إحكام سيطرتها عليها ما يؤكدّه الراشدي في قوله: "أن دولة الأتراك ألقت ببلاد المغرب الأوسط كلها... فدوخوا عصاتها ودانت لهم أهلها، فانقطعت عروق الفتن وذهبت مواد الشقاق، ولم يبق بها صائل غيرهم"².

الاعتماد على الشيوخ والمرابطين :

استجذبت السلطة العثمانية على غرار ما سبق الإشارة إليه من قبائل المخزن وأتباعها في وضع حد للحركات التمردية التي شنتها القبائل الجبلية والصحراوية والحدودية التي اتخذت من العامل الجغرافي غطاءً رئيسياً ومظهراً محفزاً للتمرّد وشن هجمات على السلطة، ومع ذلك أثبتت عجزها في تحقيق أهدافها والنيل من هذه القبائل، فكان لزاماً الإتصال بالشيوخ والأعيان والمرابطين ورجال الزوايا لأنهم يمثلون قوة نفوذ وسلطة حقيقية على مستوى مناطقهم، إضافة إلى ما يحظون به من سمعة وشهرة وصيت واحترام ورهبة من أفراد القبائل وبين الرأي العام كما عرف عنهم النفوذ الديني والكفاءة الحربية والأصالة العريقة،³ ومع مرور الوقت استطاع هؤلاء أن يصبحوا قوة فعالة وركيزة أساسية يتم الإعتماد عليها في صنع القرار وتنفيذه، والقيام بأدوار السلطة ومهامها في حالة غيابها أي تعويضه،¹ وهو ما سمح بإنشاء علاقة تحالفية بين الطرفين مفادها خدمة

¹ - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 196 أو أنظر الأغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ج1، ص 363.

² - أحمد بن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، المصدر السابق، ص ص 147-148.

³ - حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص64.

¹ - فاطمة الزهراء طوبال، النخبة الثقافية والسلطة، المرجع السابق، ص ص 31-32.

الفصل الثالث : دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرفض القبلي للسلطة ومظاهر العدا

المصالح والتوافق بين الطرفين، خاصة أنه في أواخر الحكم العثماني وجدنا ظهور بارز لبعض الحكام لهم ميول جاد في الاهتمام بكل ما يمثل الطابع الديني، فقد قاموا بتقريب رجال الدين والعلماء إلى صفهم وتشجيع الحركة العلمية والدينية وبناء المؤسسات الدينية كصالح باي، ومحمد بكداش، ومحمد باي الكبير الذي كان محبا للعلماء والصالحين¹، ولأن السلطة أغراضها وأهدافها عديدة، فعلى غرار بقاءها مدة أطول في الإيالة، ومد نفوذها والتحكم في المجتمع كان الشغل الشاغل من جانبها هو وضع حد لتلك الحركات التمردية خاصة، وأن الجانب الديني لعب فيها دورا كبيرا بالعمل على إثارتها وانتشارها بين أفراد القبائل، ومن أهم هذه النماذج ما نجده في :

- اعتماد الدايات على سلطة وقوة ونفوذ المرابطين في إخضاع القبائل من خلال دعم ومساندة المحلات أثناء مرورها على المسالك البرية الصعبة² في المناطق الجبلية كحصن بجاية في منطقة القبائل وبفليسة والأوراس وجرجرة، وهو مايسمح بضمان أمنها وحمايتها وعبورها³، وكذلك ما فعله مرابطي زاوية بلعباس في تأمين طريق الحامية ببسكرة إقليم الزاب عبر مضائق عبدي من فلول اللصوص والقبائل العاصية⁴، ووقوف المرابطين في منطقة القبائل ومنعهم من مهاجمة الحامية و تدمير البرج سنة (1825م-1240هـ) على أيدي قبائل صدقة وقشتولة، وما حدث لقبائل موزاية من الجهة الغربية، فبعد فشل السلطة في إخماد تمردها والقضاء عليها قامت بالاستعانة بمرابط القليعة سيدي محي الدين بن سيدي علي مبارك بإقناع السكان والتخلي عن فكرة التمرد والجنوح إلى السلم، ودفع الضريبة¹، كما لجأت السلطة إلى الإستعانة بهم في تحصيل الضرائب من طرف

¹ - الأغا بن عودة المازاري، المصدر السابق، ج1، ص 290.

² - حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 64.

³ - زيد بن قاسمي، قيادة سيباو تاريخ منطقة القبائل، المرجع السابق، ص 114، أو أنظر حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 74.

⁴ - ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، المرجع السابق، ص 431.

¹ - صالح عباد، المرجع السابق، ص 202.

الفصل الثالث : دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرفض القبلي للسلطة ومظاهر العدا

هذه القبائل، وهو ما قام به شيوخ أت قاسي من معظم قبائل سيباو العليا في فكرة مفادها، وهدفها تجنب الاحتكاك معهم وإبعاد نفسها وتجنب الثورات والتمردات مع الإكتفاء بتكليف الشيوخ والمرابطين بتولي هذه المهام في إطار سياسة داخلية محلية،¹ وللاشارة فإن بعض الدايات هم الذين يعينون المرابط بمرسوم سنة 1755م -1168هـ² وما قام به الداى حسين آخر دايات الجزائر في القضاء على الحركات التمردية بالإستجداد بشيوخ القبائل الذين قربهم إليه وأحسن إليهم في حل العديد من النزاعات والإضطرابات دون اللجوء إلى وساطة الباى، وعلى إثر ذلك قام بتحويل عديد القبائل من التمرد إلى الطاعة والولاء.³

كما تلقى الشيخ الورتيلاني الدعم والمساندة من قبل باى الشرق أحمد الفلي بعد شكوى وصلته تتمثل في انعدام الأمن والسلم في منطقته وكثرة اللصوص وقطاع الطرق وتصرفاتهم السلبية لعابري الطريق ومضايقتهم وسلب ممتلكاتهم، ومن الأعرش المتمردة والثائرة على السلطة، وعلى إثر ذلك قام الباى بتزويده بالمحلة العسكرية، وفي هذا قال الشيخ الورتيلاني: ".... وقد أعانني منهم المجاهد في سبيل الله القامع للمتمردين بن سيدي أحمد.... وأعطى أمر المحلة في يدي... وأحرقت أولاد الحلف وقرية سر سكانها وبني عشاش... وأمرت الخليفة أن يأخذ منهم مائة وسبعين إلى أن يتوبوا لله ورسوله...."⁴، ونستشف من هذا الكلام على مدى العلاقة القوية والإيجابية والمترابطة بين الشيوخ ورجال السلطة أي الحكام في استتباب الأمن والسلم بالقضاء على كل أشكال الفوضى واللامن، وإلى المكانة الراقية والسامية التي يتحلى بها الشيخ الورتيلاني لدى الباى المذكور الذي لم يتوان في دعمه، ومدى تعلقه بالشريعة الإسلامية وأحكامها في معاقبة المتمردين والإعفاء عنهم، كما كلف الباى الشيخ الورتيلاني بمساعدة الجند في جباية الضرائب (العشور) من القبائل القريبة منه.

1 - زيدى قاسمي، قيادة سيباو، المرجع السابق، ص 126.

2 - حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 64.

3-De grammont, Histoire d'Alger sous la domination, op cit, pp383-384.

4 - الحسن بن محمد الورتيلاني، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، المصدر السابق، ص 101.

الأساليب العسكرية (سياسة القوة) :

قامت السلطة بإرسال عديد الحملات العسكرية من طرف البايات والمدعومة سلفا بالقبائل والعشائر الموالية، وهو ما يؤكد ابن هطال في أنه قد أعد العدة الكافية من جمعه للجنود وتحضيره لهم بالإضافة إلى السلاح بغية الهجوم، وتأديب هذه القبائل،¹ وهنا يتحدث عن الرحلة الكبرى نحو الجنوب الصحراوي من طرف الباي محمد الكبير باتجاه الأغواط لإخضاع القبائل العاصية، فقد وصفت بالتأديبية والانتقامية همها الوحيد في أغلب الكتابات والدراسات إخضاع القبائل واستخلاص الضرائب، وهذا ما جعلنا نوضح أكثر، فعند الحديث عن الحملات الانتقامية، نرى بأنها كانت قاسية ومتسلطة، حيث بعد حصار وتضييق تنتهي بالمصادرة والسلب والنهب للممتلكات،² وأكثر من ذلك بالقتل حيث لا يتوانى البايات مع الجند في قطع الرؤوس أي إعدام مباشر دون محاكمة والتشهير بها،³ وأخذ البقية من النساء والأطفال أسرى وكذلك قطع الأشجار، وحرق كل ما هو أخضر من محاصيل زراعية، وتهديم الخيام والبيوت وإجبار سكانها على العيش في أماكن جرداء قاحلة من وديان وشعاب، وكذلك ما لاحظناه مصادرة قطعان الماشية من ثروة حيوانية قدرت بالألاف⁴، كما يلجأ البايات إلى فرض ضرائب ثقيلة مضاعفة تفوق طاقتهم الإنتاجية والمعيشية، كما تركت هذه الحملات الانتقامية أثارا نفسية من قلق و خوف ورعب فسكان القبائل عانوا ويلات الغارات المفاجئة، وتركتهم في وضع معيشي صعب، وهو ما رأيناه في الحملات السابقة الذكر، ومن أهم الحملات نجد :

حملات الباي صالح (1771م-1792م) (1185هـ/1206هـ) على القبائل الراضية

للسلطة، حيث أخضع قبائل الزمول وأولاد عاشور وأولاد نايل، وفرض ضرائب على

1 - أحمد ابن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص ص 36-37.

2 - شارل وليام، المصدر السابق، ص 109.

3- Ernest Mercier, histoire de Constantine, éd. marle, set f. Biron imprimeurs éditeurs Constantine, 1903. p273.

4 - محمد خير فارس، المرجع السابق، ص 107.

الفصل الثالث : دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرض القبلي للسلطة ومظاهر العداء

واحاح طوّلقة وبوشقرون بالزعاطشة سنة 1785م/1199هـ،¹ ومد نفوذّه باآجاه الزيبان ووادي ريغ ومناطق الأغواط (افلو-آاجمولآ)،² وجبل عمور والسحاري ووصل إلى إمارآي بني جلاب وآقرآ في إقليم وادي ريغ،³ فآوسعت السلطة بذلك نحو الصحراء جنوباً⁴ حملة الباي سفاة سنة 1815م/1231هـ على إمارآ الصحراء آاصة إقليم وادي ريغ المآميز بالموقع البعيد، آيآ دمر المنطقة، وفرض عليها ضريبة سنوية مقدره بـ 1000 ريال بسيطاس، كما قطع آلاف أشجار النخيل وصادر العديد من المآلكآ.⁵

وما آم ملاحظآه من آلال ما سبق أن إعاآما البايات على أسلوب القوة والقمع كان في إعاآدهم أنه الحل الأمآل والأنسب للبقاء في السلطة واستمرارية الحكم، وكذا آخويف وآرهيب السكان للعدول عن مآل هذه الآورات هذا من آهة، ومن آهة أخرى أن بعض الآورات اسآدعت حملآ عسكارية من المقاطعات الأآرى كثورة عين ماضي وأولاد نايل أو باآآراكها كلها لآحر الآمرد، وهناك آورات اسآدعت انآظار وصول الامدادآ من مقاطعة دار السلطان كثورة ابن الأآرش الدرقاوي، وآورة درقاوة .

الحملآ الآديبية :

هي آلك الحملآ الآي آآآهي بنتائج وآآار أقل من سابقآها الإنآقامية، فآالبا ما آكون في إطار الآهيد والوعيد، وإرسال الرسائل الآذيرية، ودعوة القبائل العاصية إلى الجنوح للسلم والأمن وطاعة السلطة والإسآجابة للمطالب آاصة ما آعلق بدفع الضرائب، فهذه آعآبر سياسة سلمية لآآنب إراقة الدماء وآذب السكان إلى صفها، ومن أهم النماذج آول ذلك نآد:

¹ - محمد الصالآ العنآري، آاريخ قسنآينة، المرجع السابق، ص 77.

² - بن يوسف الآلمساني، الطريقة الآيجانية، المرجع السابق، ص 136.

³ - ناصر الدين سعيدوني، آاريخ الآزائر ويليّه ولايات المغرب العآمانية، المرجع السابق، ص 73.

⁴ - أحمد آوفيق المآني، المرجع السابق، ص 164.

⁵ - نور الدين شعباني، علاقة السلطة العآمانية بإمارآ الصحراء الكبرى، المآلة الآاريخية الآزائرية، المآل 4، العدد 2، 2020م، ص 94.

الفصل الثالث : دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرفض القبلي للسلطة ومظاهر العداء

- ومن الرسائل ما كتبه ابراهيم أغا إلى قبيلة أولاد علي وأهم ما جاء فيها : "...اعلموا فإن بعثنا لكم خدامنا الصبايحية لأجل الخلاص وننظر في أمركم..."، وهذا أسلوب سلمي ممنهج فيه دعوة صريحة لأفراد القبيلة في اختيار أمرين، وهما: الطاعة وتقديم الولاء للسلطة، ودفع ما يتوجب عليكم من ضرائب وهذا الأنسب، أو تحمل المسؤولية في حالة رفضكم وتعنتكم، وهذا الأسوأ لما فيها من آثار سلبية لاستعمال القوة، ويواصل قوله : "...وهذا آخر كتاب بيننا وبينكم"، وهذه عبارة أراد بها تهديد قطعي وفصلي في حالة الرفض.¹

- فأسلوب الرسائل عمل مهم وخطوة أولى إعتدتها بعض البايات في حملاتهم لما تحمله في طياتها من معاني السلم والصلح والترغيب، فتعتبر أيضا جس النبض من طرف قادة الحملات للسكان قبل التطرق لاستخدام واستعمال سياسات أخرى، كما أنها تتضمن التهديد والوعيد في حالة الرفض والتمادي بالعصيان وعدم الإستجابة للمطالب المخزنية.²

- ما قام به الحاج أحمد باي آخر بايات الشرق الجزائري في بعض حملاته، فتشير بعض الدراسات الكتابات التاريخية إلى أنه يبادر قبائل وعشائر التمرد بمحاولة معرفة أسباب التمرد ولجوئهم إليه، لكي يعمل جاهدا على حل المشاكل وتذليل العراقيل والصعوبات بطرق سلمية وهو ما حدث أثناء خروجه برفقة الباشا أغا للإستماع إلى سكان قبيلتي النمامشة والأوراس اللتان قاما برفع المظالم عنهما،¹ وكانت تكفي في أغلب الأحيان باجبار هذه القبائل على دفع ضرائب ولو رمزية.²

¹ - خديجة دوبالي ، العلاقات الإجتماعية بين الرعية و السلطة في بايلك التيطري أواخر العهد العثماني ، المرجع السابق ، ص 35.

² - صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة، المرجع السابق، ص 584.

¹ - عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ج3، ص 342.

² - j,n , Robin, note sur l'organistation militaire et administrative,op,cit, p18.

الفصل الثالث : دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرفض القبلي للسلطة ومظاهر العدا

كما مارست السلطة سياسة اللين والرفق بالرعية لكسب ولاءها وانضمامها إليها مثلما، حدث مع قبائل التلاغمة وأولاد عبد النور وأولاد سيدي عبيد.¹

- وهذه الحملات التأديبية استطاعت أن تبين لنا نوايا السلطة وغرضها الحقيقي المتمثل في إعادة هذه القبائل إلى النهج الصحيح، فقد تم إعادة ما تم سلبه ونهبه من هذه القبائل، وفي بعض المرات يتم تعويضها عن الأضرار التي وقعت جراء استخدام القوة العسكرية، وذلك لزرع الثقة والمحبة والطمأنينة في نفس السكان وطي صفحة الماضي.²

-لكن ملاحظته في بعض الحملات التي غرضها تأديبي وتخويفي بإرسال رسائل لشيوخ المناطق والقبائل مفادها إجراء مفاوضات أو دعوة إلى السلم للصفح عنهم كما سبق، نجدها سرعان ماتنتهي بمباغتتهم ومهاجمتهم في إطار أسلوب الخداع والنيل منهم، ليقوم بعض من أفراد القبيلة بالهروب والتحصن في الجبال والوديان والاختباء في الشعاب.³

المحلات العسكرية :

عملت السلطة جاهدة للقضاء على هذه الحركات التمردية بإنشاء وإقامة نظام دفاعي صلب يستند للحاميات العسكرية بهدف إخضاع المناطق الجبلية والصحراوية المتمردة والسهر على مراقبتها ببناء مجموعة من الحصون العسكرية لمحاصرة هذه القبائل الجبلية كجبال البابور والبيبان وبوغني، وغيرها للسيطرة عليها، وإجبارها على دفع الضرائب بالقوة، ومد نفوذ السلطة وحفظ الأمن،¹ وهذه الحاميات تجوب الأرياف حيث تخرج مرتين في السنة وبالضبط في فصلي الربيع والخريف بقيادة الباي وخليفته، وتعتبر محلة

¹ - صالح فركوس، الحاج أحمد باي، المرجع السابق، ص 46.

² - حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص73.

³ - أميدة عميروي، علاقات بايلك الشرق، المرجع السابق، ص 85.

¹ - نبيل بومالة، استراتيجيات الأتراك العثمانيون إتجاه القوة الناشئة بجاية المقرانيين، مجلة العلوم الإنسانية، المجلد 2، العدد 7، جوان 2017م، ص779.

الفصل الثالث : دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرفض القبلي للسلطة ومظاهر العداء

موسمية، وقد تبقى إلى ستة أو سبعة أشهر وفق ما أشار إليه ناصر الدين سعيدوني بأن البايات وخلفائهم في بداية الحكم يجوبون أواخر الربيع القرى والأرياف لتحصيل الضرائب من خراج وزكاة وعشور وفق الشريعة والعدل، أما في أواخر الحكم، فيخرجون لإستخلاص الضرائب والغرامات بأسلوب القوة والنهب ضد الرعية¹ كما يشير أحمد الشريف الزهار إلى أن مدة تنقل المحلة تختلف من جهة إلى أخرى، وهنا يشير إلى أربعة أشهر لمحلة الغرب بوهران، وثلاثة أشهر لمقاطعة التيطري بالمدينة، وستة أشهر لباليك الشرق بقسنطينة، وهنا نستنتج أن المحلة تبقى مدة طويلة في الشرق لأن المساحة شاسعة والقبائل كثيرة خاصة تلك الممتنعة الحدودية والجبلية، وصعوبة التضاريس بها.²

وللباي ثلاثة خيام، فالأولى لحريمه والثانية للمطبخ والثالثة خاصة به، ومقابله يتم تنصيبه خيمة الأغا، وتحيط بهم خيام الإنكشارية لحمايتهم والذود عنهم من الغارات المفاجئة القبائل المتمردة³، وقد تميزت هذه المحلات بالسلب والنهب ومصادرة الممتلكات والأموال من السكان بالقوة، وهو ما جعلها منبوذة من طرف سكان الأرياف المضطهدين من سياستها التعسفية، وهو ما أشار إليه حمدان خوجة عندما وصفهم بالميليشيات المسلحة التي تزرع الرعب والخوف في وسط السكان أثناء الحملات، كما عرف عن المحلة أنها كانت في وسط صراع بين السلطة وتلك القبائل العاصية، فهي لم تترك سهلا ولا جبلا ولا واديا، وهذا الكلام ما أكده العنترى في سير المحلة التي تخرج من العاصمة لتتنزل في قصر الطير أي وطن ريغة ثم إلى جبل أولاد سلطان الواقع بين وسط قسنطينة والصحراء¹ وهو ما أشار إليه أيضا هابنسترايت بقوله: ".....وتحولت المحلات إلى غارات مفاجئة على مواطن تلك القبائل، فتستولي على ما تجده أمامها²"، ويشير الراشدي إلى

1 - ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، المرجع السابق، ص 36 .

2 - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 35-36.

3 - جميلة معاشي، الإنكشارية والمجتمع، المرجع السابق، ص 80-81.

1 - محمد الصالح العنترى، فريدة منسية، المصدر السابق، ص 78.

2 - ج.أو، هابنسترايت، مذكرات الرحالة الطبيب، المصدر السابق، ص 70.

الفصل الثالث : دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرفض القبلي للسلطة ومظاهر العداء

أن المحلات كانت تخرج في كل سنة منتصف أفريل القيام بأعمال الجباية، فمنها ما يرجع لمقاطعة دار السلطان بعد أربعة أشهر، ومنها من يعود بعد سنة إلى غير ذلك وهو ما يفسر هذه المدة الطويلة إلى إتساع المساحة، وصعوبة التنقل عبر المسالك والممرات الضيقة، والتضاريس الوعرة كما أشرنا سابقا، والمقاومة التي يبديها أفراد القبائل المتمردة¹ فأعمالها أعتبرت من طرف البعض بالتأديبية للمتمردين والرافضين للمطالب المخزنية من خلال ما أشار إليه العنتري عن أعمالها من خلال حملة أحمد باي على ناحية الأوراس وبالضبط على فرقة أولاد عيسى التي أراد تأديبها و إخضاعها، فأمسك ب60 رجلا قطع لكل رجل يده اليمنى، وأطلقهم كلهم مقطوعين اليد،² وهذا دلالة على الوجه الحقيقي للمحلات العسكرية في اعتمادها على القوة لإخماد الفوضى والإضطرابات المتنامية عبر نواحي البلاد .

بناء الأبراج العسكرية :

لجأت السلطة إلى بناءها بسبب نقص عدد أفراد الجند مع ازدياد عدد السكان، وحاجة السلطة إلى استتباب الأمن و الهدوء في أغلب مناطق البلاد، فتواجد الجنود الانكشاريين في المدن وبعض المناطق الاستراتيجية بهذا العدد الضئيل أصبح لا يكفي، ومع كثرة الثورات والاضطرابات التي خلقت جو اللأمن من طرف القبائل الجبلية التي اشتهرت بصعوبة طابعها التضاريسي وقوة سكانها، فكان لزاما إحاطتها بالأبراج العسكرية.

ومن أهم هذه الأبراج نجد :

برج سيباو : المتواجد عند سطح جبل ذراع الكروش شمال واد سيباو، وهناك اختلاف حاصل في تاريخ نشأته، حيث هناك من يشير إلى أنه أنشأ في عهد الداوي محمد الذباح سنة (1718م -1131هـ)، وهناك من يشير إلى إنشائه في عهد علي خوجة قائد وطن

¹ - أحمد بن سحنون الراشدي، الثغر الجماني، المصدر السابق، ص 442.

² - محمد الصالح العنتري، فريدة منسية، المصدر السابق، ص 120.

الفصل الثالث : دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرفض القبلي للسلطة ومظاهر العداء

سبباو سنة (1679م - 1090هـ)، ويتميز بأنه همزة وصل بين طرق الجزائر ودلس وتيزي وزو، وقد نقلت إدارته من بايلك التيطري إلى دار السلطان سنة (1769م - 1183هـ) عقب تمرد قبيلة فليسة،¹ وهذا البرج هو قاعدة عسكرية ومقر إداري لحفظ الأمن واستخلاص الضرائب أثناء الجباية الفصلية من 20 قبيلة.²

وتخضع للبرج عدة قبائل منها (دلس - أث واقنون - فليسة أولميل - فليسة البحرية - أث جناد - واد الحمام - أث خليفة - أث دواله - أث عيسى - وجزء من معاتقة)،³ ويحتوي هذا البرج على 8 مدافع و60 جنديا يسمون بالمكاحلية، وهم يشكلون زمالة البرج ومن أدواره إخضاع المناطق الوعرة بمنطقة القبائل خاصة فليسة والتصدي للثورات والتمردات من قبائل جرجرة وكبحها، ومع مرور الوقت تعرض البرج إلى الحصار والحرق والتهديم من طرف قبائل فليسة سنة 1767م - 1181هـ، وذلك رفضا لدفع الضرائب، وأثناء تمردها قتل قائد البرج محمد أغا.⁴

كما تعرض لهجوم ثاني سنة (1819م - 1234هـ) إلا أنه فشل في تحقيق أهدافه في تحطيم البرج بسبب تدخل الأغا يحي وقيامه بحملة عسكرية مكونة من 2000 جندي و 1500 من أفراد قبائل المخزن، لجأت قبائل فليسة إلى طلب الأمان والصفح، كما تعرض لهجوم ثالث سنة (1820م - 1235هـ) بعدما قام قائد البرج بقتل الشيخ محمد أوقاسي شيخ قبيلة عمراوة غدرا داخل البرج، وهو ما أدى إلى قيام ثورة عنيفة للثأر من مقتل الشيخ إلا أنهم واجهوا مقاومة عنيفة إمتدت إلى قراهم، وعلى إثرها تمت محاصرتهم ثم أحرقت منازلهم، وهو ما جعل فليسة تضطر أحيانا لطلب الصفع والأمان من السلطة،

¹ - صالح عباد، المرجع السابق، ص 290.

² - Robin (j,N),notés sur l'organisation militaire et administrative,op cit, p201.

³ - ipid, p 197.

⁴ - ناصر الدين سعيدوني، الشبكة الدفاعية العثمانية حول بلاد القبائل، "المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية"، ع 20، أوت 2004م، ص 206.

الفصل الثالث : دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرفض القبلي للسلطة ومظاهر العداء

وتم ذلك بوساطة من الشيوخ والمرابطين كالحاج محمد بن زعموم من فليسة ومحمد بن كانون قائد يسر.¹

برج بوغني : تأسس سنة (1724م-1136هـ) من طرف قائد سيباو محمد بن علي الذباح² يتكون من قبائل قشتولة وبني صدقة وعبد المؤمن وجزء من معاتقة، ويقدر عدد الجنود به 62 جنديا مقسم إلى صفرتين كل صفرة بها 15 جنديا، وكذلك به حوالي 1200 من أفراد المخزن كقوة دعم لقلعة الجند، ومن أدواره :

- الحد من حركات العصيان للقبائل الجبلية كبني خلفون وبني صدقة ونزليوة وقشتولة³

- يعتبر مركز مراقبة للطريق الجبلي لبلاد القبائل خاصة أن الحاميات تمر منه.

- **برج تازغارت** : أنشأته السلطة على يمين سيباو من جبل أيت واقتون لمراقبة القبائل الجبلية العاصية ومنع تمردھا، وحفظ الأمن والهدوء، فتشكلت بذلك مجموعة من المواقع والخطوط لإعادة السلم والأمن المفقودين في هذه المناطق وفرض هيبية السلطة.

- **إجتماعيا: سياسة المصاهرة:**

لجأت السلطة العثمانية إلى إعتماذ سياسة المصاهرة كمظهر إجتماعي مهم، فقد أدت المصاهرة دورا هاما في إحداث التواصل بين الإدارة الممثلة في الحكام وخاصة البايات الذين شرعوا وشجعوا الموظفين الساميين، وأفراد الإنكشارية من قادة وجنود بالزواج من الأسرة النافذة¹، وهو ما يطلق عليه في التاريخ بالمصاهرة السياسية، فقد استطاع أن يظهر جليا في نوع العلاقات الإجتماعية والأساليب المطبقة بين السلطة والأسر المحلية

¹ - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 28.

²-Robin, note sur l'organisation,op cit, p 139.

³ - ناصر الدين سعيدوني، الشبكة الدفاعية، المرجع السابق، ص 208.

¹ - وليام شالر، المصدر السابق، ص 78.

الفصل الثالث : دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرفض القبلي للسلطة ومظاهر العداء

المرموقة، فأصبح بذلك المجتمع ذو خليط متماسك¹، وهو ما برز أكثر أواخر الحكم العثماني، فبرزت أسر بوعكاز الذواودة وابن قانة وبوخنتوش والمقراني وأولاد ابن عاشور وأسرة ابن أبي الضياف، وقد تمتعت باستقلال ذاتي وامتيازات متنوعة²، وعرف عنها تواجدها في بايلك الشرق وعلى مشارف الصحراء والمناطق الحدودية القريبة من السلطة التونسية، وهذا لايحل وجود أسر عريقة تصاهرت مع السلطة في مقاطعتي التيطري والغرب³، وكانت هذه المصاهرة من أجل أهداف وأغراض عديدة متمثلة فيما يلي:

- إحكام سيطرتها على هذه الأسر، وجعلها في إطار نفوذها وتوسعها وذلك بضم مناطق وأراضي جديدة لها وهو ما يسهل تسيير أمورها الإدارية عن طريق الشيوخ مصدر القرار في الأسرة .

- تحقيق التواصل الإداري واستمرار الخدمات المقدمة من طرف الأسر وبإنهاء الخلافات وتوطيد العلاقات وتذليل التفرقة بين أفراد الأسرة

- توسيع النفوذ السياسي والاجتماعي والعسكري و الاقتصادي

- ضمان الأمن والاستقرار والهدوء في المناطق البعيدة التي تتحكم فيها هذه الأسر لأن بعضها يتربع على مساحة شاسعة ونفوذ قوي

- كسب ولائها وتبعيتها للسلطة وإبعاد خطرها

ومن أمثلة المصاهرة بين الطرفين نجد :

محاولة باي الشرق صالح إلى التقرب عن طريق مصاهرة أحد شيوخ أحرار الحنانشة ابراهيم بن عزيز بن ناصر إلا أنه رفض ذلك، وهو ما جعل الباي يشن عليه عديد الحملات العسكرية ويقبض عليه ليزجه في السجن حتى توفي سنة (1773م-1186هـ)،

¹ - محمد سحر ماهود، الموظفون العثمانيون في إيالة الجزائر، المرجع السابق ، ص394.

² - عمار عمورة، المرجع السابق، ج2، ص153.

³ - شهيناز بوحوص، الدور السياسي والاجتماعي والثقافي، المرجع السابق، ص 75.

الفصل الثالث : دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرفض القبلي للسلطة ومظاهر العداء

وتشير الدراسات التاريخية أن سبب الرفض يعود لأن أسرة الحنانشة تفضل الموظفين السامين والجنود الإنكشاريين على البايات حيث تزوج ابن الشريف الإنجشاري من عائشة بنت الشيخ العابد بن شيخ الحنانشة.¹

- مصاهرة الباي محمد نعمان (1811م-1814م) (1226هـ-1229هـ) لشيخ فرجبوة حيث تزوج جليبة بنت المرحوم بكري عبد الحق القيوم الحاج بن عاشور على صداق قدره 2000 ريال وقطانان وحزامان.²

- كما قام الباي رجب باي الشرق بتزويج ابنته أم هاني للشيخ القيدوم أخ شيخ العرب أحمد بن الصخري من عائلة بوعكاز.³

- وصاهر الباي ابراهيم أحد بنات الشيخ فرحات بن سعيد شيخ العرب،⁴ فاستطاع بذلك كسب القبائل الصحراوية وازدادت العلاقة قوة ومثانة متجهة إلى الأمن والهدوء.¹

وقد صاهر باي التيطري مصطفى بومرزاق قبيلة العداورة التي عانى من تمرداتها جنوب سور الغزلان، فسعى الباي جاهدا لكسب دعمهم وولائهم خاصة بعد تعيين الشيخ قويدر بن سالم شيخا على القبيلة،² فتشير الدراسات بزواجه من ابنة ابن شهرة ذات النفوذ الواسع، رغم عدم نجاحه في تحصيل الضرائب بذلك، وهو ماجعله يستعين بالشيخ محمد بن قدور التابع لقائد ديرة.³

¹ - وقد تزوجها سنة 1827م-1243هـ، وتشير دراسات أن البنت هي التي رفضت الزواج، وكانت سببا في عزل أبيها من المشيخة وتعيين ابنه بوحفص وللمزيد p357 Charles Féraud, les Harar seigneurs des hanencha, op, cit,

² - جميلة معاشي، الإنكشارية والمجتمع ببايك قسنطينة في نهاية العهد العثماني، المرجع السابق، ص 113.

³ - جميلة معاشي، نفسه، ص ص 206-220.

⁴ - حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 39.

¹ - جميلة معاشي، الإنكشارية والمجتمع ببايك قسنطينة في نهاية العهد العثماني، المرجع السابق، ص 192.

² - عبد الجليل رحموني، العلاقة بين السلطة المركزية، المرجع السابق، ص 53.

³ - توفيق دحماني، الضرائب في الجزائر، المرجع السابق، ص 508.

الفصل الثالث : دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرفض القبلي للسلطة ومظاهر العداء

وفي منطقة القبائل قام الداوي ابراهيم بن محمد الذباح بمصاهرة عائلة بوختوش عن طريق الشيخ سي أحمد أو علي بوختوش بذراع بن خدة، كما اقترب من الأسرة الحاكمة في المنطقة أيت أورير، وذلك كي يضمن ولاءها ومساندتها له في ثوراته أو يضمن حياذ بعض القبائل التي تخضع لصالح الشيخ وهما أيت جناد وأيت إيراثن.¹

كما صاهر باي الغرب محمد المقلش (1808م-1903م) أسرة الشيخ قدور بن الصحراء شيخ قبيلة الحشم المخزنية وعمره 18 سنة، وكان وكيله العلامة الأخضر المهاجي لغرض متمثل في القضاء على ثورة درقاوة في وهران.²

وقد تزوجت حيزية بنت الفارس الأجل السيد ابن أبي الضياف من اسماعيل ابن علي خوجة، وكذلك تزوجت الدايدة بنت المرحوم بولخراص ابن قانة بحسين بن خليل الإنجشاري .

إن هذه المصاهرة التي دعت الضرورة لإتباعها من طرف السلطة سواء ماتعلق بالحكام أو الموظفين، أو أفراد المؤسسة العسكرية بالأسر الجزائرية سمحت بمد سلطتهم أو نفوذهم على المناطق البعيدة والجبلية الوعرة والصحراوية، فوفرت لها الدعم والسند، فتغلغت السلطة في المنطقة بعدما كانت مركزا للتمرد والإضطرابات .

وقد استفادت هذه الأسر من عديد الإمتيازات والمكاسب والهدايا من هذه المصاهرة، وتتجلى ذلك في دعم ومساندة البايات للشيوخ من أجل إعتلاء منصب شيخ العرب، وكذا التعيين في الوظائف العليا ماتعلق بالجهاز الإدارة في الأرياف، والإستفادة من حق المراعي لقطعان الماشية في الكلاً والماء أثناء الهجرة، وممارسة التجارة في الأسواق مع

¹ - صالح عباد، المرجع السابق، ص 160.

² - أحمد ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص 47 ، أو أنظر جبور ميلودية، ظاهرة الإغتيال السياسي في نظام الحكم العثماني، المرجع السابق، ص 198.

الفصل الثالث : دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرفض القبلي للسلطة ومظاهر العداء

دفع ضريبة رمزية وعلى غرار ذلك تمتعت بعض الأسر باستقلال ذاتي مما مكنها من الإشراف على عديد القبائل كأسر قانة.¹

وقد أشار المزاربي إلى أن والد الباي محمد الكبير عثمان أثناء فترة حكمه على التيطري تزوج من خديجة بنت المرابط محمد بن عيسى المداني التي أنجبت له الباي محمد الفريق بوكابوس.²

رد فعل السلطة من التمردات والثورات :

اقتصاديا: - التحكم في الأسواق

لجأت السلطة في الجانب الإقتصادي للحد من الحركات التمردية التي قامت بها القبائل العاصية لاتباع عدة طرق منها :

- التحكم في الأسواق الأسبوعية والموسمية فمن المعروف أن السوق مركز سياسي واقتصادي واجتماعي انتشر في المدن والأرياف، فكان ميدانا خصبا لتبادل الأخبار والمعلومات وعديد الأعمال من بيع وشراء، فهو قبلة لجميع القبائل والسكان.

وأدركت السلطة هذا الأمر، فوضعت أعينها عليه بفرضها رقابة صارمة لما له من فوائد مهمة في تحصيل الضرائب والرسوم من خلال التحكم في المداخل والمخارج ومراقبة السلع والبضائع،¹ وكلفت قبائل المخزن بتشديد الحراسة عليه انطلاقا من الأبراج المتواجدة بالقرب منها، وكذا وضع حواجز في المسالك والطرق المؤدية إليه، فمثلا كان سوق الأرباع مأوى لقبائل المخزن لمراقبة قبيلة أولاد مختار، ولأهميته لجأت الإدارة العثمانية إلى:²

¹ - صالح فركوس، الحاج أحمد باي، المرجع السابق، ص ص 47-48.

² - الأغا ابن عودة المزاربي، المصدر السابق، ج1، ص 290.

¹ - زيد بن قاسمي، قيادة سيباو، المرجع السابق، ص 32.

² - صالح عباد، المرجع السابق، ص 219.

الفصل الثالث : دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرفض القبلي للسلطة ومظاهر العداء

- تحديد أماكن إقامة تلك الأسواق الموسمية أو الأسبوعية بالقرب من الأبراج أو الحصون أو القبائل الموالية لها لغرض تسهيل مراقبتها، وتعيين مراقبين مواليين لها، وبالتالي التحكم في عملية الدخول و الخروج لهذه الأسواق، والحد من تحركاتهم .

- حرمان القبائل المتمردة الجبلية أو الصحراوية من النزول إلى الأسواق للتزود بالمنتجات والمواد الأساسية فلاحية أو صناعية وبيع وتصريف منتجاتها الفلاحية من حليب وصوف وقمح وبيض ولحوم وغيرها، فهي قبائل فقيرة بحكم موقعها الجغرافي الصعب، وهو ما لمسناه في قبائل الجنوب ورقلة وتقرت والأغواط وأولاد نايل وغيرها¹ وكذلك قبائل شمال قسنطينة من جبال جرجرة والأوراس،² وهو ما جعلها في بعض المرات تعدل عن التمرد وإثارة البلبله والفوضى وتميل إلى السلم والأمن على شكل إتفاق مع السلطة للاستفادة من خيارات الأسواق ما تعلق بالبيع والشراء أو المقايضة.

- فرضت السلطة على القوافل التجارية القادمة من المناطق البعيدة خاصة الصحراوية والحدودية، كالأغواط وبسكرة وتقرت رسوما قدرت ب10% من ثمن البضاعة،¹ فمثلا سوق جرجرة يدفعون القيمة السابقة من إنتاجهم إلى السوق² مما أدى إلى زيادة موارد خزينة الدولة .

- كما لجأت السلطة إلى منع ممارسة أي عمل تجاري يتم خارج الأسواق ما تعلق بالقروية أو المنسوبة لقبيلة ما، وتتم معاقبته لإخلاله بالأمن العام، وذلك سعيا منها لإجبار القبائل الجبلية والصحراوية والنائية للتردد على الأسواق المراقبة، ودفع الرسوم الخاصة على ثمن البضاعة والسلعة المحملة إلى السوق.

¹ - ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، المرجع السابق، ص 83 .

² - شهيناز بوحوص، الدور السياسي والإجتماعي والثقافي، المرجع السابق، ص 39.

¹ - نور الدين شعباني، علاقة السلطة العثمانية بإمارات الصحراء الكبرى، المرجع السابق، ص 93.

² - ناصرالدين سعيدوني و المهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص 110.

الفصل الثالث : دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرفض القبلي للسلطة ومظاهر العداء

وقد تميزت المناطق البعيدة والمتواجدة خاصة في الصحراء أوعلى مشارفها بموقع استراتيجي ممتاز مما جعل السلطة تولي لها أهمية، كورقلة وتقرت اللتان تعتبران من أهم الواحات الصحراوية الشرقية، فلهما محور واحد ومركز تجاري رئيسي، ومحطة لجموع الحجاج وطريقا طبيعيا باتجاه مناطق التل والشمال، فضلا عن ذلك تتميز بتوفرها على مصادر مياه جوفية باطنية، ونقطة إلقاء بين الشمال والجنوب، ومن اعتناء واهتمام السلطة بها تشجيع الحركة الاقتصادية والتجارية والثقافية خاصة في عهد صالح باي الشرق، وباي الغرب الجزائري محمد الكبير.¹

نظام الضرائب : فرضت السلطة نظاما ضريبيا اعتبر أواخر الحكم بأنه مورد أساسي للخرينة، وذلك يعود لتراجع غنائم الجهاد البحري والظروف الصعبة التي مرت بها البلاد عموما وهو ما نستشفه من خلال كتابات ناصر الدين سعيدوني أن الأرياف تدهورت في النصف الثاني من القرن الثامن عشر ميلادي في صورة مجاعات وأمراض وكوارث مختلفة²، أو ما أكده هو أيضا حينما أشار إلى انكماش إقتصادية و إجتماعي وركود وكساد¹ فتميزت الضرائب بأنها شرعية ثابتة منتظمة وغير شرعية غير ثابتة وغير منتظمة، وهذه أغلب التسميات المتداولة عنها، كما عرف عنها أنها متفاوتة من منطقة لأخرى أو قبيلة لأخرى بحسب طبيعة المنطقة الجغرافية والطبيعية، ونوع النشاط الإقتصادي الممارس من فلاحي أو رعوي، ووفقا لطبيعة ملكية الأرض الفلاحية، ومن الضرائب نجد²:

¹ - ناصر الدين سعيدوني، ورفات جزائرية المرجع السابق، ص 498.

² - ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص ص 123-124.

¹ - ناصر الدين سعيدوني و المهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص 50.

² - شهيناز بوحوص، المرجع السابق، ص 60.

الفصل الثالث : دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرفض القبلي للسلطة ومظاهر العداء

- **ضريبة العشور**¹: والمقصود بها 10/1 من المحصول، وتأخذ السلطة من هذه الأرضية الزراعية سواء قمحا أو شعيرا، وتفرض على أراضي الملكية الخاصة،² قبائلك التيطري كان يفرض عليه من العشور في أوائل القرن 19م حوالي 20762 صاعا من القمح، ومثلها من الشعير وكانت تحدد وفق مبدأ الزويجة أو الجابدة والتي هي عبارة عن مساحة زراعية يحرقها ثوران وتقدر بحوالي من 8 إلى 10 هكتارات.³

- **اللزمة**⁴: وهي ضريبة تدفع مقابل دخول الأسواق وبيع منتجاتها وشراء ما يلزمها، وقد طبقت على بعض المناطق، كنواحي بجاية ومنطقة البابور وفرجيو وميلة موزعة كما يلي :

- **قبائل البابور**: 7,506 بوجو أي 13510,80 فرنك

- **قبائل بجاية** : 21,360 بوجو أي 384,48 فرنك

- **قبائل فرجيو** : 25635 بوجو أي 461,43 فرنك.¹

- **الغرامة**² : وهي ضريبة تفرض على القبائل ذات النشاط الرعوي، وتأخذ عينا كالحنانشة وأولاد سيدي يحي بن طالب والنامشة ببايلك قسنطينة، وكذا قبائل أولاد مختار ببايلك التيطري.³

¹ - عمار بوحوش، المرجع السابق، ص 80 .

² - ناصر الدين سعيدوني، الملكية والجباية، المرجع السابق، ص 124، أو ناصر الدين سعيدوني، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، المرجع السابق، ص 18.

³ - ناصر الدين سعيدوني، الملكية والجباية، المرجع السابق، ص 125.

⁴ - عمار بوحوش، المرجع السابق، ص 80، أو ناصر الدين سعيدوني، الملكية والجباية، المرجع السابق، ص 166.

ضريبة اللزمة وتسمى ضريبة البدو، أو للمزيد أنظر،

Mahfoud kaddache, l'algerie Durant la période ottomane, op cit, p132

¹ - فلة موساوي القشاعي، النظام الضريبي، المرجع السابق، ص ص 64-66.

² - نفسه، ص 107.

³ - ناصر الدين سعيدوني، الملكية والجباية، المرجع السابق، ص 133.

الفصل الثالث : دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرفض القبلي للسلطة ومظاهر العداء

ومن الضرائب غير المنتظمة التي تدفعها القبائل المتمردة عند تأديبها نجد :

- **الهدية** : وهي مساهمة إجبارية تتراوح بين بوجو واحد واثنين بوجو لكل أسرة، وذلك لتمكين الشيوخ وقياد الأوطان من إعطاء الهدايا لموظفي الأوجاق أثناء زيارتهم للعاصمة.

- **البشارة أو الفرح** : وتسمى عند بعض القبائل حق القندورة أو البشماق أو البرنوس، وهي قيمة نقدية يقدمها السكان عند تسلم شيخهم للقبطان بتوليهِ المسؤولية، وبعد جمعها يقدمها القائد لأغا العرب أو الباي، وقدرت قيمتها في بايلك الشرق ب 20 ألف ريال بوجو.¹

- **الكبش** : هي مساهمة تقدم بمناسبة الاحتفالات في القرية، ولكل أسرة حسب عددها وأسر القبائل البعيدة هي الأخرى تساهم بمبلغ مالي قدره 2 بوجو أي حوالي 360 فرنكا.²

الضيافة أو المؤونة : وهي مساهمة عينية من قبل بعض الدواوير الواقعة في سير طريق المحلة التي تجوب الأرياف لاستخلاص الضرائب، أو قمع حركات التمرد، حيث تقوم بتزويد جنود المحلة بالمؤونة والزاد.³

- **المعونة** : ومن أهم المعونات نجد معونة بلاد القبائل، والتي أخذت على شكل رسوم عينية متمثلة في كميات من التين والزيتون والحبوب ورؤوس المواشي، ومقدار من الفضة ومقدار المعونة يقدر رسالة بوجو،¹ كقبائل فليسة التي قدمت ما قيمته 500 ريال بوجو، وقبائل قيادة بوغني التي قدمت حوالي 125ريالا.²

¹ - ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص 53.

² - ناصر الدين سعيدوني، الحياة الريفية، المرجع السابق، ص 191.

³ - peyssonnel et Desfontaines, OP cite, p150.

¹ - ناصر الدين سعيدوني، الحياة الريفية، المرجع السابق، ص 135.

² - ناصر الدين سعيدوني، دراسات تاريخية في الملكية والوقف، الفترة الحديثة، دار الغرب الإسلامي، ط1، لبنان، 2001م، ص306.

الفصل الثالث : دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرفض القبلي للسلطة ومظاهر العداء

- **التويذة :** هي تسخير مجموعة من القبائل لزرع الأراضي نيابة عن القياد والشيخ وجمع الحبوب ونقلها بعد الحصاد حتى تستفيد منه السلطة، ويوفر مداخيل معتبرة، كما أنه يفرض على الأراضي المشاعة.¹

- **ضيفة الدوش :** وهي ضريبة تستخلص مرتين في السنة، فالأولى في فصل الشتاء والثانية في فصل الصيف على الثروة الحيوانية والمنتجات الفلاحية، ويقوم الشيخ بجمعها وتسديدها إلى القائد الذي بدوره يقدمها إلى الباي، وقدرت في بايك التيطري أواخر الحكم العثماني ب 24800 ريال بوجو.²

- **خيل الرعية:** وتسمى أيضا بالمهر باشا وتتمثل في إلزام القبائل بالمساهمة في الجهد الحربي لفائدة المحلة، حيث توفر الخيول لمساعدة المحلة على التنقل وحمل البضائع دون مقابل أو تقدم القبائل كمية من الإنتاج الزراعي، وهو ما نلمسه في قبائل التيطري، وما لاحظته هو أن³ هذه القبائل المتمردة لا تشارك في مداخيل السلطة إلا بصفة شكلية غير منتظمة، فهي لا تساهم في دفع الضرائب إلا في حالات نادرة، وبسبب استعمال القوة العسكرية والتضييق والضغط عليها من طرف السلطة.⁴

- **ضريبة العسة :** فرضت على بعض القبائل كالشعانية والأرباع والمخادمة وأولاد يعقوب مقابل استفادتهم من المراعي في السهول والتردد على الأسواق للتجارة،¹ وقد فرض الباي صالح (1771م-1792م)(1185هـ/1206هـ) ضريبة موحدة على الأراضي الخاضعة عرفت بالجبري وخصص لها قائدين لاستغلالها أي على الجهات الشرقية

¹ - ناصر الدين سعيدوني، الملكية والجبابة، المرجع السابق، ص 192.

² - ناصر الدين سعيدوني، الحياة الريفية، المرجع السابق، ص 175-176.

³ - ناصر الدين سعيدوني، نفسه، ص 177.

⁴ - إبراهيم عبو، الثورات المحلية خلال العهد العثماني، المرجع السابق، ص 115.

¹ - محمد السعيد عقيب وعمر لمقدم، قبائل المخزن، المرجع السابق، ص 115.

الفصل الثالث : دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرفض القبلي للسلطة ومظاهر العداء

والغربية، والحاج أحمد باي الشرق حدد رسماً موحداً للجباية على أراضي السلطة عرفت بالحكور.¹

ويذكر الشريف الزهار أن قيادة سيباو كانت تدفع ألفي قلة زيت للبايلك، ونحو 5000 قلة لأصحاب العوائد، وألفي قلة كرموس ومائة قنطار شمع، و500 صاع قمحا، ومثلها شعيراً.²

كما أن دفع الضرائب لا يكون في أغلب الأحوال إلا مرفوقاً بالمحلة التي تجوب القرى والدواوير عبر الطرق والمسالك والممرات، وفي ذلك لم تترك سهلاً ولا جبلاً ولا صحراء إلا ووقفت عنده مستعملة أسلوب القوة عند الرفض، أو مستعينة بالمشائخ في ذلك، فكانت الحملات العسكرية المفاجئة والاعارات المتكررة من طرف البايات عنواناً بارزاً لسلب،³ ونهب هؤلاء السكان بل أكثر من ذلك فرض ضرائب ثقيلة عليهم، وهو ما سنعرج عليه أثناء تطرقنا للحملات العسكرية.

كما أن وليم شالر قد وصف هذه الضرائب بالسلبية والمجحفة في حق الفلاحين من خلال الضغط عليهم، فكان مهم الوحيد جمع الضرائب على حقوق السكان المضطهدين.⁴

ومما سبق ذكره نلاحظ أن العوامل الجغرافية والطبيعية كانت عاملاً سلبياً للسلطة وإيجابياً للقبائل المتمردة التي جعلت من التضاريس الوعرة كالجبال والكثبان والوديان والمساحات الشاسعة وغيرها مكاناً للتحصن والإختباء من السلطة، ومركزاً للهجوم عليها وقيام الثورات والإضطرابات، وهو ما شكل لها نوعاً من الإستقلالية والحرية ولو جزئياً وبالرغم من مساعي السلطة لإخضاعها وتأديبها وعدولها عن النهج التمردى إلا أننا

¹ - ناصر الدين سعيدوني، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية لولايات المغرب العثمانية، المرجع السابق، ص 21

² - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 47

³ - ج.أو، هاينسترايت، مذكرات الرحالة، المصدر السابق، ص 70

⁴ - شالر وليم، المصدر السابق، ص 45

الفصل الثالث : دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرفض القبلي للسلطة ومظاهر العداء

سرعان ما تعود لطبيعتها الأصلية بسبب نمطها المعيشي والقبلي وسياسة السلطة السلبية ومصالحها ومكانة شيوخها، وقد انعكست هذه الحركات التمردية سلبا خاصة بانعدام الثقة بين السلطة والرعية هذه الأخيرة التي كانت تسعى للتغيير، كما أثرت على جميع الميادين والمجالات مما جعلها ضعيفة وعاجزة أمام التصدي للعدوان الفرنسي الذي وجد الفرصة سامحة لإحتلالها .

الفصل الرابع

أثر العوامل والخصائص الجغرافية في رسم علاقة الخضوع القبلي ومظاهر الولاء

المبحث الأول : دور العوامل الجغرافية في تحديد علاقة الولاء والخضوع القبلي

للسلطة

المبحث الثاني : مظاهر الولاء القبلي للسلطة

المبحث الثالث: موقف ورد فعل السلطة

المبحث الرابع: الدعم القبلي للسلطة العثمانية ضد الإحتلال الفرنسي سنة 1830م

توطئة :

سننطلق في هذا الفصل إلى دراسة العوامل الجغرافية والطبيعية التي أثرت إيجاباً في تحديد علاقة الولاء بين السلطة وبعض القبائل المسماة بالمخزن أو الرعية أو المتحالفة المنتشرة في نواحي البايك، فعلى غرار الموقع الجغرافي القريب والمتميز من السلطة ومؤسساتها نجد المناخ المعتدل والطقس الملائم والتضاريس أو مظاهر السطح البسيطة، وتوفر التربة الخصبة ذات النوعية والجودة العالية والغطاء النباتي، وعوامل أخرى كلها ساعدت في جذب واستقرار سكان هذه القبائل، والعيش في المنخفضات أو السهول الساحلية أو الفيضية أو المنبسطة حيث المساحات الزراعية، وبحكم هذه المعطيات نشأت علاقة تحالف وتقارب بينهما تجلت في عديد المظاهر، فكانت سندا ودعماً كبيراً لها في حل مشاكلها وأزماتها التي كادت أن تعصف بها كما أن هذا الولاء والخضوع قوبل بمواقف وردود إيجابية من السلطة التي احتضنتها، وقدمت لها عديد المكاسب والإمميزات سمحت لها بالبقاء لأكثر من 3 قرون .

دور العوامل الجغرافية في رسم علاقة الولاء:

الأرض : إن الحديث عن أهم العوامل الطبيعية والجغرافية ودورها في رسم علاقة الولاء نجد أنفسنا في البحث عن ما يعرف بالأرض التي لها خصوصية وميزة إيجابية فيما يتعلق أساسا بتمسك وتعلق الإنسان بالطبيعة الجغرافية، فهي علاقة وطيدة ومتجذرة منذ الأزل، وهي تعتبر عند بعض الباحثين من المستندات التاريخية الهامة لما تقدمه من معلومات تاريخية¹ في هذا الصدد يجب الإشارة إلى أنه مع التغيرات والتطورات الحاصلة ومسايرة الإنسان الريفي لها قد تولدت له علاقة جذب واستقرار في الأرض التي يقطن بها لتوفرها على مميزات هامة كخصوبة الأرض سواء في أراضي واسعة زراعية أو مناطق منبسطة منخفضة أو سهول شاسعة، وتوفر الماء بفضل المجاري المائية والوديان والينابيع وغيرها والمناخ المعتدل وتساقط الأمطار، فتمسكه بها والبقاء فيها كان لزاما عليه أن يكون في علاقة ولاء وخضوع للسلطة، حيث نجد بعض القبائل والأعراش والدواوير استقرت وتواجدت في التل والهضاب والسهول التي توفرت فيها ضروريات الحياة.

وقد توزعت قبائل هذا النمط في البايلكات الثلاثة وضواحي دار السلطان أي في دواخلها تحت نفوذ الإدارة العثمانية، فانعكست إيجابا على النمط المعيشي لكل قبيلة،² أي أن الأرض توفر الثروة من خلال علاقة المطر والخصوبة بها تؤدي حتما إلى تحصيل الخير الوفير (ماء وكلاً)، وهو عامل إيجابي للقبائل التي لجأت إلى مسايرة ودعم السلطة للاستفادة من حمايتها وأمنها، كقبائل سويد غربي الشلف التي وبحكم تعلقها بالأرض وموقعها الإستراتيجي والمتميز .

¹ - احتلت الأرض مرتبة مهمة في المجتمع الجزائري خاصة الريفي أنظر غلاب السيد الجوهري، المرجع السابق، ص

² - وتعتبر الأرض هوية سكان الريف فضلا على أنها مردود مادي، أنظر ناصر الدين سعيدوني، تاريخ الجزائر في العهد العثماني ويلييه ولايات المغرب ، المرجع السابق، ص 106، أو أرزقي شويتام ،المجتمع الجزائري، المرجع السابق،

الفصل الرابع: أثر العوامل والخصائص الجغرافية في رسم علاقة الخضوع القبلي ومظاهر الولاء

وقد لجأت إلى الخضوع والموالاة ضمانا للأمن والإستقرار،¹ وكذلك هناك قبائل وأعراش استقرت بالفحوص التي هي قريبة من المدن ونذكر على سبيل المثال كالبليدة والقليلة وشرشال التي استقرت في الجزء الشرقي للساحل بين البحر وسهل متيجة، تميزت بالأراضي الخصبة والمناخ المعتدل والصحي وتواجد المجاري المائية، وأيضا ما نجده في قبائل وأعراش الأوطان القريبة من المناطق الريفية التي فضلت وجنحت لولاء السلطة بحكم تواجدها على أراضي خصبة من شأنها غرس المزروعات والأشجار وتربية الماشية.²

الموقع الجغرافي³ :

لعب الموقع القريب من مقر الحكم المركزي دورا مهما في تحديد علاقة الولاء بين السلطة العثمانية والقبائل الجزائرية، كما أدى دورا مهما في تحديد وتصنيف القبائل الموالية التي استقرت بالسهول الساحلية الداخلية والخارجية أي القريبة بالبحر والبعيدة منه، وتميزت بعدم وجود تضاريس وعرة محيطة بها، وكانت قريبة من مركز السلطة⁴ ومؤسساتها، وهو ما جعل الوصول إليها يتم بسرعة، فهي الأقرب والأنسب للإخضاع والموالاة، فأصبحت مع مرور الوقت تابعة ومؤيدة للسلطة.

لقد تواجدت هذه القبائل باختلاف مسمياتها واستقرت في مناطق نفوذ الإدارة المتمثلة في السلطة الرسمية وأعاونها من قبائل المخزن والزمول والدواير وغيرها أو القبائل

¹ - عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ج3، ص32

² - ناصر الدين سعيدوني، الحياة الريفية، المرجع السابق، ص ص 25_26

³ - **الموقع الجغرافي القريب** : أشار عديد الباحثين أن القرب في الموقع الجغرافي أو الفلكي يعد نافعا ومشجعا القبائل الواقعة بالقرب من السلطة، فهو يوفر الإستقرار والأمن، ويتميز بوجود مصالح ومؤسسات السلطة من سياسية وإقتصادية خاصة وتواجد سكاني مستقر وثابت.

⁴ - نصر الدين عبد الغفور، القبيلة والسلطة، المرجع السابق، ص 108

الفصل الرابع: أثر العوامل والخصائص الجغرافية في رسم علاقة الخضوع القبلي ومظاهر الولاء

المتعاونة مع الحاميات العسكرية،¹ كما أنها تواجدت على أراضي زراعية خصبة قريبة من المدن وبالتالي قريبة من دوائر الحكم، فاستطاعت أن تكون موالية من تلقاء نفسها بحكم موقعها، وذلك مقابل أن تحتفظ بأراضيها وممتلكاتها مع تقديم أشكال الدعم المباشر للسلطة العثمانية خاصة الدعم العسكري والمساعدة في تحصيل الضرائب.

فالمناطق السهلية التلية المحصورة بين ساحل البحر الأبيض المتوسط وسلسلة الأطلس التلي أي في الجهة الشمالية هي أفضل المناطق للعيش والإستقرار خاصة في السهول الفيضية والساحلية،² خاصة أنها تقع على أراضي منبسطة السطح مستوية تميزت بقلّة السكان كسهول عنابة³ وبجاية وجيجل في الشرق وقبيلة حجوط، وفي جهة الغرب نجد قبائل بني عامر وبني مجاهر، وفي التيطري نجد مثلاً قبائل هواره وريغة وبني يعقوب ومنانسة،⁴ وهذه السهول كانت قريبة الموقع من السلطة لتمييزها بمناخ معتدل وتربة خصبة وغطاء نباتي، فهي أكثر الأماكن الملائمة للنشاط البشري في الجانب الإقتصادي من زراعة وصناعة وتجارة ورعي، كما بها ثروة مائية ممثلة في المياه السطحية والجوفية.⁵

إن هذه القبائل القريبة من السلطة ومؤسساتها وجدت نفسها في حاجة إلى الأمن والإستقرار وعلى من يدافع عنها ويقيها شر الأخطار من القبائل المجاورة التي استولت على أراضيها وممتلكاتها بالسلب والنهب، فلجأت إلى حضانة السلطة وأعلنت ولاءها لها

¹ - أحمد بحري، الحياة الإجتماعية بالجزائر في عهد الدايات (1671م-1830م)، رسالة ماجستير، جامعة وهران، السنة (2001 م-2002م)، ص 73، وللمزيد أنظر دغموش كاميليا، السلطة والمجتمع، المرجع السابق، ص 106

² - فارس كعوان و نصر الدين عبد الغفور، تأثير التضاريس، المرجع السابق، ص 293

³ - سهول عنابة : لقد أعجب بايسونال peyssonnel، بشساعة المساحة لسهول عنابة بإقليم الشرق الجزائري، والمقدرة بحوالي 1200 ميل مربع، وكذلك بخصوبة الأرض وجودتها وكمية إنتاج الحبوب، وللمزيد أنظر،

J,A, peyssonnel De la malle Dureau pref, relation d'un voyage sur les côtés de Barbarie, faut par ordre duroi 1725, Paris, pp276-277

⁴ - اسمهان لعربي، الحياة الإقتصادية في بايلك الشرق، المرجع السابق، ص 88

⁵ - ابتهاج مبروك، الموسوعة السياسية، المرجع السابق

الفصل الرابع: أثر العوامل والخصائص الجغرافية في رسم علاقة الخضوع القبلي ومظاهر الولاء

في حين لجأت قبائل أخرى بحكم الظروف القاهرة إلى ولاء السلطة بغية الإستفادة من الإمتيازات والخيرات فاستقرت بالقرب منها لضمان احتياجاتها من موارد للعيش والتنقل والوصول إلى الأسواق للتبادل التجاري.

المناخ :

لعب المناخ¹ دورا مهما في تحديد علاقة الولاء بين القبائل والسلطة العثمانية من حيث أنه ساعد في تطور العلاقة إيجابي، وكذا تأثيره على نوعية الحياة الإقتصادية والإجتماعية،² فلكل منطقة لها نشاط خاص بها، وهو ما جعل الإنسان الريفي ترتبط حياته بالمناخ بشكل جذري كما أن المناخ له أهمية كبيرة في تحديد نمط معيشة السكان لتحكمه في الإنتاج والاستهلاك.

فالمناخ في هذه الجهات تميز بأنه معتدل شبه رطب ممطر شتاءا ومعتدل الحرارة ورياح رطبة مصدرها البحر المتوسط، ويصل مقدار التساقط فيه حوالي 1200 ملم سنويا ويحتوي على شروط طبيعية جيدة وتربة خصبة وثروة مائية،³ وكذا وفرة الموارد الطبيعية الباطنية كالفحم والحديد والنحاس،⁴ ومن خلال ماتم دراسته حول المناخ أنه ساعد في استقرار هذه القبائل في مناطقها مما سهل عليها العيش إلى جانب السلطة والتكيف مع الأحوال المناخية المناسبة في مزاولته لأنشطته التربة لطالما كانت التربة الخصبة والغنية موطن الإنسان ومبعث استقراره، وسبب رئيسي في تحديد نمط معيشه.

فكان لزاما على هذه القبائل الموالية أن تبقى فيها وتستغلها لصالحها شريطة ولاءها للسلطة وتسديد الضرائب المفروضة عليها، ومنه يتضح لنا جيدا أن الأحوال المناخية والطبيعية المختلفة للقبائل الموالية للسلطة قد ساعدتها في الإستقرار والتمسك بالأرض من

¹ - Prenant (A)nNoushi, Lacoste (y)l'algerie passe et, op cit, p p203_204

² - ابتهاج مبروك، الموسوعة السياسية، المرجع السابق

³ - محمد الصالح العنثري، فريدة منسية، المصدر السابق، ص 17

⁴ - ابتهاج مبروك، الموسوعة السياسية، المرجع السابق

الفصل الرابع: أثر العوامل والخصائص الجغرافية في رسم علاقة الخضوع القبلي ومظاهر الولاء

جهة والولاء والخضوع للسلطة من جهة أخرى،¹ وهو ما قاله القنصل الأمريكي شالر: "أن التربة في هذه المنطقة لم تتدهور ولم تتخضع قيمتها... واشتهرت بالخصوبة، وهي في بعض الجهات سوداء وفي جهات أخرى حمراء وكلها في جميع الحالات خصباء فهي مشبعة بالنترات"².

فمن قوله يتأكد لنا أن هذه الأراضي تربتها خصبة غنية صالحة للزراعة، وبها منتجات زراعية ومنتوعة من خضر وفواكه وأشجار مثمرة وغير مثمرة، ويعود ذلك بالأساس إلى طبيعة التربة والمناخ المعتدل .

وكذا منطقة مستغانم بها أراضي شاسعة وخصبة ومروية لأنها تحتوي على عيون وأحواض ونواعير، ونفس الكلام ينطبق على أراضي قبائل شرشال وتنس وجيجل وميلة ومليانة وندرومة التي بموقعها القريب مالت إلى ولاء السلطة³.

كما ذكر شالر⁴ أن سهول متيجة قد امتازت بمناخ معتدل وموقع قريب من السلطة وتربة خصبة وينابيع مائية عديدة، كما تحدث حسن بن الوزان عن المنطقة الغربية في سهل متيجة التي بها نشاط زراعي مناسب للموقع والمناخ والتربة مما ساهم في كثرة الإنتاج الزراعي وعيون الأبار والأحواض والنواعير الهوائية،⁵ فأراضي السهول كانت شاسعة وخصبة خاصة في أراضي الشرق الجزائري من دلس إلى عنابة، ويقول جورج فوزان Georges voisin: ".....بأن السهول المفتوحة والهضاب والوديان عانوا من كل المصائب وكانت علاقتهم بالسلطة قليلة"⁶.

1 - محمد السعيد عقيب وعمر لمقدم، قبائل المخزن ودورها في علاقة السلطة، المرجع السابق، ص 115

2 - وليام شالر، المصدر السابق، ص 29.

3-Noushi (a) lacoste (y), l'algerie passe, op cit, p p 203-204

4 - تحدث عن سهول الإيالة وقال عنها أنها من أجود السهول والتمتيزة بالتربة الخصبة الصالحة للزراعة وغرس الأشجار، للمزيد أنظر وليام شالر، المصدر السابق، ص 190.

5 - الحسن بن محمد الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 30

6 - G. voisin, l'algerie pour les algérien, op cit, p25

الفصل الرابع: أثر العوامل والخصائص الجغرافية في رسم علاقة الخضوع القبلي ومظاهر الولاء

ويتضح لنا من ذلك أن قبائل هذه المناطق لجأت إلى التقرب من السلطة تحت وطأة العديد من الظروف الصعبة من طبيعية وإجتماعية واقتصادية، فتولدت حاجة ماسة للتعامل معها لضمان الاحتياجات الأساسية والمتطلبات اليومية لأفراد القبيلة التي فرضتها الحياة ونمط المعيشة، كحرية التبادل التجاري في الأسواق والرعي وممارسة الزراعة والتنقل عبر القرى والمدامر، وبما أنها قليلة العلاقة أي التعامل فتتضح أكثر مع ساكنة الوديان والهضاب خاصة الصحراوية التي لجأ أفرادها إلى الفرار والاختباء في عديد المرات نحو المساحات الشاسعة والشعاب الوعرة .

التضاريس :

إن لعامل التضاريس دور مهم في رسم وتحديد علاقة الولاء بين الطرفين وذلك عبر ربوع الإيالة، فالقبائل الموالية والداعمة للسلطة تحكمت فيها عديد مجموعة من العوامل الطبيعية خاصة الموقع البعيد والمناخ والتضاريس والتربة، ويؤكد جون ب وولف أن الأراضي السهلية الخصبة القريبة من دوائر الحكم والسلطة تمثل مساحة قليلة من الإيالة عموماً، كما عرف على ساكنتها الإستقرار وممارسة النشاط الزراعي بكثرة.¹

وقد اهتمت السلطة بساكنة الريف لما يحتله من مكانة هامة خاصة، وأنه يمثل أكبر كثافة سكانية، ولعب فيه العنصر المحلي دوراً بارزاً في إزدهار وتنمية الحياة الريفية من كل الجوانب،² كما أنه يحتوي على خصائص طبيعية متنوعة .

فقبائل السهل والجبل كبني حجوط وصوماتة وموزاية وغيرها من القبائل التي كانت موالية ليحي أغا (1818م-1827م) (1233هـ-1232هـ) قائد الجيش،³ ظهر ولاءها

¹ - جون ب وولف، الجزائر وأوروبا، المرجع السابق، ص 396

² - بن عتو بلبروات، المدينة والريف بالجزائر، المرجع السابق، ص 291

³ - ناصر الدين سعيدوني، الحياة الريفية، المرجع السابق، ص 159

الفصل الرابع: أثر العوامل والخصائص الجغرافية في رسم علاقة الخضوع القبلي ومظاهر الولاء

للسلطة من خلال دعم المحلات العسكرية وجمع الضرائب واستتباب الأمن، وواجهت بعض القبائل الجبلية الأمرين وهما:

- الأول أنها كانت متمردة بسبب الموقع البعيد والتضاريس الوعرة والنشاط الإقتصادي الممارس وكثرة الضرائب وسياسة التعسف والظلم المنتهجة من طرف السلطة لكن سرعان ما أصبحت موالية بالقوة فقضت على تمردتها.

والثاني أنها كانت مضطرة للتعامل مع السلطة خاضعة لمطالبها لكي تصبح لها حقوق ووزن بين القبائل الموالية، كما كان المظهر التضاريسي الأكثر انتشارا عامل ولاء للسلطة من طرف بعض القبائل الجبلية خاصة تلك التي دخلت في حلف مع السلطة لتقرب هذه الأخيرة منها، وعرف عن هذه القبائل بامتلاكها ثروة خشبية ذات جودة عالية، فهي تقطن بالقرب منها أو بوسطها، ونجد ذلك في الغابات الكثيفة بالمناطق الوسطى والشرقية وأجزاء من منطقة القبائل وجبال جرجرة وغابات شرشال وبجاية والقاللة وغابات بني صالح وسيبوس، فقد اتفقت السلطة مع المقرانيين في مجانة بين سطيف ووادي زناتي على الحصول على الثروة الخشبية حيث كانت أشجار البلوط والصنوبر والزان والفلين والزيتون البري والخروب والدردار منتشرة بكثرة مقابل أن تستفيد هي من الأراضي الزراعية الخصبة، وكذا حق الرعي وسد حاجيات السكان وممارسة التجارة في الأسواق الأسبوعية والموسمية¹ ولأن تكون أكثر ارتباطا بها .

ولنسيج علاقة مهمة أكثر فأكثر قامت السلطة بإنشاء مصلحة أطلق عليها اسم الكرامة مقرها ببجاية²، كما لجأت السلطة سنة 1750م/1163هـ لإقامة علاقة صداقة مع قبائل كل من جيجل وبني فوغال وتامقوط وإيدوغ والقاللة وبني صالح هذه الأخيرة التي تضم غابات واسعة للضفة اليسرى بين واد السيبوس ووادي مجردة، والضفة اليمنى لواد

¹ - moulay belhamissi, Marine et Marins d'alger (1518-1830), op cit, p p 65- 66

² - صالح عباد، المرجع السابق، ص 312

الفصل الرابع: أثر العوامل والخصائص الجغرافية في رسم علاقة الخضوع القبلي ومظاهر الولاء

السيبوس في جنوب شرق جبل البرال،¹ وذلك بالإستعانة بشيوخ ومرابطين لهم مكانة ونفوذ وتأثير عند عامة السكان، كما استعملوا في جباية الضرائب وفرض الأمن والإستقرار وتهدة المتمردين، كالمرابط محمد المقراني والشيخ الجبلي الحاج أحمد المكي في مسعى من السلطة للحصول على أخشاب الغابات بغية تجديد الأسطول خاصة أواخر الحكم العثماني وصناعة السفن الشراعية والتأثيث المنزلي ومواد البناء.²

وبهذا يعتبر الجبل في بعض المرات فرصة مناسبة للتقارب والولاء والتعاون بين القبائل الجبلية والسلطة العثمانية، وطي صفحة من الماضي خاصة وأن الطرفين بحاجة لبعضهما البعض في رص الصفوف ودحر الأخطار الخارجية واستغلال الموارد الطبيعية بعقلانية.³

كما طالبوا من المرابط سيدي عبد القادر بالتوسط لدى قبائل بجاية وجيجل لإستغلال الثروة الغابية الخشبية المتميزة بالجودة مقابل منحهم أراضي صالحة للزراعة خصبة وغنية بسبب فقر أراضيهم وموقعهم الطبيعي وتضاريسهم الصعبة.⁴

إن هذا الإستغلال المفرط للثروة الخشبية انعكس سلبا على المساحة الغابية للبلاد ففي سنة 1781م - 1195هـ تم قطع أغلب الأشجار في منطقة الساحل والجهات الساحلية الممتدة من القالة إلى بجاية، وذلك لصنع 50 سفينة حربية بعدما كانت تغطي مساحات شاسعة من جهة التل والهضاب العليا.⁵

1 - اسمهان لعريبي، المرجع السابق، ص 72

2 - ناصر الدين سعيدوني، ورفات جزائرية، المرجع السابق، ص 463

3 - حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 28

4 - لخضر بوطبة، غابات منطقتي بجاية وجيجل، المرجع السابق، ص 43

5 - نفسه، ص 52

مظاهر الدعم والولاء للسلطة :

1- دعم وولاء شيوخ القبائل ورجال الدين :

لعب الشيوخ ورجال الزوايا من مرابطين وعلماء أكفاء دورا كبيرا في إتخاذ القرارات ومساندة السلطة وولائها في عدة مظاهر، فالمرابطون يمثلون سلطة دينية قائمة داخل المجتمع الريفي فكان لزاما الإعتماد عليهم، ونذكر من أهم الطرق الدينية الموالية كالرحمانية والراشدية والشاذلية والقادرية والشيخية التي امتازت علاقتها بالإيجابية حتى أواخر الحكم العثماني التي شهدت نوعا من التراجع والإندثار،¹ وكذلك شيوخ وأعيان القبائل أضحت مشاركتهم في السلطة وتنفيذهم لأوامرها أمر ضروري، وهو مازاد من هيبتهم داخل مناطق سيادتهم وحكمهم، فكانوا أداة فعالة في تأكيد الحكم قوته، وهو مايسمح باستمرارية الحكم والتحكم في القبائل عن طريق هؤلاء، ولا ننسى دور العلماء والمتقنين النخبة في إصلاح أحوال المجتمع ورقبه وازدهاره، وبذلك أصبحت قوة فعالة في التأثير على المجتمع، وهو ماسمح بإنشاء قوة تحالفية فمثلا.

في عهد الحاج أحمد باي استطاع أن يقرب إليه عائلة الشيخ العلامة عبد الرحمان الأخضري والشيخ الملياني الذي هو من رواد ومنتسبي الطريقة الشاذلية المعروف عليها ولاءها للسلطة سنة 1830م - 1246هـ، فقد كان حليفا للسلطة ومعاديا للإسبان، وهذا التقارب سمح بالتحكم والسيطرة على بعض القبائل التي كانت متمردة بغض النظر عن التي كانت موالية.²

فكان هؤلاء يمثلون همزة وصل بين السلطة والرعية، وهو ما يؤكد حمدان خوجة في إشارة منه إلى أن السلطة أدركت جيدا المكانة السامية والراقية التي يملكها هؤلاء ضمن

¹ - صالح عباد، المرجع السابق، ص 363

² - ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، المرجع السابق، ص 277

الفصل الرابع: أثر العوامل والخصائص الجغرافية في رسم علاقة الخضوع القبلي ومظاهر الولاء

المجتمع القبلي واحترامهم من طرف الأغلبية أي الرأي العام،¹ لذا حاولت السلطة مرارا وتكرارا ربط الإيالة في عديد الجوانب السياسية والإقتصادية والاجتماعية بهم، وذلك لما تجنيه من أهداف وغايات عديدة متمثلة في مايلي:

- فرض سلطتها وإخضاع القبائل العاصية مقابل الإعتراف بزعامة الشيوخ والأعيان محل التقدير والإحترام، ووساطة المرابطين كوازع ديني، وفضل وحكمة العلماء .

- ضمان سلامة الحاميات العسكرية المتجولة والمتنقلة من منطقة لأخرى، وتسهيل مهامها ومنع الإعتداءات عليها خاصة من اللصوص وقطاع الطرق .

- حماية القوافل التجارية المارة عبر المسالك البرية والقادمة من التل إلى الصحراء ومن الشرق إلى الغرب، وتسهيل وصولها إلى الأسواق.²

- تسهيل المعاملات والتبادلات التجارية من بيع وشراء في الأسواق المنتشرة عبر ربوع الإيالة، وخاصة تلك التي منتشرة في الأرياف من التل والصحراء والهضاب والسهول.³

- ولكسب هؤلاء وضمهم إلى صفها عمدت السلطة إلى :

- منحهم امتيازات وصلاحيات ومكاسب مهمة كإسقاط المطالب المخزنية عنهم وإعفائهم من الضرائب ومنحهم أراضي زراعية خصبة وهبات وهدايا،⁴ وكلفتهم بوظائف متمثلة في :

- فرض الأمن و السلم بمحاربة كل أشكال التمرد والفوضى حيث عمد الشيوخ والمرابطين إلى تغيير فكرة الرفض والعصيان واستبدالها بالولاء والجنوح إلى الأمن .

¹ - حمدان بن عثمان خوجة ، المصدر السابق ، ص 56

² - لخضر بوطبة ، غابات منطقتي بجاية وجيجل، المرجع السابق، ص 48

³ - ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، المرجع السابق، ص 437

⁴ - حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 111

الفصل الرابع: أثر العوامل والخصائص الجغرافية في رسم علاقة الخضوع القبلي ومظاهر الولاء

- مراقبة الأسواق والطرق وتوزيع الأراضي وتقسيم المياه

- ممارسة نشاط الرعي في السهول

- ولوج الأسواق وتبادل المنتوجات الأولية،¹ ومن أهم مظاهر الولاء نجد :

- التعاون بين السلطة عن طريق البايات من جهة وشيوخ القبائل من جهة أخرى في استصلاح الأراضي الزراعية وغرسها وتصدير كميات كبيرة من الحبوب خاصة ما بين سنوات (1783م-1803م) (1197هـ-1218هـ) مما عاد بالنفع على القبائل، وزيادة المداخيل المالية وترسيخ الأمن والسلم، وذلك في عهد محمد عثمان باشا (1766م-1791م) (1180هـ - 1205هـ)، وهذا التعاون سمح بإثراء الشيوخ المتعاملين مع السلطة، كجانب سلبي من طرف بعض الشيوخ والأعيان الذين استغلوا الفرصة لتحقيق مكاسب خاصة على حساب المصلحة العامة، كما كانت سببا في تراجع الثقة بين السلطة وهؤلاء أواخر الحكم العثماني.²

- كما أن بايات قسنطينة أطلقوا حرية التجارة الداخلية لشيوخ القبائل والأسر المحلية الحاكمة، وتم منحهم عديد الإمتيازات، فشيخ العرب هو الذي يسير المؤسسات الإقتصادية، كما احترمت السلطة استقلالية المشيخات الوراثية، وأقرت لها صلاحيات واسعة كإبن قانة وأولاد عبيد وغيرها.

- ما فعله شيخ الحنانشة ابراهيم بن بوعزيز (1755م-1772م) الذي قدم خدمات جليلة للسلطة، وساهم في توطيد صلته بالحكم في عهد الباي صالح (1771م-1792م) حيث أخضع سكان شرقي الأوراس أي تبسة واستطاع القضاء على عصيان أسر

¹ - ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، المرجع السابق، ص 253

² - المنور مروش : دراسات عن الجزائر في العهد العثماني، العملة، الأسعار والمداخيل، ج1، د،ق، ن، الجزائر، 2009، ص ص 151-152،

الفصل الرابع: أثر العوامل والخصائص الجغرافية في رسم علاقة الخضوع القبلي ومظاهر الولاء

الناماشة وأولاد سيدي يحي وأولاد يحي بن طالب، وهو ماسمح له بمد نفوذه على هذه المناطق وتولي مسؤوليتها، وعلى مناطق شملت كل من واحة الفيض في الزاب الشرقي¹.

ومن مظاهر الولاء ما قدمه المرابطون في المساعدة والمشاركة على تحرير وهران من الإحتلال الإسباني الصليبي، كتلبية لنداء الجهاد والتطوع، وسنتحدث عن ذلك في المبحث الموالي بالشرح والتدقيق .

ماقدمته الطريقتين الدينيتين الطيبية والشيخية، فالطيبية تواجدت في مناطق بالغرب الجزائري وأولت دعما ومساندة للسلطة من خلال قبائل الدواير والزمالة المخزنييتين أماالشيخية فتواجدت في الهضاب العليا في قبائل أولاد سيدي الشيخ وقبيلة البيوض سيدي الشيخ وفروعها، وقبيلة أولاد سيدي التاج، وكلا الطريقتين كانت تجمعا الضرائب للسلطة وتحث السكان على الجهاد ضد العدو الإسباني، ومحاربة التمردات والإضطرابات التي تعكر من جو السلم والأمن على مستوى مناطق نفوذهما.²

وفي عهد الداوي حسين برزت مظاهر ولاء العلماء والمرابطين والصالحين حيث قرب إليه هؤلاء ومنحهم عديد الإمتيازات، وهذا يدل على الحنكة السياسية والإرادة القوية في كسب ولاءهم ونفوذهم لصالحه والوقوف معه في الأزمات والصراعات الداخلية خاصة مع الإحتلال الفرنسي الجزائري.

ما قام به الداوي علي باشا الدولاتلي سنة (1754م-1168هـ)، حيث بعث بمرسوم خاص لتعيين مرابط في قرية جيجل، وأوصى بعدم الإعتداء عليه من طرف أهل النوبة وأعلن عن مرسوم آخر يقضي بتعيين مرابط على عرش برباشة في ناحية بجاية.³

¹ - بيار كاستل، حوز تبسة، المرجع السابق، ص 176

² - بومدين دياب، بايلك الغرب الجزائري، المرجع السابق، ص 71

³ - جهيدة بوعزيز، الصراعات الداخلية وأثرها على المجتمع الريفي، المرجع السابق، ص 29.

الفصل الرابع: أثر العوامل والخصائص الجغرافية في رسم علاقة الخضوع القبلي ومظاهر الولاء

كما أن القبائل وضعت ثقفتها التامة في شخص المرابطين والشيوخ، ووجدت ضالتهما في حكمهم وتنفيذ أوامره بدلا من السلطة، فهذا التقرب الذي حدث بين السلطة والشيوخ سمح بأن يسيروا البلاد في عديد الأمور بواسطتهم دون تدخل السلطة، وهو ما أشار إليه حمدان خوجة في قوله: "أما السلم فإنه يتم دائما بتدخل المرابط"،¹ ومن الأمثلة كاستخلاص الضرائب مثلا، فالشيخ هو الذي يقوم بجمع الضرائب من أفراد القبيلة لمكانته المحترمة وشخصه العالي بينهم والقبيلة العاصية يلجأ المرابط إلى إقناعها بالعدول عن ذلك لمرتبته الدينية، فتكون السلطة بذلك قد تجنبت عديد الإشكالات والسياسات التي من شأنها الدخول في دوامة من الفوضى والتمرد أي أن يحكم الجزائريون أنفسهم بأنفسهم، وخلق للتواصل الغير مباشر بين السلطة الحاكمة و القبائل.²

فاستغلت السلطة نفوذهم وقوتهم لصالحها خاصة فئة المرابطين ومكانتهم الإجتماعية وممارسة حكمهم على السكان بإيجابية بحكم العامل الديني، في أنهم كانوا أعيانا للبايك ووسطاء حقيقيين بين السلطة والسكان، وبذلك كانوا حلفاء وموالين،³ لذا راحت السلطة تلتزم برأيهم وحكمتهم وتقبل شفاعتهم، وفي زيارة أضرحتهم، والعمل على بناء القباب.⁴

- ومن مظاهر ولاء الشيوخ ما نستشفه في شيخ الحنانشة الذي تمتع بامتيازات كبيرة وصلاحيات⁵ واسعة مثل الباي بالتقريب من خلال رفع الأعلام وقرع الطبول واستعمال الختم في الوثائق الإدارية، حينما يتوجه إلى قصر الباي في الشرق لدفع الضرائب

1 - حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 88

2 - محفوظ قداش، الجزائر في العهد التركي، مجلة الأصالة، ع52، الجزائر، 1977م، ص ص 10-11

3 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، ج8، ط1، السنة 1998م، ص 460 وللمزيد أنظر:

Féraud, histoire des villes Gligilli de la province de Constantine" L,Arnolt, Paris 1870 p173

4 - ناصر الدين سعيدوني، تاريخ الجزائر في العهد العثماني ويلييه ولايات المغرب العثمانية، الجزائر، تونس، طرابلس الغرب المرجع السابق، ص 156

5 - امتيازات وصلاحيات الشيوخ وأعمالهم، وللمزيد أنظر أرزقي شويتام، دور القوى المحلية في الجزائر في ظل الحكم العثماني، الملتقى الدولي حول ممالك الأمازيغ في العهد الإسلامي، بسكرة، 1_2 سبتمبر 2010، الجزائر، ص 161.

الفصل الرابع: أثر العوامل والخصائص الجغرافية في رسم علاقة الخضوع القبلي ومظاهر الولاء

المرتتبة على القبلية، فكان يدفع حوالي 10000 بوجو سنويا، وعرفت القبيلة بمساحتها الشاسعة التي تمتد من تبسة إلى سوق أهراس ثم إلى عنابة ومنها إلى قلعة سنان وجبال لمسيد إلى جنوب وادي مجردة وإلى جبل قلاله ودغمة وسلسلة الكاف وقوة عسكرية وثروة إقتصادية¹، كما أنه حامي الطريق الرابط بين تونس وبايلك قسنطينة بحكم أن القبيلة حدودية مع الإيالة تونس، فهو يقوم بحماية القوافل التجارية المارة والعبارة إلى الإيالتين من قطاع الطرق، وتسهيل المبادلات التجارية وإيواء قبائل تونسية مظطهدة أو فارة نتيجة مشاكل مختلفة، كدفع الضرائب أو أزمات صحية وبائية.

- ومن الشيوخ الموالين نجد شيخ بلزمة جنوب بركة وشيخ الأوراس ولاهم الباي على منطقتهم مقابل دفع مبلغ مالي قدره ثلاثة آلاف بوجو، وكلفهم كامتياز بجمع الضرائب على مستوى قبائلهم والاحتفاظ بجزء منها مقابل خدماتهم نحو السلطة، وهذا ما يؤكد نية السلطة في كسب ولائهم بأي طريقة وتشجيعهم على خدمة السلطة وتفادي الإضطرابات المتكررة، ولاربما ذلك المبلغ المقطوع من حقهم يعود عليهم في خدمة متطلبات وحاجيات أفراد القبيلة².

- كما ساعد المرابطون والشيوخ حكام السلطة من البايات بجباية الضرائب من المناطق الجبلية والصحراوية الوعرة، ففي عهد الباي أحمد القلي باي قسنطينة كلف الشيخ حسن الورتيلاني (1713م-1779م) بمساعدة الجند في عملية جباية العشور³، كما فوض الباي محمد الذباح مرابطي أولاد سيدي علي أو موسى ذو النفوذ الكبير بالمنطقة، وكذلك مرابطي تازروت بنزليوة¹.

¹ - جميلة معاشي، الأسر المحلية الحاكمة، المرجع السابق، ص 155، أو للمزيد أنظر أحميدة عميروبي، علاقات

بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد، المرجع السابق، ص 25_26

² - ناصر الدين سعيدوني، ثلاث رسائل تتعلق بأوضاع الجزائر قبل الإحتلال، "التاريخ"، ع7، السنة 1977م، ص 51

³ - الحسن بن محمد الورتيلاني، نزهة الأنتظار في فضل علم التاريخ و الأخبار، المصدر السابق، ص 75

¹ - جميلة معاشي، الأسر المحلية، المرجع السابق، ص 96

الفصل الرابع: أثر العوامل والخصائص الجغرافية في رسم علاقة الخضوع القبلي ومظاهر الولاء

- وما تضمنته الوثيقة رقم 64 التي مفادها تعيين الشيخ عبد الله على وطن المعزولة بأقصى الشرق الذي يتربع على مساحة شاسعة تصل إلى الحدود التونسية في مكان ابنه في عهد صالح باي، وقد أوصى وكيل الشركة الملكية الإفريقية بدعمه ومساندته، فوظيفته تقتضي ذلك وتم هذا التعيين في منتصف أفريل سنة 1779م/1193هـ، وهو ما يؤكد العلاقة الإيجابية بين الحكام والشيخ أو ما يعرف بالزعامات القبلية، كما أن هذا التعيين يصب في خدمة مصالح السلطة عامة والباي خاصة، وقد عرف عن الشيخ عبد الله بأن له وزن وثقل هام، فله الكثير من الموظفين والحريم ناهيك عن امتيازات وصلاحيات واسعة.¹

كما نذكر أيضا الدور الكبير الذي قدمه المرابطون في التصدي للحملات الأوربية الصليبية على الجزائر خاصة الإسبانية في حثهم للسكان على الجهاد وحمل السلاح باعتباره واجبا مقدسا ضد أي دخيل يستهدف البلاد والعباد، والوقوف إلى جانب السلطة في وقت الشدة، ونلمس ذلك عندما قام الباشا محمد عثمان في منح المرابط سيدي سعادة مول الشقفة بجيجل مكافأة له نظير مشاركته في التصدي الهجوم الإسباني على مدينة الجزائر سنة (1775م-1188هـ) بمعية صالح باي، حيث أرسل له خاتما وقطانا، وهو بمثابة تعيين على منطقة الشقفة إضافة إلى ذلك قام بتكليفه بمهمة تحصيل الضرائب كإمتياز إقتصادي من أتباعه، ويساعده الخليفة وكلف أيضا المرابط بحفظ الأمن والإستقرار، وحماية القوافل التجارية العابرة على أراضي من السرقة بمرافقتها أو تعيين من ينوب عنه، وفي هذا الصدد كان بعض المرابطين الموالين للسلطة يضعون علامات على

¹ - شاعو كمال، بايك قسنطينة من خلال بعض وثائق المجموعة 1641 المحفوظة بالمكتبة الوطنية الجزائرية (1757م-1792م)(1171هـ-1207هـ)، رسالة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر، (2004م-2005م)، ص

الفصل الرابع: أثر العوامل والخصائص الجغرافية في رسم علاقة الخضوع القبلي ومظاهر الولاء

القافلة مفادها أنها تحت حماية المرابط، وهذا ما يجعلها في أمان من أي تحرشات أو نهب من طرف اللصوص أو المتمردين.¹

- كما شارك المرابط سيدي أحمد الزواوي في ضد حملة الضابط الإسباني orieilly في عهد صالح باي، وهذا المرابط تمتع بالمكانة القوية والنفوذ مع كثرة أتباعه، وحظي بعدد الإمتيازات.²

وكان للطريقتين القادرية والطيبية المتواجدين بالغرب الجزائري علاقة طيبة مع السلطة حيث أسهمتا كثيرا في تحرير مدينة وهران والمرسى الكبير من الإحتلال الإسباني سنة 1792م، وذلك بحث أتباعهم على رفع راية الجهاد ودعم السلطة .

ومن مظاهر الولاء للسلطة العثمانية نجد أيضا :

2 - دعم القبائل للسلطة ضد الإيالة التونسية :

في ظل الصراع الدائر بين السلطين عملت القبائل الشرقية الحدودية خاصة في دعم ومساندة البايات في حملاتهم العسكرية على القبائل الحدودية أو ردع حملات بايات تونس في ظل الدفاع عن الأرض والوطن، ومن أهم النماذج حول ذلك نجد :

- مساندة قبائل الحنانشة والحراكتة والنامشة في ردع حملة الباي مراد سنة 1700م/
1112هـ في عهد باي قسنطينة علي خوجة، وقد استطاع باي تونس الوصول لقسنطينة ومحاصرتها إلا أنه عجز في دخولها واقتحامها بسبب قوة وشجاعة سكانها لينسحب منها وبعد تعيين الحاج مصطفى بايا على قسنطينة (1700م/1705م)(1112هـ/1117هـ) قام بمهاجمة تونس ليلتقيا في منطقة جوامع العلمة على حدود سطيف³ انتهت بهزيمة مراد باي ومقتل الكثير من جنوده وبهذا التحالف بين السلطة والقبائل أدى إلى زيادة قوتها

¹ - جميلة معاشي، الإنكشارية والمجتمع، المرجع السابق، ص 104 ص104

² - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص 157

³ - صالح عباد، المرجع السابق، ص 148

الفصل الرابع: أثر العوامل والخصائص الجغرافية في رسم علاقة الخضوع القبلي ومظاهر الولاء

العديدية العسكرية حيث فاقت 10 آلاف فارس بالإضافة إلى المشاة ومد نفوذها نحو الحدود وولاء القبائل لها¹ كما انطلقت حملة عسكرية في شهر ماي سنة 1735م/1148هـ بأمر من داي الجزائر وذلك بعد امتناع باي تونس من دفع الضريبة المترتبة عليه واسترداد الباي علي الحكم من عمه حسين بن علي وتشكلت الحملة من ألف جندي بقيادة باي قسنطينة، وألف جندي بقيادة علي باشا،² وبدعم ومساندة من قبيلة الحنانشة الحدودية مع الإيالة تونس التي لها نفوذ وقوة عددية ومساحة شاسعة،³ وفي الضفة الأخرى قام الباي حسين بن علي بتجهيز محلة عسكرية واتجه نحو منطقة الكاف لتحفيز القبائل الحدودية وسرعان ما عاد إلى تونس، ليدخل الجند الجزائري منطقة الكاف ويواصل زحفه نحو تونس دون مقاومة تذكر، وهو ما يوحى بالفشل الذريع وضعف الموالين للباي حسين وفشل استعداداته لمواجهة هذا الجيش، مما جعله يفر إلى القيروان، وهو ما مكن الباي علي من دخول تونس التي تم تنصيبه فيها حاكماً، وبهذا الإنتصار انسحب الجيش الجزائري بعدما بقي لمدة 10 أيام.⁴

كما قام ابراهيم بالمشاركة في الحملة العسكرية على تونس سنة 1756م-1169هـ والتي انتهت بقتل باشا تونس علي والمساعدة على تعيين أبناء حسين بن علي رأس الإيالة في تونس ذلك في عهد الباي حسن بقسنطينة (1748م/1755م) (1161هـ

¹ - جميلة معاشي، الإنكشارية والمجتمع، المرجع السابق، ص 101

² - صالح عباد، المرجع السابق، ص 159

³ - محمد الهادي الشريف، تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الإستقلال، دار سراس للنشر، تونس، 1980م، ص، 84

⁴ - محمد الصغير بن يوسف، المشرع الملكي في سلطنة أولاد علي تركي، تقديم و تحقيق أحمد الطويلي، المطبعة العصرية، تونس، ط1، ج3، السنة 1888م، ص ص 151-152

الفصل الرابع: أثر العوامل والخصائص الجغرافية في رسم علاقة الخضوع القبلي ومظاهر الولاء

(1168هـ)، وقد ساهم شيوخ الحنانشة والحراكتة بدور كبير في تثبيت الباي محمد على رأس الإيالة رفقة باي قسنطينة.¹

وفي عهد صالح باي (1771م-1792م) (1185هـ-1206هـ) ساندته بعض القبائل الشرقية في نزاعه مع حمودة باشا سنة 1783م، فالباي صالح قام بمساندة ودعم قبائل تونسية فرت إلى الحدود الجزائرية أي أنه تم إيواءها، وبعد مدة طالب الباي صالح بتعويضات لما تسبب فيه حسان باشا الذي طارد تلك القبائل الهاربة، وهو ما أدى إلى غضب حمودة باشا الذي أعد حملة عسكرية لمهاجمة الجزائر، فقام الباي صالح بتجهيز جيش قوامه 6 آلاف محارب من القبائل والأسر، ولكن مع تدخل الداوي محمد بن عثمان الذي أمر بدفع تعويضات في شهر جويلية (1784م-1198هـ) للسلطة في تونس والظروف الصعبة التي تمر بها تونس خارجيا وداخليا، والمتمثلة في حربها مع إيطاليا والأزمات والأوبئة والأمراض المنتشرة التي أدت إلى خسائر مادية وبشرية لمدة سنة كاملة حالت دون وقوع الهجوم.²

حملة الباي عبد الله باي الشرق الجزائري (1804م-1806م) (1219هـ-1221هـ) على عرش الفراشيش وأولاد بوغانم بعتة بمعية أسرالحنانشة والحراكتة سنة (1804م-1218هـ) وبرفقة أغا العرب جمعا محال تضم أكثر من 5000 فرد من القبائل الريفية و200 خيمة لضمهم مع الفلول القادمة من الجزائر التي أرسلها الداوي لدعم الجيش المتواجد هناك برا وبحرا عبرمدينة عنابة واستمرت هذه المواجهات مدة شهر وقتل فيها حوالي 3000 شخص من التونسيين.³ وهناك من أشار إلى ما يقارب 2000 شخص¹

¹ - حمودة بن محمد بن عبد العزيز، الكتاب الباشي، قسم السيرة، تحقيق الشيخ محمد ماضور، الدار التونسية للنشر، تونس، ج1، السنة 1970م، ص 290، وللمزيد أنظر صالح فركوس، تاريخ الجزائر من ماقبل التاريخ إلى غاية الإستقلال، المرجع السابق، ص 189

² -- ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، المرجع السابق، ص ص 244-245

³ - نصر الدين عبد الغفور، القبيلة والسلطة، المرجع السابق، ص 360

¹ - جهيدة بوعزيز، الصراعات الداخلية وأثرها في المجتمع الريفي في بايلك الشرق، المرجع السابق، ص 100

الفصل الرابع: أثر العوامل والخصائص الجغرافية في رسم علاقة الخضوع القبلي ومظاهر الولاء

وتم أسر 800 شخص، وتم الإستيلاء على 36 ريال سكة تونسية إضافة إلى المدافع وبعض الأسلحة الحربية و400 خيمة، وما يؤكد هذه المعركة ما جاء في الوثائق: "...أن باي قسنطينة مع أغا العرب قد جمعا محالا فيها ما يزيد عن 5 آلاف رجل ومائتي خيمة لضمهم مع العساكر والمحال الواردين من الجزائر، ما عدا طوائف العسكر المجتمعين في عنابة ووادي الزيتون... وبخلاف (كذا) سائر العربان المجتمعة معهم للغزو". فالدراسات التاريخية تشير إلى أن شيخ الحنانشة إبراهيم بن بوعزيز، وعلى إثر أوامر من الباي صالح قام بشن هجمات عسكرية على قبائل الفراشيش الحدودية التي عادة ما تهاجر صوب الأراضي الجزائرية لممارسة عديد الأنشطة الزراعية، وتقوم السلطة لاستخلاص الضرائب منها وفي حالة فرارها من تسديد الضرائب يتم ملاحقتها ومعاقبتها.

- وفي سنة (1807م - 1222هـ) قام حمودة باشا والي تونس (1782م - 1814م) بمهاجمة الإيالة بجيش بلغ تعداده 50 ألف مقاتل، واستهدف مدينة قسنطينة وكانت الأضرار كبيرة على الممتلكات فأرضهم كانت مسرحا للحرب، وقد كتب أحد الشعراء معبرا عن ذلك بقوله:

حتى التوانسة جارنا حاركين قومان والعسكر في مثل الجراد ياريم .
خرج محلة حمودة ذلك اللعين وبعث خليفة هـاذوك الأوقات.
على وين عباد هاذوك الضايعين سليمان كاهية والجوانب تزداد¹.

وهنا كانت القبائل الحدودية تارة تنظم لإيالة تونس وتارة تنظم لإيالة الجزائر على حسب الظروف والمعطيات، وبحكم أن الحدود كانت مفتوحة بدون حواجز أو عراقيل بين الطرفين وعلى إثر هذا انسحبت القبائل التي كانت موالية لحمودة باشا، فقد كاتب كل من

¹ - رزيقة محمدي، العلاقات التونسية المغاربية في عهد حمودة باشا (1782م - 1814م)، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية المجلد 4، العدد 8، مركز الحكمة للبحوث والدراسات، الجزائر، 2016، ص 209، ونجد أحمد بن المبارك يشير إلى أزيد من 100 ألف جندي، أحمد بن المبارك، تاريخ قسنطينة، المصدر السابق، ص 51-52 أما محمد الصالح العنتري فيشير إلى 20 ألف جندي، العنتري، مجاعات قسنطينة، المصدر السابق، ص 37

الفصل الرابع: أثر العوامل والخصائص الجغرافية في رسم علاقة الخضوع القبلي ومظاهر الولاء

شيخ الحنانشة وشيخ الأوراس وشيخ العرب وأهل مجانة في عهد حسين باي، وتم إغراءهم بالمال والعطايا والهدايا كما وعدهم بامتيازات ومكاسب كحرية التنقل على الأراضي التونسية وممارسة الأنشطة الاقتصادية كالزراعة والرعي والصناعة شريطة الانضمام إليه وتقديم الولاء والطاعة ومعاداة باي قسنطينة، إلا أن هؤلاء لم يوافقوا على فكرته وتم مخالفة أوامره، مما اضطر القائد سليمان كاهية للانسحاب، فقام حمودة باشا¹ في 12 أكتوبر 1813م بتعيين يوسف صاحب الطابع على رأس قوات قدرت بـ 18 ألف جندي² متوجهة إلى حدود البلدين، وقد التقى الجيشان بموقعة سلاطة، واستطاع الباي حسن هزيمته، وشهدت مقتل الجنود من الجانبين، وتعرض حمودة باشا لهزيمة نكراء³ وكانت آخر معركة برية بين الطرفين إلى غاية الإحتلال الفرنسي.

3- الدعم القبلي في التصدي لخطر المغرب الأقصى :

عرفت العلاقات بين البلدين الجزائر والمغرب الأقصى أواخر العهد العثماني تذبذبا بين تصعيد مستمر وإستقرار جزئي نتيجة ظروف وتغيرات حاصلة أملت المناطق الحدودية ومشاكل البلدين، فقد سعى المغرب للسيطرة على الجهة الغربية من الإيالة الجزائر في فترة حكم السعديين ثم العلويين⁴، وقد تعرضت تلمسان المنطقة الحدودية إلى الكثير من الغارات والصراعات المتكررة إضافة إلى فرض الحصار عليها ناهيك عن دعوة سكانها إلى التمرد والعداء ضد السلطة العثمانية خاصة في عند المولى اسماعيل الذي حرض قبائل حدودية على الفتن والإضطرابات كبني عامر وبني هاشم إلا أنهما

¹ - حمودة باشا: هو الإبن البكر لعلي باي ويكنى أبا أحمد ولد سنة 1752م اعتلى كرسي العرش الحسيني سنة 1782م انتصف بعديد الصفات والأخلاق كالصرامة والعلم والحكمة واهتم بتطوير الجيش أنظر:حسن حسيني عبد الوهاب، وركات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية المجلد الأول، تونس، 1956م، ص 187

² - أحمد بن أبي الضياف، إتحاف أهل الزمان بأخبار تونس وعهد الأمان، تحقيق لجنة من وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، المجلد 2، الجزء 3، دط، الدار العربية للكتاب، 1999م، ص 42

³ - ج. أو، هابسترايت، المصدر السابق، ص 118

⁴ - يحي بوعزيز، المرجع السابق، ج2، ص 51

الفصل الرابع: أثر العوامل والخصائص الجغرافية في رسم علاقة الخضوع القبلي ومظاهر الولاء

إتخذا موقف الرفض وعدم الإنصياع لإغراءات وامتيازات السلطة المغربية، فضلا دعم السلطة العثمانية، وقد أغار المولى اسماعيل على قبيلة سقونة منتهزا فرصة إهتمام السلطة بمشاكلها الداخلية إلا أنه لم يصل إلى تلمسان¹ وأمام هذه التطورات قام الداوي شعبان بإرسال حملة عسكرية مكونة من حوالي 13000 جندي لردعه بالإستعانة بقبائل موالية مخزنية، وقد انتهى الصراع الجزائري المغربي باللجوء إلى إتفاق بينهما يقضي باعتبار وادي التافنة حدا فاصلا .

لتستمر الصراعات بمحاولات المولى اسماعيل التقدم وشن غارات ومحاولات فاشلة لزرع الاضطرابات، وكانت أخرها هجومه على مدينة وهران التي فشل في إقتحامها ودخولها وأدت إلى مقتل وجرح الكثير من جنوده، وتشير الإحصائيات إلى هلاك حوالي 20 ألف جندي من قواته² بسبب تواجد قبائل القوة المخزنية وتحالفها كالزماله والعبيد والدواوير .

وفي عهد المولى سليمان (1792م/1822م) (1207هـ/1237هـ)، شهد الوضع تصعيدا خطيرا بسبب الأطماع التوسعية حيث امتد نفوذها إلى وجدة التي إقتحمها واستولى عليها³ وذلك بعد إتفاق جمع المولى سليمان بمعية الباي محمد الكبير باي الغرب الجزائري الذي تخلى أيضا عن قبائل بني يزناسن وسقونة والمهابة وأولاد زكري لصالح السلطة المغربية⁴ التي لم تتوقف عن سياستها التوسعية، وبث أفكارها وسمومها بتحريض القبائل مستغلة انشغال السلطة في إيالة الجزائر بالثورات الداخلية خاصة ثورة درقاوة بقيادة ابن الشريف الدرقاوي التي زعزعت من أمنها وإستقرارها، وأثرت على مجالات عديدة، وعلى إثر ذلك هاجم المولى سليمان كل من فقيق سنة 1805م-

¹ - محمد بن يوسف الزباني، دليل الحيران وأنيس السهران، المصدر السابق، ص 13

² - صالح عباد، المرجع السابق، ص 147

³ - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 92

⁴ - مسلم بن عبد القادر، أنيس الغريب، المصدر السابق، ص 510

الفصل الرابع: أثر العوامل والخصائص الجغرافية في رسم علاقة الخضوع القبلي ومظاهر الولاء

1220هـ وقورارة وتوات سنة 1808م-1223هـ التي استولى عليهم، وبالتالي إزداد نفوذه ليشمل أراضي الجنوب الشرقي من الإقليم الوهراني.¹

4- الإستجابة لنداء الجهاد ضد الحملات الأوربية:

شهدت الإيالة الجزائر في أواخر العهد العثماني عديد التحرشات والحملات الصليبية المتتابعة التي مصدرها أوروبا خاصة إسبانيا و بريطانيا على سواحلها، مما أدى بالسلطة الحاكمة إلى إعلان النفير العام رغم المشاكل والأزمات الداخلية التي تتخبط فيها، فقامت بحث جميع فئات المجتمع وخاصة رجال الدين وشيوخ وأعيان القبائل والعلماء والفقهاء على المشاركة في دحر هذا الخطر الخارجي، فكانت هبة شعبية منقطعة النظير بمشاركة الفعالة ونسيان الخلافات الداخلية التي كللت بالتحريم النهائي وطرده الإسبان المحتلين.

1- المشاركة والتصدي للحملات الأوربية :

- الحملة الإسبانية على مدينة وهران شهر جوان (1732م-1145هـ): تولى قيادة هذه الحملة الكونت مونتيمار، وكان هدفها الرئيسي إسترجاع مدينة وهران التي تم تحريرها من الإسبان، واحتوت هذه الحملة على قوة حربية إسبانية بمقدور 525 قطعة بحرية على متنها 30 ألف مقاتل، ومن العتاد الحربي 720 مدفعاو من القنابل مختلفة الحجم 16420 قنبلة، ومن البنادق 12000 ببندقية ومن البارود 12427 قنطارا، وقد أنزلت هذه القوات الغازية بعين الترك البعيدة عن غربي وهران بـ 15 كيلومترا، وفي الجانب الآخر قامت السلطة بتجهيز وتجنيد نحو 4 آلاف مجاهد من القبائل القريبة الذين انظموا للحامية التركية بإمرة الباي بوشلاغم، كما وصلت قوة عسكرية قادمة من الجزائر، فخرجت هذه الحامية لمقاومة الهجوم الإسباني، وبعد ساعات من المعركة قدم فيها المجاهدون بسالة

¹ - الزياني ، المصدر السابق، ص 102 ، أو توفيق دحماني، الضرائب في الجزائر، المرجع السابق، ص 270

الفصل الرابع: أثر العوامل والخصائص الجغرافية في رسم علاقة الخضوع القبلي ومظاهر الولاء

كبيرة وتضحيات كادت أن تؤتي بالإننتصار لولا خيانة أفراد قبيلة بني عامر التي قدمت الدعم والمساندة للإسبان، مما أدى إلى إحتلال المدينة مرة ثانية.¹

- **الحملة العسكرية الدنماركية سنة (1770م-1184هـ):** بقيادة الأميرال كاس caas على مدينة الجزائر إلا أن الداى محمد بن عثمان باشا (1766م-1791م) (1180هـ-1205هـ) قام بالتصدي لهذه الحملة، والحد منها بالإستعانة بأفراد القبائل التي لبت نداء الجهاد والتضحية وانتهت الحملة بفشلها الذريع،² كما هاجمت الدنمارك مرة ثانية مدينة الجزائر سنة (1772م-1186هـ)، فكان مصيرها كسابقتها .

- **الحملة الإسبانية سنة (1773م-1187هـ):** بقيادة الأميرال دون أنجلو بيرسلوا على مدينة الجزائر، وهذه الحملة تصدى لها الداى محمد بن عثمان باشا من خلال الإستجداد بالعديد من أفراد وأبناء القبائل خاصة من بايلك الشرق الذي قدر عدد المجاهدين بـ25 ألفا، وبايلك التيطري بـ15 ألف مجاهد، وعند وصول الحملة الإسبانية إلى المياه الإقليمية لمدينة الجزائر انطلقت المعركة لمدة 11 يوما من 29 جويلية إلى 9 أوت 1773م، وبعد مقاومة عنيفة بين الطرفين انسحب الإسبان منها مقهورين مهزومين.³

- **الحملة الإسبانية سنة (1775م-1189هـ):**

بقيادة الكونت ألكسندر أوريللي OREilly Alexander الإيرلندي حاكم مدينة مدريد والأميرال مازاريدو على مدينة الجزائر، وتأتي هذه الحملة بعد إحتلال مدينة وهران سنة (1732م-1145هـ)،⁴ وضمت هذه الحملة وحدات المشاة المكونة من 20 ألف رجل حوالي 800 فارس و900 مدفعي، إضافة إلى 3500 بحار كانوا على متن السفن، وأكثر

¹ - عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ج3، ص 223

² - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 25

³ - عمار عمورة، المرجع السابق، ج2، ص 79

⁴ - عمار عمورة، نفسه، ص 80

الفصل الرابع: أثر العوامل والخصائص الجغرافية في رسم علاقة الخضوع القبلي ومظاهر الولاء

من 500 سفينة مختلفة¹، وتشتمل على 20 بارجة و 20 مدمرة و 7 مراكب من نوع الشبك و 344 باخرة للشحن²، وسميت بالحملة البرية والبحرية التي سخر منها الداوي في إشارة منه إلى كثرة الحملات الإسبانية فقال: "إنها إسبانيولاد أخرى بالضبط"، في إشارة منه إلى فشلها المسبق³.

كانت هذه الحملة في عهد الداوي محمد باشا الذي لما بلغه نبأ هذا التحرك سارع إلى طلب المدد والعون من صالح باي في الشرق وباي التيطري وباي الغرب ابراهيم باي وخليفة الغرب محمد بن عثمان للوقوف إلى جانبه ضد الغزاة الإسبان⁴، واستطاع البايات تجنيد الألاف من أبناء القبائل التي توجهت إلى مدينة الجزائر من مناطق التيطري وقسنطينة ومعسكر وقيادة سيباو ومنطقة القبائل وقبائل أولاد نايل، وما يؤكد هذا الكلام ما قاله صالح العنتري: "سمع القبائل الكائنون في الجبال المجاورة للجزائر وغيرها بمجئ الإسبانيول دمرهم الله إلى الجزائر، فأتوا من كل ناحية يسارعون" تحت قيادة الداوي محمد بن عثمان باشا ومعروف عنه تحليه بالحكمة والشجاعة والقوة، وفي اليوم السابع من شهر جويلية تبادل الطرفان إطلاق النار مما أدى إلى انسحاب السفن الإسبانية، وفي الضفة اليسرى لوادي الحراش ووادي خنيس بالساحل الشرقي من العاصمة قام المجاهدون بالتصدي للجيش الإسباني أثناء نزوله، والذي قدر بـ 20 ألف مقاتل حيث أحاطت جيوش حسين الخزناجي من الجهة الغربية بعين الأزرق، وجيوش صالح باي الرابطة بين منطقتي الحراش والحميز جنوب شرقي العاصمة في تعداد بلغ 20 ألف فارس، وفي الجنوب الغربي جنود خوجة الخيل رفقة خليفة باي وهران والأغا أما باي التيطري، فتواجد بمتيجة، أما باي الغرب فاستقر بالقرب من مدينة مستغانم⁵، وقد قتل في هذه المعركة

¹ - جون ب وولف، الجزائر وأوروبا، المرجع السابق، ص 403

² - عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ج3، ص 241

³ - ويليام سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، المصدر السابق، ص 181

⁴ - ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي، المرجع السابق، ص 428

⁵ - عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج3، ص 241_242

الفصل الرابع: أثر العوامل والخصائص الجغرافية في رسم علاقة الخضوع القبلي ومظاهر الولاء

600 جندي إسباني وجرح 2300 جندي، وتم الإستيلاء على خمسة سفن حسب يحي بوعزيز¹ وهناك من يشير إلى قتل أكثر من ثمانية آلاف من الإسبان وجرح أكثر من ثلاثة آلاف، أما من جهة المسلمين فبلغ عدد الشهداء 300 شهيد،² وبعد نهاية المعركة قام استقبال الداوي جموع المهاجمين بحفاوة كبيرة فضلا عن ذلك ولكرمه قام بتوزيع الغنائم المتحصل عليها من جراء المعركة، وهذا إنما دل على شيءٍ فإنما يدل على مدى التقارب والإتحاد الذي جمع بين السلطة والقبيلة عندما يتعلق الأمر بالدين والوطن والأرض، وكرغبة من الداوي في طي الخلافات والعمل على نسج علاقات طيبة ملؤها المحبة والتعاون والصدقة.³ ومنه يتأكد لنا جيدا استجابة القبائل لنداء الجهاد المقدس من طرف الداوي رغم الخلافات والنزاعات التي كانت تحدث، كما أن الخطر الخارجي يعتبر بمثابة عامل تقارب ووحدة بينهما.

حملة الضابط أكسندر أوريللي 1775م - 1189هـ: وهناك من المؤرخين من يسميها بموقعة يوم الحراش نسبة إلى احتضان وادي الحراش أحداث المعركة، والتي تم فيها هزيمة العدو الإسباني،⁴ وهناك من يسميها موقعة أوريللي نسبة إلى قائد الكونت أكسندر أوريللي وقدر فيها عدد المجاهدين بـ 50 ألفا لأن الداوي محمد بن عثمان باشا المشهور باسم باي الأمجاد بين السكان، أرسل إلى البايات بإعلان الجهاد والنفير داعيا إياهم إلى تجنيد السكان وأفراد القبائل وحتى الصبية الذين تجاوزت أعمارهم سبع سنوات،⁵ فكان عدد المتطوعين كثيرا وشمل جميع أفراد المجتمع، وما يؤكد ذلك ما أشار إليه المؤرخ ابن رقية التلمساني بشأن العدد الكبير للمتطوعين وخاصة من جهة الشرق

¹ - يحي بوعزيز، علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوربا (1500م-1830م)، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، 1985 م، ص 101

² - عبد الرحمان الحيلالي، المرجع السابق، ج3، ص 242

³ - زيدين قاسمي، قيادة سيياو، المرجع السابق، ص 109

⁴ - دياب بومدين، بايلك الغرب الجزائري، المرجع السابق، ص 53

⁵ - عثمان سعدي، الجزائر في التاريخ، المرجع السابق، ص 408

الفصل الرابع: أثر العوامل والخصائص الجغرافية في رسم علاقة الخضوع القبلي ومظاهر الولاء

الجزائري والمقدر عددهم ب 20 ألف فارس من عديد القبائل،¹ ولتحفيزهم أكثر فأكثر لجأ البايات إلى تقديم مكافآت مالية لمن يحضر رأس من رؤوس العدو أما الداوي محمد بن عثمان فأعلن بين صفوف المجاهدين عن منح 10 دنانير لكل من يأتيه برأس من رؤوس الإسبان الغزاة، ولتشجيعهم أكثر على الجهاد و التضحية أعلن أنه من يأتيه بجندي حي فإنه لا يقدم له شيئاً، وهي دعوة صريحة للنيل منهم والفتك بهم،² واستمرت لما يقارب 10 أيام من 01 إلى 11 يوليوسنة (1775م-1189هـ)،³ وقدرت حصيلة القتلى ب 180 ضابطا إسبانيا و 2088 جنديا بين قتيل وجريح إسباني⁴، أما وليام سبنسر فقد أشار إلى مقتل 27 ضابطا و 191 جريحا و 501 جنديا و 2088 جريحا، ويستند في ذلك إلى ما قاله الضابط الإنجليزي ميستر وليام دالريميل الذي رافق الحملة⁵ ومع إختلاف في تقدير إحصائيات العدد الكبير للقتلى والجرحى إلا أنه يثبت حجم الخسائر البشرية التي تعرضت لها هذه الحملة الإسبانية في صفوفها نتيجة التحضير والتنظيم والإستعداد الكامل الذي عرفته المقاومة من طرف الداوي محمد بن عثمان وعرف مشاركة عديد القبائل خاصة تلك الجبلية المتمردة بالألاف والتي امتلكت القوة والشجاعة، فسارعت إلى تلبية نداء الجهاد ونصرة الوطن ورفع راية الله أكبر عاليا.⁶ فباي وهران قدم إلى ميدان المعركة رفقة أربعة آلاف صبايحي، وباي قسنطينة صالح رفقة 20 ألفا من المجاهدين.⁷

¹ - محمد بن رقية التلمساني، الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة، تحقيق خير الدين سعدي، أوراق ثقافية، الجزائر، ط 2017، م 1، ص 143

² - نفسه، ص 143

³ - عثمان سعدي، المرجع السابق، ص 410

⁴ - محمد خير فارس، تاريخ الجزائر الحديث، المرجع السابق، ص 115

⁵ - وليام سبنسر، المصدر السابق، ص 181

⁶ - ج.أو، هابنسترايت رحلة العالم الألماني، المصدر السابق، ص 74

⁷ - وليام سبنسر، المصدر السابق، ص 181

الفصل الرابع: أثر العوامل والخصائص الجغرافية في رسم علاقة الخضوع القبلي ومظاهر الولاء

ويشير عثمان سعدي إلى أن الجيش الإسباني يضم 22600 جندي، وأسطول مكون من 100 مدفع ضخمة.¹

الحملة الإسبانية سنة (1783م-1784م) (1198هـ-1199هـ): وهي حملة قام بها الدون أنطونيو دوبار بارسلو Don Antonio BARCELO بأمر من ملك إسبانيا شارل الثالث موجّهة لإحتلال مدينة الجزائر مدعومة من طرف البابا وبعض الدول الأوروبية، وعدد مراكبها يفوق 130 مركبة²، وهناك من يشير إلى أسطول قوي يتكون من 76 قطعة منها أربعة بوارج حربية وستة سفن من نوع فرقاطة و 40 زورق مدفعي، وعند بلوغ هذه الأخبار مسامع الداوي محمد بن عثمان باشا دعا إلى الجهاد في كل المقاطعات والقبائل عن طريق البايات والشيخ والأعيان والمرابطين والعلماء ومن ضواحي العاصمة أيضا لقربها، فاستطاع الوصول إلى العاصمة حوالي 25 ألف جندي من قسنطينة و 20 ألفا من معسكر و 5 آلاف من التيطري، وتجهيز السفن وحوالي 20 مركبا وزورقا وعديد المدافع³، وهناك من أشار إلى قوة عسكرية قوامها 25 ألف جندي من نواحي البلاد.⁴

وما يؤكد وقوف السكان من مختلف القبائل إلى جانب السلطة كلام الزهار بقوله: "وعندما يأتي وقت الخروج لملاقاة العدو تجد الناس يزدحمون على الركوب معهم، ولا يصل إلى ذلك إلا الرجل الشجاع"⁵، وعلى إثر هذا انطلقت المدفعية الإسبانية في قصف واستهداف الحصون الجزائرية والثكنات، ليشند الصراع بينهما، وهو ما أشار إليه جون ب وولف بتبادل الطرفان رمي القنابل لمدة تسعة أيام مما أدى إلى تضرر البنايات والمنشأة والقلاع والسفن والعمارات، فتشير الكتابات إلى أنه من نحو 15150 قذيفة مدفعية تم

1 - عثمان سعدي، المرجع السابق، ص 408

2 - يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ج2، ص ص 74_75

3 - نادية فتيسي، أوضاع الجزائر من عهد محمد بن عثمان باشا إلى غاية عهد حسين باشا (1766-1830م)، الأوضاع السياسية و الاقتصادية نموذجا، أطروحة شهادة دكتوراه، جامعة قلمة، السنة (2017م-2018م)، ص 235

4 - Charles, Féraud "le trois attaque contre Alger au 18eme siècle" in R,A vol 20 Alger ,1876 p p 302-303

5 - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 33

الفصل الرابع: أثر العوامل والخصائص الجغرافية في رسم علاقة الخضوع القبلي ومظاهر الولاء

قصف الجزائر بها فتم هدم أكثر من 100 منزل¹ ومع ذلك استطاع المجاهدون أن يحققوا النصر ويحطموا معظم مراكبهم مع غرق بعض المراكب الجزائرية، ونتج عن هذا الصراع استشهاد عدد قليل من المجاهدين حوالي 30 من المتطوعين و100 من البحارة بعد انفجار المدافع التي تم حشوها بالبارود وجرح 143 مجاهدا.²

وما يعبر عن الدعم الشعبي للسلطة في سبيل تحرير وهران من الإسبان الغزاة، ما قاله الشاعر محمد القوجلي الذي شجع وحث على الجهاد وإعلاء كلمة الله أكبر، وأهم ما قال في قصيدته :

فرحت جزائرنا بكم وتأنست بمقامكم فيها بحال حبور
فلتلتفت نحو الجهاد بقوة والكفر فانقطع أصله بذكور
فانهض بعزمك نحوها مستتصرا بالله في جد وفي تشمير
بعساكر مثل السيول تزاخمت للسيق تحت لوائك المنصور³

الحملة البريطانية الهولندية سنة (1231م-1816هـ): بقيادة اللورد إكسموث

Lord Exmouth من جانب بريطانيا، أما هولندا بقيادة القرصان فان كايلين واحتوت تجهيزاتها على 33 بارجة إضافة إلى السفن والمراكب الصغيرة، وسفينة فرنسية كانت راسية بالميناء، وذلك في عهد الداوي علي خوجة (1817م-1818م) (1232هـ/1233هـ)، والذي كلف فرقة من جيش الزواوة بحمايته وحراسته في قصر القصبية كمظهر ولاء له بدل الجنود الإنكشاريين لإنعدام الثقة فيهم وتأزم العلاقة معهم، وأمام قوة وإيمان المجاهدين الذين قدموا من مختلف القبائل خاصة القريبة من مدينة العاصمة

¹ - جون ب وولف، المرجع السابق، ص 407

² - عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ج3، ص ص 246-247

³ - خالد ربحة، الشعر الجزائري في الفترة العثمانية، الشاعر ابن عمار نموذجاً، دراسة موضوعاتية وأسلوبية، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2017م_2018م. ص 108

الفصل الرابع: أثر العوامل والخصائص الجغرافية في رسم علاقة الخضوع القبلي ومظاهر الولاء

استطاعوا الصمود أمام هذه القوة الحربية الأوربية المتحالفة، وقد استشهد فيها حوالي 600 شهيد وجرح حوالي ألف من السكان بعد قصف المنشآت والبنائيات، أما من جانب العدو فقد كانت خسائره البشرية حوالي 900 جندي ما بين قتيل وجريح، ونجا فيها اللورد إكسموث مع بعض من جنوده، وهو الذي قال بعد نهاية الحرب: "لم أرى في حياتي أعداء يحاربون بإيمان وثبات جأش كهؤلاء"،¹ وهذا شهادة واعتراف من جانب العدو على شهامة وقوة الجزائريين وصمودهم في ساحة المعركة عندما يتعلق الأمر بالوطن، و هو ما نستشفه من خلال الرسالة الأتية:

رسالة رقم 72 في الملف الأول من المكتبة الوطنية صادرة من علي باي الغرب إلى عمر باشا في 8 أوت 1816م الموافق ل 15 رمضان 1231هـ ومحتواها يتمثل في إبلاغه بقدوم الأسطول الإنجليزي لضرب مدينة الجزائر، وهوما سمح بتوجه محلات الشرق والغرب وفرندة للدفاع عن المدينة نصره للدين والوطن، ولهذه الرسالة ترجمتان واحدة عربية والأخرى فرنسية.²

- تحرير مدينة وهران من الإسبان سنة (1792م-1206هـ) التحرير النهائي:

يعتبر تحرير مدينة وهران من النماذج الكبرى للتحالف بين الجزائريين بمختلف شرائحهم من جهة والسلطة العثمانية من جهة أخرى، وتبدأ أحداث هذه النصر المبارك من يوم الخميس 13 صفر 1205هـ الموافق ل 22 أكتوبر 1791م) بتحريك الباي محمد الكبير باي الغرب من مدينة معسكر بعد أن دعا السكان إلى الجهاد ضد العدو المحتل ونسيان الخلافات والنزاعات بتركها جانبا، فانضم إليه جمع الطبقية وهم رماة المدافع والبوانجية، كما بعث برسالة إلى ناحية فجيج بالجنوب على الجهة الغربية للإيالة، ونظم الرباطات وقدم إليه المشائخ والأعيان والمرابطين والعلماء ونذكر منهم السيد أبي مدين

¹ - عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ج3، ص ص 320_321

² - خليفة حماش، العلاقات بين إيالة الجزائر والباب العالي من سنة (1798م - 1830م)، المرجع السابق، ص 62

الفصل الرابع: أثر العوامل والخصائص الجغرافية في رسم علاقة الخضوع القبلي ومظاهر الولاء

والشيوخ أحمد بن يوسف و محمد بن عودة والظاهر بن حوا ومحمد بن عبد الله الجيلاني وعبد القادر المشرفي وابن سحنون الراشدي وغيرهم الذين وضع تحت تصرفهم وإمرتهم جيش سماه جيش الطلبة أي تلاميذ المدرسة القرآنية، وكان دورهم كبير في تحفيز السكان على الجهاد بفتاوى تتناسب مع طبيعة الحدث، والمتمثل في عملية التحرير، فالشيخ عبد القادر المشرفي أصدر فتوى سنة (1764م-1177هـ) بالدعوى إلى الجهاد ونبذ الخلاف والعداء وعدم مولاة الإسبان، وهي إشارة من الشيخ إلى قبائل بني عامر وبني يعقوب المواليين والداعيتين للإسبان،¹ وهو ما أدى إلى إستجابة الكثير من السكان الذين اندمجوا في جيوش المقاومة، كما عين الباي محمد الكبير الفقيهان محمد ابن عبد الله الجيلاني والسيد الطاهر بن حوا قاضي تلمسان على رأس الطلبة المرابطين بوهران، كما انظم إلى الجيش الكاتب والمستشار أحمد بن هطال التلمساني وقائد المكاحلية قدور بن خلوف مع جمع من المجاهدين المقدر بحوالي 18 ألف من المقاتلين محملين بالأسلحة، وكذلك الكاتب ابن زرفة الدحاوي الذي تولى التجهيزات العسكرية والمؤونة لخبرته بأنواع الأسلحة المحلية المعدة والمصنوعة من إنتاج القبائل خاصة تلك الجبلية²، وقدر عدد جيشه بـ 50 ألف مجاهد من العرب والجنود الإنكشاريين متجهين صوب مدينة وهران لتحريرها وفتحها من أيدي الإسبان المحتلين كأخر مدينة مستعمرة، وقد قسم هذا الجيش المتمركز على جبل المائدة الحصين ذو الموقع الإستراتيجي الهام³ إلى ثلاثة فرق فالقسم الأول يضم كل من فلول المجاهدين القادمين من قبائل تلمسان وفليتة وجيش الأعراش المجاورة القريبة بقيادة ابنه عثمان، والقسم الثاني يتكون من أفراد قبائل مازونة ومستغانم والقلعة وكافة الأعراش القريبة بقيادة محمد بن ابراهيم،⁴ وقام الباي محمد الكبير قبل الهجوم بتحضيرات عسكرية ودينية مهمة، حيث قام بجلب أفراد مختصين في زرع الألغام، وتزود بكمية كبيرة من

¹ - فاطمة الزهراء طوبال، النخبة الثقافية والسلطة في الجزائر، المرجع السابق، ص 127

² - رقية شارف، المرجع السابق، ص ص 103_104

³ - صالح فركوس، تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية، المرجع السابق، ص 146

⁴ - جمال قنان، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث (1500م-1830م)، المرجع السابق، ص 279

الفصل الرابع: أثر العوامل والخصائص الجغرافية في رسم علاقة الخضوع القبلي ومظاهر الولاء

البارود القادمة من قبائل زواوة التي صنعت بجالهم المعروفة بذلك، كما جلب صناع البارود من قبائل تلمسان ومستغانم،¹ ويشير العلامة والحافظ أبو راس الناصري العسكري (1165هـ-1238هـ) (1751م-1823م) الذي شارك في هذه الموقعة البطولية في فتح وهران باستجابته لنداء الجهاد في صفوف الجيش إلى جانب الباي محمد بن عثمان² بقوله: "إلى أنه جمع البارود والرصاص وكور المدافع"³، وفي الحصار الثاني على مدينة وهران قدمت إليه إمدادات كبيرة من البارود زودته إياه القبائل المجاورة،⁴ وفي يوم الخميس كما أشرنا حاصر الطلبة الإسبان، وقاموا بمضايقة الجنود الإسبان وراء أسوار المدينة كما قاموا بوضع حد للغارات القادمة من القبائل الموالية للإسبان كبني عامر التي هي من بطون زناتة والتي كان لها دور كبير في بقاء الإسبان وإمدادهم بالمعلومات، ليقوم الباي بالإنطلاق عبر واد يطلق عليه وادي الدم، فقاموا بمهاجمة الأبراج وقلاع المدينة، وانظم الطلبة في فرق حيث كل فرقة تضم 25 جنديا، وبلغ عددهم 2000 مرابطا، وبعد اشتداد المعارك تم رمي الإسبان المحاصرين بالقنابل والرصاص دمروا عدة أبراج كبرج سانتاكرور في 5 جوان 1791م/1205هـ، وهاجموا بيت البارود المتواجد بالقرب من برج العيون، كما دمر برج باب زروال،⁵ وأسفرت عن مقتل 38 ضابطا و 1284 جنديا إسبانيا كما استشهد العديد من الشهداء خاصة من بني زروال ببيج العين، ليتم تحرير مدينة وهران بعد احتلال دام أكثر من قرنين في 29 فيفري 1792م/1206هـ،⁶ وقد ساهمت تكبيرات وتهليلات شيوخ الزوايا ورجال الدين المرابطين في تحفيز المجاهدين، وبث روح الحماس والجهاد في نفوسهم، ولعبت شخصية محمد بن عثمان دور مهما في تحرير

1 - محمد ابن سحنون الراشدي، الثغر الجماني، المصدر السابق، ص 255

2 - عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ج3 ص 571

3 - أبو راس الناصري، عجائب الأسفار، المصدر السابق، ج2، ص 37

4 - محمد بن سحنون الراشدي، الثغر الجماني، المصدر السابق، ص 247

5 - علي بن العيفاوي، مدينة معسكر ودورها في العهد العثماني، مذكرة ماجستير تاريخ حديث، جامعة الجزائر،

(2008-2009م)، ص 105

6 - صالح فركوس، تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ، المرجع السابق، ص 191

الفصل الرابع: أثر العوامل والخصائص الجغرافية في رسم علاقة الخضوع القبلي ومظاهر الولاء

مدينة وهران سنة (1791م-1206هـ)، وقد لعب الطلبة دورا كبيرا في تحرير وهران والمرسى الكبير بعدما وفر لهم الباي محمد الكبير كل ما يحتاجونه من وسائل لطلب العلم والمعرفة، كما عمل على تشجيعهم في ذلك، ووفر لهم سبل الراحة، وما يحتاجون إليه من مؤونة وسلاح لملاقاة العدو، وهو ما أشار إليه العلامة ابن سحنون الراشدي باعتباره عاصر حيثيات ووقائع أحداث التحرير النهائي وطرد الإسبان¹ بقوله: "...ثم أنه صعد يوما من موسولان في خواص إلى الطلبة المرابطين في الجبل فوعدهم ومناهم"، ويشير في باب تلبيتهم للنداء ووقوفهم إلى جانب السلطة ودعمهم المطلق للباي ودخولهم في أرض المعركة قوله: "... ثم بعث إلى الطلبة، فقدموا عليه في تعبئة حسنة.....،فانتخب منهم خمسمائة بايعوه على الموت، فكسى كل واحد منهم كسوة جيدة وأعطاهم دراهم وأمرهم بملازمة الوادي المؤدي إلى حدائق البلد ويأتيهم مأكلمهم ومشربهم.... فذهبوا حيث أمرهم وحفروا لأنفسهم كهوفا يسكنون بها تستر بدن أحدهم فقط وتتافسوا في المقاربة من الحصون....."². كما قام الباي محمد الكبير بحشد جيش من فرسان قبائل المخزن والمتطوعين في أحداث تحرير وهران حيث وصل هذا العدد إلى 470 فارس من دواير عطية وأولاد شريف مثلا³ ما فعله الشيخ ابراهيم الموالي للسلطة بشن هجوم خضع فيه سكان شرقي الأوراس بتبسة له وللسلطة في عهد صالح باي، وقضى على عصيان النمامشة في معارك أهمها معركة واد مونطانا قرب فركان، كما طرد أولاد سيدي يحي من جبال الدير ولاحقهم حتى سفوح الأوراس.⁴

- دعم القبائل المخزنية للسلطة: عرف عن هذه القبائل مساندتها المطلقة للسلطة بطرق شتى وفي عديد المجالات والميادين، وبطرق مباشرة وغير مباشرة، مما أتاح لها الحصول على الإمتيازات والمكاسب، وقد تميزت علاقة شيوخها وأعيانها بالبايات

¹ - محمد ابن سحنون الراشدي، الثغر الجماني، المصدر السابق، ص 275

² - محمد ابن سحنون الراشدي، نفسه، ص ص 275_276

³ - Louis rinn, le royaume d'alger,op,cit p p 50-52

⁴ - بيار كاستل، حور تبسة، المرجع السابق، ص 176

الفصل الرابع: أثر العوامل والخصائص الجغرافية في رسم علاقة الخضوع القبلي ومظاهر الولاء

الممثلين للسلطة بالقوية والتمسكة نتيجة ما يمنحونه للبايات من دعم ومساندة لإرساء قواعد نظام الحكم وترسيخ أسسه وما يؤكد هذا الكلام ما قاله الشيخ الورتيلاني: ".....فريق في القرية وهو المتمكن المعتصم بألي الولاية من الترك والتمسك بجاههم، إذ من تمسك بهم تفرعن على غيره وفريق آخر خارج عنها"¹، وهنا يشير إلى الموالية والمؤيدة في الفريق الأول ولقربها من السلطة تحولت إلى جائرة وظالمة في حق الرعية بدعم السلطة في المحلات العسكرية والمحال وفرض القانون، أما الفريق الثاني، فهو المتمرد والرافض للسلطة لظروف وعوامل متعددة، فالسلطة كانت شبه غائبة في حكمها بأغلب الأوقات، كما أنه عند دراستنا لهذه النقطة اتضح لنا أن ما بدر من الطرفين على شكل تحالف أو تقارب أو تفاهم، أو ما يسمى بالمصالح المشتركة أدى بالضرورة إلى نسج علاقات أكثر متانة وقوة، فالقبيلة بحاجة ماسة إلى السلطة في كثير من المجالات خاصة الأمنية والإقتصادية باختلاف الظروف المحيطة والنمط المعيشي بين التنقل والترحال أو الإستقرار، أو الجمع بين النمطين و السلطة بدورها كذلك بحاجة إلى من يقف إلى جانبها في الشدة ويساندها في عديد الأزمات التي تحل بها، وذلك لضمان تواجدها وأمنها واستقرارها، وما يؤكد هذا الكلام مانجده في الرسالة القادمة في الملف الثاني بالمكتبة الوطنية من ابراهيم أغا إلى أولاد علي شهر جانفي من سنة 1828م الموافق لأواخر جمادى الثانية 1243هـ مضمونها إرسال عدد من الفرسان لجمع الضرائب،² وهذا يعتبر كامتياز حظيت به القبيلة وتعبيرا من السلطة لرضاها عن ولائها ودعمها .

كما وقفت بعض القبائل إلى جانب الحاج أحمد باي في إخماد الثورات والتمردات التي عرفتها جهة الشرق، فسارع منذ تعيينه إلى توطيد علاقته بالعائلات الكبرى ذات النفوذ الديني والقوة العددية، ونذكر منها ابن قانة وأولاد مقران و قبيلة أولاد عامر

¹ - الحسن بن محمد الورتيلاني، نزهة الأنظار، المصدر السابق، ص 114، وللمزيد أنظر خديجة دويالي،

العلاقات الإجتماعية، المرجع السابق، ص 13

² - خليفة حماش، العلاقات بين إيالة الجزائر والباب العالي، المرجع السابق، ص 38

الفصل الرابع: أثر العوامل والخصائص الجغرافية في رسم علاقة الخضوع القبلي ومظاهر الولاء

الشراكة بالزيبان وابن عز الدين بالزواوة، وكذلك عائلة ابن جلاب بتقرت،¹ وهو ما نتج عنه تحالفا قويا سمح بالإستقرار والأمن في أنحاء مقاطعة الشرق، وصد الاضطرابات والفوضى، ولتعزيزها أكثر قام الباي بمنحهم الكثير من الامتيازات كقطع الأراضي الزراعية والإعفاء الضريبي وتولي المناصب الإدارية وغيرها.²

فبعض القبائل الموالية والمتواجدة في البايلاكات قدمت الكثير من الفرسان لدعم الحامية العسكرية في مهامها الأمنية والجبائية على القبائل خاصة المتمردة منه، فجد فرقة الصبايحية قد قدمت 400 صبايحي سنة (1825م-1140هـ) من بايلك التيطري وفي بايلك الشرق نجد أن قبيلة أولاد عبد النور منحت 1000 صبايحي، وقبيلة التلاغمة وفرت 100 صبايحي، وقبيلة أولاد عبد الرحمان، فأعطت 900 من المشاة و 800 من الفرسان، أما أسرة بوعكاز الذواودة الهلالية، فقدمت 5000 فارس.³

أما ماتم تجنيده ضمن قبائل المخزن فنجد أن بايلك الشرق به 23000 فارس مخزني من عديد القبائل والأسر، فمثلا أسرة ابن قانة قدمت حوالي 10 آلاف فارس و 900 محارب من المشاة ومخزن الحراكنة أو قائد العواسي يضم 4000 فارس، وفرسان الزمالة قدر عددهم 60 فارس، ودائرة الخليفة فيها 2000 فارس، ودائرة دوائر الأغا فيها 1000 فارس. أما بايلك التيطري، فقد عدد قبائل المخزن بحوالي 12000 فارس و 600 فارس من قبائل الدواوير.

- كما قام صالح باي بمنح قطع أراضي زراعية خصبة لعائلات قبيلة الزمول بنواحي باتنة في الجهة الشرقية للإيالة، التي قاموا بزراعتها وحرثها وتربية الماشية فيها نظير أدوارهم الأمنية،¹ وما كان يقدمه سكان المناطق أثناء مرور جنود الحاميات على قبائلهم

¹ - صالح فركوس، الحاج أحمد باي، المرجع السابق، ص 51-52

² - نفسه، ص 59

³ - شهبناز بوحوص، المرجع السابق، ص 69

¹ - نور الدين عبد القادر، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر، المرجع السابق، ص 220

الفصل الرابع: أثر العوامل والخصائص الجغرافية في رسم علاقة الخضوع القبلي ومظاهر الولاء

من طعام وماء أثناء الإستراحة، وقد عرف عنهم الكرم وحسن الضيافة لمدة ثلاثة أيام خاصة ماحدث لحاميات بسكرة التي تتوقف لطلب الزاد،¹ومن مظاهر الولاء نجد أن الشيوخ يلبون طلبات القيادة وينفذون الأوامر وينوبون عن السلطة في عديد المهام، فالداي يتولى تثبيتهم وترسيمهم بعد اقتراحهم من طرف الأعيان في دار السلطان والبايات في المقاطعات.²

- وأدت السلطة دورا هاما من خلال المبادرات المنتهجة وقوة التحفيز على المقاومة إضافة إلى حنكة وشجاعة وحكمة الباي محمد الكبير.³

ولعبت شخصية محمد بن عثمان دورا بارزا وتأثيرا كبيرا في صمود المجاهدين، الذين قدموا من كل مكان، وزرع الثقة في نفوسهم،⁴ ويتضح لنا مما سبق أن الطابع الجهادي الذي ميز الجزائريين كغيرهم من المسلمين ضد المحتل الإسباني في وهران والمرسى الكبير قد ساعد بشكل مهم في إرساء وتثبيت دعائم السلطة وقوتها، والتشجيع على الولاء لها من جهة ومتانة العلاقة بين السلطة وفئات المجتمع المختلفة، فهؤلاء السكان المحليين دفعتهم الغيرة على الوطن والتضحية من أجله.

وأیضا البایات فی المقاطعات، فقد استطاع الباي بوشلاغم تمكين قبائل الزمول والدوائر من العيش في السهول القريبة في وهران، ونفس النهج اتبعه الباي محمد الكبير باسكان هذه الجهات بوهران بعد تحريرها من أيدي الإستعمار الإسباني سنة (1792م- 1207هـ)، وهذا كإمتياز جراء وقوفها إلى جانب السلطة،⁵ وصالح باي حصص وظائف إدارية لبعض الأسر النافذة والقوية والمتجذرة ببايلك الشرق وعلى سبيل الحصر نذكر

¹ - محمد دلجاز، الحياة السياسية، المرجع السابق، ص 64

² - بن عتو بلبروات، المدينة والريف بالجزائر، المرجع السابق، ص 279

³ - صالح فركوس، تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ، المرجع السابق، ص 170

⁴ - صالح فركوس، نفسه، ص 193

⁵ - شهر زاد رفاف، القبيلة خلال العهد العثماني، المرجع السابق، ص 988

الفصل الرابع: أثر العوامل والخصائص الجغرافية في رسم علاقة الخضوع القبلي ومظاهر الولاء

أسرابن الفكون وعبد المؤمن وابن جلول التي أيدت السلطة، وقدمت لها الدعم والمساندة في عديد القضايا والمواقف المصيرية وإشرافها على القضاء والإمامة والتدريس،¹ وقد ذكر العنثري أن محلة البايك في الشرق كانت تتدعم بـ 2300 فارس من قبائل المخزن² والأسر المحلية كابن قانة تقدم حوالي 10 آلاف فارس و900 محارب من المشاة و800 من الفرسان، أما محاربي الزمالة فقدر عددهم بـ 60 فارساً³ أما في بايالك التيطري، فتشير الإحصائيات إلى حوالي 1200 محارب و600 فارس من قبائل الدواير والعبيد⁴.

موقف ورد فعل السلطة العثمانية :

عمدت الإدارة العثمانية على إتخاذ جملة من الإجراءات والمكاسب ومنح الإمتيازات والتحفيزات والتسهيلات إتجاه هذه القبائل التي عرفت بمساندتها وولاءها للسلطة العثمانية في عديد القضايا والأزمات خاصة ماتعلق بالأمن والإستقرار داخل الإيالة أو الدفاع عنها من الأخطار الخارجية المحدقة بها كما رأينا، وذلك في إطار سياسة اتبعتها واعتمدها كمكافأة نظير المجهودات والأعمال حيث وقفت إلى جانبها في محاولة منها لكسب ونيل رضاها وولاءها واستمرار وجودها وتوسيع نفوذها وحكمها وإطالة عمرها في البلاد، ومن أهم هذه السياسات المتبعة، والتي هي كرد فعل نذكر منها:

- قيام الإدارة بمنح القبائل الموائية باختلافها وتنوعها مخزنية أو رعية أو متحالفة على منحها إمتيازات مادية ومعنوية إضافة إلى تسهيلات وصلاحيات واسعة استفاد منها شيوخها وأبناؤها، فتم إعفاؤها من الضرائب والغرامات إذا ما استثنينا الزكاة والعشور بصفتها من الضرائب الشرعية المنتظمة، وهي في نفس الوقت عبارة عن ولاء للسلطة

¹ - ناصر الدين سعيدوني، ورفات جزائرية، المرجع السابق، ص 299

² - محمد الصالح العنثري، فريدة منسية، المرجع السابق، ص 25

³ - جميلة معاشي، الأسر المحلية الحاكمة في بايالك الشرق الجزائري، المرجع السابق، ص 73

⁴ - urbain, notice sur l'ancienne du titteri, op, cit ,p 400.

الفصل الرابع: أثر العوامل والخصائص الجغرافية في رسم علاقة الخضوع القبلي ومظاهر الولاء

واعتراف بها، وقد تم فرضها وفق طبيعة النشاط الإقتصادي الممارس، والموقع الجغرافي الذي تقع فيه.¹

- إعفاء أبناء هذه القبائل من ممارسة عمل السحرة والخماسة كإجراء في نطاق الأراضي الزراعية كخدم يشتغلون فيها، فهم يعتبرون مستفيدين ومالكين لهذه الأراضي.
- منحهم أراضي خصبة غنية صالحة للزراعة في أراضي شاسعة في السهول الساحلية القريبة من السلطة وبها ثروة مائية ومناخ معتدل، ونذكر من هذه القبائل كخليف والدواير والزمالة التي هي مخزنية في بايلك الغرب استفادت من أراضي زراعية موجودة ما بين مازونة ووهران.²

وهذه الأراضي منحت مع إعفاء ضريبي جزئي، كعزل الجبل مثلا للقبائل الخاضعة والأسر المحلية الكبيرة في مناطق القبائل الممتعة، ومن الأمثلة مانجد منح أراضي أولاد جبارة بنواحي قسنطينة لعائلة ابن الفكون النافذة، أما عزل السهول، فتم منحه للقبائل المتواجدة في السهول والمعروفة بقبائل الدواير كقبائل الشراقة بسطيف،³ وكذلك نجد قبيلة أولاد يحي بوطالب والمرابطية للسلطة قد تمتعت بامتيازات كثيرة، كإعفاء من المطالب المخزنية خاصة الضرائب ومنحها أراضي صالحة للزراعة،⁴ وحرية الرعي والتنقل والإستقرار في أراضي واسعة ذات غطاء نباتي كثيف، وتحديد حصة الماء لكل قبيلة.⁵

- منح فرسان هذه القبائل أدوات العمل الفلاحي والخيول والسلاح والذخيرة والعقارات وأجور مؤقتة وعلاوات مختلفة، كمنحة لهم على أداءهم وخدماتهم لها، فهي تسد رمقهم وتعبهم المتواصل .

¹ - ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، المرجع السابق، ص ص 213_215

² - walsim esterhazy,notice historique sur la maghzen d'oran, imprimerie de prier, Oran ,1849,p2

³ - نصر الدين عبد الغفور، القبيلة والسلطة، المرجع السابق، ص ص 90-91

⁴ - Laila Barbès,tribus,structures sociales et pouvoir politique dans la province de Constantine op cit, p74

⁵ - ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، المرجع السابق، ص 217

الفصل الرابع: أثر العوامل والخصائص الجغرافية في رسم علاقة الخضوع القبلي ومظاهر الولاء

- الإستفادة من الغنائم المتحصل عليها من الحروب والمعارك سواء من الحركات التمردية داخل البلاد أو ردع الغزاة الأوربيين، وتشمل ماتم مصادرتة من ممتلكات وماشية وخرقان وخيول وأبقار أو منتوجات زراعية وصناعية وذهب وفضة جراء مشاركتهم في الحملات العسكرية للقضاء على الثوار المتمردين،¹ وفي هذه الفكرة نرى أنه بعد الحصول على غنائم يتم بيعها بثمن زهيد أو منح بعض منها للقبائل الموالية، ومن الأمثلة على ذلك ما رأيناه في حملة الباي بومرزاق باي التيطري سنة (1826م-1242هـ) على قبائل أولاد مختار الشراقة المتمردة التي تم مصادرة منها حوالي 500 جمل و4000 خروف وما فعله باي الغرب محمد الكبير الذي استعان بقبائل المخزن، واستولى على حوالي 14 أو 15 دوارا وكذا مصادرة 6700 خروف وعنزة و5000 جمل و630 بغل و720 بقرة وكلا الحملتين باعا معظم الغنائم القبائل الموالية وإعطاء جزء منها.²

- كما أقدمت الإدارة العثمانية على منح مناصب إدارية لأفراد القبائل بعدما كسبوا ثقة كبيرة وولاء تاما من طرف بايات السلطة التي عكفت على توظيفهم لدى مجالسها وهيئاتها في إطار الأجهزة الإدارية، وتأتي هذه الخطوة لإيجاد لتوسيع العلاقة وربطها بين السلطة والمجتمع الريفي القبلي.³

- لجأت السلطة إلى تثبيت شيوخ القبائل والأعيان من طرف البايات على رؤوس المشيخة أو القبيلة بعد حصولهم على تعيين وترسيم من طرف الداوي، ويأتي هذا الأمر كله بموافقة الأعيان في مجلس القبيلة ورضى أفرادها لأن السباق نحو المشيخة لا يكون إلا بعد تنافس كبير وفي المرات تدخل الإدارة في ذلك مثلما حدث لمشيخات الصحراء المعينيين من طرف البايات خدمة لأغراضهم ومصالحهم،¹ فالسلطة تعلم جيدا المكانة

¹ - ناصر الدين سعيدوني، الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية و الثقافية، المرجع السابق، ص ص 83_84

² - ناصر الدين سعيدوني، وراقات جزائرية، المرجع السابق، ص ص 510_511

³ - محمد سحر ماهود ، الموظفون العثمانيون في إيالة الجزائر، المرجع السابق، ص 398

¹ - حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 38

الفصل الرابع: أثر العوامل والخصائص الجغرافية في رسم علاقة الخضوع القبلي ومظاهر الولاء

التي يتمتع بها الشيخ ومدى درجة نفوذه و قوته بين أبناء القبيلة، وكذا القدرة على تنفيذ المهام الموكلة إليه، فهو يشرف على مهام متنوعة في خدمة القبيلة والسلطة على حد سواء، ويعتبر في القبيلة مثل القاضي والحاكم باسم الباي،¹ وفي الكثير من المرات اعترفت السلطة بزعامة شيوخ قبائل النمامشة والحنانشة والحراكتة في جهة الشرق، وفي منطقة القبائل سادت تجمعات قبلية كبرى مرابطية وغير مرابطية² منحتم السلطة مقابل ولاءهم الإمتيازات والهدايا وحرية التجارة الداخلية لشيخوخا وأفرادها، وإعطاء مبالغ مالية وأراضي زراعية خصبة،³ وأكثر من ذلك عينتهم للإشراف على الأسواق العامة التي موقعها بالقرب منهم، فنجد فيها بأن شيخ العرب هو الذي يسير الأسواق إضافة إلى السماح للقبائل بممارسة الرعي في المراعي الشاسعة، وكذا التنقل عبر نواحي وجهات الإيالة والأراضي المشاعة بالهضاب العليا القسنطينية وفي المرتفعات، كالونشريس والأوراس حيث تنقلت بين الهضاب العليا والزيبان ومرتفعات التيطري والسهول العليا بقسنطينة وسهول الشلف ومن أهم المشيخات نجد:

- مشيخة أولاد بوضياف بالأوراس

- مشيخة أولاد عزيز بجهة بلزمة إلى الشرق من بريكة .

- سلطة الشيخ ابن زعمون بجبال جرجرة .

- أولاد القاسم بالهضاب العليا

- أسرة المقراني بمجانة

- أسرة ابن كانون بجبال البيبان

¹ - ناصر الدين سعيدوني، ورفات جزائرية، المرجع السابق، ص 228، و أيضا أنظر بن عتو بلبروات، المدينة والريف بالجزائر، المرجع السابق، ص 296

² - حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 64

³ - ناصر الدين سعيدوني، الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية والثقافية، المرجع السابق، ص 76

- أولاد رابح بالصومام .

ومن القبائل أيضا نجد قبيلتي أولاد عبيد والحنانشة اللتان وبفضل ولاءهما ودعمهما للسلطة تم إعفاءهما من الضرائب، وأكثر من ذلك منح لهما حق الجباية من القبائل التي بالقرب منهما وخاصة من المتمردة، وتم منحهما إمتياز الإشراف الإداري بالمراقبة والتسيير في شؤونهم الداخلية.¹

وقد أسندت لشيخ وأفراد القبائل والأسر الموالية كإمتياز تولي العديد من المناصب الإدارية والشرفية، وهو ما تمثل في القبائل الصحراوية بالجنوب كأسرة بني جلاب حكام تقرت، وأسرة بوعكاز وأسرة ابن قانة في الزيبان التي ساعدتها الإدارة العثمانية في الوصول إلى الحكم أي مشيخة العرب وتربعها عليها لمدة طويلة وتعزيزها بقوات عسكرية لحمايتها وتوفير الأمن، وفي نفس الوقت التقليل من قيمة ومكانة بعض الأسر المحلية التي وجدت نفسها في فوهة غضب السلطة عليها،² كما تحكمت عائلات نافذة في جهة بايلك الغرب، ونذكر منها أسرة سيدي العربي الشهيرة بإدارتها لمنطقتي مينا والشلف وعائلة بن شعا في عين تيموشنت، وعائلة بوعنابي في سعيدة، وعائلة لبهايثية في الغرب، وكل هذه العائلات لم تتلها المطالب المخزنية ولا الضرائب الغير شرعية، وكانت تدفع ضريبة رمزية عبارة عن تبعية وولاء وإعتراف منها بالسلطة العثمانية، وتعزيز صلاحيات نشاطاتهم الإقتصادية، وعدم التدخل في شؤون الأسر الداخلية مع احترام عادات وتقاليد سكانها.¹

واهتمت السلطة بالمرابطين وشيوخ الطرق الصوفية من خلال ما تم منحه من إمتيازات مقابل مجهوداتهم وأعمالهم في تعزيز الأمن والإستقرار وخدمة السلطة وبسط

¹ - بيار كاستل، حوز تبسة، المرجع السابق، ص ص 211-212

² - ناصر الدين سعيدوني، الأوضاع الإقتصادية و الإجتماعية و الثقافية، المرجع السابق، ص 65

¹ - وليام سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، المصدر السابق، ص 142، وللمزيد أنظر ج أو، هابنسترايت، المصدر السابق، ص 85، وأيضا جميلة معاشي، الإنكشارية والمجتمع، المرجع السابق، ص 98

الفصل الرابع: أثر العوامل والخصائص الجغرافية في رسم علاقة الخضوع القبلي ومظاهر الولاء

سيادتهم ونفوذهم في البلاد،¹ وللدور الكبير في التأثير بين السلطة والمجتمع، فنجد أغلب الحكام من الدايات والبايات يميلون إلى منهج الصوفية، فهم يخشون منهم ويتقربون إليهم ويقدمون لهم الهدايا وقطع الأراضي الزراعية والإعفاء من الضرائب والمطالب المخزنية كامتيازات متنوعة، وتعيينهم في مناصب إدارية كشيخ قبائل وقياد،² وهو ما أشار إليه أبو القاسم سعد الله في أن هؤلاء الذين يمثلون العائلة الدينية أو السلطة الروحية من مرابطين وشيوخ زوايا اكتسبوا مكانة راقية وهامة بين شرائح المجتمع، وباعتبار هذا الوزن والثقل الإجتماعي انتهجت السلطة معهم سياسة قائمة على تقديرهم والتحالف معهم ودعمهم لأنها وجدت فيهم حلا لمشاكلها وأزماتها خدمة لأغراضها ومصالحها³ فضلا عن ذلك يلجأون إليهم في مواقف التأييد والنصرة والجهاد،⁴ ومنهم الداوي علي باشا سنة (1775م - 1189هـ) عندما استجد بالمرابط الحاج أحمد الملكي نجل القطب سيدي محمد أمقران الباي عثمان الذي أعفى المرابطين من دفع الضريبة، كالمرابط الزيوشي وذلك بعد مساندته ووقوفه إلى جانب الباي في ثورته ضد ابن الأحرش الدرقاوي في جهة الشرق الجزائري،⁵ وما فعله الباي مصطفى الوزناجي (1209هـ - 1795م) في رسالة إلى شيخ الحناشنة خالد بن ناصر مضمونها تقديم الحماية والمساعدة لمرابط قلعة سنان وضمان أمنه وممتلكاته من أي خطر نظير مواقفه وأرائه المساندة للباي والسلطة العثمانية.¹ وكذلك في عهد الحاج أحمد باي قسنطينة الذي أنشأ علاقة محبة وتقارب

1 - حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 56

2 - حمدان خوجة، نفسه، ص 111، و أيضا أنظر رشيد مريخي، الجزائر في عهد الداوي مصطفى باشا، المرجع السابق، ص 67

3 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، (1518م-1830م)، المرجع السابق، ج8، ص 412

4 - عثمان سعدي، الجزائر في التاريخ، المرجع السابق، ص 423

5 - صالح عباد، المرجع السابق، ص 197

1 - جميلة معاشي، الإنكشارية والمجتمع، المرجع السابق، ص 102

الفصل الرابع: أثر العوامل والخصائص الجغرافية في رسم علاقة الخضوع القبلي ومظاهر الولاء

وتعاون بينه وبين عائلات المرابطين، كعائلة الملياني التي هي من رواد الطريقة الشاذلية الموالية للسلطة.¹

والحديث عن العلماء فقد تم الإستعانة بهم من أجل حل النزاعات القائمة بين العائلات فضلا عن تعبئة السكان في حالة وجود أخطار، خارجية كالغارات الأوربية والإعتداءات في دعوتهم إلى الجهاد والنفير العام، فخصصت لهم السلطة عديد الإمتيازات كمنحهم مناصب ووظائف رسمية شملت العلمية والدينية، كالإفتاء والقضاء والإمامة، ونذكر منهم الحسين الورتيلاني الذي تمتع بمكانة سياسية كبيرة، وكذلك أبو راس الناصري الذي تولى وظائف كالفتوى والإمامة، وكذا عائلة الشيخ العلامة الفقيه عبد الرحمان الأخضرى في عهد الحاج أحمد باي آخر بايات قسنطينة الذي تحالف معه وجعل له مكانة راقية وأوصى باحترامه وضمان أمنه.

وكذلك ما قام به الباي حسن آخر بايات الغرب الجزائري بتقريب عائلة العلامة الطاهر بن عبد القادر المشرفي الذي نال المكانة والقيمة عنده ضمن عائلة المشارف.²

قامت السلطة بتشكيل مجموعات قبلية موالية ومتحالفة ذات طابع روحي وديني في غرب البلاد ممثلة في عائلات المرابطين وشيوخ الزوايا والأسر المحلية ذات النفوذ الواسع، وفي الشرق كونت قبائل ذات طابع حربي من أسر نافذة ذو قوة عددية ومساحة شاسعة وتضاريس متنوعة، وفي إقليم التيطري تشكلت قبائل من الأجواد النبلاء الذين قدموا يد المساعدة والنصرة للسلطة في الأزمات والثورات الداخلية والتحرشات الخارجية.¹

كما عمدت السلطة إلى نصره القبائل الموالية والدفاع عنها في ضعفها ومد الدعم المادي والمعنوي لها، ولها حرية تقدير الضرائب على حسب القدرة الإنتاجية لها ونوع

¹ - طوبال فاطمة الزهراء، المرجع السابق، ص 139-140

² - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص 388، وأيضا أنظر، فاطمة الزهراء طوبال، المرجع السابق، ص 166

¹ - أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري وفعالياته، المرجع السابق، ص 157

الفصل الرابع: أثر العوامل والخصائص الجغرافية في رسم علاقة الخضوع القبلي ومظاهر الولاء

المادة التي تنتجها، وتقلل من حجم ضرائبها والإستفادة من امتيازات كثيرة كما ذكرنا سابقا.¹

وعملت السلطة العثمانية على إقامة أسواق أسبوعية أو موسمية بالقرب منها لجعلها مراكز إقتصادية تجارية نشطة مما يسهل حركة البيع والشراء، وتبادل السلع والبضائع القادمة من مختلف الإتجاهات والنواحي من البلاد أي التل والهضاب العليا والواحات الصحراوية، ففي العديد من المناطق الريفية أصبحت ملتقى تجاري وفضاء للأسواق فيها تعرض المنتوجات الفلاحية والصناعية.²

- كما عمدت السلطة إلى تنظيم هذه القبائل بخلق قيادات محلية موالية وداعمة في إطار إداري ربطته بجهات شاسعة من البلاد، ومن أهم هذه القيادات نجد قيادة الأوراس التي تضم 11 قبيلة، حيث منحها أخصب الأراضي الزراعية وأجودها لضمان دعمها وولائها،³ وكذلك نجدها في خلق مشيخات بها عديد القبائل، ونذكر منها مشيخة العرب بالزاب أي بسكرة، وتضم 11 قبيلة من البدو والرحل، وقائد الحراكطة أو العواسي، ويضم 32 قبيلة صغيرة وقائد الزمول يضم حوالي 20 قبيلة، وقائد الأوراس يضم 12 قبيلة، وشيخ فرجيوه تحت إمرته ستة قبائل أما شيخ بلزمة تحتكم له 13 قبيلة والمتواجدة في الجهات الجبلية والوسطى¹ إن هذه القيادات التي أنشأتها السلطة لإحتواء القبائل وضماها إلى صفها، والعمل على تنمية مواردها الإقتصادية وتشجيعها بتعزيز مكاسبها ومنحها امتيازات لضمان أمنها وولائها.

- كما عمد بعض الحكام من الدايات و البايات إلى إتخاذ مواقف إيجابية لخدمة البلاد والعباد، فقد تركوا أثارا وأعمالا جليلية مست جميع المجالات والميادين، كتقريب

¹ - زبدین قاسیمی، قيادة سيباو، المرجع السابق، ص 125

² - ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص 74

³ - ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، المرجع السابق، ص 433

¹ - محمد الصالح العنترى، فريدة منسية، المصدر السابق، ص 28

الفصل الرابع: أثر العوامل والخصائص الجغرافية في رسم علاقة الخضوع القبلي ومظاهر الولاء

العلماء والشيوخ والمرابطين، وبناء المؤسسات وتوظيف أبناء القبائل في مناصب إدارية وترميم العيون والطرق وحماية الرعية من المظالم بأنواعها،¹ ومن أهم الأمثلة ما نجده :

- فمن الداوي نتذكر الداوي علي النقسيس المعروف ببوصبع (1167هـ-1179هـ) الذي عرف عليه بناء المنشآت العمرانية والأبراج والحصون والعيون والقنوات، لحماية القبائل الموالية وضمان أمنها واستقرارها والدفاع عنها، والإعتناء بشؤون الرعية خاصة في الأزمت الصحية والأوبئة والكوارث الطبيعية.²

وفي عهد الداوي حسين أخر دايات الجزائر (1817م-1830م) (1232هـ-1246هـ) عمد إلى الرفق بالرعية والتخفيف من الضرائب واتباع الوسائل والأساليب السلمية في حل الأزمت كالتفاوض والتفاوض، أما البايات فنجد:

ما حدث في عهد الباي محمد الكبير باي الغرب الجزائري الذي عرف عنه تسيير الأمور والشؤون العامة والإخلاص في العمل حيث أنشأ المطامير العامة وإقامة المخازن في جهات مختلفة لتخزين القمح، وحفظ المواد الزراعية، ونصب المطاحن الهوائية والمائية والعمل على جلب الماء في القنوات إلى المدن، وبناء المساجد والمدارس والزوايا للعلم والمعرفة، وبناء جسور وطرق، وكذا الإهتمام بالصحة للرعية،¹ وما يؤكد صحة هذا الكلام ما أشار إليه الكاتب ابن هطال التلمساني الذي أكد على أن الباي وفور وصوله إلى الحكم، كباي للغرب استهل أعماله بالنظر إلى أحوال الرعية بتحسين ظروفها المعيشية والحياتية وتقديم عديد الخدمات لها خاصة تخفيف الضرائب وإقامة العدل والرفق بها، وتعزيز الأمن والاستقرار في ربوع البلاد² وما يذكره صالح عباد في كرمه وسخائه

¹ - أحمد ابن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، المصدر السابق، ص 143_144

² - ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق، ص 71

¹ - نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص 221، وأيضا أنظر زبيدين قاسمي، قيادة سيباو، المرجع السابق، ص

² - أحمد ابن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص 17

الفصل الرابع: أثر العوامل والخصائص الجغرافية في رسم علاقة الخضوع القبلي ومظاهر الولاء

انه عندما اشتدت المجاعة سنة (1786م-1201هـ) قام بشراء القمح من أوروبا وتوزيعه على السكان مجانا.¹

- وفي عهد الباي صالح باي الشرق منح لعائلات من قبيلة الزمول والسفينة، و أولاد مقران بمجانة وأولاد بوعكاز بالصحراء، وأولاد عاشور في فرجوية، وأولاد قاسم بالجهات الجنوبية والشرقية لقسنطينة أراضي زراعية خصبة ومكاسب وامتيازات متنوعة ليستقروا بها ويمارسون أنشطتهم الزراعية من غرس الأشجار والمزروعات، إضافة إلى ما عرف عنه رفقه بالرعية والإحسان للفقراء والمحتاجين، والاهتمام بالعلم والعلماء ورجال الدين وتشجيع الحركة العلمية² والثقافية³، كما قام باستحداث حكور المكافآت والترضيات على القبائل الداعمة والمالية، وقد ترك أثرا كبيرا في الجانب الاقتصادي، كتشجيعه على إقامة الأسواق بنوعيتها وضبط السلع والبضائع والمحاصيل الزراعية،⁴ وقام بإدخال العديد من المزروعات كالأرز بالأراضي المروية في سهول الشلف ومينا، وبناء الطواحين المائية¹ وكذلك زراعة الكتان التي عرفت نوعية رفيعة وجودة عالية²

- وما فعله باي التيطري مصطفى بومرزاق نظير ولاء القبائل المالية ودعمها له أن وزع خزائن قيادة سيباو من أموال حيث تحصلت كل قبيلة على مبلغ 50دورو، ومن هذه القبائل نذكر أولاد محي الدين ومنصور وبوخالفة وأيت قاسي .

¹ - صالح عباد، المرجع السابق، ص 174

² - كما قرب إليه رجال العلم والفقهاء والدين، ومنحهم امتيازات واسعة، ونذكر منهم المفتي الحنفي الشيخ عبد القادر الراشدي، والشيخ شعبان بن حلول والقاضي المالكي الشيخ العباسي، وللمزيد أنظر محمد الصالح العنثري، فريدة منسية، المصدر السابق، ص 72.

³ - ناصر الدين سعيدوني، وراقات جزائرية، المرجع السابق، ص 253، وأيضا أنظر نور الدين عبد القادر، المرجع السابق ص ص 220_ 221

⁴ - محمد سحر ماهود، المرجع السابق، ص 412-415

¹ - Ernest Mercier, histoire de Constantine, j.marle et f.Biron imprimeurs éditeurs, op cit p297،

² - محمد العربي الزبييري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، المرجع السابق، ص 60

الفصل الرابع: أثر العوامل والخصائص الجغرافية في رسم علاقة الخضوع القبلي ومظاهر الولاء

- وبمقابل مشاركة القبائل في الدور الدفاعي المنوط بها إلى جانب السلطة في التصدي للحركات التمردية داخليا أو الوقوف إلى جانبها ضد الغارات والتحرشات الأوربية، وأثناء الغزو الفرنسي سنة 1830م-1246هـ عمدت السلطة كموقف منها إلى سياسة الإغراءات والمكافآت المالية كنتيجة لهذا الولاء والدعم، فقد تم منح منحة ومكافأة مالية قدرت بـ 10 دنانير على كل من يحضر معه رأس مسيحي إلى مقاطعة دار السلطان أثناء الحملات الصليبية الأوربية على مدينة الجزائر، كحملة الكونت orieilly على مدينة الجزائر سنة (1775م-1189هـ)، فالداي محمد بن عثمان وعد جموع المقاتلين الذين قدموا من مختلف نواحي البلاد بتقديم مبلغ 10 دنانير عن كل رأس من رؤوس الإسبان المحتلين،¹ فضلا عن توزيع الغنائم المتحصل عليها بعد إنسحاب وفرار السفن الأوربية من بضائع وسلع مختلفة².

-المصاهرة:

لجأت الإدارة العثمانية إلى ربط علاقات متينة مع القبائل والأسر المحلية النافذة والمالية لها، وتأكيد خضوعها بما يعرف بالمصاهرة³ بين الحكام خاصة البايات ثم جنود الإنكشارية ثم كبار الموظفين الإداريين مع كبار شيوخ القبائل والأسر، وذلك تحت أغراض عديدة منها لإستمرارية حكمهم، وبقاءهم في الإيالة، وضمان الأمن والإستقرار والهدوء داخل الإيالة وتحقيق مكاسب ومنافع خاصة، وتحسين العلاقات مع رؤساء العشائر القوية.¹

وقد تميزت هذه القبائل بنفوذها القوي من خلال تربعها على مساحات شاسعة وقوة إقليمية عسكرية وجاه ونفوذ سياسي خاصة في المناطق الشرقية من البلاد، كما أن هذه

¹ - محمد بن رقية التلمساني، الزهرة النائرة، المصدر السابق، ص 143

² - زبيدين قاسمي، المرجع السابق، ص 109

³ - صالح عباد، المرجع السابق، ص 285

¹ - حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 39

الفصل الرابع: أثر العوامل والخصائص الجغرافية في رسم علاقة الخضوع القبلي ومظاهر الولاء

المصاهرة كانت عاملا إيجابيا في تشكيل روابط قوية بين الجانبين، فهي مظهر إجتماعي وسياسة معتمدة وممنهجة من طرف السلطة لربط مصير هذه القبائل بقيادة شيوخها وأعيانها بما تتعرض له السلطة،¹ فتضطر إلى لوقوف معها أثناء إشتداد الأزمات والكوارث كالطبيعية والأمنية والاقتصادية والاجتماعية والصحية، وتعود هذه المصاهرة بالنفع على المشيخات التي تقوم السلطة بتقديم الدعم والمساندة إليها ومنحها امتيازات ومكاسب وتحفيزات كتوزيع الأراضي والإعفاء من المطالب المخزنية والضرائب وتوزيع المناصب على أبنائها وغيرها،² ومن أشهر البايات ممن لجأوا إلى مصاهرة هذه الأسر النافذة نجد في بايلك الشرق مثلا مايلي :

ماقام به الباي محمد بن أحمد القبائلي باي الشرق عندما صاهر عائلة ابن قانة النافذة في جهة الزيبان أي بسكرة بالشرق الجزائري.³

كما صاهر الباي أحمد بن علي القلي (1756م-1771م) لأسرة ابن قانة، وعمل أيضا على تشجيع الموظفين الإداريين والعسكريين على الزواج من بنات العائلات ذات النفوذ والقوة في الجانبين السياسي والديني، وذلك بغية تمتين العلاقات وزرع المحبة والألفة وقد تزوج الباي سالف الذكر من ابنة الشيخ سليمان بن قانة.¹

وتزوج فيما بعد من ابنة الشيخ المقراني حاكم مجانة لنفوذها في المناطق الممتدة بين كل من قسنطينة ودار السلطان وجبال البيبان،² وبذلك نجح الباي في التقرب من قبيلة الذواودة، كما تزوج أيضا من أمباركة أخت خديجة زوجة فرحات حفيد شيخ العرب

¹ - جميلة معاشي، الإنكشارية والمجتمع، المرجع السابق، ص 111

² - جميلة معاشي، نفسه، ص 124

³ - ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، المرجع السابق، ص 492

¹ - محمد سحر ماهود، الموظفون العثمانيون في إيالة الجزائر، المرجع السابق، ص 396

² - جميلة معاشي، الإنكشارية والمجتمع، المرجع السابق، ص 124

الفصل الرابع: أثر العوامل والخصائص الجغرافية في رسم علاقة الخضوع القبلي ومظاهر الولاء

بوعكاز، وقد زوج أخته إلى شيخ العرب علي بوعكاز بغرض تمتين العلاقات وأواصر المحبة.¹

كما زوج ابنه محمد الشريف من رقية بنت شيخ العرب الحاج قانة، ليتولد من هذه المصاهرة الحاج أحمد باي آخر بايات الشرق الجزائري.²

كما صاهر الباي عبد الله (1219هـ-1221هـ) (1804م-1896م) من ابنة الشيخ محمد بن قانة شيخ العرب، وتسمى الداخنة المشهورة والمعروفة بالجمال والشجاعة، وهو ما أشار إليه أحمد الشريف الزهار بقوله: ".....ولما بلغ الأمير خبر موت عثمان استقدم عبد الله بين يديه وأولاده بايا على قسنطينة".³

كما أشار حمدان خوجة إلى مصاهرة الحاج أحمد باي من خلال تعدد زوجاته في جهة الشرق حيث تزوج من أحد شيوخ القبائل وهو الداودي ابن قانة،⁴ وكذلك تزوج من عيشوش ابنة الحاج عبد السلام المقراني، وتزوج أيضا خوجة بنت عثمان خوجة التي هي أخت المؤرخ حمدان خوجة، كما تزوج من متامسرة من اولاد ابن قانة وجهية بنت ذباح بوعكاز، وتزوج بفاطمة بنت الشيخ محمد بالضياف، وذلك في شهر شوال سنة (1229هـ-1814م) بصداق قدره 1000 ريال وقفطان وحزام وأوقية جوهر.¹

وكانت آخر زوجاته من أسرة ابن قانة وتسمى المنتصرة ابنة السيد محمد بن الحاج شيخ العرب، وذلك سنة (1248هـ-1832م).²

¹ - Mercier histoire,de Constantine èd marle ,OP cit,p267

² - جميلة معاشي، الإنكشارية والمجتمع، المرجع السابق، ص 116

³ - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص ص 86-87

⁴ - حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 439

¹ - جميلة معاشي، الإنكشارية والمجتمع، المرجع السابق، ص 115

² - جميلة معاشي، نفسه، ص 118، وللمزيد أنظر أيضا صالح فركوس الحاج أحمد باي، المرجع السابق، ص

ص 48-49

أما في بايلك الغرب :

فقد تزوج الباي بوشلاغم الذي حكم سنة 1737م من عديد العائلات النافذة التي لها وزن وثقل سياسي كبير ونفوذ ديني، وذلك لتدعيم نفوذه وسلطته ومجابهة الاعتداءات الخارجية خاصة الإسبانية منها فضلا عن مساعدته لتحصيل الضرائب والغرامات .

كما تزوج آخر دايات الجزائر الداوي حسين (1818م-1830م) من إحدى حفيدات الشيخ سيدي أحمد بن يوسف الملياني الذي هو من العائلات النافذة علما وجاها ودينا وهذا التقارب والتواصل الإجتماعي جعله يحظى بالاحترام والتقدير.

4 - الدعم القبلي للسلطة ضد الإستعمار الفرنسي سنة 1830م-1246هـ:

مرحلة الإستعداد والتنظيم :

سارعت القبائل إلى دعم ومساندة السلطة في مواجهة المستعمر الفرنسي والوقوف إلى جانبه، رغم حالة التوتر والقطيعة معه لبعض القبائل والأعراش التي كانت متمردة في علاقة مضطربة، فضلا عن إيمانها العميق بالجهاد والدفاع عن الوطن والأرض ضد أي مغتصب دخيل، فبعد وصول معلومات وأخبار مؤكدة إلى الباشا تفيد بنية عزم فرنسا الإستعمارية على البدء في تحضير حملة عسكرية بهدف احتلال الجزائر، مدعية حادثة المروحة¹ التي حدثت سنة 1827م-1243هـ بين الداوي حسين والقنصل الفرنسي ببيير دوفال، كسبب رئيسي لذلك في إطار تأديبه ومعاقبته لأنه أهان فرنسا حكومة وشعبا، وفي هذا السياق فرضت فرنسا حصارا بحريا على طول السواحل الجزائرية سنة 1827م بقيادة القبطان كولي collet لأغراض منها إرغام الداوي حسين على قبول المطالب الفرنسية ومنع خروج السفن الجزائرية من الميناء، وقطع المبادلات التجارية مع الجزائر، فاستولت وتحكمت بذلك فرنسا على الساحل والميناء، وأمام هذه التطورات الحاصلة لجأت السلطة

¹ - حمدان خوجة، المصدر السابق، ص 180

الفصل الرابع: أثر العوامل والخصائص الجغرافية في رسم علاقة الخضوع القبلي ومظاهر الولاء

العثمانية إلى محاولة فك الحصار¹ من خلال إعلان الهجوم بإحدى عشر سفينة عليها أكثر من ألف متطوع قدم من عديد القبائل المجاورة والبعيدة في 4 أكتوبر سنة 1827م-1243هـ مستغلين مناسبة المولد النبوي الشريف تيمنا بذلك، فالتقا الأسطولين لمدة ساعتين في معركة قوية دون تحقيق نتائج أو فك للحصار، وحاول الفرنسيون التقرب والدخول بالقرب من رأس تمنقوس إلا أن السكان أحاطوا بهم من كل صوب، فحاصروهم حتى قتلوا منهم 30 رجلا، واستولى الجزائريون على مراكبهم وأسلحتهم ومستلزماتهم.

فبعد علم الداوي حسين بالتحضيرات العسكرية والتنظيمية الفرنسية التي تستهدفه من مدينة طولون عن طريق جواسيسه في كل من إيطاليا ومرسيليا وطولون و باريس فضلا عن ذلك قاموا بتزويده بالتفاصيل الدقيقة عن معدات وتجهيزات الأسطول الفرنسي المتكون من مائتي سفينة حربية وخمسائة سفينة تجارية على متنها أربعون ألف جندي، وأن الإنزال سيكون في شهر ماي سنة 1830م -1246هـ عبر شاطئ سيدي فرج غرب مدينة الجزائر العاصمة.²

وعلى إثر ذلك قام الداوي حسين بتعيين الأغا ابراهيم صهره كقائد عام للجيش، وتتحية الأغا يحي كخطوة أولى منه رغم أن الاغايحي يمتلك من الكفاءة والخبرة ما يؤهله للدفاع والمقاومة والمواصلة في هذا المنصب، وربما رأى الباشا بأن تغيير القيادة من جهة وأن الأغا ابراهيم هو الرجل المناسب في الحروب والمعارك، فسارع الأغا ابراهيم إلى عقد المجلس الحربي وبعد انتهائه قام ببناء المتاريس بسيدي فرج،¹ وهنا في هذا المجلس قد رفض الأغا يحي خطط ونصائح وتوجيهات الحاج أحمد باي الشرق، والمتضمنة بالانسحاب غربا نحو وادي مزفران ومباغطة العدو الفرنسي من المؤخرة في حالة الفشل و التصدي للهجوم الفرنسي، أو في حالة ما إذا هاجمت القوات الفرنسية الجنود الجزائريين

¹-Gabriel esquer, les commencement d'empire la prise d'alger 1830,éd champion,l'afrique latine, paris Alger,1923,,pp81_82

² - سيمون بفايفر، المصدر السابق، ص 64

¹ - مذكرات أحمد باي وحمدان بن عثمان خوجة وبوضربة، المصدر السابق، ص 15

الفصل الرابع: أثر العوامل والخصائص الجغرافية في رسم علاقة الخضوع القبلي ومظاهر الولاء

في الجهة الغربية، فإنهم سرعان ما يتعرضون للإرهاق والتعب الشديد بسبب فصل الصيف الحار، وهو ما يؤدي إلى ضعفه وفشله وإنهياره حتى يسهل القضاء عليه، وكذلك يتم استدراجه إلى أماكن وعرة مجهولة له لإقتناصه هناك ولعل هذا الرفض لفكرة أحمد باي يكون بعد رفضه هو أيضا لإقتراح الأغا ابراهيم المتضمن فكرة أو مشروع بناء الحصون على شاطئ البحر، وتزويده بمدافع قوية لمنع الفرنسيين من التقدم والنزول إلى الشاطئ، ولعل أحمد باي كان صائبا في أن الوقت ضيق ومتأخر، وعدم إمتلاك الوسائل اللازمة لحمل المدافع والذخائر الحربية، وكذلك ضعفها ونقصها مقارنة مع قوة البحرية الفرنسية،¹ فقام ببناء أبراج وحصون جديدة ممتدة من اليمين إلى اليسار على طول سبعة أو ثمانية أميال من جهة الشرق إلى الغرب تحتوي على بضعة آلاف من المدافع،² وقد وضعت فيها حاميات لحراسة الشاطئ، وكذلك تم نصب بطاريتين للمدافع احداها تتكون من سبع قطع مدفعية ومدفعين من نوع الهاون وحصن صغير به اثنا عشر مدفعا.³

وعندما نتحدث عن هذه التحضيرات والإستعدادات لمواجهة المحتل الفرنسي، فإننا نجدها تميزت بسوء التنظيم وقلة الفعالية، وارتكزت أكثر على الجيش النظامي الذي يعاني من قلة التدريب وعدم الثقة ونقص العدد وامتلاكه لأسلحة بسيطة غير حديثة ومصاحبة للتقدم و التطور مثل الفرنسيين، وأكثر من ذلك تعيين القائد ابراهيم الذي يفتقد للشجاعة والكفاءة والخبرة الحربية، والدليل على ذلك مخرجات المجلس الحربي حيث ظهر متعنتا لقراراته ومتكبرا في إتخاذها ورفضه للخطط، وعدم تحكمه في ضبط الأمور، وهو ما أكده حمدان خوجة بأنه ضعيف في التخطيط والتنظيم لمجابهة هذه الأزمات، وحتى في

¹ - مذكرات أحمد باي وحمدان بن عثمان خوجة و بوضرية، نفسه ، ص 12

² - Gabriel esquer, op cit, p317.

³ - حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 194

الفصل الرابع: أثر العوامل والخصائص الجغرافية في رسم علاقة الخضوع القبلي ومظاهر الولاء

توفير المؤن والذخائر للجند والمتطوعين،¹ ويتأكد ذلك أكثر من خلال المعارك بين الجانبين، وهو ما سنتطرق إليه في الصفحات المقبلة .

ولمجابهة هذا الخطر أمر الداوي حسين (1818م-1830م) بتعزيز قوة الجيش البري الذي يعاني النقص العددي، وذلك بسبب انقطاع الإمدادات عنه من الأناضول، والحصار المضروب عليه من طرف الفرنسيين منع من قدوم المتطوعين إلى الجزائر، بالإضافة إلى مقتل الكثير من أفراد الإنكشارية في التمردات والفتن الداخلية كثورات ابن الأحرش الدرقاوي، وابن الشريف الدرقاوي والثورة التيجانية التي نجم عنها مقتل الكثير من الجند في الجبال والوديان أثناء المعارك المحتدمة بين الطرفين، وفي صد الحروب الخارجية التي عرفتها الإيالة أواخر الحكم العثماني، أو في الدفاع عن الدولة العثمانية في حروبها مع أوروبا وتكتلاتها خاصة وتحطم الأسطول الجزائري في معركة نافارين سنة 1827م-1243هـ ضف إلى ذلك فرار عدد كبير منهم بسبب الإضطرابات.

وأمام هذا النقص الكبير في عدد الجند كتب برسالة مضمونها أنه من جهة البحر والبر والأوجاق، وهو ما أجبره على تجنيد عدد كبير من العرب والبربر، وأمدهم بالإمتيازات حيث منحهم مرتبا ومؤونة مثلهم مثل الجند النظاميين، وما يبين ذلك أيضا ما قام به الداوي حسين من خلال إرسال الرسائل إلى البايات الثلاثة في مقاطعات التيطري والشرق والغرب، وكذا إلى شيوخ القبائل والأعيان والشرفاء ورجال الدين من شيوخ الزوايا والمرابطين والعلماء والفقهاء نظرا لمكانتهم السامية ومرتبتهم ووزنهم عند السكان حيث دعاهم إلى القصر وأكرمهم ومنح لهم الهدايا والعطايا،¹ كما أن الداوي وظف في رسائله الإقناع والحث على الجهاد والدفاع عن الأرض والشرف مذكرا العرب والبربر على حد سواء بأهداف المحتلين الفرنسيين ونواياهم الخبيثة وأغراضهم المبيتة في الإستيلاء على

¹ - حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 194

¹- سيمون بفايفر، المصدر السابق، ص 74 وللمزيد أيضا أنظر عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ج3، 381

الفصل الرابع: أثر العوامل والخصائص الجغرافية في رسم علاقة الخضوع القبلي ومظاهر الولاء

خيرات وثروات البلاد وأسلوبهم الهمجي الهادف إلى القضاء على الأرض و الإنسان معا ومسح مقومات الشخصية داعيا إياهم إلى التحضير الجيد والإستعداد الدائم لمواجهة العدو ودحره، ويؤكد سيمون بفايفر أن الداوي سمح لجميع أبناء القبائل والأعراش القريبة والبعيدة برفع السلاح ومهاجمة العدو الفرنسي، وهي رسالة واضحة منه إلى نسيان الخلاف وتوحيد الصف بما أن الخطر واحد ومشارك لزم طي الخلافات¹ وتركها جانبا ويذكر الشريف الزهار عن نقص العدد في الجيش النظامي أنه في مدينة الجزائر توجد محلتان عدد الجند في كل واحدة منها هو ألف جندي من الإنكشارية،² وفي هذا السياق كان الداوي حسين متأكدا من مشاركة ودعم أهل زاوية بمنطقة القبائل وانضمامهم للحرب رغم اضطراب العلاقة وتأزمها إلا أن واجب الجهاد والذود عن الوطن أكبر من ذلك،³ ويضيف الزهار بأنهم قد أرسلوا إليه أكثر من ألفين من أفراد القبائل كمتطوعين، وهناك من أشار إلى ثلاثين ألف متطوع⁴، أما حمدان خوجة فيشير إلى أن جيش الجزائر مكون من عرب وبربر يشكلان المجتمع الريفي بقبائله وأعراشه بنسبة كبيرة، والمندمجين في نمط قبلي، وأكثرهم قدموا من جهة سهل متيجة بالبلدية القريبة من مقاطعة دار السلطان، فكانوا القلب النابض لأكبر دعم ومساندة للسلطة العثمانية في التصدي للإحتلال الفرنسي،¹ ويشير يحي بوعزيز إلى أن عدد المتطوعين في صفوف الجيش وصل إلى 13 ألف مجاهد توافدوا على العاصمة من كل المقاطعات،² كما أرسل الداوي حسين مبعوثين عنه إلى داخل الإيالة ليدعوا السكان إلى الجهاد والدفاع عن الوطن وتمسكهم بالسلطة ضد الفرنسيين.³

1 - سيمون بفايفر، المصدر السابق، ص 75

2 - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 171

3 - زبدين قاسمي، قيادة سيباو، المرجع السابق، ص ص 151-154

4 - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 215

1 - حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 151

2 - يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 125

3 - Gabriel esquer, OP cit,p317

الفصل الرابع: أثر العوامل والخصائص الجغرافية في رسم علاقة الخضوع القبلي ومظاهر الولاء

وقد كتب الداوي حسين إلى باي الغرب حسن حانثا إياه على تحصين مدينة وهران وأمر الباي أحمد باي الشرق بتحصين مدينة عنابة، كما أمره بأن يحمل إليه الضرائب دون أي إزعاج أو تهديد للسكان،¹ وطلب الداوي من أفراد الإنكشارية بعدم الإعتداء على السكان، وعدم إهانتهم لأنهم بحاجة ماسة وملحة لهم في هذا الوقت العصيب، كما أمر دوانه ووزراءه أي جموع موظفيه بزيارة قبور الأولياء والصالحين في المدن، وذبح الذبائح عند القبور والتوسل إليهم في الدعاء لتحقيق النصر وإلحاق الهزيمة بالجيش الفرنسي، وتفريق الأموال والمساعدات على الفقراء،² وبهذه الخطوات الأولى أراد الداوي من أن يكسب هاته الشرائح والطبقات الإجتماعية إلى صفه، كما لانسى أنه قدم أموالا معتبرة لقائد الجيش النظامي الإنكشاري لتشجيع المحاربين وتحفيزهم على القتال، وطلب منه أن يوزعها عليهم، وفي نفس الصدد وعدهم بمنحهم مكافآت مالية لكل من يحمل له رأس جندي فرنسي مقابل 500 فرنك فرنسي.³

واستعدادا لمواجهة الجيش الفرنسي قام الأغا ابراهيم بتجميع المتطوعين من أفراد القبائل للقتال، حيث تؤكد بعض الكتابات التاريخية إلى أن تعداد الجيش الجزائري من الجند النظامي الرسمي بلغ عدده حوالي 20 ألف مقاتل،¹ أما المتطوعين من القبائل المختلفة عبر الوطن فتشير الكتابات إلى أن هناك احصائيات غير دقيقة ومختلفة، فنجد من قبيلة الزواوة بمنطقة القبائل ألفي رجل، وحوالي 400 فارس من مقاطعة الشرق بقيادة أحمد باي، وهناك من يشير إلى اثنا عشر ألف من المتطوعين،² وألف رجل وصلت من بايلك التيطري بقيادة مصطفى بومرزاق وهناك من يشير إلى ثمانية آلاف متطوع، وفي هذا الباب يشير العنتري بأن بايلك التيطري أخبر الأغا ابراهيم أن عدد جنوده القادمين

¹ - حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 187

² - سيمون بفايفر، المصدر السابق، ص 74

³ - حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 194

¹ - حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 156

² - يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 125

الفصل الرابع: أثر العوامل والخصائص الجغرافية في رسم علاقة الخضوع القبلي ومظاهر الولاء

لمساندته هو 20 ألف نصفهم من حملة الرماح ولكن العدد الذي وصل هو ألف فارس فقط،¹ ومن خلال هذا نستشف من أن العدد الذي وعد به مبالغ فيه وربما يدخل في نطاق رفع المعنويات، والتأثير النفسي الإيجابي داخل القيادة والجند وزيادة الإستعدادات، أو حسب توقعات خاطئة وصلت للباي من طرف موظفيه، كذلك لا نستبعد أن بعض الفرسان قد تراجعوا في فكرة انضمامهم ومشاركتهم بجانب السلطة لأسباب وظروف مختلفة، بالإضافة إلى المجاهدين القادمين من بايلك الغرب أرسلهم خليفة باي الغرب والمقدر عددهم بثلاثة آلاف مجاهد، ووصل أفراد من قبائل مختلفة قريبة من دار السلطان كالبليدة والقليلة ومنتجة الساحلية عبر أربع دفعات مقدرة بحوالي 50 ألف رجل، أما يحي بوعزيز، فيشير إلى أن عددهم وصل إلى 20 ألفاً من المتطوعين²، عرف عن بعضهم عدم درايتهم بالحروب ولا الخطط الحربية، كما انظم سكان قيادة سيباو إلى بايلك التيطري بومرزاق في هذه الحرب مساندين السلطة، حيث قام قائد سيباو بتوزيع الأموال والمؤونة على أفراد قبائل أولاد محي الدين ومنصور وبوخالفة وأيت قاسيمي³، وفي تعداد لشيخ بعض القبائل فقد قدموا للحرب بمعية حوالي 16 ألف مقاتل، وكذلك قبائل بنو ميزاب بغرداية أرسلوا حوالي أربعة آلاف مجاهد خاضوا عديد المعارك في سيدي فرج وسطوالي وهذا ما يؤكد إيمانهم وإخلاصهم وولاءهم للسلطة والوطن،¹ وهناك من أشار إلى 25000 من المجندين المتطوعين² واجتمعت هذه الجيوش باسطوالي التي تبعد بساعة عن سيدي فرج³، كما أنه استدعى رجال بعض القبائل للجهاد والمقاومة ضد العدو إلا أنه حضر

¹ - حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 152

² - يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 125

³ - عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ج3، ص 386-387، أو للمزيد أنظر زيددين قاسيمي، قيادة سيباو، المرجع السابق، ص 148

¹ - أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر، المرجع السابق، ص 164

² - زيددين قاسيمي، المرجع السابق، ص 150

³ - حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 191، أو للمزيد أنظر أحمد الجزائري، كيف دخل الفرنسيون الجزائر، المرجع السابق، ص 29

الفصل الرابع: أثر العوامل والخصائص الجغرافية في رسم علاقة الخضوع القبلي ومظاهر الولاء

القليل منهم، لأن دعوته كانت متأخرة، وهناك من مازال يكن العداوة للسلطة العثمانية وينتظر نهايتها وسقوطها، كما أن الذين وصلوا البعض منهم لم يقدم لهم السلاح ولا المؤونة ولا الذخائر الكافية للدفاع، وهو ما عكس جليا ضعف التنظيم والتخطيط ونقص الأسلحة، فعاد الكثير إلى مناطقهم التي أتوا منها.¹

حيثيات ومجريات المعارك ؛

قاوم الجزائريون المتطوعون القادمون من مختلف القبائل والأعراش والأسر الحاكمة القادمة من كل صوب وحذب إلى جانب الجنود النظاميين في إحصاء قدر ب 7000 جندي إنكشاري و 4000 متطوع لمقاومة الجيش الفرنسي بقيادة الماريشال دو برمون بعدد يتضمن 37000 ألف جندي فيه ما يقدر ب 31000 من المشاة، ففي بادئ الأمر قاموا بإطلاق النار أثناء نزول الجنود الفرنسيين في شاطئ سيدي فرج، ونظرا لبساطة أسلحتهم وقلة الذخيرة لم يتمكنوا من الصمود أمام القوة الفرنسية التي احتلت حصن سيدي فرج الذي جعلوه معسكرا محصنا لمجابهة أي هجوم، وهو ما أشار إليه الزهار حين أكد أنه يتميز بالصلابة والقوة،¹ وبعد أيام من المواجهات الفرنسية الجزائرية وتبادل الجانبين لطلقات النيران استهدفت المراكز الأمامية للمعسكر الفرنسي، فكان الجزائريون يستخدمون بنادق طويلة تقليدية في حين كان الفرنسيون يطلقون النار بنيران المدفعية، ومع ذلك فقد وقعت خسائر بشرية كبيرة في الجانب الفرنسي بلغت ما بين 50 و 80 قتيلًا يوميًا، وفي 19 جوان 1830م الموافق ل 27 من ذي الحجة 1245هـ وقعت معركة سطاوالي الحاسمة في ظل ظروف سيئة أهمها :

- إستيلاء الفرنسيين على سيدي فرج الساحلية، وجعلها حصنا وموقعا حربيًا فرنسيًا.

¹ - حمدان بن عثمان خوجة ، المصدر السابق، ص 190، أو للمزيد أنظر أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 171

¹ - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 171

_ عدم تماسك الجيش النظامي الإنكشاري وفشله

_ نقص الأسلحة والذخيرة وبساطتها

_ انسحاب وفرار بعض المقاتلين المتطوعين لعدم توفر الأسلحة والمؤونة.

وعلى إثر ذلك أمر الأغا ابراهيم جنوده بالانسحاب الفوري إلى سهل سطاوالي للدفاع عنه والذي يقع في غرب المدينة ويبعد عنه بحوالي 25 كيلو متر، كما يقع في منتصف الطريق ما بين سيدي فرج ومدينة الجزائر،¹ وأراد من ذلك الأغا ابراهيم وصول المزيد من القوات المحاربة عبر البايات والشيوخ والأعيان والعلماء الذي يعكفون على حث ودفع أفراد القبائل للجهاد ودعم السلطة ضد المحتل، وقد تمركز الجيش الجزائري بسهل سطاوالي، لينطلق الهجوم على المعسكر الفرنسي بعد صلاة الفجر يوم السبت 27 ذي الحجة 1245هـ وسط الضباب الكثيف صباحا مما أحدث هلعا كبيرا في صفوف الجيش الفرنسي، ولم يدم هذا التقدم الجزائري وتحقيق الانتصار بسبب مغادرة أفراد القبائل المشاركة لمواقعهم، فوقع اضطراب في بقية الجيش وعدم تماسكه، كما أشار الشريف الزهار إلى أن الأغا ابراهيم إكتفى بتوزيع الخناجر والفؤوس عوض السلاح والذخيرة كما ألزمهم بحفر الخنادق لمباغثة الجنود الفرنسيين¹، وهو ما منح فرصة كبيرة للفرنسيين بقيادة القائد العام دو برمون الذي أعطى أوامره للتقدم نحو الأمام ومحاصرة الجزائريين فتقدمت القوات الفرنسية الإستعمارية نحو بطاريات الجزائريين خاصة مدفعية الميدان، ففر بعض المقاتلين الجزائريين من العرب والبربر، وحتى من الجند النظامي في كل الإتجاهات، فتركوا أسلحتهم وذخائرهم وممتلكاتهم من حيوانات وبضائع ومستلزمات

¹ - خليفة حماش، قراءة في أسباب إنهزام الجزائريين أمام الفرنسيين في معركة أسطاوالي في 19 جوان 1830م الموافق ل27 ذي الحجة 1245هـ، جمعية التاريخ والمعالم الأثرية، قائمة، مجلة المعالم، ع 16، نوفمبر (2014م-
محرم 1436هـ) ص 173

¹ - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 215

الفصل الرابع: أثر العوامل والخصائص الجغرافية في رسم علاقة الخضوع القبلي ومظاهر الولاء

للفرنسيين¹ مما أدى إلى تعرضهم لهزيمة نكراء وقاسية راح ضحيتها الألاف من الجرحى والقتلى في صفوف أفراد الجند و سكان القبائل، ولم يسلم الأطفال ولا النساء ولا الشيوخ من هذه المجزرة،² أما الخسائر البشرية في صفوف الجيش الفرنسي، فقد تم إحصاؤها ب 600 قتيل وجريح، أما العقيد فريال، فقد ذكر حوالي 5 ألاف قتيل³.

وقد اتضحت معالم ومظاهر كثيرة من معركة أسطاوالي أهمها :

_ ضعف وقلة الخبرة والتجربة للأغا ابراهيم في مثل هذه المعارك التي تتطلب الكفاءة والمقدرة الحربية

_ فشل الجيش الإنكشاري ليس في نقص العدد بل حتى في ضعف التسليح والتخطيط وفن التكتيك الحربي، فكان جيشا غير منظم وبدون ذخيرة ولا مؤونة.⁴

_ أغلب المتطوعين من سكان القبائل لم تكن لهم دراية تامة بالحروب الكبرى، فضلا على أنه لم يتم تزويدهم بالسلاح ولا بالذخيرة

_ قوة الجيش الفرنسي الذي اعتمد على كفاءة قادته وقوتهم العسكرية، وعلى الجانب التنظيمي والتخطيطي.¹

_ ميزة إيجابية ممثلة في إتحاد القبائل مع السلطة ضد المحتل الفرنسي .

1 - سيمون بفايفر، المصدر السابق، ص ص 83_89

2 - عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ج3، ص 387

3 - العقيد م. فرنال، حملة إفريقيا 1830، دون ذكر اسم المترجم، دار الرائد للكتاب، الجزائر 2014، ص 45

4 - محفوظ قداش، جزائر الجزائريين تاريخ الجزائر (1830م-1954م)، ترجمة محمد المعراجي، الأكاديمية الجزائرية

للمصادر التاريخية، دط، 2008م، ص 21

5-Gabriel esquer, OP cit,p323.

معركة برج مولاي الحسن¹ :

على إثر الهزيمة التي تعرض لها الجيش في موقعة أسطاوالي قام الأغا ابراهيم بهماجمة القوات الفرنسية بأسطاوالي لإستعادة المعسكر في جيش يضم فرقة من المشاة وفرقتين من الفرسان إلا أنه سرعان ما قوبل بهجوم مضاد من طرف الفرنسيين أربك جنده وعجز عن مقاومته، فأمرهم بالانسحاب إلى مرتفعات بوزريعة، ومكثوا هناك لمدة طويلة كما حاولت مجموعة من أفراد القبائل بالهجوم على قاعدة سيدي فرج لإستعادتها إلا أن فرقة المدفعية المكلفة بالحراسة قامت بقصفهم، و أثناء تبادل النيران أصيب ابن القائد العام اميدي دو برمون ولم يلبث كثيرا حتى توفي على إثر الإصابة،² وفشل المقاتلون الجزائريون في تحقيق هدفهم نظرا لقوة المدفعية الفرنسية وحصانة الموقع .

كما حاول حسين باشا جمع المقاتلين والمتطوعين مرة أخرى، وهذه المرة قام باستدعاء المفتي شيخ الإسلام ابن العنابي ومنحه سيفا وأمره بجمع الشعب للجهاد والدفاع عن الوطن¹ فحاض عديد المعارك ضد القوات الفرنسية إلا أنها باءت بالفشل نظرا لقلّة خبرته وكفاءته ودرايته بالحروب،² وبعد فشله في مواصلة المقاومة والدفاع عين الداوي مكانه باي التيطري مصطفى بومرزاق الذي اشتهر بالشجاعة والقوة والكفاءة إضافة إلى الخبرة في مثل هذه المعارك والتحديات الصعبة إلا أن الظروف لم تكن بتاتا في صالحه لأن الفرنسيين وصلوا إلى برج مولاي حسن أو حصن الإمبراطور كما يسمى أو برج الطاوس

¹ - برج مولاي الحسن،: برج مولاي الحسن، أو مايسمى بحصن الإمبراطور أو برج الطاوس يسميه سكان مدينة الجزائر برج مولاي الحسن، وبرج الطاوس لأن الملك شارل الخامس بنى خيمته في هذا المكان سنة 1541هـ في حملته الشهيرة ضد مدينة الجزائر، كما أنه الحصن الوحيد الذي يحمي المدينة من الجهة البرية أي من جهة الجنوب إلى جهة الشمال، وللمزيد أنظر أ.بيليسي ، حوليات جزائرية، المجلد الأول، ترجمة دليلة حياتي، دار أصالة، الجزائر، 2013م، ص 64.

² - أ.بيليسي، حوليات جزائرية، المصدر السابق، ص ص 52-55

¹ - محفوظ قداش، جزائر الجزائريين، المرجع السابق، ص 21

² - أبو القاسم سعد الله، رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي المتوفي في 1850م، صاحب كتاب السعي المحمود في نظام الجنود، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت لبنان، 1990م، ص 9

الفصل الرابع: أثر العوامل والخصائص الجغرافية في رسم علاقة الخضوع القبلي ومظاهر الولاء

وبعد معارك امتدت من يوم 25 إلى 27 من نفس الشهر¹ خسرت القوات الفرنسية الغازية إلى خسائر بشرية كبيرة قدرت بـ 700 قتيل وجريح، فقد تم القضاء على مجموعتين من النخبة الفرنسية، وعلى كتيبة أخرى من المشاة،² ومع ذلك تمكن الباي مصطفى بومرزاق من وقف زحف الجيوش الفرنسية يوم 29 جوان، وقبل وصول القوات الفرنسية إلى الحصن، عقد الداوي حسين مجلسا حربيا اتفقوا فيه على إعادة تجميع الجيش، وتجهيزه لمواجهة العدو بـ 120 مدفعا، وكذا ألف رجل بقيادة الخزناجي،³ وأغلبهم كانوا من المدفعيين، فخرج الجيش الجزائري من نظاميين وعدد قليل من قبائل الزواوة في جهة البساتين،⁴ وقد استقر الفرنسيون على بعد 600 متر من برج مولاي الحسن على هضبة مرتفعة، ليقوموا بحفر خندق موازي،⁵ وتم تسليحه بمائتي مدفع،⁶ وتم تحصينها بأكياس من التراب،¹ فقامت القوات الفرنسية بإطلاق نيران من القطع البحرية على أبراج وحصون مدينة الجزائر في الأيام الثلاثة الأولى من شهر جويلية، فتصدى لها الجزائريون بكل قوة وفي اليوم الرابع بدأت البطاريات الفرنسية بإطلاق نيران المدافع على الحصن، ورغم استماتة الجزائريين وقوتهم وشجاعتهم إلا أن الفرنسيين أصابوا سكان المدينة جراء القصف البري المتتالي للمنشآت والمباني، كما أحدثوا الهلع والرعب في صفوفهم، فلجأ بعضهم للفرار عبر طريق باب عزون الذي لم يكن محاصرا،² وبعد هذا القصف العشوائي والمتواصل سهل للفرنسيين الإستيلاء على البرج والمدافع والأسلحة والذخيرة³.

1 - أ بيليسي، المصدر السابق، ص 57

2 - أ بيليسي، نفسه، ص 59

3 - سيمون بفايفر، المصدر السابق، ص 92

4 - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 173

5 - م. فرنال، المصدر السابق، ص 79، أو للمزيد أنظر عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ج 3، ص 389

6 - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 173

1 - سيمون بفايفر، المصدر السابق، ص 96

2 - م. فرنال، المصدر السابق، ص 81

3 - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 174، أو للمزيد أنظر سيمون بفايفر، المصدر السابق، ص 96

الفصل الرابع: أثر العوامل والخصائص الجغرافية في رسم علاقة الخضوع القبلي ومظاهر الولاء

وبعد توالي الهزائم التي استهدفت الجيش الجزائري بسبب العوامل السابقة خاصة عدم تكافئ القوتين، فالضباط الفرنسيون تمتعوا بخبرة كبيرة في مجال الحروب والحصار خاصة أنهم شاركوا في عديد الحروب أبرزها مع الإمبراطور نابليون بونابارت في قارة أوروبا، وفي الحملة الفرنسية على مصر سنة 1798م¹.

وبعد اقتناع الداي حسين والأعيان بأن احتلال الجزائر أصبح وشيكاً، وأن الخسائر كانت جسيمة مادياً وبشريا أمر بإجتماع مع مسؤوليه وأعيانه لبحث المستجدات والخروج بقرار خاصة في ظل الأوضاع الصعبة والمتأزمة، كما لا ننسى دور البيان² السلبي الفرنسي على نفوس وعقول الجزائريين الذي أصدرته السلطات الفرنسية بضمان حقوقهم وواجباتهم ودينهم وممتلكاتهم وتحريرهم من ظلم وهمجية العثمانيين على حد قولهم، ونقل الحضارة والتمدن للجزائريين.¹

كما أرسل الداي رئيس ديوانه المفاوض المكتاجي رفقة القنصل الإنجليزي وسيدي أبو دربه وحاجي حسن الذي هو ابن حمدان كمترجم إلى القائد الأعلى للجيش الفرنسي طالبا التفاوض معه،² واكتفى بإرسال رسالة للداي مفادها تسليم القلعة في ظرف 24 ساعة فقرأها على أعيان البلاد وأشرفها للمشورة، فسارعوا كلهم إلى الموافقة والإستسلام لتبدأ معاهدة 5 جويلية متضمنة مجموعة من الشروط³، وبموجب وثيقة الإستسلام التي

¹ - م، فرنال، المصدر السابق، ص ص 79-80

² - بيان الفرنسيين : هذا البيان عبارة عن نداء إلى سكان الجزائر وأهالي القبائل يتضمن عدة امتيازات وتسهيلات لهم بغرض التأثير والتفريق بين الجزائريين، وجعلهم يحاربون السلطة العثمانية، وموالين للفرنسيين، وللمزيد أنظر، أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 177 أو أنظر أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ج3، ص ص 277-280

¹ - حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص ص 200-202

² - سيمون بفايفر، المصدر السابق، ص 96، وللمزيد أنظر أحمد الجزائري، المرجع السابق، ص 31، أو محفوظ قداش، المرجع السابق، ص 22

³ - حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص ص 203-204، وللمزيد أنظر أحمد الجزائري، المرجع السابق، ص 31

الفصل الرابع: أثر العوامل والخصائص الجغرافية في رسم علاقة الخضوع القبلي ومظاهر الولاء

تضمنت استلام المدينة والقلاع والحصون وحرية السكان في عاداتهم وتقاليدهم ودينهم ودخل الجيش الفرنسي محتلا البلاد غانما كل الممتلكات، وما تحتويه الخزينة من أموال أما الداوي فاختر الرحيل إلى منفاه مع عائلته وممتلكاته في نابولي بإيطاليا¹.

وعند وصول أخبار لشيوخ القبائل مفادها أن مدينة الجزائر سقطت بين أيدي الإحتلال الفرنسي سارعت بعض القبائل إلى حملات النهب والتخريب للممتلكات، وذلك بهدف عدم إستفادة الفرنسيين منها، فهم يصفونهم بالطامعين في خيرات البلاد وثرواتها².

ومع ذلك استمرت المقاومة بإجتماع ممثلي بعض القبائل والأعراس يوم 23 جويلية في برج تمنفوست غرب رأس ماتيفو، ليعلنوا الجهاد ومقاومة الإحتلال حتى طرده³.

الدعم القبلي للسلطة ضد الإحتلال الفرنسي ببايلك الشرق (1830م - 1837م):

ومن أمثلة الدعم القبلي للسلطة العثمانية في مواجهة الإحتلال الفرنسي نجد ماحدث مع الحاج أحمد باي (1786م-1850م)، والذي حكم بايلك الشرق الجزائري خلال الفترة (1826م_1837م) أي إلى غاية سقوط مدينة وعاصمة الشرق قسنطينة في أيدي الإحتلال الفرنسي، وهو الذي خاض حربا ضد الجيش الفرنسي في الفترة (1830م_1848م)، فقد أجمعت الكتابات التاريخية على أنه بعد سقوط العاصمة، ونفي الداوي حسين بقي متمسكا بالخلافة العثمانية، فهو الممثل الشرعي والوحيد لها، وهذا يدل على نظرته بضرورة المحافظة على تواجد السلطة العثمانية وربط الجزائر بها، ويتجلى هذا الرأي من خلال رسائله للسلطان العثماني، ودفاعه عن الجزائر انطلاقا من عاصمة بايلك الشرق الجزائري التي شهدت معارك عنيفة ضد الفرنسيين باسم السلطة العثمانية فقد كتب رسالة إلى السلطان مفادها إخباره بالتطورات الحاصلة والمستجدات التي عرفتها

¹ - محفوظ قداش، جزائر الجزائريين، المرجع السابق، ص 13

² - حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 172

³ - محفوظ قداش، المرجع السابق، ص 16

الفصل الرابع: أثر العوامل والخصائص الجغرافية في رسم علاقة الخضوع القبلي ومظاهر الولاء

الجزائر منذ قدوم المحتل الفرنسي، ونقلها إليه أحد أعيان ووجهاء قسنطينة، وهو الشيخ علي بن لعجوز بمعية أحد الموظفين الكبار، وهو الحاج مصطفى، كما استلم الباي رسالة بعد احتلال مدينة عنابة سنة (1832م-1248هـ) بواسطة الوزير رؤوف باشا ومضمونها هو الدعوة إلى الصمود ومواصلة المقاومة والجهاد ضد العدو، كما وعده بإرسال مساعدات وتعزيزات عسكرية في الوقت المناسب، وذلك لأن الخلافة العثمانية كانت في إطار إتفاقية ومعاهدة سلم وأمن متبادل مع الدول الأوروبية أي عقد صلح.¹

وما يؤكد إعتراف الباب العالي بشرعية حكم الحاج أحمد باي أن السلطان في سنة 1837م قام بإرسال معدات حربية متمثلة في أربع سفن حربية عن طريق تونس محملة بجنود أتراك واثنا عشر مدفعا ومائة وخمسون جنديا مختصا في المدفعية، إلا أن باي تونس لم يسمح بتسليمها واحتجزها لصالحه بسبب ضغوطات وتهديدات من الجانب الفرنسي.¹

كما أن هذا الإعتراف يأتي في ظل صدامات وخلافات مع خصوم في الداخل خاصة من باي التيطري مصطفى بومرزاق (1819م_1830م) الذي عين نفسه خليفة للداي حسين وممثلا للسلطة العثمانية، وباي الغرب حسن (1827م -1831م)، وباي الشرق ابراهيم والشيخ فرحات بن السعيد شيخ العرب السابق في جهة الصحراء الشرقية بالزيبان وقد رد أحمد باي على طلب الباي بومرزاق بمبايعته والخضوع له ودفع الضرائب، وإرسال قفطان الولاية بالرفض من خلال رده على لسان مبعوثه: "...ليس عندي أية إجابة والبارود وحده يفصل بيننا".² وعلى إثر ذلك قام باي التيطري بتعيين الباي ابراهيم وعزله وأمر الشيخ فرحات بن السعيد بمحاربه ودعم الباي ابراهيم، إلا أن الباي أحمد أمر الشيخ

¹ - يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرن التاسع عشر والعشرين، مج 1، البصائر الجديدة، الجزائر 2013م، ص 67_68

¹ - عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ عامة إلى غاية 1962م، ج1، دار المعرفة 2009م، ص ص 278-279

² - يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص ص 65-66

الفصل الرابع: أثر العوامل والخصائص الجغرافية في رسم علاقة الخضوع القبلي ومظاهر الولاء

بوعزيز بن قانة من أحد أصهاره بقتالهم، وهو ما أدى إلى إنهمامهم في معركة كبيرة، وتكبدتهم خسائر فادحة جعلتهما يتراجعا.¹

فالباي الحاج أحمد غادر الجزائر العاصمة متوجها إلى قسنطينة أي معقله بعد مشاركته في محاولة التصدي لقوات الإحتلال الفرنسي بعد فقدانه لحوالي 200 مجاهد في معركة سطاوالي وعندما تأكد الباي من إستيلاء الفرنسيين على الجزائر العاصمة، وخاصة قلعة مولاي حسن حيث إتجه من وادي القليعة إلى عين الرباط ثم إلى قسنطينة، واستغل تواجده بهذه الأماكن لأن يقوي جبهته بحوالي 16 ألف من أفراد القبائل،² فهو يعلم جيدا أن المحتل الفرنسي ستكون وجهته القادمة قسنطينة، فبادر إلى التحضير والتنظيم والتخطيط إنطلاقا من الإستجداد بالقبائل وجمعها بعدما دعاها إلى الجهاد ونصرة الله والوطن، وتحصين المدينة وتمتين أسوارها.¹

فقد حاول الباي أحمد كسب ثقة وولاء القبائل باختلافها، وربط علاقات قوية معها، وأكثر من ذلك انتهج سياسة حكيمة تقوم على أساس اللين والرفق، ونذكر منها قبائل عامر الشراقة وأولاد زكري وأولاد عبد النور وبني هارون، كما نجح الباي في إثارة القبائل الجنوبية والشرقية لمقاطعة قسنطينة حيث طلب منهم الدعم والمساندة، فتوافد عليه الكثير من أفراد قبائل هذه الجهات وشيوخها نذكر منهم :

- شيخ ريغة المسعود بن المبارك، وشيخ الحنانشة رزقي، والحاج رجب شيخ الحراكطة وقبيلة أولاد عبيد المرابطية،² وشيخ التلاغمة محمد بن الحاج، فجمع مايقارب 5000 مجاهد،³ ويشير صالح فركوس أن الباي استدعى شيوخ القبائل، وقام بجمعهم في الجامع

¹ - مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضرية، المصدر السابق، ص 26

² - أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الإحتلال)، المرجع السابق، ص 135

¹ - عمار عمورة، المرجع السابق، ج1، ص 276

² - صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د،ط)، 2007، م ، ص 46

³ - محمد العربي الزبيري، مقاومة الحاج أحمد باي واستمرارية الدولة الجزائرية، ط1، دار الحكمة، الجزائر، 2014، م، ص 73، وللمزيد أنظر بوعزة بوضرساية، الحاج أحمد باي في الشرق رجل دولة ومقاوم، المرجع السابق، ص 173

الفصل الرابع: أثر العوامل والخصائص الجغرافية في رسم علاقة الخضوع القبلي ومظاهر الولاء

الكبير بقسنطينة بحضور شيخ الإسلام الفكون القسنطيني، وقام الباي بإكرامهم وحسن ضيافتهم¹.

من أهم مظاهر الولاء والدعم القبلي للحاج أحمد باي نجد :

_ رفض محاولة الجنرال كلوزيل Clauzel الذي قرر عزل الباي أحمد وتعيين الباي مصطفى أخ باي تونس على قسنطينة، من طرف أعيان ووجهاء وعلماء وشيوخ قسنطينة الذين كتبوا رسالة إلى باي تونس فحواها رضاهم وتأييدهم وقناعتهم بحكم الحاج أحمد باي لهم، علما أن باي تونس كان قد وصف أحمد باي بالمستبد والطاغية الذي وجب التمرد عليه وتحتيته¹.

_ كما راسلت السلطات الفرنسية الإستعمارية سكان قسنطينة وماجاورها، وحثتهم على الإستسلام ومساندة فرنسا بتقديم الدعم والمساندة للجنود، والتمرد على الباي لعزله، مع تهديهم وعقابهم في حالة الرفض، إلا أن سكان قسنطينة وماجاورها ظلوا مساندين للباي ودعمه والدفاع عن قسنطينة إذا ما استثنينا الشيخ فرحات بن السعيد لعوامل منها انتقامه من الباي والشيخ بوعزيز بن قانة، واستعادة منصبه².

_ ماحدث للجنرال يوسف المملوك حاكم عنابة في شهر نوفمبر 1836م الذي شن حملة عسكرية على قسنطينة بحيش تعداده 8700جندي، و أثناء مروره تعرض لمقاومة عنيفة من شيخ قبيلة الحراكثة بن بوزيد رجم بن صالح في مكان يسمى رأس العقبة بين وادي زناتي وقالمة، إلا أنها انتهت باستشهاد حوالي 400 من الحراكثة³.

¹ - محمد صالح العنتري، فريدة منسية، المصدر السابق، ص ص 89-91، وللمزيد أنظر صالح فركوس، الحاج

أحمد باي قسنطينة، المرجع السابق، ص 29

¹ - أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، المرجع السابق، ص ص 136-137

² - يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 75

³ - بشير بلاح، تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر (1830م-1989م)، ج1، دار المعرفة، 2006م، ص 116

الفصل الرابع: أثر العوامل والخصائص الجغرافية في رسم علاقة الخضوع القبلي ومظاهر الولاء

_المحاولات الفاشلة من طرف الجنرالات الفرنسيين في استغلال وعداوة بعض الشيخ والزعماء للباي، وتحريضهم عليه، حيث رفضت خاصة من شيخ أولاد عبد النور، وعائلة ابن جلاب بتفرت ، وقبيلة ريغة بسطيف، وقبيلة عامر الغرابة وغيرها.¹

اسناده مهمة الدفاع للخرناجي بن عيسى، ومحمد بن البجاوي اللذان كانا تحت إمرتهم 1000 فارس، و30مدفعا كبيرا إضافة إلى أفراد من قبائل مختلفة وصل تعدادها إلى حوالي 5000 فارس و500رجل، وكانت منطقة سيدي مبروك معسكرا وقاعدة لهم.

_ دعوة الجنرال دامريمون Damrémont سكان قسنطينة إلى الإستسلام والتمرد على الباي أحمد إلا أن ساكنة المدينة رفضوا ذلك وأعلنوا الجهاد تحت راية السلطة العثمانية وقيادة الباي نفسه .

_ دعم السكان للباي أثناء إحتلال المدينة :

وتم ذلك على مرحلتين

الحملة العسكرية الفرنسية الأولى 1836م:

عندما أدرك الباي عن طريق جواسيسه المنتشرين خاصة في عنابة التي تعرضت للإحتلال نية المستعمر في شن حملة على قسنطينة بغية احتلالها إنطلاقا منها، سارع إلى تحضيرات عسكرية وتنظيمية متمثلة في تحصين المدينة، وتعيين ابن عيسى والقائد محمد لبجاوي على رأس الفرقة العسكرية، وإقامة معسكر في واد الكلاب¹ بعد إستجابة أفراد من بعض القبائل لندائه المتمثل في الجهاد والتضحية، حيث قدر عددهم بـ1500 جندي من الرماة و500 من الفرسان،² أما الجيش الفرنسي بقيادة المارشال كلوزيل

¹ - صالح فركوس، المرجع السابق، ص 161

¹ - وادي الكلاب : هو موضع أي مكان يسمى حاليا وادي الأحد يقع في سيدي مبروك التي هي قاعدة عسكرية تضم أفرادا من القبائل المختلفة، وللمزيد أنظر،محمد العربي الزيري،المرجع السابق، ص 46

² - عبد الله مقلاتي، المشروع الفرنسي الصليبي الإحتلالي للجزائر وردود الفعل الوطنية(1830-1962)،الجزائر، ص

الفصل الرابع: أثر العوامل والخصائص الجغرافية في رسم علاقة الخضوع القبلي ومظاهر الولاء

Clauzel الذي قاد الجيش الفرنسي في الفترة ما بين (سبتمبر 1830م_ فيفري 1831م) بتعداد قدره 20 ألف جندي،¹ وهناك من يشير إلى أن حملته قوامها 8700 جندي²، واعترضت طريق ومسار الجيش الفرنسي ظروف جوية وطبيعية قاسية متمثلة في تساقط الثلوج، وهطول الأمطار الغزيرة والبرد القارس الشبيء الذي عرقل طريقه، ووصله إلى قسنطينة، كما تعرض إلى عديد الهجمات المتفرقة من طرف القبائل والأعراش المتواجدة في الطريق، كما قام الباي بمهاجمته من الخلف بعدما قسم جيشه المتعدد من النظامي وغير النظامي إلى قسمين أي قسم داخل المدينة، وقسم خارج المدينة لمراقبة تحركات الفرنسيين، وتكبيده خسائر كبيرة في الأرواح، وبمجرد وصولهم اكتفى الجيش بمحاصرة المدينة أسبوعا كاملا تم قصفها بالمدافع التي صنعت فتحات وثقوب لتسهيل دخول الجنود إلا أنهم فشلوا في ذلك لإتحاد السكان وصمودهم،¹ والتقى الطرفان في مكان يسمى عقبة العشاري تعرض فيه كلوزيل إلى هزيمة نكراء وخسائر في الأرواح والمعدات من مدافع وذخيرة عجلت بتتحيته وتعيين مكانه الجنرال دامريمون Damrémont² ويذكر الدكتور عبد العزيز فيلالي أن المصادر الفرنسية أشارت إلى أن القائد كلوزيل قتل له حوالي 1000 جندي.³

وطاردهم الحاج أحمد باي إلى ما وراء قالمة،⁴ وبعد نهاية المعركة أمر الباي بإصلاح ما أفسدته الحرب بترميم الحواجز والأبواب والأسوار، وإقامة تحصينات جديدة

¹ - فندلين شلوصر، قسنطينة أيام أحمد باي، المصدر السابق، ص ص 55_56

² - بشير بلاح، تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ص 116

¹ - جمال قنان، دراسات وقضايا في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، المؤسسة الوطنية للإتصال والنشر والإشهار، الجزائر، 1994م، 109

² - العربي منور، تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن التاسع عشر، دار المعرفة، الجزائر، 2006م، ص 173، أو للمزيد أنظر بوعزة بوضرساية، المرجع السابق، ص 101

³ - عبد العزيز فيلالي، مجازر الجيش الفرنسي في منطقتي الجزائر وقسنطينة (1830م_ 1850م)، دار الهدى، الجزائر، 2012م، ص 48

⁴ - يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص ص 70-71

الفصل الرابع: أثر العوامل والخصائص الجغرافية في رسم علاقة الخضوع القبلي ومظاهر الولاء

وحفر خنادق، وكذلك إعادة التسليح بقيادة الحاج أحمد البجاوي،¹ وأعطى أوامر للجند بجمع الغنائم من مدافع ومعدات حربية مختلفة كالبنادق والمدافع والقبض على الأسرى وفي مقابل ذلك منحهم الباي مكافآت مالية وإيجازات نظير مجهوداتهم.²

الحملة العسكرية الفرنسية الثانية على قسنطينة سنة 1837م :

قدرت عدد قوات الحاج أحمد باي¹ في هذه المعركة ب 12 ألف جندي نظامي، و10 آلاف من المتطوعين القادمين من مختلف القبائل، فخصص منهم 3000 للدفاع عنها داخل المدينة بقيادة ابن عيسى و7000 فارس خارجها، و2000 جندي مشاة بقيادته،² أما الجانب الفرنسي فقد قام الجنرال دامريمون بشن حملة عسكرية بجيش قوامه 11 ألف جندي، وأثناء المعركة قتل دامريمون Damrémont، وهو بصدد إقتحام المدينة من زاوية باب جديد، وعلى إثر ذلك قامت الإدارة الفرنسية بتعيين الجنرال فالي falée³ الذي حاصر المدينة بتعداد قدر بحوالي 20 ألف جندي مقسمين إلى أربع فرق محملة بعتاد متمثل في مدافع مجهزة بوسائل فرض الحصار والمتفجرات⁴ في يوم الجمعة 13 أكتوبر 1837م على الساعة 7 صباحا، ولم يتوقف على قصفها بالمدافع حتى اقتحموها ودخلوها

¹ - عبد العزيز فيلاي، المرجع السابق، ص 86

² - مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة، المصدر السابق، ص 56

¹ - أحمد باي: هو أحمد بن محمد الشريف بن أحمد باي القلي ابن الحاجة غنية ابنة بن قانة التي هي من العائلات النافذة والكبرى في الصحراء، واختلف في تاريخ ميلاده بين سنة 1786م، وللمزيد أنظر، مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضرية، المصدر السابق، ص 6، وهناك من أشار إلى ولادته سنة 1780م حسب الدكتور بوعزة بوضرساية، عاش يتيما بعد فقدان والده، مما استدعى الإهتمام به من طرف الأم وإعداده وتربيته بين أحضان العائلة الكبيرة، فحفظ القرآن الكريم حفظا تاما لينكب على أصول الدين الاسلامي، وفي نفس الوقت ذاته عكف على التدريب في أساليب القتال والفروسية، وذلك عند أخواله في الصحراء، ليؤدي مناسك الحج ويستقر في مصر التي اكتسب فيها خيراتومعارف، وللمزيد أنظر بوعزة بوضرساية، الحاج أحمد باي رجل دولة ومقاوم، المرجع السابق، ص 35

² - محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص 70

³ - بوعزة بوضرساية، المرجع السابق، ص ص 142_143 وللمزيد أنظر أيضا محمد قويسم، مجازر الإستعمار الفرنسي بمدينة قسنطينة عام 1837م، المجلة التاريخية الجزائرية، ع 4، سبتمبر 2017م، ص ص 83_84

⁴ - عبد العزيز فيلاي، مجازر الجيش الفرنسي، المرجع السابق، ص 92

الفصل الرابع: أثر العوامل والخصائص الجغرافية في رسم علاقة الخضوع القبلي ومظاهر الولاء

أمام قوة وصمود ساكنتها الذين دافعوا عنها حتى سقطت بين أيدي الإحتلال، وفيها تعرض الباي لخسائر فادحة حيث قتل في هذه المعركة القائد محمد لبجاوي،¹ ومع هذه الخسارة غادر الباي متجها إلى قبائل الجنوب القسنطيني لمواصلة الجهاد والمقاومة ضد المستعمر الفرنسي إلى غاية سنة 1848م تاريخ استسلامه للإدارة الفرنسية رافضا في ذلك جميع محاولات التفاوض والحوار¹ من القادة والضباط الفرنسيين التي تضمنت اعترافه بالسيادة الفرنسية على الجزائر، ودفعه للضرائب مع الإبقاء على منصبه كحاكم على قسنطينة، وهذا إنما دل على شيء فإنما يدل على وطنية وإخلاص الرجل لوطنه،² فهو نموذج للكفاءة والنفوذ، ويعتبر الباي الوحيد الذي رفع لواء المقاومة وتحدي المستعمر الفرنسي كما اعتمد في حكمه على العنصر المحلي من أبناء الجزائر فتولو مناصب سياسية ودينية مختلفة، وهذا في حد ذاته يعتبر مكسبا للباي في ولاء السكان له بعد سنوات من التهميش والإقصاء طال الجزائريين أثناء فترة الحكام الأوائل.

ومما سبق ذكره نستنتج أن هذه العوامل الجغرافية والطبيعية وباختلافها من منطقة لأخرى قد لعبت دورا إيجابيا في تحديد علاقة السلطة بالقبائل، فالعوامل السابقة فرضت عليها التعامل مع السلطة وفق نمط معيشي وحياتي خاص شجعها على الإستقرار وممارسة نشاطها الإقتصادي فضلا عن دعمها وولائها للسلطة في عديد المظاهر فكانت سندا حقيقيا لها.

¹ - محمد قويسم، المرجع السابق، ص 84 أو أنظر يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 74

¹ - بالنسبة للمفاوضات، فقد بدأت المفاوضات بين الجانبين منذ وصول القوات الفرنسية الإستعمارية للجزائر، فكانت أول الرسائل من القائد دي برمون (1831_ 1830) De Bourmont الذي طالبه بالإستسلام والإعتراف بالسيادة الفرنسية إلا أنه رفض ذلك مستندا إلى أنه الممثل الشرعي للسلطة العثمانية وبمباركة أعيان وشيوخ قسنطينة، وللمزيد أنظر بوعزة بوضرساينة، الحاج أحمد باي رجل دولة ومقاوم، المرجع السابق، ص 127-128

² - صالح فركوس، المرجع السابق، ص 72، أو للمزيد أنظر عمار عمورة، المرجع السابق، ج1، ص ص

الفصل الرابع: أثر العوامل والخصائص الجغرافية في رسم علاقة الخضوع القبلي ومظاهر الولاء

عملت السلطة على نيل وكسب رضاها وأمنها بعدد الامتيازات والإغراءات، وقد تأثرت هذه القبائل بسياسة الإدارة العثمانية والوضع العام للإيالة من فساد وتقهقر أصابها في بداية القرن التاسع عشر إضافة إلى التحرشات والأطماع الخارجية المهددة لأمنها واستقرارها إلا أن القبائل وعلى الرغم من ظروفها السيئة التي تتخبط فيها السلطة فضلت الوقوف إلى جانبها في عديد الأزمات والصراعات أخرها الغزو الفرنسي على الجزائر .

الخاتمة:

الخاتمة :

من خلال دراستنا لموضوعنا الإعتبارات الجغرافية في رسم علاقة الرفض والولاء بين السلطة العثمانية والقبائل الجزائرية توصلنا إلى مجموعة من الإستنتاجات الهامة والمتمثلة فيما يلي:

_ يشكل الإطار الجغرافي الجزء الأكبر من هوية القبيلة و الأرض هي اللبنة الأساسية و محور الدفاع عنها .

_ أن الإيالة من الناحية الجغرافية تتميز بالتنوع والإتساع حيث تواجدت بها ثلاث مناطق متباينة هي : التل والهضاب العليا والصحراء، فهناك سلسلتين جبليتين هما الأطلس التلي والأطلس الصحراوي، ولكل منطقة مميزات وخصائص طبيعية ومناخية تختلف عن الأخرى

_ إن للمعطيات الجغرافية باختلافها وتنوعها الأثر البارز في رسم علاقة الرفض أو الولاء بين السلطة العثمانية والقبائل الجزائرية.

_ لعب الموقع الجغرافي للقبائل دورا مهما في تحديد العلاقة مع السلطة من خلال البعد والقرب عن السلطة ومؤسساتها، فالبعد كان إيجابيا للقبيلة في تمرداها و القرب منها ساهم في مراقبتها ومن ثم خضوعها .

_ يعتبر المناخ عاملا أساسيا ومهما بمميزاته المختلفة من منطقة إلى أخرى في تحديد الكثير من أسس الحياة أي النمط الحياتي والمعيشي للقبائل، فهو يتحكم في الإقتصاد و الإنتاج، وحركة التنقل والإستقرار

_ إن تنوع التضاريس وطبيعتها أو مظاهر السطح في ربوع الإيالة من جبال وسهول وهضاب ووديان وغيرها ساهمت بشكل كبير في تحديد علاقة التمرد من الولاء بين السلطة والقبائل .

_ يعتبر الجبل المظهر التضاريسي الأكثر انتشارا في الإيالة ساهم في تحديد علاقة التمرد وقوة القبيلة

_ وفر الجبل الحماية والأمان للسكان من اضطهاد السلطة من جهة، كما كان عامل تقارب وتعاون بين القبيلة والسلطة لما يوفره الجبل من خدمات إقتصادية

_ كما أن الوديان العميقة كانت ملجأ ومخبأ ومنفذا للسكان من عنف السلطة واستبدالها

_ ساهم اتساع المساحة لدى القبائل الممتعة خاصة المتواجدة في الهضاب و الصحراء على التمرد ورفض السلطة العثمانية .

_ إن تواجد القبائل في الجبال أو الصحراء أو على الحدود منحها القوة والصمود أمام السلطة التي عجزت في إحتواءها، ومنعت السلطة من دخولها، والإكتفاء بحوافها أو على مشارفها

_ إن للعوامل الجغرافية أثر بارز في تحديد مناطق الأكثر اكتظاظا بالسكان كالمناخ الملائم والتربة الخصبة ووفرة المياه والغطاء النباتي في ولاء السلطة هذه الأخيرة عملت جاهدة على القيام بجملة من التدابير للتحكم في المنطقة، وجعل قبائلها موالية

_ سكان القبائل الممتعة لجأو إلى الجبال والوديان والأحراش والمغارات بعد تعرضهم للقمع والقهر من طرف السلطة وأعانها من خلال الحملات العسكرية والمحلات التي تجوب الأرياف لتحصيل الضرائب

_ لعبت المسالك الوعرة البرية دورا في تمرد القبائل، والتي كانت هاجسا حقيقيا للسلطة منعها من التعمق والتوغل داخل أراضي القبائل

_ فرار بعض القبائل من الأحواض والسهول إلى مرتفعات الجبال والهضاب والصحراء بعد إرهابهم بالضرائب وعنف قبائل المخزن ومجموعات أخرى استولت على أراضيها فجنحت إلى التمرد

- أغلب سكان الأرياف تعلقوا بالأرض وتمسكوا بها من خلال الدفاع والمقاومة عنها من أي غريب دخيل مما أدخلهم في صراع مرير مع السلطة

_ ضعف وانعدام نفوذ بعض القبائل وفقرها استدعى منها أن تكون موالية وخاضعة للسلطة.

_ عرفت الإيالة تنوعا قريبا في المجتمع الريفي من خلال تصنيفها حسب علاقتها بالسلطة، فهناك قبائل مخزنية لها مهام ومسؤوليات لدعم السلطة مقابل خدمات ومكاسب تمنح لها، ونمط معيشي مستقر، وقبائل رعية خاضعة مباشرة للسلطة في خدمتها واستغلالها، وقبائل متحالفة تميزت بالنفوذ والقوة فتحالفت مع السلطة، وقبائل ممتنعة أو رافضة لجأت إلى التمرد ومجابهة السلطة لأسباب سياسية واقتصادية، متمتعة بحريتها في إدارة شؤونها، وبنمط ترحالي، وخضوعها كان بشكل مؤقت أو جزئي أو شكلي .

_ أهم ماميز السلطة في علاقتها عدم التدخل في شؤونها، فقد حافظت على علاقتها مع القبائل الموالية .

_ إن تحالف القبائل مع السلطة يندرج في صياغ سياسة تهدف لضمان قيادتها وزعامتها ورعاية مصالحها الاقتصادية و الإجتماعية.

_ كثرة الثورات أواخر الحكم ضد السلطة لأسباب ودواعي مختلفة أكثرها سياسية واقتصادية واتخذت أشكالاً مختلفة ما بين الإنحصار والانتشار، والقوة والضعف .

_ تميزت الثورات بأنها متتالية وغير منفصلة تزعمها شيوخ قبائل أو رجال الطرق الصوفية بعضها ذو تأثير خارجي .

_ فشلها في تحقيق أهدافها بسبب إختلاف توجهات زعمائها وأفكارهم، وجهات تواجدهم وعدم إتحادهم، حتى وإن حققت بعض النتائج الهامة كزعزعة الإستقرار والأمن، وفقدان الثقة بين الرعية والسلطة، والأوبئة والأمراض، وانهيائها من خلال ضعفها أمام المستعمر الفرنسي.

_ إن كثرة الثورات والتمردات أضرت كثيرا بالمجتمع الريفي حيث حالت دون استقراره وتطوره بعد هجرة ساكنته وتخليهم عن النشاط الفلاحي .

_ اتبعت السلطة العديد من الإجراءات والأساليب المختلفة ما بين سلمية وعسكرية لإخضاع القبائل المتمردة والحد من خطرهما، وجذب القبائل الموالية لصفها بهدف إبقاءها تحت السيطرة والتخفيف من التوتر، فوجد الحملات العسكرية، ممارسة سياسية التضيق وفرق تسد ومراقبة الأسواق، وتعزيز صلاحية قبائل المخزن، إقامة نظام دفاعي، مصاهرة العائلات النافذة وغيرها

_ لعبت قبائل المخزن دورا كبيرا في خدمة السلطة من خلال الوساطة بين السكان والسلطة في أدوار إدارية وعسكرية واقتصادية مقابل امتيازات، وهو ما ولد سخط وغضب وعداء سكان الأرياف المضطهدين، والذين رفضوا دفع المطالب المخزنية، وكذا الضرائب وجنحوا للتمرد

_ اعتبرت السلطة أواخر الحكم أن قبائل الريف تمثل موردا إقتصاديا من خلال الضرائب لتعويض مداخيل الخزينة وتراجع غنائم البحر

_ التحالف القبلي مع السلطة لمواجهة الأخطار الخارجية خاصة المسيحية أو مايسمى استنفار القوى القبلية الممتعة أو الموالية، ونسيان الخلافات بالوقوف إلى جانبها لردع الحملات الصليبية خاصة الإسبانية والفرنسية.

_ بحيث أن الخطر الخارجي المهدد للبلاد كان عامل تقارب وولاء وتحالف للسلطة

_ ضعف النظام الضريبي المتنوع والمختلف في طريقة جبايته، والذي لم يكن موحدًا مما سمح إنكفاء التمرد القبلي ضد السلطة

_ إن السلطة الفعلية في الأرياف كانت بيد القوى المحلية المتمثلة في قبائل المخزن والمشائخ والأعيان والمرابطين أي شيوخ الزعامات المحلية القبلية والدينية، أما السلطة فتمثلت في القيادة والأغوات، و المحلات والحاميات العسكرية

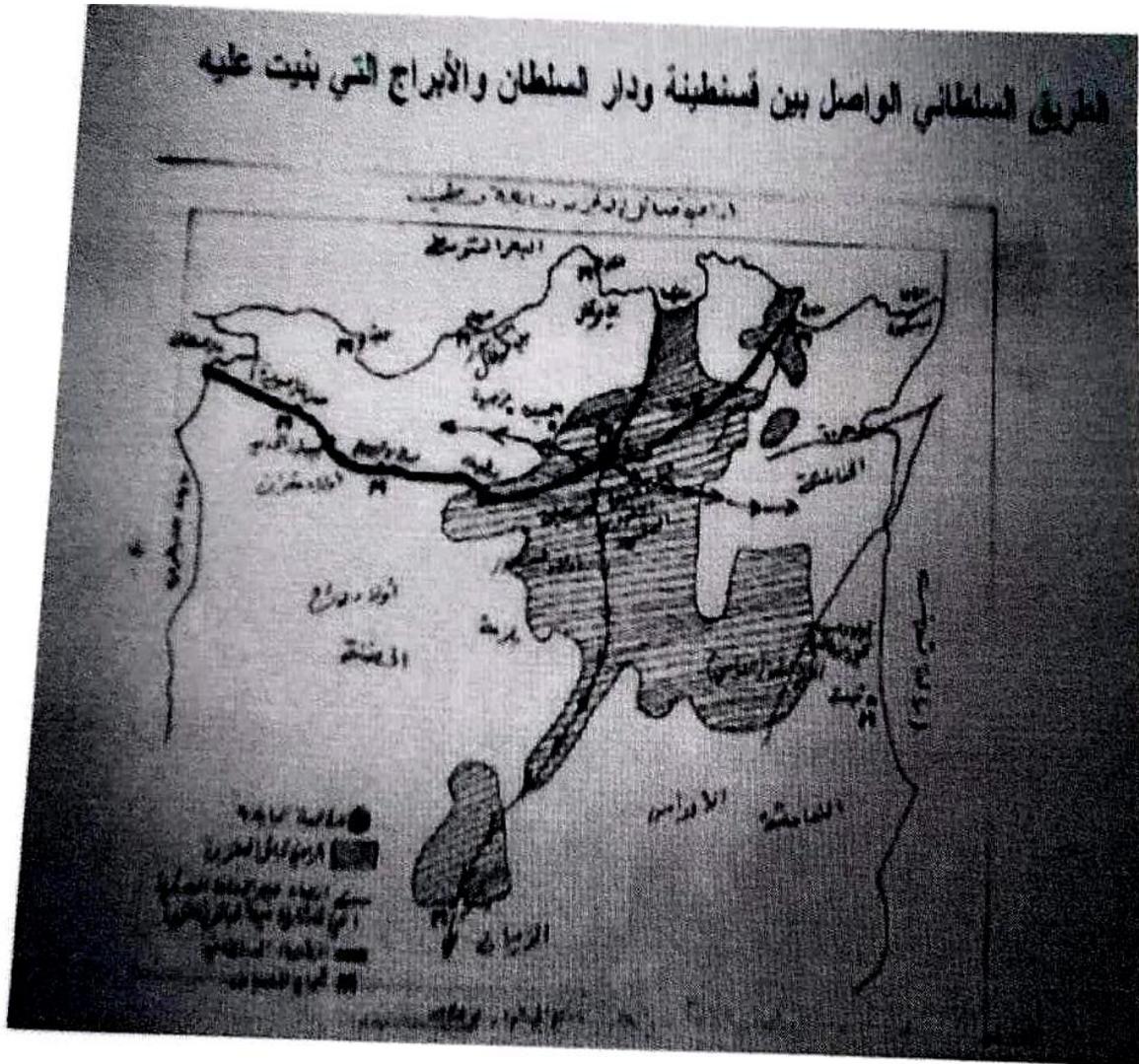
_ إن جل القبائل كانت تعتر بانتمائها إلى البنية الإجتماعية المبنية على القبيلة والعرش والعصبية والدفاع عن الأرض والمحافظة على العادات والتقاليد

وفي الأخير ومهمنا توصلنا إلى نتائج واستنتاجات في موضوعنا هذا إلا أنها تبقى مجرد آراء قابلة للمناقشة والتحليل والتعديل والإضافة، ونرجو أننا قد استطعنا إلى تحقيق ولو جزء بسيط من الغايات والأهداف المرجوة والإجابة بقدر الإمكان عن عديد التساؤلات والإشكالات المطروحة سابقًا.

الملاحق

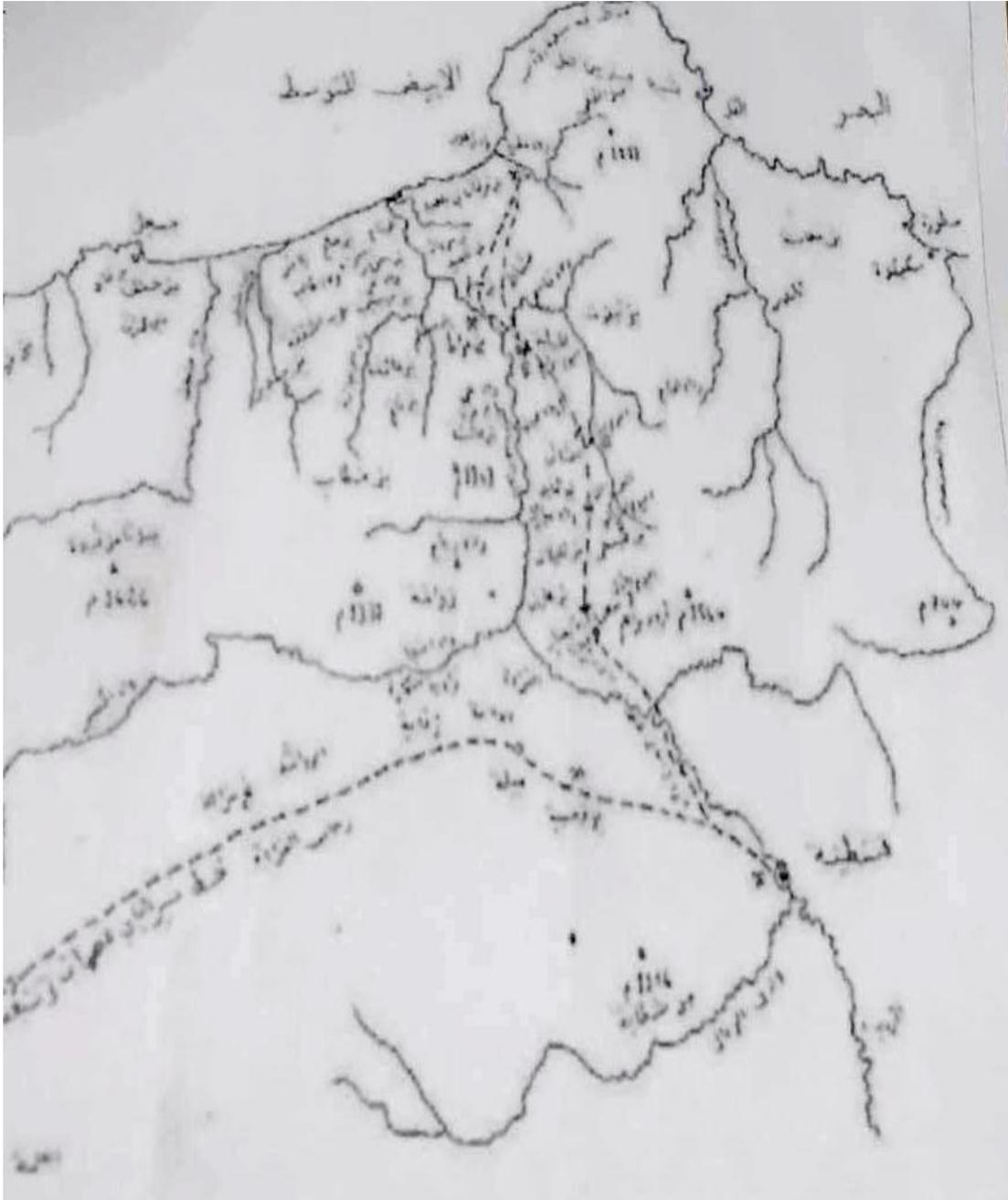
ملاحق:

الملحق رقم 02 : الطريق السلطاني الذي يربط بين قسنطينة ودار السلطان وأهم الأبراج التي بنيت عليه



المرجع : جميلة معاشي ، الانكشارية والمجتمع ، مرجع سابق ، ص 6

الملحق رقم 07 : تبين أحداث ثورة ابن الأحرش الدرقاوي في الشمال القسنطيني سنة 1804م



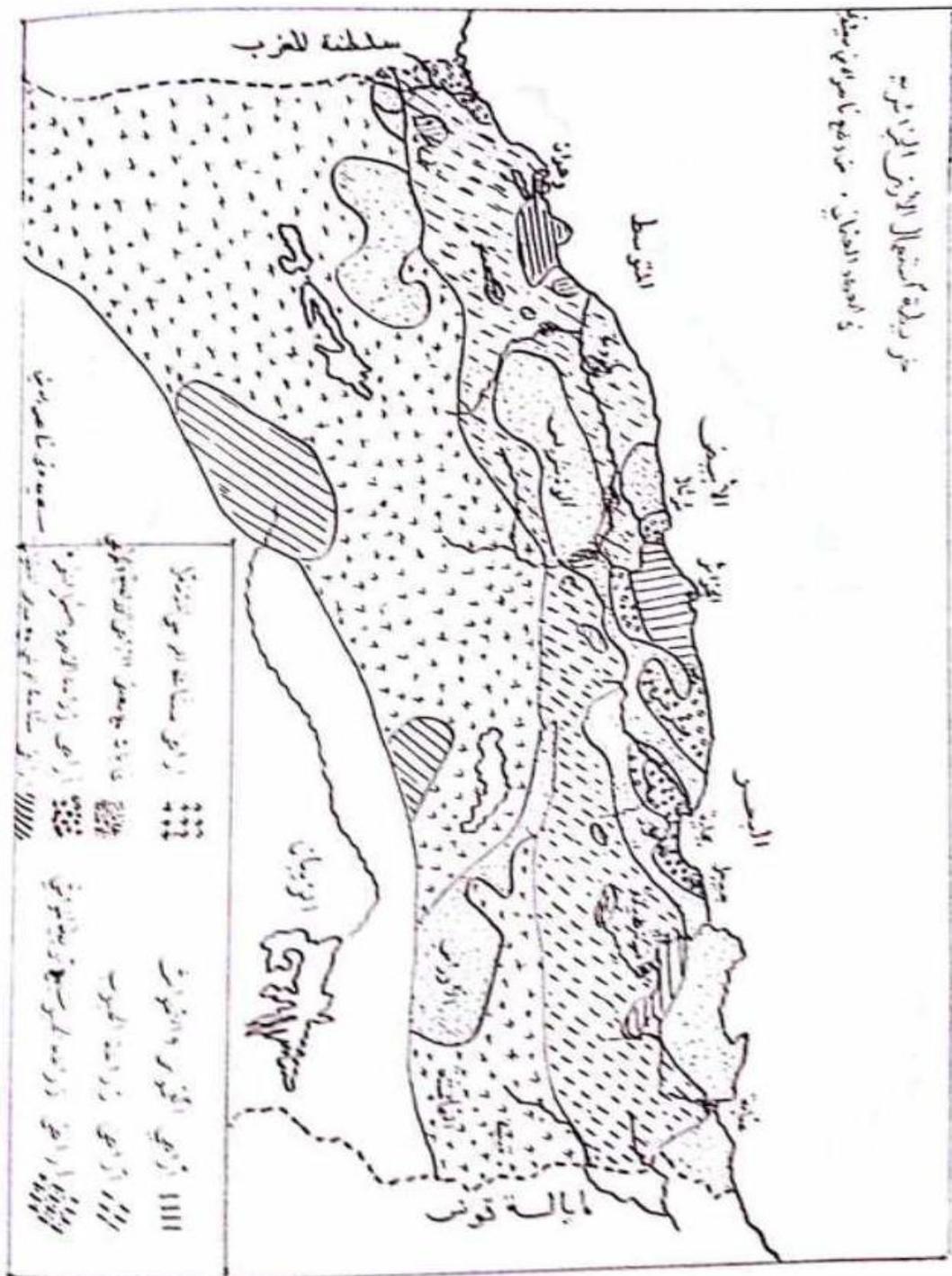
ناصر الدين سعيدوني : دراسات وابحاث ، المرجع السابق ، ص 204

ملحق رقم 08 : خريطة سكان الارياف وعلاقتهم بالبايلك



ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص 233

الملحق رقم 09 : خريطة استعمال الارض الجزائرية



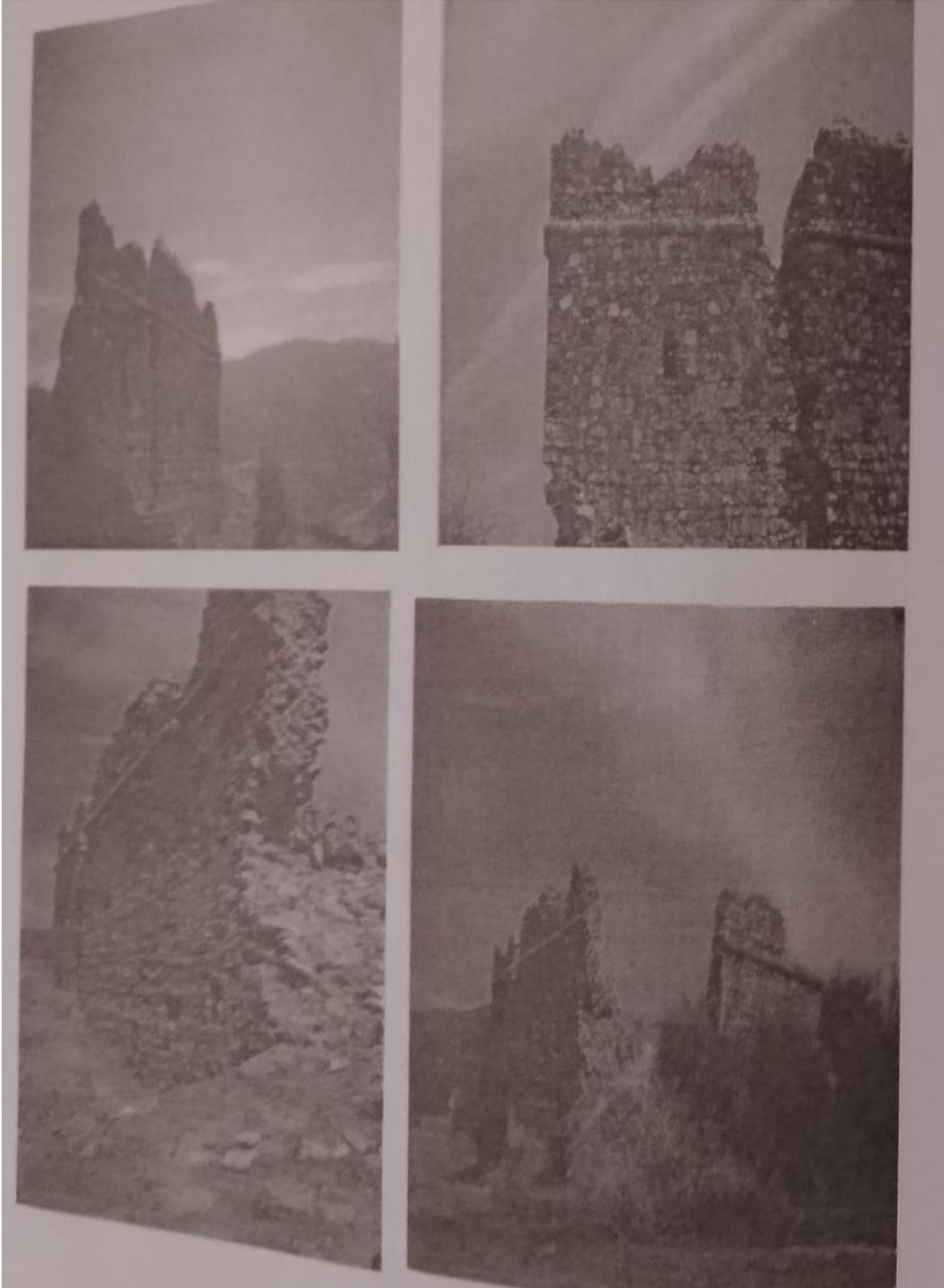
الملحق ،ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي ،المرجع السابق ، ص 228

الملحق رقم 10 : جدول يمثل اهم الجبال في الجزائر والتي كانت مسرحا للثورات



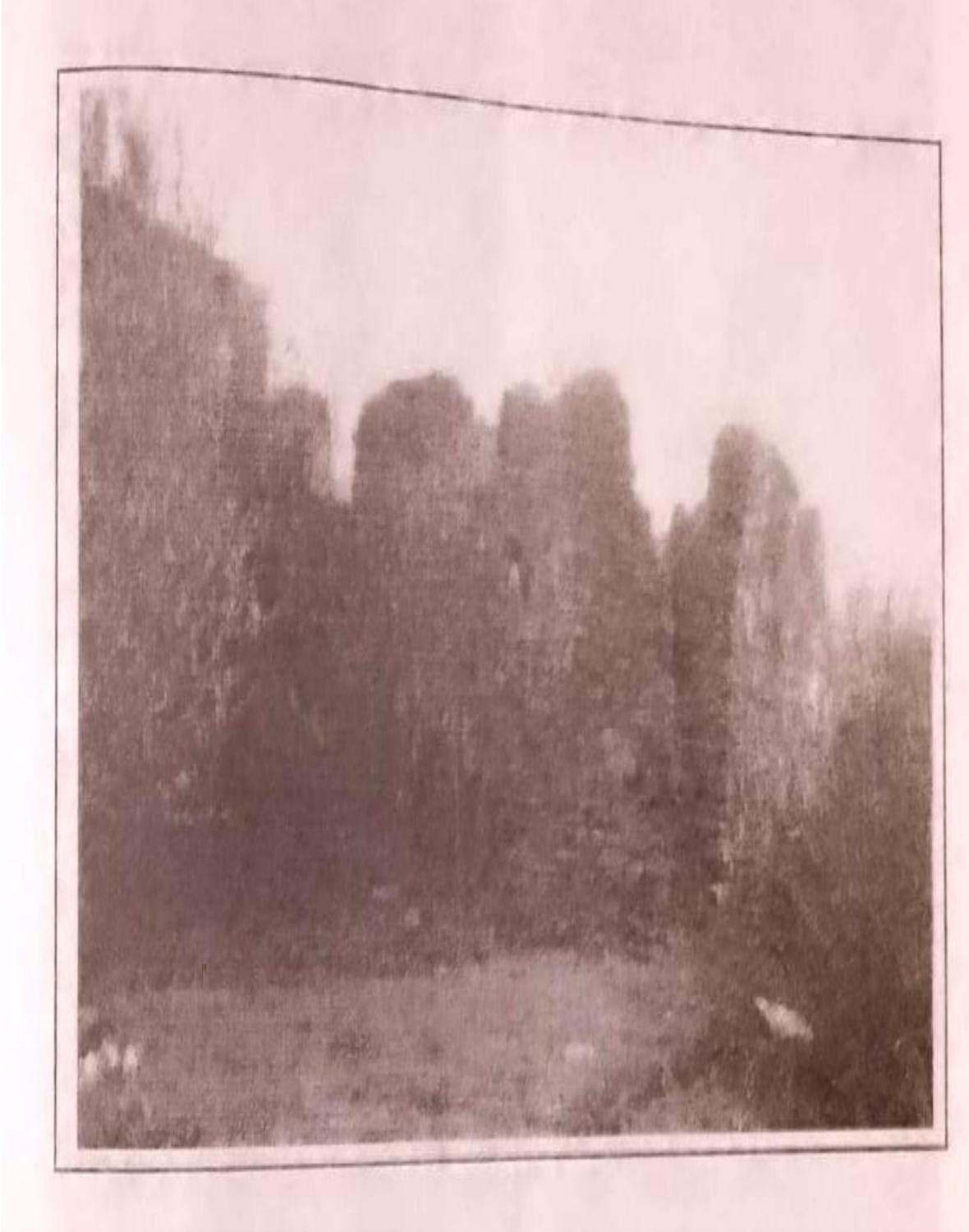
احمد توفيق المدني ، جغرافية القطر الجزائري، المرجع السابق ، ص 14

الملحق رقم 11 : صور لبقايا برج سيياو ببلاد جرجرة



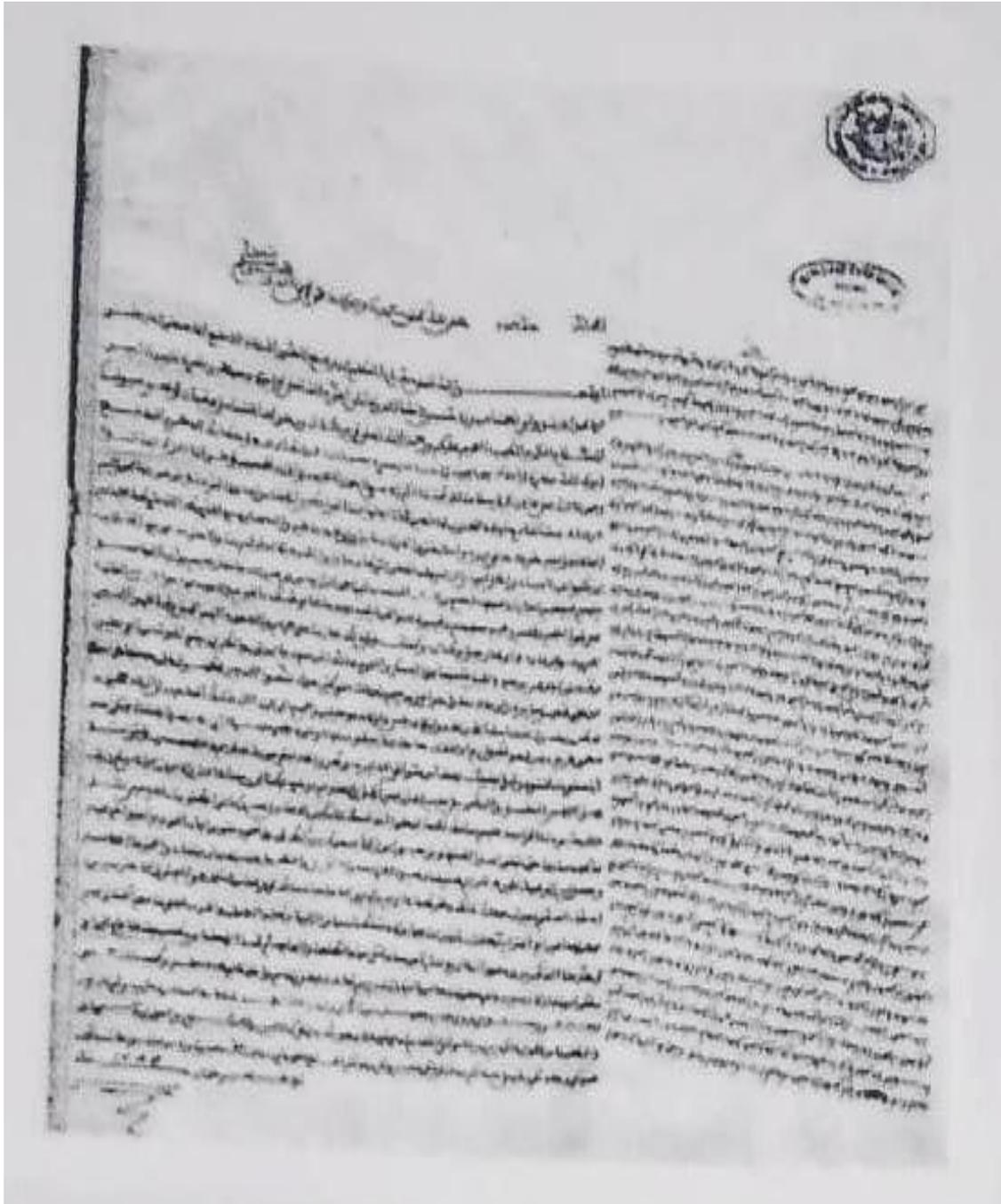
زيدين قاسيمي ، مرجع السابق ، ص 229

الملحق رقم 12 : بقايا لبرج بوغني ببلاد جرجرة



زيدن قاسيمي ، مرجع السابق ، ص 230

ملحق رقم 13 : رسالة من الحاج احمد الباي الى الداى حسين باشا في أواخر شوال 1244هـ يوضح فيها استعانهه بقبائل مخزن أولاد الدراج لفرض الطاعة على قبائل أولاد نايل

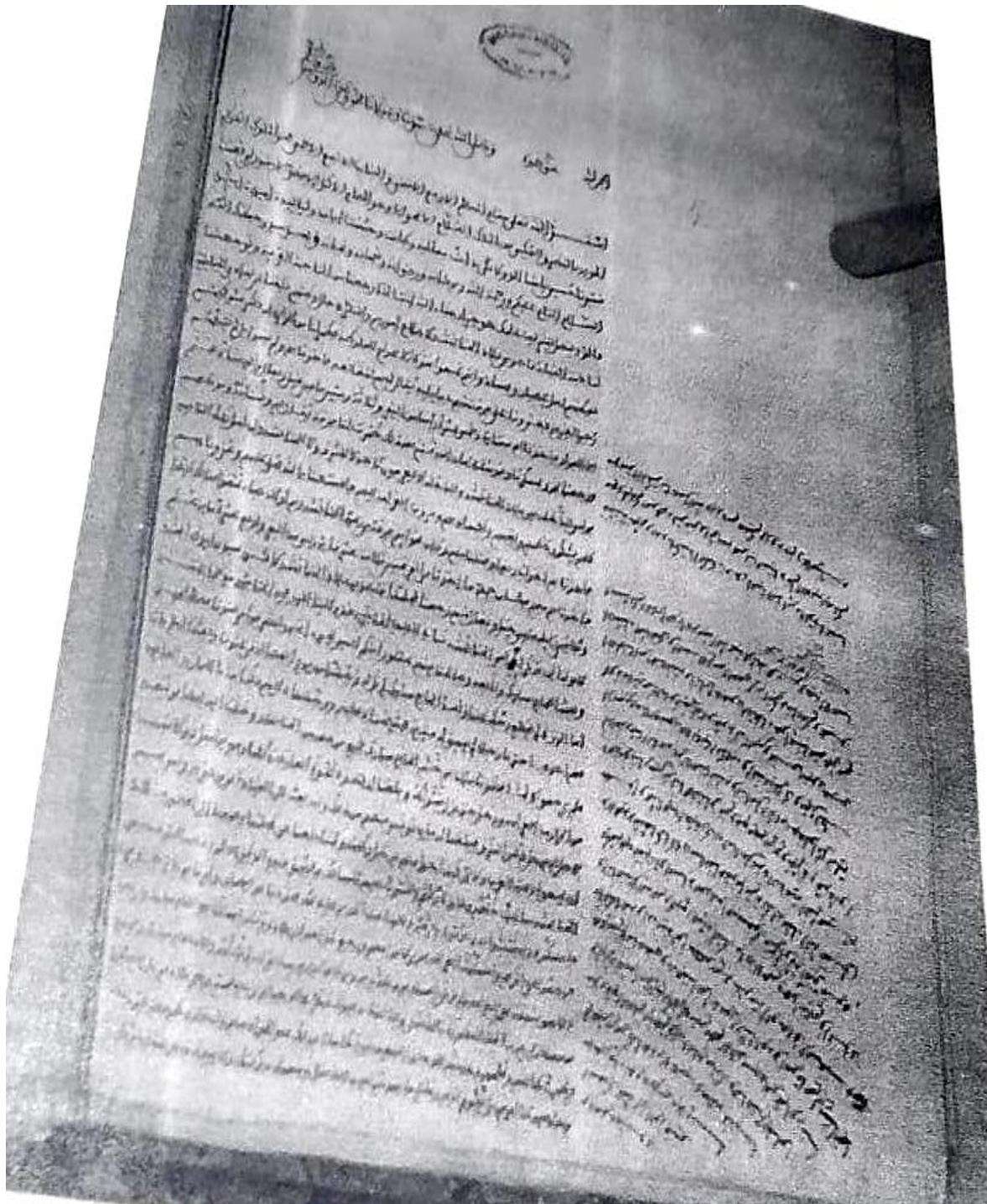


مجموعة 1642 : رقم 31 أرشيف المكتبة الوطنية

ملحق رقم 13 : مكرر

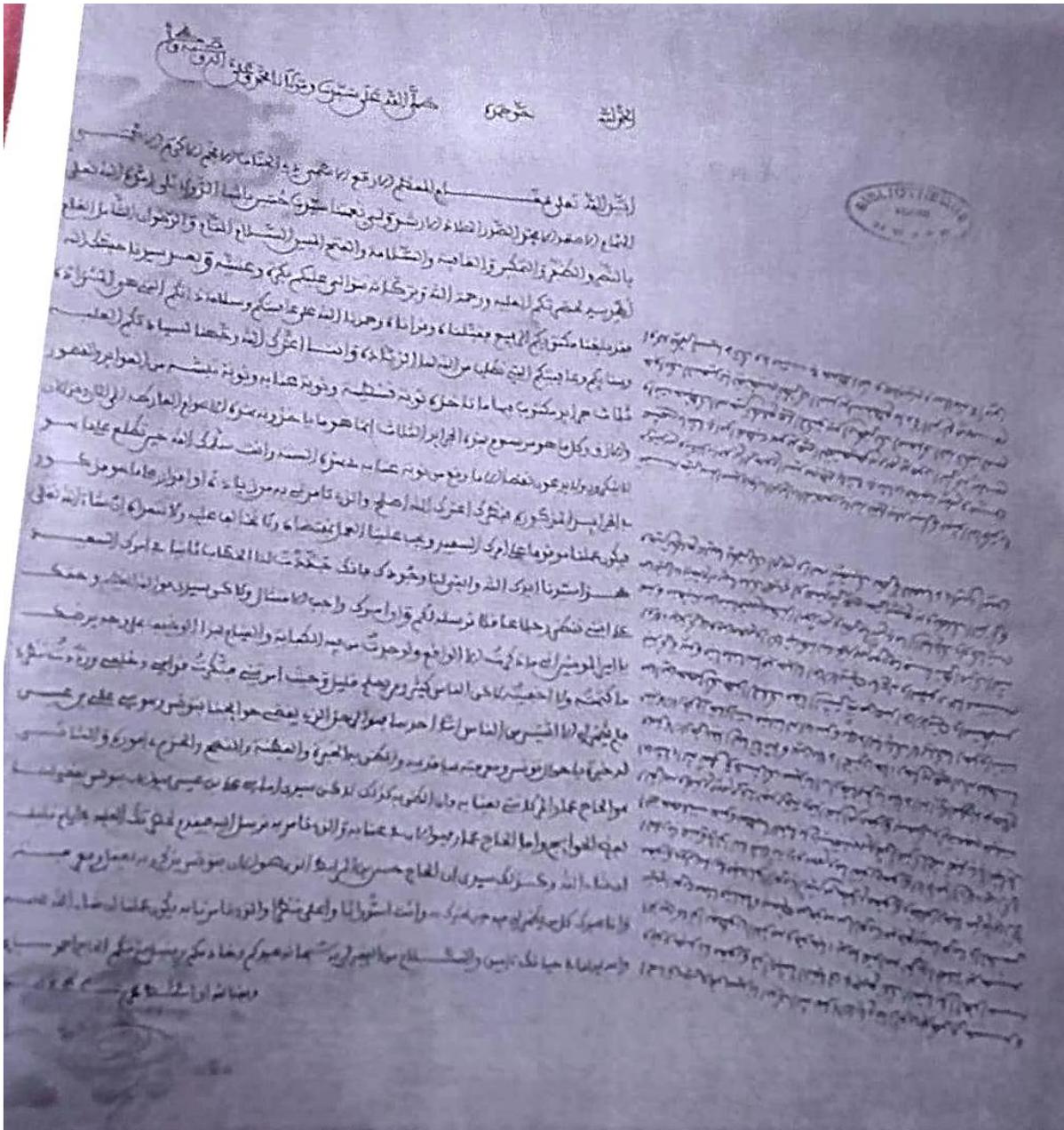
أسعد الله تعالى مقام المعظم الأرفع الضرر الملاذ الألفع الأبعد الأرنشد ول نعمتا سيدنا حسين باشا
الدولائي أعزه الله تعالى و أهدو و حفظه ونصره .. عرفناك بشأننا مع أولاد سجون قزاقم لما بعثوا لنا
المرايطون ثلاث مرات على الخدمة.. لا نقبل منهم الخدمة حتى يردوا ما احتفظوا أولاد ناييل و أولاد
ماضي و السحاري مع الشروط التي شرطنا عليهم أو يكفوا عن الفساد و أكل أموال الناس فإن
نقضوا شرطنا و حازروا الحد فلا أمل لهم منا و لا خدمة توقع الخلاف بينهم فبعضهم أحابسة البعض
امتع و كان الموسوس لهم احمد الشريف بن بو عبد الله باشا عليهم برأيه القاسد ففرقوا بينهم و عندهم
و جميع معهم و غيبوه عند الجبالية و كنت فل ذلك عازما على حرهم الصعود إليهم للحمل و
نحسبوا بأوتر موضع .. بعدما ضاع حله بالهوج و النهب من أعمال الجبال .. و أومنا مشايخ ريفه
و أولاد بلس و أولاد موصل و جميع لرغبة التي بتلك الناحية التي أولاد سجون عيسى يخرج منهم
أحد لكليل الزرع .. و أقيت بعضا من شواش الدائرة بوطن ريفه بتعرفون أخبارهم و يتحسرون و
مرادنا لهذا الأمر التصيق و التطويل عليهم إذ زرعههم أكل و لا عندهم موضع يكتلون من عليهم إلا
ثقل و لا يروز لهم إلا من وطن ريفه و قد شدتنا الحراسة عليهم .. و من غد من استخلاص الفرق
الأخرين من أولاد السراج الخدام رحلتا و تركنا على أولاد سلطان قاتوا البيا و ظلموا الأمان و الخدمة
إلا فرقا منهم أكلنا زرعههم ...

الملحق رقم 14 : رسالة من الحاج أحمد باي إلى الداوي حسين باشا مؤرخة في سنة 1243هـ- 1828م تتعلق بإخضاع القبائل المتمردة في جهة الأوراس، وبلاد الحناشنة، وكذا تمرد أولاد ابن زكري وابن نعمون ، وهروبهم باتجاه الشرق



المكتبة الوطنية الجزائرية، المجموعة 1642 وثيقة رقم 15

الملحق رقم 15 : رسالة من الحاج أحمد باي إلى الداوي حسين تتضمن اعتذار أولاد مقران عن دفع الغرامة المتوجبة عليهم بسبب الظروف الطبيعية من جراد وجفاف وغيرها .



المجموعة 1642 رقم الوثيقة 25 قسم المخطوطات المكتبة الوطنية الحامة

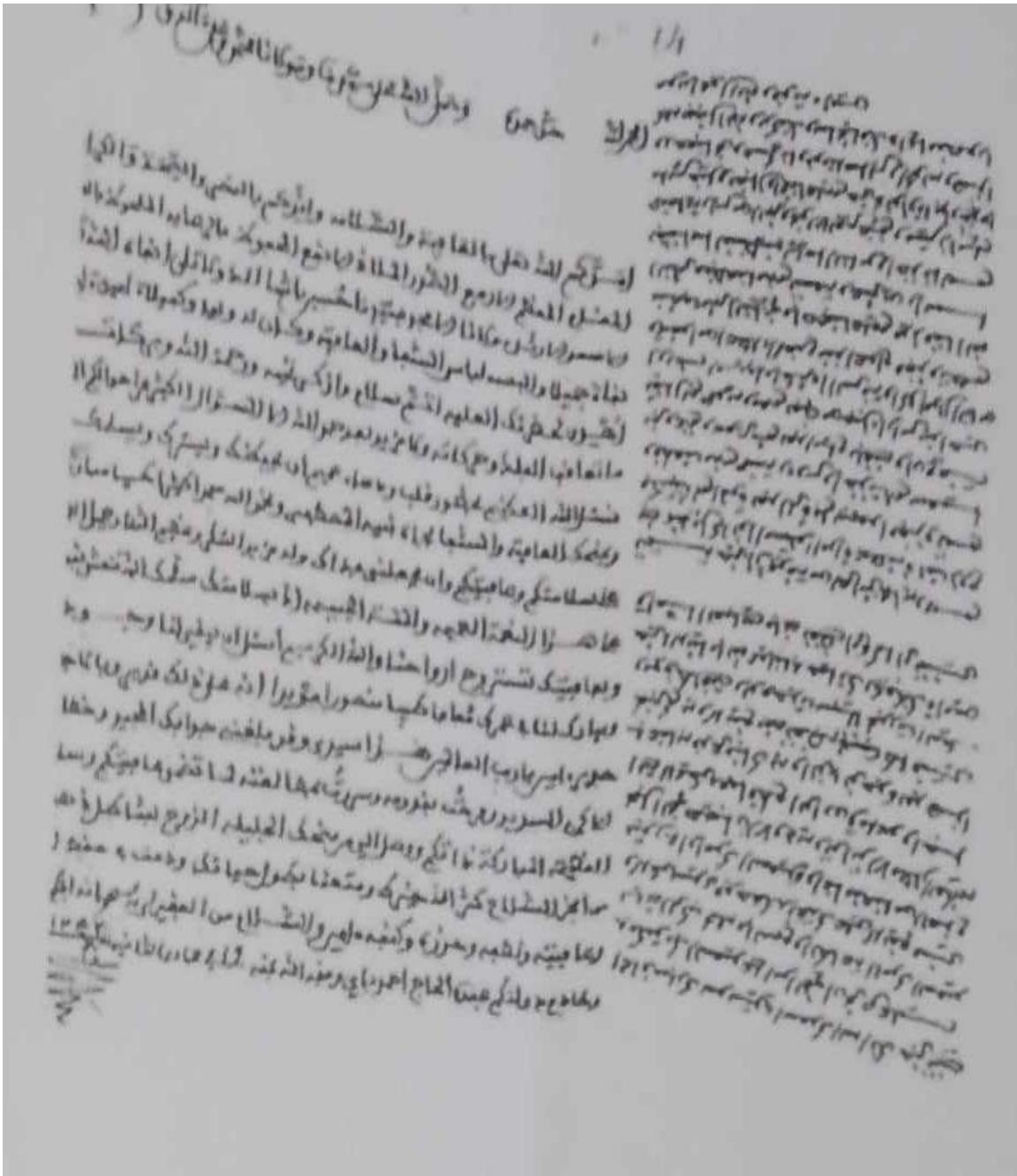
الملحق رقم 16 : رسالة من الحاج احمد باي الى حسين باشا في ذي القعدة 1242 هـ تبين مهام جند نوبة بسكرة في رد هجومات عرب الصحاري

فتنته خير من سيرنا اعزك الله ان اسلم بسكرة يا دعوا العنسا
في الشهر الماضي يشكون من الصحاري ما هم نزلوا بسعيهم وسيروا
على ذرعهم وصادوا سعيهم يا كل في الزرع ونضروا من ذلك وحسن فرائد
كتابهم ومجتهد فخر مشكاه بنهم وجهت رحلا عا مثلا من هناسنا
وكتبت لشيخ العرب والصحاري ما انزل من العنكب وامرهم بالي حيسل
والسعر عن ذرع اسلم بسكرة وامرهم حزمينا في كل الزرع وبما فيه
لبيوع من هناسنا خاضع منه في غير من الصحاري كما اسلم بسكرة ولما اسلم
اسلم بسكرة وبلغ مكثر في الشيخ العرب ويكثر في الصحاري ومكث هتاتك
لا حل للشيء في الزرع والما حل على ما اكل منه موضع الصياح بسكرة
يجرح اسلمنا في حزمنا رحلا من الصحاري فيقتلوه ويكسروا اربابا
موضع انضرب من اسلم بسكرة ويرى العرب الصحاري ومكث من يولواش المغرب
مع اسلم بسكرة ما يخرج من الصحاري بعد موت حاجبهم المخرمور نحو
السبعة عشر رحلا ويخرج من اليربواش لارثلاثة وحقوات العنته
يبيع يوزون شيخ العرب وحزمينا ورحلوا الصحاري عن الزرع
سفي حزمينا مع اسلم بسكرة واخر زوا ما خاضع من الزرع لا كس
يرى ان هو كذا العرب كما خراب دولة حبا في ما من الحلواد ذرع اسلم بسكرة
جل عني حتى خي حوا مع شيخ العرب الى التل مقرب اليه جماعة من
بسكرة ما حزم من العرب ما اكلوه ليم من الزرع وعاد عني بمجتمه
ان تفعل به كذا حيز وكثير من مع شيخ العرب ان شاء الله تعالى
حزم مني جميع ما اكلوه من الزرع ونقصي مع العن الكزي بين حيز
نوع به عني مع ولا تتيك مع معنوا العجل لير الينتيبي عني مع
بمساجد ومعنا ما وجب لعلناك به وكل ما يقع به وكنتك
به وما ان لا اعيرك وخلا دمك كما تترك زلة كما عمل المياد
شفيق مني ونقصي مع ليجور الين وموتة والذ يفتولنا وجوركة ايس
سيرنا ان اسلم بسكرة نزل فترجع حزمينا ليم مع شيخ العرب الصحاري مكرورا
رثة اهلا وانما ومع ذلك بين حيز حزمينا واما قبل من ذرع حيز
ليكونه في شربها علك
والله اعلم

مجموعه رقم 1642 : رسالة رقم 16 ، أرشيف المكتبة الوطنية .

مجموعه رقم 1642 : رسالة رقم 16 ارشيف المكتبة الوطنية

الملحق رقم 17: رسالة من الحاج أحمد باي للداي حسين باشا في 12 جمادى الثاني 1242هـ تبين شحن القمح من عنابة ومعاينة عرش بني هديل

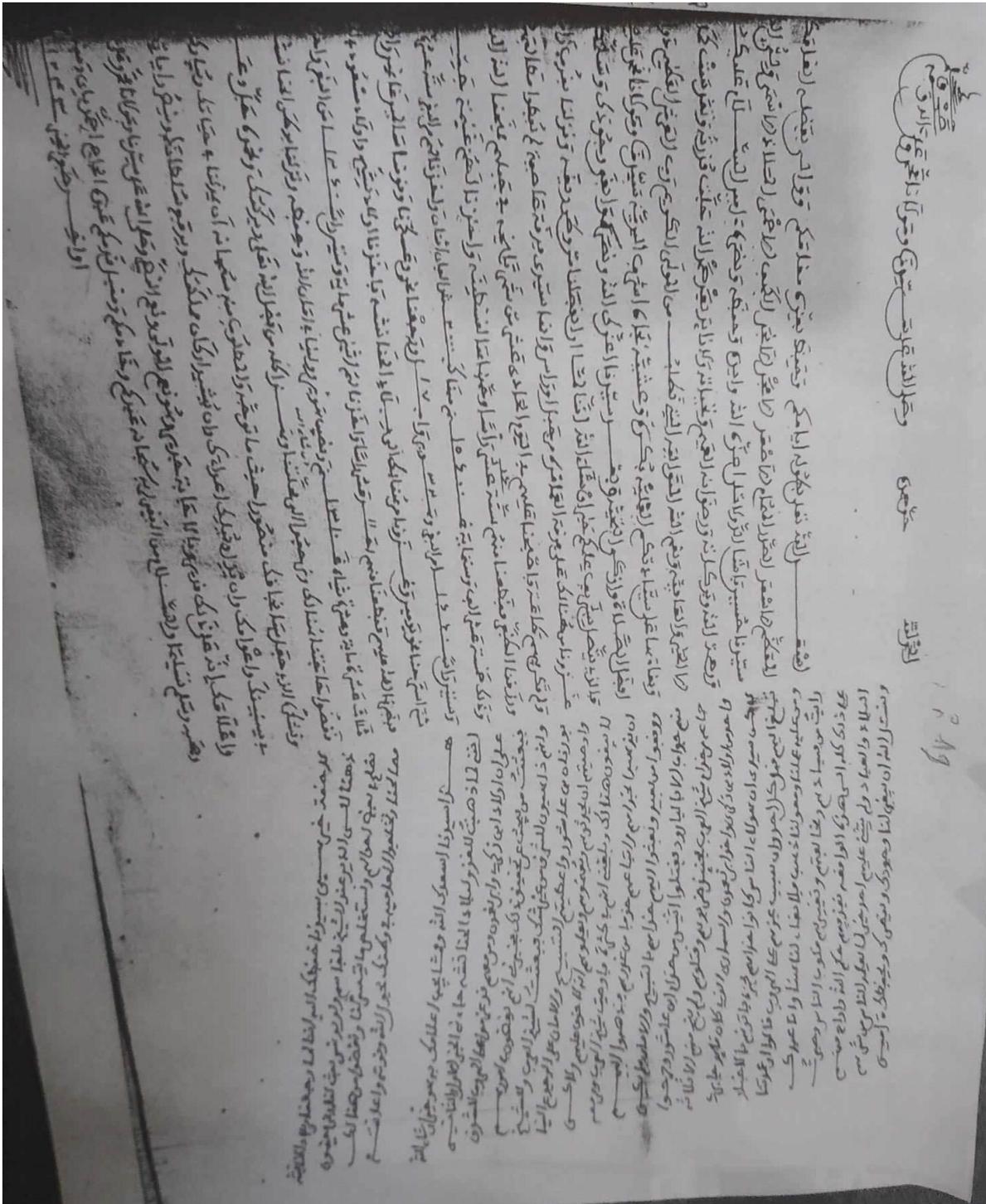


المجموعة رقم 1642 : رسالة رقم 18 ارشيف المكتبة الوطنية

الملحق رقم 18: رسالة من الحاج أحمد باي إلى الداوي حسين باشا مؤرخة في سنة 1243هـ-

1828م تتعلق بإخضاع القبائل المتمردة في جهة الأوراس، وبلاد لحناشة، وكذا تمرد أولاد ابن

زكري وابن نعمون، وهروبهم باتجاه الشرق



المجموعة 1246 رقم الوثيقة 19

الملحق رقم 19 : وثيقة إعفاء رجال الزوايا ورجال الدين من المطالب المخزنية في

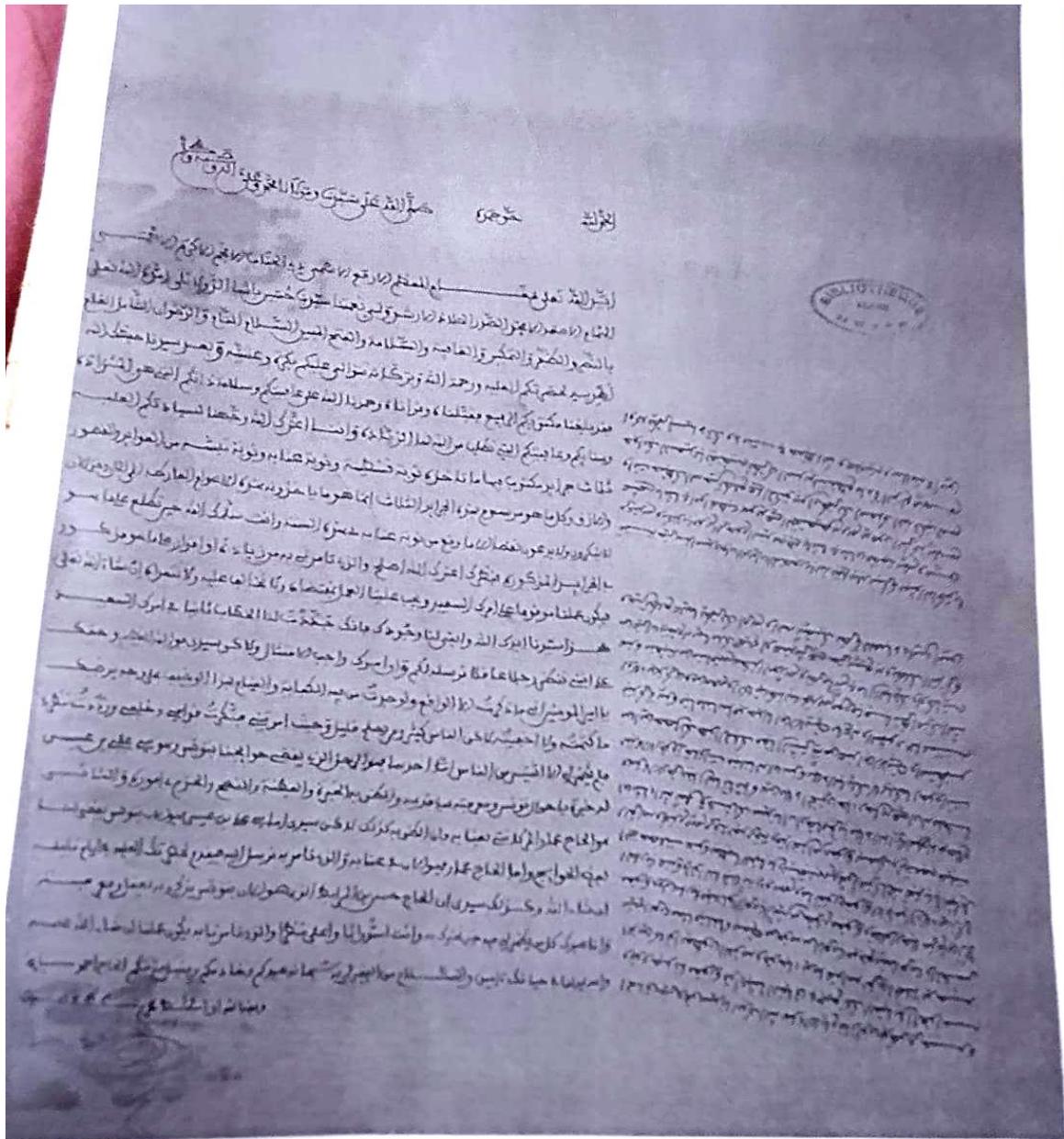
فترة حكم الداى حسين باشا

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً
 يعلم الواجب عليه على هذا الأمر الكريم والخطاب الواضح الحسيم الناقد والعلو
 شأنه وفدوه من الفواد والعمال والمخاض والعام من سائر المصروفين في الأحوال ببلدنا
 لجزائر الحمية بالله تعالى من سوء الأدوار وسائر كمالاتها سدد الله الجميع ووفى الكل
 في صالح القول وحسن الصنيع أما بعد فقد أتفقنا نحن الرشد وعزمنا الصواب
 لسديد على اتفادنا على السادات الأشرار والعلماء الأخبيار البغية
 لأجل التغير لأفضل كتاب الله عز وجل بسين، محمد بن زيب وسين العري
 وسين الصوارى والسيس عابد وباجة أولاد سيد الحاج عبد الهاد
 انعاماً تاماً شاملاً عاماً وحرراًهم أي وعنا عنهم أمر الكهاب المخزنية -
 طليعاً وجليعاً عليهم وعلى عتابهم واعقاب اعقابهم حتى يرث الله الأرض
 ومن عليها وهو خير الوارثين لأنه ثبت لدينا أنهم شيا، النسبه ووافعور مع فعب
 أيهم الكرمي مع التمسك بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فقد وعنا
 نعم الكهاب المخزنية فلت أوجلت لانهم لذلك اصلا بهم الحيب اهل نصبة الله الص
 زرعوا واحسنتهم صنعا واولاهم عهدا واولادهم وعدا بلا يسهم احد بسوء
 ضرا ولا عمل من تعرض لهم فقد حلت عليه عفوتنا الشديدة وغيره عليه
 احكامنا بحيث لا يمنع منا مانع ولا يشجع له شجاع وعلى هذا يكون
 امر ولا تالامع الباصلين الخصاص من فاض ومعت وخطا وقد اوصينا واكدنا
 لهم بالتعظيم والاحترام والمهبة والارحام وقد انعمنا عليهم انعاماً تاماً شاملاً
 عاماً بحسبه الواجب عليه العمل بمهبة ولا يخالفه احد ولا يتعدى عليه
 والله الوفي للصواب واليه المرجع والشاب آري غير، ولا معبود سواه والامر
 لله ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم والسكام القاب بالبد، والختام
 رتب على اذن العظم الأربيع الهام لانهم مؤان الاولات السرحسى با فسا
 اعجاب الله من الخيرات ما يشاء امين امين امين امين امين امين امين امين امين
 الذي هو من عباد الله

ونفى الخاتم
 المبرور على الرحمن
 عبد الحسين
 حسين

أكتب المكتبة الوطنية الحامة، مجموعة 3206 الملف الثاني رقم الوثيقة 52

الملحق رقم 20 : رسالة من الحاج أحمد باي إلى الداوي حسين باشا مؤرخة في سنة 1243هـ_ 1827م تتضمن معاينة وإخضاع قبيلة فرجية بعد امتناعها عن أداء المطالب المخزنية ، وإتلافها للمزروعات والأشجار



المجموعة 1642 وثيقة رقم 20 من أرشيف المكتبة الوطنية الحامة

الملحق رقم 21 : جدول توضيحي لوضعية قبائل البايكات وطبيعة علاقتها بالسلطة المركزية

بايلك الغرب (وهران)	بايلك الشرق (قسنطينة)	بايلك التيطري (المدية)	(مقر الحكم المركزي) دار السلطان	وضعية القبائل
36	25	09	19	قبائل مخزنية محاربة
10	22	05	/	قبائل مخزنية غير محاربة
56	14	23	11	قبائل الرعية
29	25	12	20	قبائل حليفة ومتعاونة مع السلطة المركزية
26	138	13	23	قبائل مستقلة عن سلطة الحكم المركزي

عائشة غطاس وآخرون ، الدولة الجزائرية الحديثة المرجع السابق ، ص 232

ملحق رقم 22 : جدول يبين حكم الدايات للإيالة اواخر الحكم العثماني (1730- 1830)

الرقم	الداي	فترة الحكم
1.	كرد عبدي باشا	1724 – 1733 م
2.	إبراهيم باشا	1733 – 1745 م
3.	إبراهيم باشا كوجوك	1745 – 1748 م
4.	محمد بكير باشا	1748- 1754 م
5.	علي باشا ملمولس بوصباع	1754 – 1766 م
6.	محمد عثمان باشا	1766 – 1791 م
7.	حسن باشا	1791- 1798 م
8.	مصطفى باشا	1798- 1805 م
9.	احمد باشا	1805- 1808 م
10.	علي باشا الغسال	1808- 1809 م
11.	الحاج علي باشا	1809 – 1815 م
12.	عمر باشا	1815- 1817 م
13.	علي خوجة	1817 – 1818 م
14.	حسين باشا	1818- 1830 م

المزاري الأغا بن عودة، طلوع سعد السعود، المصدر السابق، ج 1، ص 355 أو أنظر
 بوحوش عمار، التاريخ السياسي للجزائر، المرجع السابق، ص ص 571- 572

ملحق رقم 23 : جدول يمثل قائمة حكام بايات بايلك التيطري أواخر الحكم

العثماني

الرقم	اسم الباي	فترة الحكم
1	الحاج أحمد إمام	1732 – 1801 م
2	خوجة	1801 – 1805 م
3	سليمان	1805 - 1809 م
4	إبراهيم	1809 – 1810 م
5	الحاج حسن	1810 - 1812 م
6	بابا إبراهيم	1812 – 1814 م
7	عثمان بن حسان	1818 1819 م
8	إبراهيم بن سليمان	1820 – 1822 م
9	حسن بن مصطفى	1822 - 1830 م

فايزة بوشيبية، بايلك التيطري، المرجع السابق، ص 118

ملحق رقم 24 : جدول يمثل قائمة حكام البايات لبايلك الغرب أواخر الحكم العثماني

الرقم	اسم الباي	فترة حكمه
1	مصطفى بوشلاغم بن يوسف	1690-1733 م
2	بن عودة يوسف بن محمد بن إسحاق المسراتي	1733 – 1734 م
3	مصطفى الأحمر المسراتي	1735 م
4	محمد أبو طالب المحاجي	1735 – 1743 م
5	مصطفى قائد الذهب المسراتي المعروف بباي المحال	1743 – 1748 م
6	الحاج عثمان باي إبراهيم	1748 – 1755 م
7	حسن باي	1756 م
8	أبو إسحاق إبراهيم الملياني	1756 – 1771 م
9	الحاج خليل باي	1771 – 1779 م
10	محمد بن عثمان الكبير	1779 – 1799 م
11	عثمان باي بن محمد عثمان	1799-1802 م
12	مصطفى بن عبد الله العجمي	1802 – 1805 م
13	الباي محمد الملقب بالمقلش	1805-1808 م
14	الباي حسن بن موسى	1808-1809 م
15	محمد بن عثمان بوكابوس	1809 – 1813 م
16	الباي علي المعروف بقرة بغلي	1813 – 1826 م
17	الباي حسن بن موسى	1826-1830 م

عائشة غطاس و أخريات، الدولة الجزائرية الحديثة، المرجع السابق، ص 226

الملحق رقم 25 : جدول يمثل قائمة حكام بايات بايلك الشرق أواخر الحكم العثماني

الرقم	اسم الباي	فترة حكمه
1	قليان حسين بوكمية	1713 – 1736 م
2	حسين باي بوحنك المسمى حسن باشا	1736 – 1754 م
3	حسين باي زرق عينو	1754 – 1756 م
4	أحمد باي القلي (جد اخر بايات قسنطينة)	1756 – 1771 م
5	صالح باي	1771 – 1792 م
6	إبراهيم بوصبع	1792 م (حكم 3 أيام فقط)
7	صالح باي (مرة ثانية)	1792 م (حكم 10 أيام فقط)
8	حسين ولد حسن باشا بوحنك باي	1792 – 1795 م
9	مصطفى باي الوزناجي	1795 م
10	حاج مصطفى باي أنقلز	1798 – 1803 م
11	عثمان باي	1803 – 1804 م
12	عبد الله باي	1804 – 1806 م
13	حسين باي ولد صالح باي	1808 م
14	علي باي بن يوسف	1807-1808 م
15	أحمد شاوش القبائلي	1808 – 1811 م
16	أحمد باي طبال	1811 – 1814 م
17	محمد باي نعمان	1814 – 1818 م
18	محمد باي شاکر	1818 م
19	قارة مصطفى باي	1818 م
20	أحمد باي المملوك	1818 – 1819 م
21	محمد باي الميلي	1819 – 1820 م
22	إبراهيم باي الغربي	1820-1822 م
23	أحمد باي المملوك (مرة ثانية)	1822 – 1824 م
24	إبراهيم باي الكريتلي	1824 – 1826 م
25	محمد باي مانماني	
26	الحاج أحمد باي بن محمد بن احمد باي القلي	1826-1837 م (كرغلي)

محمد صالح بن العنتري، فريدة منسية، المصدر السابق، ص ص 14-147

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أ- الوثائق الأرشيفية :

- قسم المخطوطات : المكتبة الوطنية الحامة

- المجموعة 1642 الوثائق رقم 15-16-18-19-20-25-31

- المجموعة 3206 الوثائق رقم 52

ب- المصادر بالعربية :

1- ابن أبي الضياف أحمد، إتحاف أهل الزمان في أخبار ملوك تونس وعهد الأمان، ج2، الدار العربية للكتاب، تونس، 1999 م.

2- -----، إتحاف أهل الزمان بأخبار تونس وعهد الأمان، تحقيق لجنة من وزارة

الشؤون الدينية والأوقاف، المجلد 2، الجزء 3، دط، الدار العربية للكتاب، م ن ن، 1999 م.

3- ابن ميمون محمد الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية تقديم وتحقيق الدكتور بن عبد الكريم محمد، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1981 م.

4- ابن هطال التلمساني أحمد، رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي

الجزائري، تحقيق بن عبد الكريم محمد، عالم الكتب، القاهرة، 1979 م. العقيد م فرنال، حملة إفريقية 1830 م، دون ذكر اسم المترجم، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2014 م.

5- أبو راس الناصري محمد، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، ج1، ج2، دراسة وتحقيق، بوركة محمد، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية 2011 م.

6- أحمد الجزائري، كيف دخل الفرنسيون الجزائر، وصف شاهد عيان، نشره وقدمه صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1962 م.

7- الأغا بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن 19م، تحقيق ودراسة الدكتور بوعزيز يحي، ج1، دار البصائر، طبعة خاصة الجزائر،

ج1، 2009 م.

8- -----، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن 19 م، ج2، تحقيق ودراسة الدكتور بوعزيز يحي، دار البصائر، طبعة خاصة الجزائر، 2009 م.

- 9- الراشدي محمد بن سحنون، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق وتقديم الشيخ البوعبدلي المهدي، أعنتي به، دويب عبد الرحمان، عالم المعرفة للنشر والتوزيع ط1، السنة 2013 م.
- 10- الزهار أحمد الشريف، مذكرات الزهار الحاج أحمد الشريف، نقيب أشرف الجزائر، آثار الأستاذ المدني أحمد توفيق، دار البصائر، الجزائر، 2009 م.
- 11- الزياني محمد بن يوسف، دليل الحيران و السهران، أنيس في أخبار مدينة وهران، تقديم وتحقيق البوعبدلي المهدي، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1979 م.
- 12- العنتري محمد الصالح، مجاعات قسنطينة، تحقيق وتقديم رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1974 م.
- 13- العياشي أبو سالم، الرحلة العياشية (1661م-1663م)، دار السويدي للنشر والتوزيع ج2، ط1، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2006.
- 14- المشرفي عبد القادر، بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الاسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر، تحقيق وتقديم، عبد الكريم محمد، لبنان دار مكتبة الحياة، د ط،
- 15- الورتيلاني الحسين بن محمد ، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، المعروفة برحلة الورتيلاني(1713م-1779م)، تحقيق محمد بن شنب، ط2، دار الكتاب العربي بيروت، 1974 م.
- 16- الوزان الحسن بن محمد ليون الإفريقي، وصف إفريقيا، ترجمة حجي محمد و الأخضر محمد ج2، ط2، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر دار الغرب الإسلامي بيروت، 1983م.
- 17- بفايفر سيمون، مذكرات جزائرية عشية الاحتلال، ترجمة وتقديم وتحقيق دودو أبو العيد دار هومة، الجزائر، 2009 م.
- 18- بن العنتري محمد الصالح، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة، مراجعة وتقديم وتعليق الدكتور بوعزيز يحي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، ط خ، الجزائر، 2009 م.
- 19- -----، مجاعات قسنطينة، تحقيق رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974 م .
- 20- بن المبارك بن العطار أحمد، تاريخ بلد قسنطينة (1790م-1870م)، تحقيق وتعليق وتقديم حمادي عبد الله، ط1، دار الفائز للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2011 م.

- 21- بن حمادوش عبد الرزاق، رحلة ابن حمادوش ، تقديم وتحقيق وتعليق سعد الله أبو القاسم المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1983 م.
- 22- بن رقية محمد التلمساني، الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة تحقيق سعيدي خير الدين، أوراق ثقافية، الجزائر، ط1، 2017 م .
- 23- بن عبد القادر مسلم، الغريب أنيس والمسافر، تحقيق وتعريب بونار رابح، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974 م.
- 24- بن عبد الوهاب المكناسي محمد، رحلة المكناسي، تحقيق كبوط محمد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 2003 م.
- 25- بن علي أبو القاسم محمد بن حوقل النصيبي، صورة الأرض، منشورات دار صابر بيروت، 1938 م.
- 26- بن محمد بن ناصر الدرعي أبو العباس أحمد، الرحلة الناصرية (1709م-1710م) تحقيق وتقديم ملوكي عبد الحفيظ، دار السويدية للنشر والتوزيع، ج1، ط1، الإمارات العربية المتحدة 2011م.
- 27- بن محمد حمودة بن عبد العزيز، الكتاب الباشي، قسم السيرة، تحقيق ماضور محمد، ج1 دت، ن، تونس، 1970 م.
- 28- بن يوسف محمد الصغير، المشرع الصغير في سلطنة أولاد علي تركي، تقديم وتحقيق أحمد الطويلي، المطبعة العصرية، تونس، دت.
- 29- بيليسي أ، حوليات جزائرية، المجلد الأول، ترجمة دليلة حياتي، دار أصالة، الجزائر 2013 م.
- 30- خوجة حمدان بن عثمان، المرأة، تعريب وتحقيق وتقديم الدكتور الزبيري محمد العربي، وزارة الثقافة، الجزائر، 2009 م.
- 31- سبنسر وليام، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب زيادية عبد القادر، دار القصة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2006 م .
- 32- شالر وليام، مذكرات شالر وليام قنصل أمريكا في الجزائر (1816 م - 1824 م) ترجمة وتعليق وتقديم العربي اسماعيل، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982 م.
- 33- شعيب بن علي محمد المهدي، أم الحواضر في الماضي والحاضر، تاريخ قسنطينة، ط1 مطبعة البعث، قسنطينة 1980 م.

قائمة المصادر والمراجع

- 34- عبد الله العياشي عبد الله بن محمد أبي بكر، الرحلة العياشية (1661-1663)، تحقيق وتقديم سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، 2006 م 34- فندلين شلوصر، قسنطينة أيام أحمد باي (1832م-1837م)، ترجمة الدكتور أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1977 م.
- 35- كارخال مارمول، إفريقيا، ترجمة حجي محمد وآخرون، منشورات الجمعية الخيرية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، ج2، مكتبة المعارف، الرباط، المغرب، 1984 م.
- 36- كانكارت جيمس ليندر، مذكرات أسير الداوي كانكارت جيمس أندري، ترجمة العربي اسماعيل، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982 م.
- 37- محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، ج1 تعليق ممدوح حقي، ثالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007 م.
- 38- مذكرات أحمد باي و حمدان بن عثمان خوجة وبوضربة، ط2، الزبيري محمد العربي الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981 م
- 39- هابن سرايت ج أو، رحلة العالم الألماني هابن سرايت ج أو إلى الجزائر وتونس وطرابلس ترجمة وتقديم وتعليق، ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، تونس (1145 هـ - 1732 م).

قائمة المراجع باللغة العربية

- 1- أبو العباس أحمد بن خالد الناصري السلاوي الجعفري، كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق وتعريب محمد الدار البيضاء دار الكتاب، 1956 م.
- 2- الأرقش دلندا وآخرون، المغرب العربي الحديث من خلال المصادر، سيد باكوم، تونس، 2003 م
- 3- الجميعي عبد المنعم ابراهيم، دراسات في تاريخ المغرب العربي، الإسكندرية، سبتمبر 2011 م.
- 4- الجوهرى غلاب السيد، الجغرافيا التاريخية، المكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1998.
- 5- الجيلالي عبد الرحمان بن محمد، تاريخ الجزائر العام، ج3، ط10، شركة دار الأمة 2010 ج3.
- 6- الزبيري محمد العربي، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979 م.
- 7- ----- مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الحديث، ط2، دار الحكمة الجزائر 2015 م.

- 8- الشريف محمد الهادي، تاريخ تونس، مؤسسة بيباس للنشر، تونس، 1980 م.
- 9- الظاهر نعيم، جغرافية الوطن العربي، دار اليازوري للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1999م
- 10- العربي منور، تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن التاسع عشر، دار المعرفة، الجزائر، 2006م
- 11- العربي اسماعيل، الصحراء الكبرى وشواطئها، المكتبة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م
- 12- العروق محمد الهادي، مدينة قسنطينة، دراسة جغرافية، دح، دط، الجزائر، 1984 م.
- 13- -----، أطلس الجزائر والعالم، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر دت
- 14- الماجري الأزهر، القبيلة الولائية والاستعمار، اولاد سيدي عبيد والاستعمار الفرنسي في الجزائر وتونس، ط1، المغاربية للطباعة والنشر، تونس، 2013 م.
- 15- المدني أحمد توفيق، محمد عثمان باشا داي الجزائر (1766م_1791م)، سيرته حروبه أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده، دار البصائر، الجزائر، 1986 م.
- 16- ----- جغرافية القطر الجزائري، الناشئة الإسلامية، دط، دار البصائر الجديدة، الجزائر، 2012 م.
- 17- ----- هذه هي الجزائر ويليه كتاب الجزائر، عالم المعرفة، ط خ، مج 8، السنة 2010 م.
- 18- ----- حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا (1492م-1792م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر
- 19- الميللي مبارك بن محمد، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم وتصحيح الميللي محمد، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، ج1، 1989 م.
- 20- -----، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج3، دط مكتبة النهضة الجزائرية، بيروت، لبنان، 1964 م.
- 21- براهيم نصر الدين، تابليت علي، تاريخ مدينة الجزائر في العهد العثماني منشورات تالة، الجزائر، 2010 م.
- 22- بلاح بشير، تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر (1830م-1989م)، ج1، دار المعرفة، 2006م.
- 23- بلحميسي مولاي، الجزائر من خلال الرحلات المغاربية في العهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981 م .
- 24- -----، مدينة المدية عبر العصور، الجزائر، منشورات وزارة الثقافة 2005 م.

- 25- بن صحراوي كمال، بايلك الغرب في المجلة الإفريقية، دط، دار المجد للطباعة والنشر والتوزيع، سطيف الجزائر، 2018 م.
- 26- -----، الدور الدبلوماسي ليهود الجزائر في أواخر عهد الدايات ط1 بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009 م.
- 27- بوحوش عمار، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962م، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2005 م.
- 28- بوضرساية بوعزة الحاج باي أحمد في الشرق الجزائري، رجل دولة ومقاوم (1830م-1848م)، دح، دط، دار الحكمة، الجزائر، 2012 م.
- 29- بوطالب محمد نجيب، سوسيلوجيا القبيلة في المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، لبنان، 2002 م.
- 30- بوعزيز يحي، المراسلات الجزائرية الإسبانية في أرشيف التاريخ الوطني لمدريد (1748م_1780م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993 م.
- 31- -----، الموجز في تاريخ الجزائر (1+2) الجزائر القديمة والوسيط والجزائر الحديثة، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009 م .
- 32- -----، الموجز في تاريخ الجزائر الحديثة، ج2، ط خ، دار المعرفة الجزائر ، 2009 م.
- 33- -----، مدينة وهران عبر التاريخ (ويليه مدينة تلمسان عاصمة المغرب الأوسط ويليه المساجد العتيقة في الغرب الجزائري)، ط خ، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009 م.
- 34- -----، موضوعات وقضايا، من تاريخ الجزائر والعرب، ج 1، دار الهدى 2009 م.
- 35- -----، مع تاريخ في الملتقيات الوطنية والدولية، دار البصائر الجزائر، 2009م
- 36- -----، وهران، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007م.
- 37- ثورات الجزائريين في القرن التاسع عشر والعشرين، مج1، البصائر الجديدة، الجزائر، 2013م
- 38- بوغفالة ودان، الوقف في الجزائر خلال العهد العثماني، دار كوكب العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2016 م.
- 39- -----، التاريخ الإقتصادي والإجتماعي لمدينة المدية ومليانة، ط1 مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م

- 40- جوليان شارل أندري، تاريخ الجزائر المعاصرة، الغزو وبدايات الاستعمار (1817م_1871م)، ترجمة عياش سليمان، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر، 2013 م.
- 41- حسيني حسن عبد الوهاب، ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية
- 42- -----، المجلد الأول، 1، تونس، 1956 م .
- 43- حلومي عبد القادر علي، جغرافية الجزائر (طبيعية، بشرية، اقتصادية)، دمشق مطبعة الإنشاء، ط2، 1968 م .
- 44- حماش خليفة، كشف وثائق تاريخ الجزائر في العهد العثماني بالمكتبتين الوطنيتين الجزائرية والتونسية، دار نوميديا للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر (2012م -1432هـ) .
- 45- حمداني عمار، حقيقة غزو الجزائر، ط2، ترجمة زغدار لحسن، منشورات تالة الجزائر، 2008م.
- 46- درياس يمينة، السكة الجزائرية في العهد العثماني، ج1، دار الحضارة، الجزائر
- 47- دودو أبو العيد، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان (1830م_1855م) المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1، الجزائر، 1989 م.
- 48- روسو ألفونس، الحوليات التونسية منذ الفتح العربي حتى احتلال فرنسا تعريب محمد عبد الكريم، ط1، منشورات بنغازي، ليبيا، 1992 م.
- 49- سامح إتر عزيز، الأترك في شمال إفريقيا، ترجمة أدهم عبد السلام.
- 50- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، دار الغرب الإسلامي (1500-1830)، بيروت، لبنان، 2002 م.
- 51- -----، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م
- 52- -----، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، ط3 الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر
- 53- -----، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط1، السنة 1996 م
- 54- -----، رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي المتوفي سنة 1850م، صاحب كتاب السعي المحمود في نظام الجنود، دار الغرب الإسلامي ط2، بيروت لبنان، 1990م

- 55- -----، تاريخ الجزائر الثقافي (1500م-1830م)، ج 2 ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1998م
- 56- -----، الحركة الوطنية الجزائرية (1818م-1830م)، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1992م
- 57- -----، تاريخ الجزائر الثقافي، (1518م-1830م)، ج8 دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1998 م.
- 58- سعدي عثمان، الجزائر في التاريخ، شركة دار الأمة، الجزائر، 2012 م .
- 59- سعيدوني ناصر الدين، دراسات تاريخية في الملكية والوقف، الفترة الحديثة، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت لبنان، 2001 م .
- 60- -----، الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثمانية (الجزائر، تونس، طرابلس، الغرب (من القرن 16م إلى القرن 19م والقرن 10هـ إلى القرن 14هـ) ، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الحولية 31 قسم التاريخ، جامعة الكويت، 2010 م .
- 61- -----، موظفو الإيالة الجزائرية في القرن 19 م المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1987 م .
- 62- -----، الملكية والجباية في الجزائر أثناء العهد العثماني ط2 دار البصائر، الجزائر، 2013 م .
- 63- -----، تاريخ الجزائر في العهد العثماني و يليه ولايات المغرب العثمانية، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م
- 64- -----، ورقات جزائرية، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط2، دار البصائر، الجزائر، 2009 م .
- 65- -----و البوعبدلي المهدي، الجزائر في التاريخ 4(العهد العثماني)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م .
- 66- -----، النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية (1800م_1830م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1979 م .
- 67- -----، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984 م .

- 68- -----، الحياة الريفية بإقليم مدينة الجزائر (دار السلطان) أواخر العهد العثماني (1791م-1830م)، دار البصائر للنشر والتوزيع، ط 2، 2013م
- 69- سليمان أحمد، تاريخ المدن الجزائرية، دار القصة للنشر، الجزائر، السنة 2007م
- 70- شارف رقية، كتابات التاريخية الجزائرية الحديثة خلال القرن 18م وبداية القرن 19م، دراسة تحليلية نقدية، دار الملكية، ط 1، 2009 م .
- 71- شويتام أرزقي، إمارة كوكو (1511م-1767م) ، فعاليات إمارة كوكو بتييزي وزو، 30 سبتمبر 2010.
- 72- -----، المجتمع الجزائري وفعالياته أثناء الوجود العثماني (1519م_1830م) ، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2009 م .
- 73- -----، دور القوى المحلية في الجزائر في ظل الحكم العثماني، الملتقى الدولي حول ممالك الأمازيغ في العهد الإسلامي بسكرة الجزائر، 1- 2 سبتمبر 2010م.
- 74- -----، نهاية الحكم العثماني وعوامل إنهياره (1800م-1830م)، د ط، الجزائر، السنة 2011م
- 75- صحراوي فتيحة، الجزائر في عهد الداوي حسين (1818م-1830م)، دار كوكب العلوم للنشر والتوزيع والطباعة، الجزائر، 2016 م .
- 76- صدوق عمر، تطور التنظيم القانوني للقطاع الزراعي في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1988.
- 77- عباد صالح، الجزائر خلال الحكم التركي (1514م_1830م) ، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 2012 م .
- 78- عبد الباقي مفتاح، أضواء على الشيخ أحمد التيجاني وأتباعه، دط، الوليد للنشر، الجزائر، د ت
- 79- عمورة عمار، الجزائر بوابة التاريخ، الجزائر الخاصة ما قبل التاريخ إلى 1962م، ج2، دار المعرفة، الجزائر، 2009 م .
- 80- -----،الجزائر بوابة التاريخ عامة على غاية 1962م، ج1، دار المعرفة، 2009م
- 81- عميرايوي أحميدة، الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني مذكرات تيدنا نموذجاً، دار الهدى، الجزائر، دط، 2003م .

- 82- -----، علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبدايات الإحتلال الفرنسي، دط، د س دار البعث، قسنطينة .
- 83- غطاس عائشة وأخريات، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، ط خ، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 م، الجزائر 2007.
- 84- فارس محمد خير الدين، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الإحتلال الفرنسي، ط1، مكتبة دار الشرق، دمشق، 1969 م .
- 85- فرج محمد الصغير، تاريخ تيزي وزو منذ نشأتها حتى 1954، منشورات زرياب 2002 .
- 86- فركوس صالح، الحاج باي أحمد قسنطينة (1826م-1850م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007 م.
- 87- -----، المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين (من 814ق.م إلى 1962م)، دح، دط، دار العلوم، عنابة، دت.
- 88- -----، تاريخ الجزائر من قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال، دار هومة عنابة، 2005.
- 89- فكاير عبد القادر، الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية وأثاره (910هـ-1206هـ-1505م-1792م)، دار هومة، الجزائر، 2012.
- 90- فيلاي كمال، تاريخ المغرب العربي الحديث من فتح القسطنطينية إلى سقوط قسنطينة (1453م_1837م)، دار ألكسندر، قسنطينة، 2016 م .
- 91- فيلاي عبد العزيز، مجازر الجيش الفرنسي في منطقتي الجزائر وقسنطينة (1830م-1850م)، دار الهدى، الجزائر، 2012م
- 92- قاسيمي زيد، قيادة سيباو تاريخ منطقة القبائل في العهد العثماني وبداية الإحتلال الفرنسي (1720م_1857م)، دار الأمل، الجزائر، 2009 م .
- 93- قداش محفوظ، الجزائر في العهد التركي، الأصالة، ع52، الجزائر.
- 94- جزائر الجزائريين-تاريخ الجزائر (1830م-1954م)، ترجمة محمد المعراجي الأكاديمية الجزائرية للمصادر التاريخية، د ط، 2008م
- 95- قطش الهادي، أطلس الجزائر والعالم، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، د، ت
- 96- قنان جمال، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث (1500م_1830م المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987.

- 97- -----، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث (1830_1500) الرائد للكتاب، الجزائر، السنة 2010 م .
- 98- -----، معاهدات الجزائر مع فرنسا (1619م-1830م)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1995م.
- 99- -----، دراسات وقضايا في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، المؤسسة الوطنية للإتصال والنشر والإشهار، الجزائر، 1994م
- 100- كاستل بيار، حوز تبسة، دراسة وصفية جغرافية لإقليم تبسة و أعراشه من فجر التاريخ إلى بداية القرن 20م، تحقيق محمد العربي عقون، ط1، مطبعة بغيجة حسام الجزائر، السنة 2010 م.
- 101- لونيسي رابح و آخرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، ج1، دار المعرفة، الجزائر 2010 م .
- 102- مؤنس حسين، تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي، مج 2، الجزء الثاني والثالث، ط1، السنة 1992، العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت لبنان.
- 103- مروش المنور، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني، العملة، الأسعار والمداخيل، ج1، د، ق، ن، الجزائر، 2009.
- 104- معاشي جميلة، الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق من القرن (10هـ إلى 16م) ومن القرن (13هـ إلى 19م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2014 م .
- 105- مقلاتي عبد الله، المشروع الفرنسي الصليبي الإحتلالي للجزائر وردود الفعل الوطنية(1830م-1962م)، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م
- 106- نايت بلقاسم مولود قاسم، شخصية الجزائر وهيبتها العالمية، قبل سنة 1830م، ج1، دار الأمة للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 2007 م.
- 107- نور الدين عبد القادر، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها على انتهاء العصر التركي، نشر كلية الأدب الجزائرية، مطبعة البعث، قسنطينة.
- 108- هلايلي حنفي، العلاقات الجزائرية الأوربية ونهاية الإيالة (1815-1830م) ط1، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2007 م.
- 109- -----، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، دار الهدى، الجزائر، 2008 م.

- 110- -----، بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني، دار الهدى، ط1، الجزائر 2007م.
- 111- وولف جون باتيست، الجزائر وأوربا (1500_1830)، ترجمة وتعليق الدكتور سعد الله أبو القاسم، عالم المعرفة، دار الرائد، طبعة خاصة، 2009م.
- الدوريات :**
- 1- إبراهيم عبو، الثورات المحلية في الجزائر خلال العهد العثماني وموقف العلماء منها، مجلة متون العلوم الاجتماعية، المجلد 8، العدد 3، ديسمبر 2016م
- 2- الشافعي درويش، علاقة قبائل أولاد نايل بالسلطة العثمانية من خلال كتاب رحلة الباي الكبير، مجلة قيس للدراسات الإنسانية و الاجتماعية، مج 4، ع 1، جوان 2020 م .
- 3- العربي بلعزوز، الواقع الاقتصادي والاجتماعي للجزائر خلال الفترة العثمانية Education and social science journal العدد (5)، أوت 2018 م.
- 4- المشهداني مؤيد محمود حمد و سلوان رشيد رمضان، أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني (1518 م - 1830 م) مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، المجلد 5، ع 16، 2013 م.
- 5- بلبروات بن عتو، المهاجرون والمهاجرون إلى الجزائر العثمانية بين الانعزال والاندماج الاجتماعي، مجلة المواقف، ع4، الرشاد، معسكر.ديسمبر، 2009 م .
- 6- بن جدو عبد الفتاح، نظرة على الصناعة والحرف بالجزائر خلال العهد العثماني، المجلة التاريخية الجزائرية، مج6، ع 1، السنة 2022 م .
- 7- بوشنافي محمد، الداوي باشا مصطفى وعصره (1798م-1805 م)، مجلة عصور جديدة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، ع 7-8، السنة (2012م-2013م).
- 8- بوطبة لخضر، غابات منطقتي بجاية و جيجل ودورها في تدعيم قوة الأسطول الجزائري خلال العهد العثماني، المجلة التاريخية الجزائرية، العدد 5، ديسمبر، 2017م
- 9- بومالة نبيل، استراتيجيات الأتراك العثمانيون إتجاه القوة الناشئة ببجاية المقرانيين، مجلة العلوم الإنسانية، المجلد 2، العدد 7، جوان 2017 م .
- 10- تيتة ليلي، تطور البنية الاجتماعية للمجتمع الجزائري خلال القرن التاسع عشر ميلادي مجلة العلوم الإنسانية و الاجتماعية، مج 9، ع2، السنة 2018 م .

قائمة المصادر والمراجع

- 11- حنفي هلايلي، عملاء وجواسيس الإسبان في بايلك الغرب على ضوء كتاب بهجة الناظر، مجلة فكرية محكمة، ع7، السنة 2005.
- 12- -----، الثورات الشعبية في الجزائر أواخر العهد العثماني، كرد فعل على سياسة التهميش، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، المجلد 21، العدد 1، أبريل 2006م.
- 13- حماش خليفة، قراءة في أسباب إنهزام الجزائريين أمام الفرنسيين في معركة أسطوالي في 19 جوان 1830م الموافق ل 27 ذي الحجة 1245هـ، جمعية التاريخ والمعالم الأثرية القديمة، قالمة مجلة المعالم، العدد، نوفمبر 2014م، محرم 1436هـ
- 14- دريدي ريمة، شخصية يحي أغا قائد الجيش الجزائري (1818م-1830م)، مجلة الدراسات التاريخية والعسكرية، جانفي 2020م.
- 15- دوالي خديجة، العلاقات الاجتماعية بين الرعية والسلطة في بايلك التيطري أواخر العهد العثماني من خلال الوثائق، مجلة الحوار المتوسطي، العدد 3-4، المجلد 12، السنة 2012م .
- 16- رزيم صدام، فكاير عبد القادر، تداول النقود التونسية في الشرق الجزائري خلال العهد العثماني (1519-1830) ، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، مج 14 ع 1، السنة 2022.
- 17- رفاف شهر زاد، القبيلة خلال العهد العثماني ديناميكية الخضوع والتمرد، نموذج قبائل الغرب الجزائري، مجلة المعيار، مج 25، ع53، السنة 2021 م .
- 18- سعيدوني ناصر الدين، الشبكة الدفاعية العثمانية حول بلاد القبائل "المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، ع 20، أوت 2004 م .
- 19- -----، دور قبائل المخزن في تدعيم الحكم التركي بالجزائر، مجلة الأصالة، العدد 32، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، (1396هـ_1976م).
- 20- -----، ثلاث رسائل تتعلق بأوضاع الجزائر قبل الإحتلال، مجلة التاريخ العدد 7، السنة 1977م

- 21- سيدهم فاطمة الزهراء، موارد إيالة الجزائر المالية في مطلع القرن 19م، مجلة كان التاريخية، العدد13، الكويت، سبتمبر 2011.
- 22- شاطو محمد، السلطة العثمانية في الجزائر وعلاقتها بالطرق الصوفية (1792م-1830م)، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع، العدد 3، ديسمبر 2008.
- 23- شافو رضوان، عمر لمقدم، نظرة حول الأنشطة الاقتصادية في الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة قيس للدراسات الإنسانية و الاجتماعية، مج 1، ع1، جوان 2017 م .
- 24- شعباني نور الدين، علاقة السلطة العثمانية بإمارات الصحراء الكبرى، المجلة التاريخية الجزائرية، المجلد 4، العدد 2، السنة 2020 م.
- 25- شويتام أرزقي، طبيعة الحكم العثماني في الجزائر (1519م_1830م)، مجلة التاريخ المتوسطي، مج 4، ع1، شهر جوان 2022 م.
- 26- عامر محمود، المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية، مجلة الدراسات التاريخية، ع 117 - 118، جامعة دمشق 2012.
- 27- عبيد مصطفى، القضاء في الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة عصور جديدة ع11_ 12.
- 28- عقيب محمد السعيد و لمقدم عمر، قبائل المخزن ودورها في علاقة السلطة العثمانية بالسكان (إيالة الجزائر)، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية و الاجتماعية، مج 9، ع2، السنة 2018 م .
- 29- عميراوي فهيمة، مظاهر من التنظيم العسكري في الجزائر أثناء الفترة العثمانية، مؤسسة المحلة أنموذجا، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، المجلد 5، العدد1، جويلية 2011م
- 30- فيلالي كمال، نظام الحكم في الجزائر العثمانية مجلة الهجرة والرحلة، عدد خاص مخبر الأبحاث والدراسات السوسيو تاريخية، جامعة قسنطينة، 2 أفريل 2014م.
- 31- قويسم محمد، مجازر الإحتلال الإستعمار الفرنسي بمدينة قسنطينة عام 1837م، المجلة التاريخية الجزائرية، العدد4، سبتمبر 2017م
- 32- ماهود سحر محمد، الموظفون العثمانيون في إيالة الجزائر (دراسة في أوضاعهم الاجتماعية و الاقتصادية)، مجلة التراث العلمي العربي، كلية التربية للبنات جامعة بغداد، ع2، السنة 2015 م
- 33- محمد عطية، محن الجزائر في عهد الداوي عمر (1815م_1817م)، ومواقفه منها مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، العدد 13_ 20، جوان 2017م

- 34- محمدي رزيقة، العلاقات التونسية المغاربية في عهد باشا حمودة (1782م -1814م)، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، المجلد 4، العدد 8، مركز الحكمة للبحوث والدراسات، الجزائر، 2016.
- 35- مريخي رشيد، ملامح من الحياة الثقافية في الجزائر أواخر العهد العثماني، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، مج 5، ع12، ديسمبر 2017م.
- 36- معاشي جميلة، أسرة أحرار الحنانشة بين بايات قسنطينة و بايات تونس، المجلة التاريخية المغاربية، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات العدد 128.
- 37- نصرالدين عبد الغفور، كعوان فارس، تأثير التضاريس في علاقة القبائل الممتنعة بالسلطة في الجزائر خلال العهد العثماني الجبل أنموذجا (1700-1830)، مجلة عصور جديدة، مج 10، ع1، مارس (2020م _1441هـ) .
- 38- وقاد محمد، ظاهرة التهرب الضريبي ضد السياسة الجبائية العثمانية في الجزائر أواخر العهد العثماني (1700-1830)، مجلة الإبراهيمي للآداب والعلوم الإنسانية، المجلد 2، العدد 1، جانفي 2021.

أطاريح ورسائل :

- 1- إيلاال نور الدين، إقليم التيطري، دراسة اقتصادية (1830م-1900م)، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 02، الموسم (2013-2014).
- 2- آل الشيخ سعاد، الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية ببوادي الجزائر العثمانية من خلال كتب الرحلات، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، الموسم (2019م-2020م)
- 3- بلبروات بن عتو، المدينة والريف بالجزائر أواخر العهد العثماني، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، الموسم (2007م -2008م).
- 4- بوحوص شهيناز، الدور السياسي والاجتماعي والثقافي للقيادات العربية في الجزائر خلال القرن 19م، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجيلالي الياابس سيدي بلعباس، الموسم (2019م_2020م) .

- 5- بومدين دياب، بايلك الغرب الجزائري خلال القرن 18م، دراسة سياسية واقتصادية و اجتماعية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجبلاي اليابس سيدي بلعباس، الموسم الدراسي (2016-2017).
- 6- خالدي ربة، الشعر الجزائري في الفترة العثمانية، الشاعر ابن عمار نموذجا، دراسة موضوعاتية وأسلوبية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة الجبلاي اليابس سيدي بلعباس الموسم (2017 م - 2018 م).
- 7- دحماني توفيق، الضرائب في الجزائر (1792م -1865م) دراسة مقارنة، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، الموسم (2007م_2008م).
- 8- دلباز محمد، الحياة السياسية والعسكرية و الاقتصادية في الجزائر أواخر العهد العثماني على ضوء دفتر التشريعات، ترجمة وتعليق، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة الجبلاي اليابس سيدي بلعباس، الموسم (2014م-2015م)
- 9- دغموش كاميلية، السلطة والمجتمع في بايلك الغرب الجزائري(1792م-1830م)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة وهران 1، الموسم (2019م-2020م)
- 10- رحموني عبد الجليل، العلاقة بين السلطة المركزية و البايلكات في الجزائر العثمانية(1520م-1830م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجبلاي اليابس سيدي بلعباس، الموسم (2019م-2020م).
- 11- طوبال فاطمة الزهراء، النخبة الثقافية والسلطة في الجزائر في عهد الدايات (1671م_1830م) ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة وهران الموسم (1440هـ_2019م) (1441هـ-2020م).
- 12- عبد الغفور نصر الدين، القبيلة والسلطة في الجزائر خلال القرن 19م، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة سطيف، الموسم (2020م_2021م).
- 13- فتيسي نادية، أوضاع الجزائر من عهد محمد بن عثمان باشا إلى غاية عهد حسين باشا(1179-1245هـ)(1766-1830م)، الأوضاع السياسية والاقتصادية أنموذجا، أطروحة دكتوراه في التاريخ العام جامعة 8 ماي 1945 قالمة، الجزائر، الموسم (2017م-2018م) .
- 14- فضيل مني سي، الزوايا والأولياء الصالحون في الجزائر دراسة سوسولوجية وصفية لسيدي نايل. أطروحة دكتوراه علم الاجتماع الثقافي، جامعة الجزائر2، السنة 2010م-2011م.

- 15- لعريبي اسمهان، الحياة الاقتصادية في بايلك الشرق خلال العهد العثماني (1713م-1792م)،، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجيلالي الياصب سيدي بلعباس، الموسم (2012م-2013م)
- 16- معاشي جميلة، الإنكشارية والمجتمع ببائلك قسنطينة في نهاية العهد العثماني، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة منتوري قسنطينة، السنة (1428هـ-1429هـ) (2007م-2008م).
- 17- القشاعي فلة المولودة موساوي، النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني (1771م-1830م) ، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، الموسم (1989-1990).
- 18- بحري أحمد، الحياة الاجتماعية بالجزائر في عهد الدايات (1671م-1830م)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة وهران، الموسم (2001م-2002م) .
- 19- بلبوري سيد أحمد، الاحتلال الإسباني الأول لوهران وانعكاساته الاجتماعية والسياسية و الاقتصادية، رسالة ماجستير، جامعة وهران، 1985 م.
- 20- بن يوسف التلمساني، الطريقة التيجانية وموقفها من الحكم المركزي بالجزائر (الحكم العثماني، الأمير عبد القادر، الإدارة الاستعمارية، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، الموسم (1997م-1998 م) .
- 21- بن العيفاوي علي ، مدينة معسكر ودورها في العهد العثماني، رسالة ماجستير تاريخ حديث، جامعة الجزائر، الموسم (2008- 2009م).
- 22- بوشيبة فائزة، بايلك التيطري من خلال الأرشيف العثماني المحلي (1073هـ-1245م) (1662م-1830م) رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، الموسم (2005 م-2006 م) .
- 23- بوضرساية بوعزة، أحمد باي رجل دولة ومقاوم (1830م-1848م)، رسالة ماجستير جامعة الجزائر، 1992 م.
- 24- بوعزيز جهيدة، الصراعات الداخلية وأثرها على المجتمع الريفي في بايلك الشرق الجزائري أواخر العهد العثمانيه (1185هـ-1258هـ) -(1771م _1837م)، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة منتوري قسنطينة، الموسم 2011م-2012 م

- 25- جبار صليحة، الجزائر في عهد الداى باشا على (1754م_1766م)، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر2، الموسم (2010م_2011م).
- 26- حفيان رشيد، الطرق والقوافل التجارية بين الحواضر المغاربية وأثرها الحضاري في العهد العثماني خلال القرنين(11-12هـ)(17-18م)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، السنة 2014 م
- 27- حماش خليفة إبراهيم، العلاقات بين إيالة الجزائر والباب العالي من سنة 1798م إلى 1830م، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الإسكندرية، الموسم (1408هـ-1988م) .
- 28- شاعو كمال، بايلك قسنطينة من خلال بعض وثائق المجموعة 1641 المحفوظة بالمكتبة الوطنية الجزائرية (1757م-1792م) (1171هـ-1207هـ)، رسالة لنيل شهادة الماجستير، الموسم (2004_2005).
- 29- طالي معمر سميرة ، القوى المحلية في بايلك الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني (1792 م -1831 م) (1206 هـ - 1246 هـ) ، رسالة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر، الموسم (2009م-2010م).
- 30- صغيري سفيان ، العلاقات الجزائرية العثمانية خلال عهد الدايات في الجزائر (1671 م _1830م)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الحاج لخضر باتنة، الموسم (2011-2012) .
- 31- عقاد سعاد، الفلاحون الجزائريون والسلطة العثمانية في الجزائر (1519م-1830م)، دار السلطان أنموذجا، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، الموسم (2013م_2014م) .
- 32- فلوح عبد القادر، العلاقات الجزائرية العثمانية(1233هـ_1246هـ) (1818م_1830م) رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر 2، الموسم (2009م_2010م)
- 33- مريخي رشيد، الجزائر في عهد الداى مصطفى باشا (1798 م -1805 م)، رسالة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر2، السنة (2010 م -2011م)

قائمة المصادر والمراجع

34- معاشي جميلة، الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري من القرن (10هـ-13هـ (16م-19م) دراسة اجتماعية وسياسية، رسالة لنيل شهادة الماجستير، جامعة منتوري قسنطينة، السنة 1992م.

35- ميلودية جبور، ظاهرة الاغتيال السياسي في نظام الحكم العثماني بالجزائر (1519م-1830م)، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث الدولة والمجتمع، جامعة وهران، السنة (2014 م - 2015 م).

36- يوسف الطيب، الحضور الإجتماعي والسياسي للطرق الصوفية في الجزائر العثمانية، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجيلالي الياصب سيدي بلعباس، الموسم (2014م-2015م).

الموسوعات :

- 1- بولودنين طارق، موسوعة حكام الجزائر من الفتح الإسلامي إلى الإحتلال الفرنسي، د ط، د س
- 2- ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، السنة 1999 م.
- 3- بن نعيمة عبد المجيد وآخرون، موسوعة أعلام الجزائر (1830م-1945م). منشورات المركز الوطني للدراسات والأبحاث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر.

المواقع الالكترونية

1- مبروك إبتهاال، الموسوعة السياسية، عوامل قوة الدولة في المجال الدولي

<https://political-encyclopedia.org/dictionary/>

The international field political encyclopédie state strength haim،

2020م أكتوبر بتاريخ 26

قائمة المصادر بالأجنبية:

- 1- C,Ph, Vallier l'algerie en 1781 mémoire du consul ,C,ph valliere
- 2- De Grammont (H,D), histoire d'alger sous la domination Turque (1515-1830), Ernest l'eroux éditeur, Paris,28,rue Bonaparte ,1887.
- 3- Degrammont Histoire d'Alger sous la domination turque (1515-1830) .
- 4-De paradis venture , Tunis et Alger au 18ème siècle, mémoire et observation ressemble et présent par couq sindebad , Paris,1783.

- 5- Diego de Haedo, topographie et histoire générale d'alger ,traduction de Dr. monnereau et A .Berbrugger.presentation de Jocelyne Dalila,Ed Bouchée,Paris,1998.
- 6- Dr ,Shaw , Thomas, l'algerie un siècle avant l' occupation française trad ,j,Mac, Carthy , édition, imprimeri de Carthage, Paris.
- 7- Dr chaw Thomas, voyage dans le règence d'alger, traduit de l'anglais par j,Maccarty , Tunis ed Bouslama,1981.
- 8- J,A, peyssonnel De la malle Dureau pref, relation d'un voyage sur les côtés de Barbarie,faut par ordre duroi, Paris1725
- 9- j,A,peyssonnel , voyage dans Les règence de Tunis et d'alger relation d'un sur les côtés de Barbarie publié ,par M ,Dureau de la malle librairie de Gide éditeur des annales des voyages imprimerie de les cour de cassation ,Paris ,1838
- 10- j,n,peyssonnel et Desfontaines voyages dans Les règence de Tunis et d'alger ,librairie de Gide ,Paris ,1838
- 11- Laugier De tassy , histoire de royaume d'alger,Ameserdam Henri de sauce et ,M DCC,xxv.
- 12- Louis rinn, le royaume d'alger sous le dernier Day,Adolphe Jourdan, imprimeur librairie,éditeur,4place du Gouvernement, Alger,1900
- 13- tomass chaw, voyage dans la régence d'alger ou description géographique,,physique philologique, etc, de cet etat, traduit de lanlais par, j, mac carthy chez marlin ,editeur paris 1830 .

قائمة المراجع باللغة الفرنسية :

1. ausenatus consult "reviue l'occident musulman et de (la Méditerrané 24,1977.
2. C,Bemtems, monuel des institutions de la domination Turque a l' indépendance ,T1,Paris edu cujac,1976.
3. carrette et warnier, Description et division de l'algerie ,Paris , hachette, 10, 1947 ,

4. Charles Fèroud ,histoire des villes de la province de Constantine Sétif, Bourdj bouariridje, msila, Boussaàda typographie et lithographie La.arnolt, Constantine ,1872.
5. Urbain (i); Notice sur L'ancienne province du Titerie; in Tableau de la situation des tablissement française en Algerie 1844–1845
6. Boyer pierre, Historique des Béni Amer d'oarn,des origin au senatus consult "reviue l'occident musulman et de la Méditerranée, n 24 ,1977
7. L .merouche , recherche sur l'algerie à l'époque ottomane, mémoire prix et revenus (1520–1830) édition bouchene Paris 2000.
8. emerit (M),les tribus privilégiés in Algérie, depuis la première moitié du xix siècle in annales économiques sociétés, civilisation,N°1,1996
9. Ernest Mercier, histoire de Constantine,j.marle et f.Biron imprimeurs éditeurs, ,Constantine ,1903
10. Felice caronni précis d'un voyage en Barbarie près et not par alvortore Bono france 2011.
11. feraud(C h)"Notes historique sur les Turcs de la province de Constantine les z Boul" in R,S,A,C, 1869.
12. Féraud, histoire des villes Gligilli de la province de Constantine" L,Arnolt ,Paris 1870
13. George voisin ,l'algerie pour les algériens Michel Lèvy frères librairies éditeurs ,Paris ,1861.
14. Jean terras ,essai sur les biens haboous en Algérie et on Tunisie étude de l'egislation ,Thèse doctorat, université de Lyon faculté de droit 1889
15. Jean Michel ventre de paradis, Tunis et Alger au xviii siècle, mémoires et observation rassemblées et présentes par Joseph cuoq ,Ed sindbad,Paris ,1983.
16. josphe de ,aramburu ,Oran et l'ouest algérien au siècle présentation et, traduction De korsce et epalsa),B,N,Alger ,1978

17. l'Abbé Edmond l'ambert ,Atravers l'algerie histoire mœurs et légendes des arabes R ème haton librairie éditeur , Paris,1884
18. Louis Joseph , Ferdinand walsim esterhazy Général de la domination Turque dans l'ancienne régence d'alger, librairie de Charlie Gosselim , Paris,1840
19. Louis piessse téméraire de l'algerie,de Tunisie et de Tanger,hachette ,Paris, 1882
20. Mahfoud kaddache ,l'algerie Durant la période ottomane, o,p,u, 2003,
21. Mercier, Ernest :l'algerie en 1880,le cinquantenaire de l'Algérie , Paris challamel ainè éditeur ,1880
22. Moulay (B),alger, l'europe,et la guerre secrete, (1518–1830) ,ed, ANEP, Alger, 2009,
23. moulay Belhamissi, histoire de la marine algérienne (1516–1830),email, Alger, 1983.
24. Mouloud Gaid."chronique des Beys de Constantine offices des publication universitaire ,1975
25. mouloud kaid ,l'algerie sous les turcs 2ème édition mimou Ni , Alger
26. Nacereddine saidouni l'algerois rural á la fin de l'epoque ottomane (1791_ 1838), algharb alislami ,Beyrouth,2001.
27. pernant (A) Noushi (A) Lacoste (y)l'algerie passe et présent, Paris,Ed, sociales, 1960
28. shaw(le docteur), voyage dans la régence d'alger traduit de l'anglais par.M.Mac carthy
29. state strenghthain the international field political encyclopédie ,.
30. temimi ,A,le BEYlik de Constantine et Hadj Ahmed Bey (1830–1837), publication de la revue d'histoir maghrébinè,1978
31. valensicl, le maghreb avant le prise d alger (1790–1830) ,paris 1969
32. vayassettes histoire de Constantine sous la domination Turque de(1517–1837),R,S,A,C, 1868 .

33. walsim esterhazy,notice historique sur la maghzen d'oran, imprimerie de prier, Oran ,1849,

قائمة الدوريات :

1- Arnaud(L),"histoire des Ouled nail siute à celle des sahari "in ,R,A, N°16, Alger 1872.

2- Charles, Féraud"le trois attaque contre Alger au 18eme siècle" in R,A vol 20 Alger ,1876.

3- Charles féraud, les Harar seigneurs des hanencha,étude historique sur la province de Constantine,in revue -366 africaine,n18°,1878.

4- j,n , Robin, note sur l'organistation militaire et administrative des turc dans la grand kabylie Jourdan , librairie, éditeur in,R,A ,N17°, 1873

5- Marcel émérite,"mémoire d'ahmed bey Constantine "in R,A, (N°93,1949.

6- Prenant (A)nNoushi, Lacoste (y)l'algerie passe et présent et , Paris,ed sociales,1960, Rinn (L),"le royaume d'Alger sous les Dernier Dey "R ,A,F,N41Alger ,1897.

7- Robin (j,N)notés sur l'organisation militaire et administrative des trucs dans la grande Kabylie"in R,A,N17 1783.

8- vayass ettes (e)histoire des derniers beys de constantine ,de 1793 jusqu a la chute de hadj ahmed bey 1884, in ,R ,A ,alger n 31858,n 4,1860.

قائمة الرسائل :

1- Babes Laila, saints, tribus structures sociales et pouvoir politique dans la province de Constantine sous les turcs Mémoire pour le,D,E,A,d'études politiques oppfondies, Université de droite d'economie et de secience D'Aix Marseille.

الفهارس

فهرس الاعلام

- إبراهيم بن بوعزيز..... 269 ، 261
- ابن أبي الضياف،..... 238
- ابن أحمد التيجاني..... 226
- ابن الأحرش الدرقاوي .. 20 ، 26 ، 74 ، 177 ، 184 ، 185 ، 187 ، 191 ، 231 ، 302 ، 156 ،
168
- ابن الأحرش وابن الشريف..... 188
- ابن الشريف أنه المهدي 191
- ابن الشريف عبد القادر الدرقاوي 188
- ابن الغنابي 310
- ابن جلاب 284 ، 316
- ابن حمدان..... 312
- ابن زرفة الدحاوي..... 280
- ابن قانة 220 ، 221 ، 240 ، 284 ، 290 ، 298 ، 299
- ابن كانون 290 ، 224
- ابن هطال التلمساني 295 ، 230 ، 192 ، 183 ، 172
- أبو راس الناصري 292 ، 281 ، 210 ، 209 ، 202
- أبي راس الناصري..... 66
- أحمد الشريف الزهار . 18 ، 25 ، 65 ، 68 ، 72 ، 77 ، 170 ، 174 ، 182 ، 184 ، 188 ، 189 ،
199 ، 203 ، 204 ، 215 ، 234 ، 237 ، 247 ، 271 ، 273 ، 277 ، 298 ، 303 ، 304
- 312 ، 311 ، 308 ، 307 ، 306
- أحمد القلي..... 264 ، 229 ، 218 ، 206 ، 170
- أحمد المملوك..... 158
- أحمد باشا 33
- أحمد باي 11 ، 26 ، 28 ، 98 ، 100 ، 101 ، 102 ، 126 ، 158 ، 165 ، 176 ، 206 ، 215 ،
216 ، 217 ، 232 ، 233 ، 235 ، 241 ، 247 ، 259 ، 284 ، 292 ، 298 ، 299 ، 301
- 304 ، 305 ، 313 ، 314 ، 315 ، 316 ، 317 ، 318 ، 319 ، 320
- أحمد بن الحملوي..... 165
- أحمد بن عبد الله المملوك..... 168
- أحمد بن علي القلي..... 298 ، 206 ، 111

222	أحمد بن كنون شاوش
280 ، 183 ، 11	أحمد بن هطال التلمساني
299	أحمد بن يوسف الملياني
157 ، 275	أكسندر أوريللي
240 ، 194	الأخضر المهاجي
301 ، 236 ، 224 ، 208 ، 178 ، 165 ، 25	الأغا يحي
273	الأميرال دون أنجلو بيرسلوا
273	الأميرال كاس
314 ، 239 ، 225 ، 165 ، 22	الباي ابراهيم
46	الباي أزرق العين
156	الباي أمحمد المليي
299 ، 286 ، 272	الباي بوشلاغم
314 ، 288 ، 113	الباي بومرزاق
218	الباي جعفر
293 ، 270 ، 267 ، 201 ، 158 ، 73 ، 28 ، 26	الباي حسن
201 ، 26	الباي حسن بن موسى
74 ، 73	الباي حمودة
295 ، 269 ، 268 ، 261 ، 247 ، 230 ، 214 ، 176 ، 157 ، 68 ، 67 ، 46	الباي صالح
103	الباي فرحات
، 230 ، 183 ، 177 ، 166 ، 165 ، 161 ، 158 ، 157 ، 113 ، 106 ، 22	الباي محمد الكبير
295 ، 286 ، 285 ، 279 ، 271 ، 241	
281 ، 194 ، 174 ، 22	الباي محمد بن عثمان
268	الباي محمد على
23	الباي محمد فريزا
292 ، 23	الباي مصطفى الوزناجي
212	الباي مصطفى بوشلاغم
200 ، 158 ، 25	الباي مصطفى بومرزاق
155	الباي نعمان
319 ، 318 ، 317	الجنرال دامريمون
315 ، 65 ، 28	الجنرال كلوزيل

318	الحاج أحمد البجاوي
292	الحاج أحمد الملكي
71	الحاج عبد الله
73	الحسين بن علي
193 ، 20	الداي أحمد
194 ، 21 ، 20	الداي الحاج علي
165	الداي بابا حسن
78 ، 50 ، 22	الداي حسن
، 299 ، 294 ، 262 ، 229 ، 165 ، 136 ، 79 ، 77 ، 69 ، 67 ، 27 ، 25 ، 24	الداي حسين
	313 ، 311 ، 310 ، 303 ، 302 ، 301 ، 300
20	الداي علي الغسال
294 ، 205	الداي علي النفسيس
278 ، 60 ، 51 ، 36 ، 27 ، 24 ، 22	الداي علي خوجة
21	الداي عمر أغا
، 268 ، 235 ، 222 ، 205 ، 165 ، 106 ، 105 ، 77 ، 76 ، 75 ، 67 ، 22 ، 20	الداي محمد
	277 ، 275 ، 274 ، 273
291 ، 225 ، 199 ، 187 ، 186 ، 111 ، 73 ، 71 ، 61 ، 60 ، 50 ، 20	الداي مصطفى
	الذواودة 298 ، 284 ، 238 ، 221 ، 115
71	الرايس مصطفى
194 ، 74	السلطان سليمان
280	السيد أبي مدين
218	الشيخ ابن شهرة
195	الشيخ أبي عبد الله
200 ، 199 ، 198 ، 197 ، 177 ، 158	الشيخ أحمد التيجاني
197	الشيخ أحمد بن المختار التيجاني
259	الشيخ الملياني
218	الشيخ بورنان
176	الشيخ بوزيان
218 ، 174	الشيخ بوزيد
174	الشيخ بوزيد بن بتكة

226	الشيخ دهيليس بن أحمد
218	الشيخ سلمان بن أحمد
218	الشيخ سليمان بن أحمد
265	الشيخ عبد الله
313	الشيخ علي بن لعجوز
158	الشيخ فرحات السعيد
316 ، 314	الشيخ فرحات بن السعيد
239	الشيخ فرحات بن سعيد
236	الشيخ محمد أوقاسي
280	الطاهر بن حوا
293	الطاهر بن عبد القادر المشرفي
218	العزيز بن قندوز
		القرتيلي 165
171 ، 275 ، 273	ألكسندر أوريلي
272	الكونت مونتيمار
279 ، 278	اللورد إكسموث
307	الماريشال دو برمون
317	الماريشال كلوزيل
315	المسعود بن المبارك
		المقلج 226
280	المكاحلية قدور بن خلوف
		المكتاجي 312
271	المولى سليمان
313	الوزير رؤوف باشا
277	أنطونيو دوبار بارسلو
224	أيت أوقاسي
239	بكري عبد الحق القيوم
		بكير باشا 75
239	بن شيخ الحنانشة
277 ، 275 ، 274 ، 273 ، 106 ، 105 ، 77 ، 76 ، 22	بن عثمان باشا

- بن عيسى، ومحمد بن البجاوي..... 316
- بن قارة محمد 187
- بوتان 55، 56
- بوعزيز بن قانة..... 316، 314
- بوعكاز 98، 126، 135، 238، 239، 284، 290، 295، 298، 299
- بوعكاز بن عاشور..... 126
- بيير دوفال..... 300، 27
- بيير دوفال،..... 27
- حاج علي مصطفى بومرزاق..... 28
- حسان باشا..... 268
- حسن بن خير الدين..... 92، 29
- حسين الخزناجي..... 274
- حسين باشا..... 310، 277، 178
- حمودة باشا..... 270، 269، 268، 216، 215، 214، 189، 160
- خالد وبوشقرون..... 181
- خير الدين بريروس..... 108، 92، 89
- دوغرامون 18، 19، 108
- ذباح بن بوعقار..... 156
- رابح بن طالب..... 219
- سيدي أحمد الزواوي..... 266
- سيدي محي الدين بن سيدي علي مبارك..... 228
- سيمون بفايفر 312، 311، 310، 308، 304، 303، 301، 203، 130، 28، 25
- شالر 11، 32، 35، 36، 40، 41، 42، 44، 50، 56، 64، 72، 75، 76، 79، 82، 83، 137، 138، 143، 144، 145، 155، 162، 163، 172، 230، 237، 247، 255
- شيخ التلاغمة محمد بن الحاج..... 315
- شيخ العرب أحمد بن الصخري..... 239
- عبد الرحمان الأخضرى..... 292، 259
- عبد السلام المقراني..... 299
- عبد الكريم ابن الفكون..... 103
- عبد الله السيد محمد الغزلاوي..... 192

188	عبد الله خوجة بن اسماعيل
240	علي بوختوش
266، 240، 235، 36	علي خوجة
316	للجنرال يوسف المملوك
177	للرايس حميدو
	ليحي أغا 70، 257
202	محمد ابن الخروبي القلعي
280	محمد ابن عبد الله الجيلاني
222	محمد الحسن بن زعموم
264، 240، 205	محمد الذباح
267، 202	محمد الصغير
278	محمد القوجلي
200، 199، 198، 183، 177، 172، 161، 158، 157، 68، 23، 11	محمد الكبير
	201، 226، 243، 280، 288
193	محمد المقلش بن محمد الكبير
164	محمد بن الأحرش الدرقاوي
65	محمد بن العنابي
65	محمد بن الكبابي
237، 222، 207	محمد بن زعموم
191	محمد بن عبد القادر بن الشريف الساحلي
186	محمد بن عبد الله بن الأحرش
296، 285، 282، 277، 276، 274، 197	محمد بن عثمان
215	محمد بن عمار الفرجاني
280، 128	محمد بن عودة
170	محمد بن فريرا
239	محمد بن قدور
319، 317	محمد لبهاوي
20	مصطفى باشا
314، 310، 305، 296، 239	مصطفى بومرزاق
25	مصطفى خوجة

195	مولاي عبد الرحمان
286	وابن جلول
280	وابن سحنون الراشدي
66	وأحمد البوني
66	وأحمد بن سحنون الراشدي
106	والباي محمد الكبير
315	والحاج رجب
281	والحافظ أبو راس الناصري المعسكري
75	والداي عثمان باشا
314	والشيخ فرحات بن السعيد
280	والشيوخ أحمد بن يوسف
280	والطاهر بن حوا
	والمجاعي 70
	والمقراني 126، 221، 238
238	وبوختوش
66	وسعيد المقرئ
315	وشيخ الحنانشة رزقي
66	وعبد الرزاق محمد بن حمادوش
280	وعبد القادر المشرفي
66	وعبد الكريم الفكون
286، 237	وعبد المؤمن
200، 199	ومحمد الصغير
280	ومحمد بن عبد الله الجيلاني

فهرس الاماكن والبلدان

- اسبانيا..... 37، 51، 76، 272، 276، 277، 281، 154
- أفلو..... 84، 184، 198، 226، 231
- الأرياف، 2، 24، 33، 34، 35، 41، 44، 45، 46، 57، 58، 64، 69، 112،
115، 125، 146، 149، 157، 186، 233، 234، 240، 243، 245،
260، 324، 325، 326، 154
- الإسبان، 22، 26، 76، 105، 106، 209، 210، 211، 212، 213، 272،
273، 274، 276، 278، 279، 280، 296، 157
- الأطلس الصحراوي، 82، 84، 85، 87، 88، 93، 99، 100، 107، 144،
الأغواط، 11، 25، 93، 95، 105، 113، 133، 161، 172، 177، 181،
184، 196، 198، 202، 221، 226، 230، 231
- الأناضول 110، 302
- الأوربية، 17، 20، 21، 28، 37، 43، 46، 48، 49، 50، 51، 54، 57، 70،
72، 73، 74، 75، 76، 77، 78، 79، 148، 265، 272، 277، 279،
292، 296، 313، 157
- الأوربيين، 59، 70، 71، 75، 76، 78، 149، 288
- البحر الأبيض المتوسط، 28، 75، 81، 82، 83، 85، 89، 90، 95، 97، 101،
105، 106، 253
- البحر الأسود..... 61، 72
- البلدية، 61، 89، 93، 95، 163، 170
- البيض 105، 198
- التركية، 38، 55، 65، 110، 219، 272
- الجامع الأعظم 65، 68
- الجزائر، 1، 2، 3، 4، 5، 6، 8، 9، 10، 11، 12، 13، 14، 16، 17، 18، 19،
20، 21، 22، 23، 24، 25، 26، 27، 28، 29، 30، 31، 32، 33، 34،
35، 36، 37، 39، 40، 41، 42، 43، 45، 46، 47، 48، 49، 50، 51

،66 ،65 ،64 ،63 ،62 ،61 ،60 ،59 ،58 ،57 ،56 ،55 ،54 ،53 ،52
 ،81 ،80 ،79 ،78 ،77 ،76 ،75 ،74 ،73 ،72 ،70،71 ،69 ،68 ،67
 ،98 ،97 ،96 ،95 ،93 ،92 ،91 ،90 ،89 ،88 ،86 ،85 ،84 ،83 ،82
 ،117 ،116 ،115 ،113 ،111 ،108 ،107 ،106 ،105 ،104 ،102 ،99
 ،144 ،143 ،141 ،140 ،139 ،138 ،137 ،135 ،131 ،126 ،124
 ،170 ،162 ،161 ،160 ،158 ،156 ،155 ،154 ،151 ،150 ،149
 ،186 ،185 ،184 ،182 ،181 ،178 ،177 ،176 ،175 ،174 ،171
 ،204 ،202 ،199 ،198 ،195 ،193 ،192 ،191 ،189 ،188 ،187
 ،219 ،217 ،216 ،215 ،214 ،210 ،209 ،208 ،207 ،206 ،205
 ،262 ،261 ،256 ،251 ،243 ،239 ،238 ،236 ،231 ،229 ،225
 ،273 ،272 ،271 ،270 ،269 ،268 ،267 ،266 ،265 ،264 ،263
 ،285 ،284 ،283 ،281 ،280 ،279 ،278 ،277 ،276 ،275 ،274
 ،303 ،302 ،300 ،299 ،297 ،296 ،294 ،292 ،291 ،290 ،288
 ،315 ،314 ،313 ،312 ،311 ،310 ،309 ،308 ،307 ،305 ،304
 ،75 ،74 ،73 ،61 ،60 ،59 ،58 ،154 ،153 ،320 ،319 ،317 ،316
 73 ،69 ،70 ،69 ،79 ،78 ،77 ،76
 الجينية..... 67 ،36 ،20
 الدواوير 284 ،245 ،225 ،213 ،166 ،118
 الروسية..... 71 ،38
 الريف 7، 10 ،34 ،43 ،44 ،45 ،47 ،55 ،57 ،58 ،66 ،109 ،110 ،112 ،
 113 ،137 ،141 ،147 ،150 ،154 ،178 ،186 ،251 ،256 ،326
 الريفية 2، 5 ،7 ،10 ،11 ،12 ،13 ،39 ،46 ،58 ،64 ،67 ،73 ،90 ،91 ،
 108 ،120 ،121 ،130 ،138 ،163 ،169 ،204 ،245 ،246 ،252
 256 ،257 ،268 ،293
 الزاب 84 ،93 ،103 ،156 ،169 ،228 ،262
 السخاخرة..... 91

- الشرق، 8، 20، 22، 23، 26، 28، 29، 35، 37، 40، 42، 44، 47، 51،
 52، 68، 73، 74، 80، 82، 83، 84، 85، 87، 89، 91، 92، 93، 96،
 98، 99، 100، 101، 102، 103، 104، 105، 111، 113، 115، 116،
 117، 119، 124، 126، 128، 131، 134، 136، 140، 141، 144،
 150، 155، 156، 157، 158، 159، 160، 164، 166، 167، 170،
 173، 174، 179، 182، 185، 187، 191، 193، 198، 206، 213،
 214، 216، 220، 221، 229، 232، 233، 234، 238، 239، 243،
 245، 247، 253، 255، 260، 263، 264، 265، 268، 273، 274،
 275، 279، 283، 284، 285، 286، 289، 291، 292، 295، 297،
 298، 300، 304، 312، 313، 314، 154، 155، 156، 157
- الشطوط والسباخ 100
- الشلف، 1، 83، 84، 87، 93، 105، 106، 107، 119، 142، 175، 185،
 210، 251، 289، 295
- العطاف 133
- الغرب، 11، 12، 18، 21، 22، 26، 27، 28، 29، 37، 47، 51، 67، 68،
 69، 73، 74، 76، 80، 82، 83، 85، 87، 89، 91، 92، 93، 94، 95،
 100، 103، 104، 105، 106، 107، 108، 109، 113، 115، 116،
 118، 119، 122، 123، 128، 130، 134، 136، 140، 141، 150،
 157، 161، 168، 172، 174، 177، 176، 182، 183، 185، 190، 191،
 192، 194، 195، 197، 207، 208، 210، 211، 212، 215، 216،
 221، 226، 234، 240، 243، 246، 253، 260، 262، 263، 271،
 274، 275، 279، 287، 288، 290، 292، 294، 299، 301، 304،
 305، 309، 313، 154، 155، 156، 157
- القالة 258، 100، 97، 27
- القصبة، 1، 30، 36، 51، 67، 92، 278
- القل، 44، 131، 164، 168، 175، 184، 187، 203

- القلية.....89، 127، 228، 314
 المدن33، 35، 39، 41، 43، 44، 45، 49، 50، 54، 55، 56، 57، 58،
 60، 65، 66، 67، 88، 92، 93، 94، 112، 138، 140، 141، 143،
 147، 148، 235، 241، 252، 253، 294، 304، 153
 المدينة7، 22، 33، 36، 37، 42، 45، 55، 57، 58، 59، 62، 63، 66،
 84، 94، 102، 103، 110، 121، 125، 134، 151، 157، 165، 171،
 188، 213، 256، 273، 279، 281، 285، 289، 307، 309، 310،
 312، 314، 316، 318، 157، 78
 المشرق.....49، 50، 175
 المغرب12، 21، 38، 40، 44، 45، 49، 74، 78، 82، 99، 101، 105،
 108، 115، 129، 130، 140، 143، 149، 155، 176، 177، 184،
 186، 195، 206، 218، 227، 231، 247، 251، 263، 270، 154
 المغرب الأقصى.....72
 الونشرييس83، 107، 112، 184، 193
 أمريكا.....10، 35، 42، 78، 79
 انكلتر.....37
 أوربا19، 48، 49، 74، 82، 275، 295، 302، 154
 أوروبا.....27، 82، 272، 311
 إيطاليا.....49، 268، 300
 باب عزون.....36، 89، 90، 310
 بالدواير.....39
 بالشلف47، 115، 118، 119، 150
 بالمدينة.....23، 234
 بيسكرة.....28، 228
 بجاية43، 44، 52، 97، 98، 101، 134، 164، 168، 178، 184، 186،
 228، 244، 258، 260، 262

44.....	بجاية وزكار
70.....	بحيرة
205 ، 97	برج حمزة
297 ، 293 ، 285 ، 263 ، 168 ، 156 ، 96 ، 93 ، 57	بسكرة
133 ، 117	بقصر البخاري
209 ، 118 ، 117 ، 106 ، 84	بني راشد
157 ، 63	بني ميزاب
133	بني يزقن
309 ، 95 ، 90 ، 89 ، 28 ، 25	بوزريعة
155 ، 117 ، 102	بوسعادة
182 ، 47	بوفاريك
285 ، 280 ، 234 ، 226 ، 208 ، 191 ، 84 ، 22	بوهران
91.....	بئر مراد رايس
290 ، 282 ، 264 ، 262 ، 261 ، 216 ، 104 ، 99 ، 97	تبسة
209 ، 201 ، 196 ، 195 ، 193 ، 108 ، 107 ، 85 ، 74 ، 60 ، 49 ، 45	تلمسان
280 ، 270 ، 211	
115 ، 104 ، 103 ، 98 ، 82 ، 74 ، 73 ، 72 ، 66 ، 49 ، 24 ، 21 ، 16 ، 8	تونس
268 ، 267 ، 266 ، 264 ، 263 ، 216 ، 215 ، 214 ، 189 ، 186 ، 159	
154 ، 315 ، 313 ، 270 ، 269	
180 ، 101 ، 99 ، 84 ، 84	جبال الأوراس .
88.....	جبال الصحاري
88.....	جبال العمور
86 ، 85	جبال النمامشة
88 ، 84	جبال أولاد نايل
91.....	جبال بني منصور
91.....	جبال تابلية

جبال فليسة.....	43
جبل أوراس.....	176 ، 101
جبل عمور.....	161 ، 84
جبل قلالة.....	264 ، 216 ، 104
جبل مغريس.....	99
جرجرة.....	12 ، 13 ، 83 ، 84 ، 97 ، 99 ، 101 ، 131 ، 164 ، 168 ، 170 ، 178 ، 179
جيجل.....	44 ، 57 ، 87 ، 101 ، 134 ، 137 ، 168 ، 177 ، 184 ، 186 ، 187 ، 253 ، 255 ، 258 ، 260 ، 262
دلس.....	88 ، 89 ، 92 ، 103 ، 131 ، 175 ، 203 ، 236 ، 255
زواويت.....	30
سعيدة.....	83 ، 107 ، 290
سكيكدة.....	83 ، 99
سيدي بلعباس.....	40 ، 58 ، 79 ، 82 ، 85 ، 91 ، 107 ، 278
سيدي فرج.....	28 ، 300 ، 305 ، 306 ، 307 ، 309
شرشال.....	88 ، 89 ، 90 ، 91 ، 92 ، 95 ، 97 ، 126 ، 193 ، 255 ، 257
طبرقة.....	97
عنابة.....	59 ، 61 ، 98 ، 100 ، 104 ، 106 ، 143 ، 172 ، 209 ، 216 ، 253
عين الصفراء.....	107
غدامس.....	49
غرداية.....	133
فالأطلس التلي.....	83
فجيج.....	84 ، 195 ، 198 ، 279
فرنسا.....	20 ، 23 ، 25 ، 27 ، 37 ، 46 ، 49 ، 59 ، 75 ، 77 ، 189 ، 216 ، 299
	154 ، 315

26.....	فيينا
317 ، 307 ، 277 ، 99.....	قالمة
، 60 ، 51 ، 49 ، 46 ، 41 ، 40 ، 29 ، 28 ، 26 ، 25 ، 24 ، 19 ، 18 ، 11	قسنطينة
، 113 ، 107 ، 104 ، 103 ، 102 ، 101 ، 100 ، 98 ، 97 ، 88 ، 74 ، 73 ، 67	
، 165 ، 163 ، 161 ، 158 ، 149 ، 144 ، 131 ، 126 ، 125 ، 124 ، 119	
، 215 ، 207 ، 206 ، 199 ، 187 ، 186 ، 184 ، 182 ، 180 ، 174 ، 171	
، 265 ، 264 ، 261 ، 244 ، 242 ، 239 ، 234 ، 232 ، 231 ، 221 ، 217	
، 298 ، 297 ، 292 ، 291 ، 287 ، 277 ، 276 ، 270 ، 269 ، 268 ، 266	
157 ، 155 ، 319 ، 318 ، 317 ، 316 ، 315 ، 314 ، 312	
69.....	قصر الحمراء
70.....	قطر
88.....	قمة سيدي عيسى
84.....	قمة شيليا
133 ، 74	قورارة
69 ، 51	كتشاوة
287 ، 280 ، 118 ، 105 ، 29	مازونة
، 255 ، 252 ، 205 ، 203 ، 173 ، 120 ، 95 ، 93 ، 91 ، 90 ، 89 ، 83	متيجة
303	
106.....	مراكش
107.....	مرجاجو
274 ، 255 ، 210 ، 209 ، 128 ، 118 ، 107 ، 83	مستغانم
318 ، 311 ، 190 ، 186 ، 77 ، 65 ، 29	مصر
، 184 ، 183 ، 172 ، 161 ، 157 ، 150 ، 107 ، 105 ، 93 ، 56 ، 29 ، 11	معسكر
316 ، 281 ، 279 ، 277 ، 226 ، 201 ، 199 ، 197 ، 193 ، 192	
174 ، 107	مغنية
68.....	مكة

مليانة 95، 106، 119، 168، 175
مليقة 133
نابولي..... 28، 312
نافارين 38، 71، 75، 302
واحات الزيبان 100، 102
واد السيبوس 99، 102، 258
واد سيباو 90، 235
واد وارزان 107
وادي الحراش. 95، 123، 182، 275
وادي السبت..... 126
وادي الفضة..... 119، 167، 182
وادي جدي 84، 85
وادي ريغ... 134، 157، 181، 231
وادي سوف 49، 97، 104، 139، 157، 168
وادي مجردة.. 99، 104، 216، 264
أرزيو 49، 106، 211
الأرياف 44، 54، 55، 56، 66، 67، 234، 241
الأغواط 57، 132، 156، 161، 194، 242
البليدة..... 61، 85، 91
الدفرة..... 58
الدوار 58
السبع العيون 91
المسيلة 102
النمسا 71
النيجر..... 49
باب السردين 90

24.....	بريطانيا
106.....	بني صاف
95 ، 89	بني موسى
91.....	بئر خادم
243 ، 242 ، 231 ، 177 ، 168 ، 156 ، 97 ، 49	تقرت
191 ، 156 ، 123 ، 107.....	تيارت
44.....	جبال الأطلس
297 ، 97	جبال البيبان
91.....	جبال الشنوا
104.....	جبال مسيد
57.....	جبل
99.....	جبل الكنتور
104.....	جبل تليس
123 ، 95 ، 89.....	حجوط
104.....	دقمة
71.....	روسيا
180 ، 163 ، 91	زكار
95.....	سواري
137 ، 99 ، 87 ، 83 ، 50 ، 49 ، 27	عناية
74.....	عين توات
279 ، 123 ، 83	فرندة
97.....	قرى منصور
317 ، 274 ، 205 ، 175 ، 142 ، 99 ، 70 ، 68 ، 67 ، 49 ، 44	قسنطينة
123 ، 70 ، 67.....	مازونة
280 ، 107 ، 106	مستغانم
274 ، 140 ، 120 ، 107 ، 93 ، 84 ، 70 ، 68	معسكر

ندرومة.....	255 ، 67
نوميديا.....	101
وهران 7، 8، 20، 22، 23، 25، 29، 36، 59، 61، 74، 76، 86، 87، 88،	
92، 105، 106، 108، 109، 117، 118، 120، 168، 182، 185، 186،	
191، 192، 199، 200، 202، 209، 210، 211، 212، 213، 240،	
253، 262، 266، 271، 272، 273، 274، 276، 278، 279، 285،	
157، 304	
هولندا.....	75
واد تاجا.....	100
واد شرشار.....	100
وادي الحراش.....	91
وادي بوناموسة.....	102
وادي قريش.....	89
ورقلة.....	133 ، 102 ، 97 ، 49

فهرس القبائل

- أعراس القليعة 127 ,
 أعراس المعاتفة 127 ,
 أعراس أيت إيراثن 133 ,
 أعراس فليسة 127 ,
 أعراس قشتولة 127 ,
 الأحلاف 126, 134, 323, 337, 338 ,
 البابور 83, 85, 98, 126, 128, 132, 134, 233, 244 ,
 الذواودة 115, 221, 238, 284, 298 ,
 القبيلة المرابطية 126 ,
 القرثيلي 165 ,
 المخاليف 118, 134 ,
 أولاد ابراهيم، 123 ,
 أولاد الشريف 118 ,
 أولاد الصحاري 118, 119 ,
 أولاد بورباح 128 ,
 أولاد بوعايش 117 ,
 أولاد خليف 118 ,
 أولاد خويدم 118 ,
 أولاد داود 117 ,
 أولاد دباب 117 ,
 أولاد دحمان 123 ,
 أولاد ديرة إدريس 133 ,
 أولاد ديرة أدارة 133 ,
 أولاد سلامة 118, 119, 155 ,
 أولاد سيدي أحمد بن يوسف 127 ,
 أولاد سيدي الشيخ 126, 128, 221, 262 ,
 أولاد سيدي براهيم 127 ,
 أولاد سيدي سالم 126 ,

- أولاد سيدي عمر 117 ,
أولاد شايب 117 ,
أولاد شعيب 117 ,
أولاد عباس 118 ,
أولاد عبد الله 117, 209, 210, 213 ,
أولاد عبد النور 47, 114, 119, 284, 316 ,
أولاد عدة 127 ,
أولاد علي التركي 126 ,
أولاد عنتر 93, 95, 135 ,
أولاد فرقان 123 ,
أولاد مختار 117, 127, 225, 226, 241, 244, 288 ,
أولاد معيزة، 123 ,
أولاد مقران 128, 166, 295 ,
أولاد ثابت 117 ,
أيت أوقاسي 224 ,
جندل 93, 95, 129, 136 ,
سبباو , 14, 30, 68, 90, 95, 109, 111, 112, 117, 161, 166, 170, 178, 204,
205, 206, 207, 222, 223, 224, 228, 229, 235, 237, 241, 247, 274, 275,
293, 295, 296, 304, 306, 325
عرش إقاوون 133 ,
عرش أيت تيقرين 132 ,
علي بوختوش 240 ,
قبائل الحساسنة 135 ,
قبائل الدواودة 126 ,
قبائل الدواير 117, 262, 286 ,
قبائل الرعية 40, 80, 111, 120, 123, 124, 141, 143, 210, 323, 337 ,
قبائل السحاري 133 ,
قبائل الشعانية 134 ,
قبائل العبيد 117 ,
قبائل العمال 123 ,

- قبائل العمور 135 ,
قبائل أنجاد 135 ,
قبائل أولاد حميان 129 ,
قبائل أولاد سلامات 127 ,
قبائل أولاد سيدي عامر 127 ,
قبائل أولاد سيدي ناصر 128 ,
قبائل أولاد علي بن داود 127 ,
قبائل أولاد قاضي 128 ,
قبائل أولاد ميمون 128 ,
قبائل أولاد نايل 132, 133, 146, 157, 173, 225 ,
قبائل أولاد يعقوب 135, 198 ,
قبائل أيت شارفة 128 ,
قبائل إيدوغ 134 ,
قبائل بني تيغرين 135 ,
قبائل بني جعاد 126 ,
قبائل بني مسلم 128 ,
قبائل بني هون 127 ,
قبائل بوسلام 134 ,
قبائل ترارة 129 ,
قبائل جرجرة 132, 178, 179, 202, 205, 236 ,
قبائل حلوية 135 ,
قبائل حميان 136 ,
قبائل زاوية أولاد سيدي دحو 128 ,
قبائل زاوية سيدي أحمد بسبدو 129 ,
قبائل ساحل 126, 128, 134 ,
قبائل سور الجواب 127 ,
قبائل لالا خديجة 134 ,
قبائل مجاجة 129 ,
قبائل مطمطة 135 ,
قبائل معاصم 135 ,

- قبائل مكناسة 135 ,
 قبائل ميزاب 134 ,
 قبائل وزرة 123 ,
 قبيلة التلاغمة 119, 115 ,
 قبيلة العذاورة 239, 133 ,
 قبيلة المكايلية 135 ,
 قبيلة أولاد سيدي أحمد الرشايقية 127 ,
 قبيلة أولاد سيدي عيسى 128 ,
 قبيلة بني درجين 135 ,
 قبيلة ريغة 221, 45 ,
 قبيلة سعيد 134 ,
 قبيلة عريب 135 ,
 قبيلة عزيز 133 ,
 قبيلة متحدة 129 ,
 قبيلة ناقوسة 134 ,
 كالحناشة 244, 214, 213, 73 ,
 كقبائل الأجواد 125 ,
 لأولاد عاشور 128 ,
 والفراشيش 216, 214, 73 ,
 والمجاعي 70 ,
 والمقراني 238, 221, 126 ,
 والنمامشة 266, 244, 221, 214, 213, 177, 145, 124, 73 ,
 وأولا الأكراد 47 ,
 وأولاد أحمد بن عيسى 127 .,
 وأولاد الزناخرة 123 ,
 وأولاد بوعون 128 ,
 وأولاد بوغانم 268, 126 ,
 وأولاد جلال، 156, 123 ,
 وأولاد خليف 225, 218, 95, 93 ,
 وأولاد سحنون 98 ,

- وأولاد سلطان 98 ,
وأولاد سيدي عامر 117, 128 ,
وأولاد سيدي لخضر 127 ,
وأولاد شكاله 128 ,
وأولاد عزالدين 126 ,
وأولاد قصي 123 ,
وأولاد مختار 47, 127, 151, 157, 182 ,
وأولاد مقران 125, 284 ,
وأولاد نايل، 113, 230 ,
وأولاد هلال 93, 95, 135 ,
وأيت بترونن 133 ,
وأيت خلفون 127 ,
وبني حسين 123 ,
وبني عائشة 123 ,
وبني عيش 123 ,
وبني مدور 128 ,
وقبائل الزمالة 119 ,

وقبائل السقنية 124 ,
وقبائل أولاد عيسى 127 ,
وقبائل نبيلة 117 ,
وقبيلة الحشم 123 ,
ولو عيش 115 ,

فهرس المحتويات

شكر وعران

إهداء

المختصرات

-abreviation

المقدمة.....أ-س

الفصل الاول : الأوضاع العامة لإيالة الجزائر أواخر الحكم العثماني (1730م-1830م)

توطئة..... 2

الأوضاع السياسية : 3

الأوضاع الإدارية..... 14

الأوضاع العسكرية: 20

الجيش البري النظامي..... 23

الجيش البحري النظامي : 23

الجيش الغير النظامي 24

الأوضاع الاقتصادية: 26

الزراعة..... 26

الصناعة..... 28

النشاط الرعوي..... 31

التجارة..... 32

التجارة الداخلية 32

التجارة الخارجية 33

الأوضاع المالية : 36

المصادر الداخلية..... 38

المصادر الخارجية..... 38

الأوضاع الاجتماعية : 39

سكان المدن..... 40

الكراغلة..... 40

الأندلسيون 40

اليهود..... 41

42 سكان الأرياف
44 الأوضاع الصحية :
47 الأوضاع القضائية:
51 الأوضاع الثقافية :
55 الأوضاع الخارجية لإيالة الجزائر :
55 1-علاقة الإيالة مع الدولة العثمانية:
57 مغاربيا.....
58 1-إيالة تونس :
59 المغرب الأقصى:
59 أوربا:
61-اسبانيا.....
61 - انجلترا :
62فرنسا :
63الولايات المتحدة الامريكية:
الفصل الثاني:جغرافية إيالة الجزائر وتركيبتها القبلية وأهم أنشطتها الاقتصادية	
66 توطئة :
67 الموقع الفلكي و الجغرافي لإيالة الجزائر :
68 الإقليم التالي:
69 الإقليم الصحراوي:
70 الخصائص الطبيعية.....
73 الموقع الجغرافي لبايك دار السلطان
78 الموقع الجغرافي لبايك التيطري :
80 مناخ بايالك التيطري :
81 الموقع الجغرافي لبايك الشرق
84 الخصائص الطبيعية :
89 الموقع الجغرافي لبايك الغرب :
93 قبائل المخزن:
95 مهامها.....
100 الصبايحية في بايالك الشرق والغرب :
102 قبائل المخزن ببايك التيطري:

103.....	قبائل المخزن ببايلك الشرق :
104.....	قبائل الرعية
108.....	قبائل الرعية لمقاطعة دار السلطان :
108.....	قبائل الرعية لبايلك التيطري :
108.....	قبائل الرعية لبايلك الغرب :
109.....	قبائل الرعية لبايلك الشرق قسنطينة :
109.....	القبائل المتحالفة
111.....	قبائل وأعراش الأحلاف بدار السلطان :
112.....	قبائل أحلاف بايلك التيطري:
113.....	قبائل وأعراش أحلاف بايلك الشرق:
113.....	قبائل وأعراش أحلاف بايلك الغرب:
114.....	القبائل الممتنعة أو الرافضة :
117.....	القبائل والأعراش الممتنعة في مقاطعة دار السلطان :
118.....	القبائل الممتنعة ببايلك التيطري :
119.....	القبائل الممتنعة ببايلك الشرق :
119.....	القبائل الممتنعة ببايلك الغرب الجزائري:
121.....	المبحث الرابع : النشاط الإقتصادي الممارس من طرف القبائل .
121.....	النشاط الزراعي :
124.....	طبيعة الملكية العقارية للأراضي الزراعية :
124.....	1-الملكية الخاصة :
125.....	2- أراضي البايك :
126.....	3- الأراضي المشاعة :
126.....	4- أراضي الأوقاف :
127.....	5- أراضي الموات:
128.....	النشاط الرعوي.....
131.....	النشاط الصناعي والحرفي :
131.....	1- النشاط الصناعي:
133.....	2-النشاط الحرفي:
124.....	النشاط التجاري :

الفصل الثالث: دور العامل الجغرافي في رسم علاقة الرضى القبلي للسلطة ومظاهر العداء

138.....	توطئة.....
139.....	أولاً: دور العوامل الجغرافية في تحديد علاقة الرفض والعداء القبلي للسلطة العثمانية.....
139.....	الموقع الجغرافي:
146.....	التضاريس.....
146.....	الجبيل.....
156.....	عامل الارض والتربة
164.....	المسالك والممرات البرية :
170.....	المبحث الثاني :مظاهر الرفض والعداء القبلي للسلطة العثمانية أواخر الحكم العثماني
170.....	مظاهر العداء القبلي للسلطة العثمانية :
171.....	أ-الثورات الشعبية(تحديد نماذج) :
171.....	1-ثورة ابن الأحرش الدرقاوي في بايلك الشرق :
175.....	-ثورة ابن الشريف الدرقاوي في بايلك الغرب (1805م-1816م):.....
181.....	3- الثورة التيجانية :
187.....	4- ثورة قبيلة فليسة بجمال جرجرة منطقة القبائل أواخر الحكم العثماني:
191.....	ثورة فليسة الثانية سنة (1767م-1180هـ):.....
193.....	ب- دعم قبائل الغرب الجزائري للإحتلال الإسباني:.....
194.....	- قبائل بني عامر
198.....	ج-دعم قبائل الشرق الجزائري للإيالة التونسية :
202.....	المبحث الثالث :ردود ومواقف السلطة العثمانية
202.....	الأساليب السياسية والإدارية :
202.....	سياسة فرق تسد
206.....	- سياسة التحالف :
207.....	- سياسة التفاوض :
208.....	- سياسة الإحتواء :
209.....	سياسة توظيف وتجنيد قبائل المخزن.....
212.....	الاعتماد على الشيوخ والمرابطين :
215.....	الأساليب العسكرية (سياسة القوة):.....
216.....	الحملات التأديبية :
218.....	المحلات العسكرية :
220.....	بناء الأبراج العسكرية :

220.....	برج سيباو .
221.....	برج بوغني
222.....	- إجتماعيا: سياسة المصاهرة:
224.....	رد فعل السلطة من التمردات والثورات :
226.....	اقتصاديا: - التحكم في الأسواق
228.....	نظام الضرائب.....
229.....	الضيافة أو المؤونة
الفصل الرابع: أثر العوامل والخصائص الجغرافية في رسم علاقة الخضوع القبلي ومظاهر الولاء	
235.....	توطئة.....
236.....	دور العوامل الجغرافية في رسم علاقة الولاء:
236.....	الأرض.....
237.....	الموقع الجغرافي
239.....	المناخ.....
241.....	التضاريس.....
244.....	مظاهر الدعم والولاء للسلطة :
244.....	1- دعم وولاء شيوخ القبائل ورجال الدين :
250.....	ومن مظاهر الولاء للسلطة العثمانية نجد أيضا :
251.....	2 - دعم القبائل للسلطة ضد الإيالة التونسية :
255.....	3- الدعم القبلي في التصدي للخطر المغربي:
257.....	4- الإستجابة لنداء الجهاد ضد الحملات الأوربية:
257.....	1- المشاركة والتصدي للحملات الأوربية :
257.....	- الحملة الإسبانية سنة(1775م-1189هـ):
258.....	حملة الضابط أكسندر أوريللي 1775م -1189هـ
262.....	الحملة الإسبانية سنة (1783م-1784م) (1198هـ-1199هـ):
263.....	الحملة البريطانية الهولندية سنة(1231م-1816هـ):
264.....	-تحرير مدينة وهران من الإسبان سنة (1792م-1206هـ)التحرير النهائي:
267.....	موقف ورد فعل السلطة العثمانية :
267.....	دعم القبائل المخزنية.....
271.....	موقف ورد فعل السلطة العثمانية
281.....	المصاهرة

284.....	4 - الدعم القبلي للسلطة ضد الإستعمار الفرنسي سنة 1830م-1246هـ:
291.....	حيثيات ومجريات المعارك ؛
294.....	معركة برج مولاي الحسن :
297.....	الدعم القبلي للسلطة ضد الإحتلال الفرنسي ببايلك الشرق (1830م- 1837م):
297.....	_ دعم السكان للباي أثناء إحتلال المدينة :
301.....	الحملة العسكرية الفرنسية الأولى 1836م:
303.....	الحملة العسكرية الفرنسية الثانية على قسنطينة سنة 1837م :
306.....	الخاتمة.....
312.....	الملاحق.....
339.....	قائمة المراجع والمصادر.....
363.....	الفهارس.....

ملخص المذكرة

ملخص

ملخص الاطروحة:

نسلط الضوء في هذه الدراسة على علاقة السلطة المركزية بالقبائل الجزائرية أواخر الحكم العثماني من جانب ميزتي التمرد والولاء في ظل تأثير العامل الجغرافي والطبيعي هذا الأخير يعد مكونا أساسيا ومهما في نسج العلاقة المتجذرة بين الجانبين، ولما له من تأثيرات ودلالات عميقة حملها بين طياته من خلال الموقع الجغرافي ، والتمسك بالأرض، ومظاهر السطح المختلفة ، والمناخ المتنوع، وغيرها.

فقد ساهم العامل الجغرافي في تصنيف هذه القبائل بين مخزنية ورعية ومتحالفة وممتعة على حسب موقعها من قرب أو بعد، واختلاف تضاريسها من سهول وجبال ووديان وسهوب وصحراء، فالقبائل الموالية عمدت إلى مساندة ودعم السلطة لكسب نيلها ورضائها، فعملت على ترسيخ ودعم أسس الحكم، وذلك تحت ظروف مختلفة، أما القبائل الممتعة فقد جنحت للتمرد رافضة المطالب المخزنية مفضلة العيش في حرية واستقلال بعيدا عن الخضوع والسيطرة لإعتبارات عديدة، فكادت أن تعصف باستمرارية نظام الحكم. وهو ماراحت تجابهه السلطة التي جندت كل الإمكانيات المادية والعسكرية، والوسائل والطرق السلمية وغيرها بغية إخضاعها وتأديبها، وأكثر من ذلك ضمان تبعيتها واعترافها بها أو إلقاء خطرهما، إلا أن الوضع المتدهور في جميع المجالات طغى على وجود العثمانيين في الإيالة الذي انتهى سنة 1830م بسقوط مدينة الجزائر تحت حكم الإحتلال الفرنسي .

الكلمات المفتاحية : السلطة العثمانية، القبائل الجزائرية ، الولاء ، الرفض ، العامل

الجغرافي ، مظاهر السطح.

Thesis summary:

In this study, we shed light on the relationship of the central authority with the Algerian tribes at the end of Ottoman rule from the perspective of the two characteristics of rebellion and loyalty in light of the influence of the geographical and natural factor. The latter is an essential and important component in weaving the deep-rooted relationship between the two sides, and because of its profound influences and connotations that it carries within it through the site. Geography, adherence to land, different surface features, diverse climate, etc.

The geographical factor contributed to the classification of these tribes between Makhzen, subjects, allied, and abstaining, according to their location, whether near or far, and the difference in their terrain, including plains, mountains, valleys, steppes, and desert. The loyal tribes intended to support and support the authority to gain their satisfaction and approval, so they worked to consolidate and support the foundations of rule, under Different circumstances. As for the reluctant tribes, they tended to rebel, rejecting the Makhzen's demands, preferring to live in freedom and independence away from submission and control for many considerations, which almost undermined the continuity of the regime.

He was reluctant to confront the authority, which mobilized all material and military capabilities, peaceful means and methods, and others, in order to subjugate and discipline it, and more than that, to ensure its subordination and recognition or to prevent its danger. However, the deteriorating situation in all fields overshadowed the presence of the Ottomans in the Eyala, which ended in the year 1830 AD with the fall of the city of Algiers. Under French occupation rule.

Keywords: Ottoman authority, Algerian tribes, loyalty, rejection, geographical factor, surface appearances.